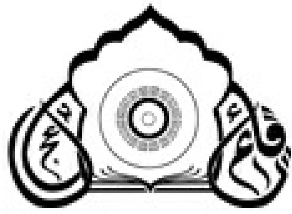


قائمیه اصفهان

مرکز تحقیقات رایانه‌ای



السلام علیک یا صاحب الزمان

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الخامس عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۵

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تقدمه و تقریظ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

بعد الحمد و الصّلوه يقول العبد أقل خدمه أهل العلم أبو الحسن بن محمّد المدعوّ بالشعرانى عفى عنه:

قد عنت العرب خاصّه و المسلمون عامّه بكلام أمير المؤمنين عليه السّلام سواء فى ذلك خطبه و كتبه و كلماته القصار منذ صدر منه عليه السّلام إلى يومنا هذا لما اشتمل عليه من علم غزير و مواعظ حسنه و احتجاجات مقنعه و تعليم محاسن الاداب و مكارم الاخلاق و تحريك الهمم و تشحيذ العزائم و دقائق المعرفه و غير ذلك مما يقصر عن إدراكه ذهننا و من احصائه وسعنا مع عباره بليغه لا يدانيها غيرها و قد أحسن من قال: هو فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق و يعنى غير كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيث قال: أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش و استرضعت فى بنى سعد و قد اعتنى المؤلفون بجمع خطبه أو كتبه و ذكر ناشيئا من ذلك فى مقدمه شرح المولى صالح القزوينى على نهج البلاغه بالفارسيّه و قلنا هناك ان أوّل من جمع خطب أمير المؤمنين عليه السّلام على ما ذكره الشيخ الطوسى فى الفهرست زيد بن وهب الجهنى قال له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السّلام على المنابر فى الجمع و الأعياد و زيد بن وهب كان ممّن أدرك الجاهليه و الاسلام و قد اسلم على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قصد التشرف بخدمته لكن لم يوفق و اختار اللّه لرسوله صلّى اللّه عليه و آله دار كرامته قبل وصوله

إليه و لذلک لم یعد فی الصحابه بل من التابعین من کبارهم و نزل الکوفه و توفّی سنه - ۹۶ - و کان من أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام و کان کتابه موجودا فی زمان الشّیخ الطّوسی (ره) إذ رواه بإسناده عن أبی مخنف لوط بن یحیی عن أبی منصور الجهنی عن زید بن وهب قال خطب أمیر المؤمنین إلی آخر الکتاب.

و ممّن جمع خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام إبراهیم بن حکم بن ظهیر الفزاری و کان فی حدود سنه ثمانین و مأئه.

و منهم اصبغ بن نباته روی عهد أمیر المؤمنین علیه السّلام للأشتر و وصیّته لمحمّد بن الحنفیّه.

و ممّن جمع خطبه علیه السّلام أیضا إسماعیل بن مهران بن محمّد بن زید السّکونی من اصحاب الرضا علیه السّلام.

و منهم صالح بن أبی حمّاد الرّازی کان ممّن رأی الامام أبا الحسن علیّ ابن محمّد العسکری علیه السّلام.

و منهم السیّد الشّریف الصّالح الکریم عبد العظیم بن عبد اللّه الحسنی رضی اللّه عنه النزیل بالرّی و المدفون بها و قبره هنا ملجأنا و نفتخر بوجوده فی جوارنا و هو ممّن جمع خطب جدّه أمیر المؤمنین علیه السّلام علی ما قاله النّجاشی.

و منهم إبراهیم بن محمّد بن سعید الثقفی جمع خطبه و رسائله و سائر أخباره و توفّی سنه ۲۸۳.

و منهم عبد العزیز بن یحیی الجلودی البصری من مشاهیر المورخین و أصحاب الأخبار ألف کتابا فی خطبه علیه السّلام و کتابا فی رسائله و کتابا فی أشعاره و کتابا فی أدعیته و کتابا فی مواعظه و سائر کلامه.

و منهم هشام بن محمّد بن سائب الکلبی و کان قد ادرک الصّادق علیه السّلام و کان أبوه صاحب تفسیر روی أهل السنّه أیضا قوله فی تفاسیرهم مع کونه رافضیا فی اصطلاحهم و منهم محمّد بن خالد الباقی والد أحمد صاحب المحاسن.

و منهم محمّد بن عیسی الأشعری والد أحمد بن محمّد بن عیسی صاحب النّوادر.

و منهم محمّد بن أحمد بن إبراهیم الجعفی الصّابونی الفقیه.

و منهم المدائنی أبو الحسن علیّ بن محمّد المتوفّی سنه - ۲۲۵ - له کتب منها کتاب خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام و رسائله إلی عماله.

ثمّ إنّ کثیرا من المورّخین و المحدّثین نقلوا فی سیاق ما نقلوا من الحوادث و الوقائع کلامه و خطبه علیه السّلام کالیعقوبی و الطبری و أصحاب أخبار الجمل و صفین و نهروان و کتاب الکافی و غیره و لما وصلت نوبه الأمر إلی السیّد الرّضی «قدّس سرّه» اختار من جمله ما تقدّم و غیره جملا ضمّنها کتاب نهج البلاغه و شرحه العلماء شروحا کثیره لا حاجه إلی ذکرها و من جملتها هذا الشرح المسمّی بمنهاج البراعه فانّه أطول شرح رأیناه لم یترک شارحه شیئا یلیق أن یذکر من شرح لغه و اعراب و توضیح معنی و قصّه تناسب مورد الکلام و روایه یقوی بها المرام إلاّ أتی به لکنه لم یوفق لاتمامه و بقیت کتبه علیه السّلام و وصایاه و کلماته القصار بل بعض خطبه علیه السّلام غیر مشروحه و تاقت نفوس الطالبین إلی تمامه و استشرقت أنظارهم علی إکماله و تمنت رجال ان لو کان شارحه حیا إلی أن یقضی الوطر من تکمله الشرح لکن لم یکن قیّض له ذلک فتوفاه اللّه و اختار له الاخره علی الدّنیا و ختم عمله بقوله علیه السّلام: - و العمل یرفع - و تفألت من ذلک قبول عمله کما ذکرت ذلک فی آخر المجلد الرّابع عشر و لما کانت الخطبه التی شرع فیها غیر مشروحه بتمامها إلی آخرها اردت ان اضمّ شیئا من کلامی إلی کلامه فاشترک معه فی رفع العمل فشرحت تمام الخطبه و ترجمتها بالفارسیّه علی منواله و ألحقتها به حتّی یکمل الخطبه التی أخذ فی شرحها و اطلع علیه بعض الاصدقاء و کان ذا ظن حسن بی فاستحسن عملی و ترجمتی فوق ما انا لائق به و زعم أن ترجمتی غیر قاصره عن بیان المراد مع حفظ السلاسه و بعده عن السّماجه التی تعرض عند نقل لغه الی اخری و اقترح علیّ إتمام الشرح إلی آخر کتاب نهج البلاغه و کان ذلک دون طوقی مع کمال شوقی و بینت له ان هذا قد قضی وقته و فات اوانه لأنّ کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام مشتمل علی فنون شتی من العلم تقصر عن إدراکه الهمم و تقف دون نیله الفطن کیف و هذا الشّرح مع طوله و اشتماله علی ما یحتاج إلیه فی حلّ ظاهر الکتاب عادم اسرار و فاقد نکت

و تارك حقائق تستفاد من خطبه عليه السّلام فى التّوحيد و المعارف و امثالها و قد مضت أكثرها فى المجلّدات السّابقه و فات أوان استدراكها و قد يلتزم الشارح فى الامامه باشياء لم يذكرها علماؤنا قدّس اللّه اسرارهم فى عقائد الطائفه الحقه أيدهم اللّه تعالى أو ردّوها و نفوا ان يكون الشّيعه قائله به و ربما عدل عن الحجج القويه مثل ما أورده السّيّد المرتضى و الشّيخ الطوسى و نصير الدّين و العلامه رحمهم اللّه الى نقول غير متواتره و لا متفق على نقلها مع ان الغرض من بيان الاصول اما أن يكون اعتقاد الانسان بها فى نفسه فيجب أن يكون دليله موجبا لليقين و ليس الا الخبر المتواتر و امّا أن يكون الغرض تبكيت الخصم فى مقام المجادله فيجب أن يكون الخبر المحتج به ممّا يعترف به الخصم و أما الرّوايات غير المتواتره و لا متفق عليها فتناسب كتب المحاضره و الطرايف و اللّطائف و أمثال ذلك و لا يناسب شرح نهج البلاغه الا ذكر الحقائق و قد فاتت و حلّ محلّ الحقائق امور لترويح الخاطر و اعجاب الناظر لا لبيان معضل و ايضاح مشكل و تأييد حق و ازهاق باطل و ما اردت بذكر ذلك الازراء و التنقيص لأن فوائت الكتاب بالنسبه الى فوائده قليله جدا بل لا يعتد بها بل أردت بيان عذرى فى الامساك عن قبول الاقتراح اذ لا بدّ لمكمّل هذا الشرح من تتبع طريقته و انّى ارى ابداء الخفى و ما لو سكت عنه بقى على ابهامه أولى و أوجب من نقل امور موجوده فى كتاب مشهور الى موضع آخر و مع ذلك فانّى أستصوب عمل من يتصدّى لتكميل هذا الشرح نيلا لفوائده العظيمه و لما اطلعت على اهتمام حضره الفاضل الأديب البارع العالم الجامع الحائز لقصبات السبق فى مضمار اكتناه الحقائق و الفائز بالقدح المعلى فى استهام العلوم و الدّقائق ذو الفكره النقاده و الفطنه الوقاده اللوذعى الألمعى الحبر الموتمن - الحاج شيخ نجم الدّين حسن الاملى الطبرى - ضاعف اللّه قدره استبشرت به لما كنت اعرف من حذاقته و تتبعه و تبحره فى العلم و اناته فى مقاساه العمل و قد جربته سنين و عرفت دخله أمره فقد قرء علىّ فنونا ممّا يهتمّ به غيره من المشتغلين و ما لا يهتمّ به لغموضه و لم يكن يقصر على اصول الفقه كغيره فان أبناء زماننا قاصرو الهمه يقنعون

من العلم بأقلّ شيء منه كالمقتصر على قدر الضّروره فى أكل الميته و ترى كثيرا منهم لا يقتنون من العلوم الّتى ينسب إلى الشرع الا مسائل محدوده فى الاصول كالفرق بين المعنى الحرفى و الاسمى و الصحيح و الاعم و الترتب و اجتماع الأمر و النّهى و مقدمه الواجب و الفرق بين التعارض و الحكومه و الأصل المثبت و غيرها ممّا لا يجاوز عقد العشره و من الفقه مسأله بيع المعاطاه و الفضولى و الخيارات و أمّا شيخنا المنوّه بذكره فلم يضنّ بوقته و لم يبخل بعمره بل صرفه فى العلوم الدّينيّه و أتقنها فهو استاد فى الأدب و اللّغه عارف بالقرآن و قراءاته و تفسيره متقن لعلم الكلام و سائر العلوم العقليّه ناظر فى الحديث و الرّجال و سائر ما يعده غيره فضلا و لا يعتدون به مع انّ احتياج الدّين اليه اشدّ و أكثر ممّا يحتاجون اليه فى كسب الشهره و تحصيل عنوان الاجتهاد و زاد على جميع ذلك فقرأ عليّ مع العلوم الشرعيه كثيرا من الكتب الرّياضيه كالمجسطى و اقليدس و شرح التذكره و الاكر و غيرها و اتقن العمل بالزيجات الجديده و استخراج تقويم الكواكب و سيرها و ما يتعلّق بها بالبراهين و بالجمله فهو حريّ بأن يتصدّى معالى الامور و نرجو منه ان يكمل هذا الشرح بأحسن وجه و أجود طريق و قد أصلح قبل ذلك بعض الكتب و شرحها فأثبت مهارته و فقه اللّه لترويج العلم و الدين بمحمّد و آله الطاهرين.

ص:۶

مقدمه المؤلف

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحیمِ الحمد للّه الّذی علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم یعلم، و جعله خلیفه له و مظهره الأکمل الأتمّ، و أنزل القرآن لیکون نبراسا للظلم، و هادیا للأمم و للحقّ و الباطل فرقانا، و للمعروف و المنکر میزانا، و لذوی العقول و العلوم برهانا و إنّه لکتاب عزیز لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه تنزیل من حکیم حمید قرآنا عربیّا غیر ذی عوج لینذر من کان حیّا و یحق القول علی الکافرین. و کلّفنا بما هو مقرون بالخیر و الشرّ، فأوجب الأوّل و حرّم الاخر، و أمرنا بالعدل و الاحسان، و نهانا عن الظلم و العدوان، فتعالی أن یرجّح الاخر علی الأوّل، أو یقدّم المفضول علی الفاضل فضلا علی الأفضل، أعاذنا اللّه من الخبل و الحول.

و الصّلاه و السّلام علی من ارسل شاهدا و مبشّرا و نذیرا، و داعیا إلی اللّه باذنه و سراجا منیرا، محمّد المصطفی خاتم النبیین، و سیّد المرسلین، و خلفائه الحجج الهادین المهدیّین، المنصوبین من عند علّام الغیوب، و المعصومین من الرجس و الذّنوب، و المنزّهین عن الدّنس و العیوب، الأئمّه الاثنی عشر، سیّما علی أبیهم خیر البشر، باب مدینه العلم، یعسوب الدّین، أمیر المؤمنین، ولیّ کلّ مؤمن و مؤمنه، سیّد المسلمین، إمام المتّقین، قائد الغرّ المحجّلین، و علینا و علی عباد اللّه الصّالحین.

و بعد فیقول الرّاجی إلی رحمه ربّه العلیّ، المتمسّک بولایه مولاه أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام - الحسن بن عبد اللّه الطبری الاملی - عاملهما اللّه بلطفه الخفی و الجلیّ: إنّ کلام مولی الموحدین لمنهج البلاغه و مسلک الفصاحه،

كلّت ألسن الخطباء عن ان يأتوا بمثل أوامره و خطبه، و زلّت أقدام اقلام الامراء دون مبارزه رسائله و كتبه، و حارت عقول العقلاء فى بيداء مواعظه و حكمه، كيف لا و القائل مقتبس بالأنوار الالهيّه، و مستضىء بالمشكاه المحمّديه، و الكلام مستفاض من الصقع الرّبوبى، و مستفاد من الحضره النّبويّه، فهو تالى القرآن و ثانى الفرقان، صدق ولىّ اللّه حيث قال: إنا لامراء الكلام، و فينا تنشّبت عروقه و علينا تهدّلت غصونه.

ثمّ إنّ العلماء قد خاضوا قديما و حديثا فى هذا القاموس العظيم لاقتناء درره، و اجتهدوا حقّ الاجتهاد بما تيسّر لهم فى بيانه و تفسيره، و سلك كلّ واحد مسلكا فى شرحه و تقريره، و الكلّ ميسر لما خلق له، قل كلّ يعمل على شاكلته، و الّفوا فيها رسائل و كتبا قيمه منها: - كتاب منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه - لمؤلّفه العالم الجليل و الحبر النبيل الميرزا حبيب اللّه الخوئى رضوان اللّه عليه و يكفى فى جوده هذا السفر النفيس اقبال الفضلاء إليه حتّى طبع فى أمد قليل غير مرّه فللّه درّ مصنّفه.

و لكن لما بلغ رحمه اللّه إلى الخطبه المأتين و التّاسعه و العشرين انقطع مهله و انقضى أجله و قضى نحبه و جف قلمه فبقى هذا الأثر القويم أبتر فعزمت متوكّلا على اللّه المتعال و مستعينا به لاتمامه على النهج المذكور لكى يكون تكمله له و تماما فكتابنا هذا «تكمله منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه» و أسأل اللّه التّوفيق فى إكماله و إتقانه إنّه ولىّ التّوفيق و الهادى إلى خير طريق.

ثمّ أسأله أن يوفق ناشر الاثار الجعفريّه، مروّج الأسفار الإماميّه، مدير المكتبه الاسلاميّه، الوجيه المؤيد: - الحاج السّيّد إسماعيل الموسوىّ الكتابچى و اخوانه - أطال اللّه بقائهم اخلاف المغفور المبرور مؤسّس المكتبه الإسلاميّه خادم الشّريعه النّبويّه و الاثار الجعفريّه الحاج السّيّد أحمد الموسوىّ الكتابچى رضوان اللّه عليه، و قد أقدموا إلى طبع هذه التكمله على نفقتهم ناوين فى ذلك ترويج شعائر الدّين و نشر آثار سيّد المرسلين فجزاهم اللّه و ايانا عن الاسلام

ص:٨

و المسلمين خير جزاء آمين ربّ العالمين و نشرع الان فى شرح الكتاب بعون اللّه الملك الوهّاب. ربّ اشرح لى صدرى و يسّرلى أمرى و احلل عقده من لسانى يفقهوا قولى.

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

و من خطبه له عليه السّلام و هى المأتان

اشاره

و التاسعه و العشرون من المختار

فى باب الخطب

خطبها بذى قار و هو متوجّه إلى البصره، ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل:

فصدع بما أمر و بلّغ رساله ربّه فلمّ اللّه به الصّدع، و رتق به الفتق، و ألّف به بين ذوى الأرحام بعد العداوه الواغره فى الصّدور و الضّغائن القادحه فى القلوب.

اللغه

(ذو قار) موضع بين الكوفه و واسط، و فيه كانت وقعه العرب قبل إسلامهم مع الفرس و سنشير إليه، و (الصدع): الشق فى شىء صلب، و فى المجمع فى تفسير قوله تعالى فى آخر سوره الحجر «فاصدع بما تؤمر»: الصدع و الفرق و الفصل نظائر و صدع بالحق إذا تكلّم به جهارا و فى السيره الهشاميّه: اصدع أفرق بين الحقّ و الباطل قال أبو ذؤيب الهذلىّ و اسمه خويلد بن خالد يصف اتن وحش و فحلها

و كانّهنّ ربابه و كأنّهيسر يفيض على القداح و يصدع(۱)

أى يفرّق على القداح و يبين انصباءها و هذا البيت فى قصيده له، و قال رؤبه

ص:۹

۱- (۱) - الربابه «بكسر الراء» خرقه تلف فيها القداح و تكون أيضا جلدا. و اليسر الذى يدخل فى الميسر. و القداح: جمع القدح و هو السهم.

ابن العجاج:

أنت الحليم و الأمير المنتقم تصدع بالحقّ و تنفى من ظلم

و فى القاموس قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر أى شق جماعاتهم بالتّوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحق و افصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر او افرق به بين الحق و الباطل، و (لمّ) أى جمع و لمّ الصدع أى جمع المتفرق بعد الشق و (الفتق) فى الثوب نقض خياطته حتّى انفصل بعضه من بعض و الفتق أيضا شق عصا الجماعه و وقوع الحرب بينهم. و (الرّتق) ضدّ الفتق و المراد بلم الصدع و رتق الفتق رفع ما كان بين العرب من تشتت الاهواء و تفرق الكلمه بالعداوه و الحقد و (الواغره) ذات الوغره و هى شدّه توقد الحرّ و الوغر و الوغر بالتحريك الحقد و الضغن و العداوه و التوقّد من الغيظ و (الضغائن) جمع الضغينه و هى الحقد كالضّغن.

(قدح) بالزند رام الايراء به و الضغائن القادحه هى الّتى تثير الفتن و الشرور و توقد نار الغضب فى القلوب كما توارى النّار بالمقدح.

الاعراب

كلمه ما فى قوله عليه السّلام فصدع بما أمر يمكن أن تجعل موصوله بمعنى الذى و أن تكون مصدريّه فعلى الأوّل يكون العائد من الصّله إلى الموصول محذوفا و التقدير «فصدع بما أمر بالصدع به» ثمّ حذفت الباء التى فى به فصارت الجمله «فصدع بما امر بالصدعه» و لما لم تجز الاضافه مع اللام اعنى اضافه الصدع إلى الضمير فحذفت لام المعرفه توصلا بحذفه إلى الاضافه فصارت الجمله «فصدع بما امر بصدعه» ثمّ حذف المضاف و اقيم المضاف إليه مقامه فبقيت الجمله «فصدع بما امر به» ثم حذف حرف الجر على حدّ قولك امرتك الخير فى أمرتك بالخير فصارت الجمله «فصدع بما امره» ثمّ حذف العائد المنصوب من الصله و حذف العائد المنصوب فى كلام العرب كثير ففى الالفيه لابن مالك: و الحذف عندهم كثير منجلى فى عائد منتصب ان انتصب بفعل أو وصف كمن ترجو يهب.

و أمّا على الثّانى فالتقدير فصدع بالامر كما تقول عجبت ممّا فعلت و التقدير

عجبت من فعلك و لا يحتاج ههنا إلى عائد يعود إلى ما لانه حرف. ذكره الطبرسى فى المجمع فى قوله تعالى «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ ».

و الباء فى به و اخويه للسّبب.

قوله عليه السّلام بعد العداوه متعلّق بكلّ واحد من الأفعال الثّلاثه أعنى لمّ و رتق و ألف.

و الواغره صفه للعداوه. و فى الصّدور متعلّقه بالواغره. و كذا الضغائن موصوفه بالقادحه و فى القلوب متعلّق بالقادحه.

المعنى

أشار عليه السّلام فى هذه الخطبه إلى شرذمه من أوصاف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنّه أظهر و صرّح بما امر به جهارا غير خائف من أحد و شق بما جاء به الرّساله عصا الكفر و كلمه أهله و حجب الغفله التى رانت على قلوبهم. و أنّه بلغ رساله ربه و فيه مدح عظيم لأنّه أداء أمانه عظم قدرها و تبليغها. و انه لمّ اللّه به الصدع و رتق به الفتق أى رفع به تشتت الأهواء و اختلاف الكلمه بين العرب. و بأنّه ألّف بين ذوى الأرحام إلخ أى رفع اللّه به الاحقاد و الضغائن و العداوات الّتى بها يقتل الرّجل ابنه و أباه و ذوى رحمه.

قال الشيخ الطّائفه (ره) فى التهذيب: و صدع صلّى اللّه عليه و آله بالرّساله فى يوم السّابع و العشرين من رجب و له أربعون سنه.

لا ريب انّه صلّى اللّه عليه و آله بعث و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقه و أهواء منتشره و طرائق متشتّته بين مشبه اللّه بخلقه أو ملحد فى اسمه كما أشار إليه علىّ عليه السّلام فى بعض خطبه الماضيه لا سيما العرب كانوا أصنافا شتى فمنهم من أنكر الخالق و البعث و الاعاده و قالوا ما قال اللّه فى القرآن الكريم عنهم «ما هِيَ إِلّاٰ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ » و منهم من اعترف بالخالق سبحانه و أنكر البعث و هم الذين اخبر سبحانه عنهم بقوله: «قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ » و منهم من اقر بالخالق و نوع من الاعاده و أنكر الرّسل و عبد الأصنام، و طائفه منهم زعموا ان

الأصنام شفعاء عند اللّه فى الاخره و حجوا لها و نحروا لها الهدى و قربوا لها القربان و هم الذين قال اللّه تعالى عنهم: «وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ » إلى غير ذلك من المذاهب المشتّته و الطرق المتبدده و الاهواء السخيفه و الاراء الرديّه فكانوا بمعزل عن الحقّ و الصراط المستقيم و النهج القويم بحيث تشمئز النفوس السليمه عن استماعها و كيف لا و بنو الحنظله و هم طائفه من العرب كانوا يصنعون بالرطب أصناما و يعبدونها أيّاما و لما انصرم أوان الرطب أخذوا فى أكلها حتّى لا يبقى من آلهتهم شىء. فبعث اللّه رسوله الخاتم فهداهم به من الضّلاله و انقذهم بمكانه من الجهاله فدعاهم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتى هى أحسن و أنار نفوسهم بنور العلم و المعرفه و اثار ما فطروا به فطره اللّه الّتى فطر الناس عليها و أوقد مصباح عقولهم باذن اللّه تعالى و أمره و وحيه و انزاله الرّوح المقدس عليه فهداهم للتى هى أقوم حتّى انتبهوا و تيقّظوا من رقد الغفله و الجهاله و صدّقوا كلمته و أجابوا دعوته بان اللّه هو الحق و ان ما يدعون من دونه هو الباطل فرزقوا السّعاده فى الدّارين و بلغوا إلى ما بلغوا فلمّ اللّه به الصّدع و رتق به الفتق و أجمعهم على كلمه واحده هى كلمه الاخلاص أعنى الكلمه الطيبه لا إله إلاّ اللّه و هى كلمه التّوحيد الجامعه لجميع الكمالات و الفضائل و الخيرات الدنيويّه و الاخرويّه قد أفلح القائل بها.

و ممّا يليق ان نذكر فى المقام أنموذجا من تنبّههم كما فى السيره الهشاميّه و الحلبيه ان الأنصار لما قدموا المدينه أظهروا الاسلام و تجاهروا به و كان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمه «بكسر اللام» و اشرافهم و لم يكن اسلم و كان ممّن اسلم ولده معاذ بن عمرو و كان لعمرو بن الجموح فى داره صنم من خشب يقال له المناه لان الدماء كانت تمنى أى تصبّ عنده تقربا إليه و كان يعظّمه فكان فتيان قومه ممّن أسلم كمعاذ بن جبل و ولده عمرو بن معاذ و معاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصّنم فيخرجونه من داره و يطرحونه فى بعض الحفر الّتى فيها خرء النّاس منكسا فإذا أصبح عمرو قال و يحكم من عدا على الهنا هذه اللّيله ثمّ يعود يلتمسه حتّى

إذا وجده غسله فاذا أمسی عدوا علیه و فعلوا به مثل ذلک إلی أن غسله و طیبه و حماه بسیف علقه فی عنقه ثمّ قال له ما أعلم من یصنع بک فان کان فیک خیر فامتنع فهذا السیف معک فلما امسی عدوا علیه و أخذوا السیف من عنقه ثمّ أخذوا کلبا میتا فقرنوه به بحبل ثمّ القوه فی بئر من آبار بنی سلمه فیها خرء النّاس فلما اصبح عمرو غدا إلیه فلم یجده ثمّ تطلبه إلی أن وجده فی تلک البئر فلما رآه کذلک رجع إلی عقله و کلمه من أسلم من قومه فأسلم و حسن إسلامه و أنشد أبیاتا فی ما جری علیه و علی صنمه.

و اللّه لو کنت إلها لم تکن أنت و کلب وسط بئر فی قرن

اف لملقاک إلها مستدنّ الان فتشناک عن سوء الغبن

الحمد للّه العلی ذی المنن الواهب الرّزاق دیّان الدّین

هو الّذی انقذنی من قبل ان أکون فی ظلمه قبر مرتهن

بأحمد المهدی النّبیّ المؤتمن

ثمّ إنّ هذا الرّجل بلغ فی جلاله شأنه مبلغا استشهد فی غزوه احد و روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیه ما فیه:

ففی السیره الهشامیّه: قال ابن إسحاق و حدّثنی أبی إسحاق بن یسار عن أشیاخ من بنی سلمه أن عمرو بن الجموح کان رجلا أعرج شدید العرج و کان له بنون أربعه مثل الاسد یشهدون مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المشاهد فلما کان یوم احد أرادوا حبسه و قالوا له: إنّ اللّه عزّ و جلّ قد عذرک فأتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال إنّ بنیّ یریدون أن یحبسونی عن هذا الوجه و الخروج معک فیه فو اللّه إنّی لأرجو أن أطأ بعرجتی هذه فی الجنّه فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أمّا أنت فقد عذرک اللّه فلا جهاد علیک، و قال لبنیه: ما علیکم أن لا تمنعوه لعل اللّه أن یرزقه الشهاده فخرج معه فقتل یرم احد.

و فی ماده «عمر» من سفینه البحار نقلا عن الواقدی: کان عمرو بن الجموح رجلا أعرج فلمّا کان یوم احد و کان له بنون أربعه یشهدون مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله

المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه و قالوا أنت رجل أعرج و لا حرج عليك و قد ذهب بنوك مع النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله. قال بخ يذهبون إلى الجنّه و أجلس عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته كأنّى انظر إليه مولّيا قد أخذ درقته و هو يقول: اللّهمّ لا ـ تردّنى إلى أهلى فخرج و لحقه بعض قومه يكلّمونه فى القعود فأبى و جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال يا رسول اللّه إنّ قومى يريدون أن يحبسونى هذا الوجه و الخروج معك و اللّه إنّى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنّه فقال له أمّا أنت فقد عذرك للّه و لا جهاد عليك فأبى. فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لقومه و بنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعلّ اللّه يرزقه الشهاده فخلّوا عنه فقتل يومئذ شهيدا.

قال فحملته هند بعد شهادته و ابنها خلاد و أخاها عبد اللّه على بعير فلما بلغت منقطع الحره برك البعير فكان كلما توجه إلى المدينه برك و إذا وجّهته إلى احد أسرع فرجعت إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأخبرته بذلك. فقال صلّى اللّه عليه و آله: ان الجمل لمأمور هل قال عمرو شيئا؟ قالت: نعم إنه لما توجه إلى احد استقبل القبله ثمّ قال: اللّهم لا تردّنى إلى أهلى و ارزقنى الشهاده فقال صلّى اللّه عليه و آله: فلذلك الجمل لا يمضى. ان منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على اللّه لأبرّه منهم عمرو بن الجموح. يا هذه ما زالت الملائكه مظلّه على أخيك «و هو عبد اللّه بن عمرو بن حزام» من لدن قتل إلى الساعه فينظرون أين يدفن.

ثمّ مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قبرهم ثمّ قال: يا هند قد ترافقوا فى الجنّه جميعا بعلك و ابنك و أخوك. فقالت هند: يا رسول اللّه فادع اللّه لى عسى أن يجعلنى معهم.

قال: و كان جابر يقول: لما استشهد أبى جعلت عمتى تبكى فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ما يبكيها ما زالت الملائكه تظلّ عليه بأجنحتها حتّى دفن. و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم احد: ادفنوا عبد اللّه بن عمرو بن حزام و عمرو بن الجموح فى قبر واحد.

فانظر أيّها الطالب نهج الصّواب و السّداد و السائل سبيل المعرفه و الرّشاد كيف تصنع الايات الالهيّه و الحكم السّماويه و المواعظ القرآنيّه بأهلها حتّى

الرّجل المتوغل فی الاجسام و المتصلّب فی عباده الأصنام بلغ إلی مرتبه کأنّه یری اللّه بعین المعرفه و یعبده و یشتاقه و یقول: بخ بخ یذهبون إلی الجنّه و أجلس عندکم؟.

ثمّ إنّ الرّجل منهم یقتل أولاده خوفا من الفقر فانزل اللّه تعالی «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیّاهُمْ » و الرّجل الاخر یأدبنته و فی المجمع فی التفسیر للطبرسی (ره) کانت المرأه إذا حان وقت ولادتها حفرت حفره و قعدت علی رأسها فان ولدت بنتا رمت بها فی الحفره و إن ولدت غلاما حبسته.

و فیه أیضا قال قتاده: جاء قیس بن عاصم التمیمی إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال انی و أدت ثمانی بنات فی الجاهلیّه فقال صلّی اللّه علیه و آله فأعتق عن کلّ واحده رقبه قال انی صاحب ابل قال فاهد الی من شئت عن کلّ واحده بدنه. فانزل اللّه تعالی توبیخا و تبکیتا لوائدها «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » و قال تعالی فی سوره النحل . «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثی ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ کَظِیمٌ یَتَواری مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ یُمْسِکُهُ عَلی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرابِ » الایه و کانوا یفعلون ذلک مخافه الفقر علیهن فیطمع غیر الاکفاء فیهن. و الأخبار و القصص فی قتلهم أولادهم کثیره و لا نطیل الکلام بذکرها فهداهم اللّه تعالی بارسال الرّسول لطفا منه علی العباد فانقذهم من هذه الورطه الهالکه المضلّه و لقّنهم کلمه الحکمه و أرشدهم إلی رحمته بقوله «نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیّاهُمْ » و لنعم ما نظمه العارف السعدی

یکی طفل دندان بر آورده بودپدر سر بفکرت فرو برده بود

که من نان و برگ از کجا آرمشمروّت نباشد که بگذارمش

چو بیچاره گفت این سخن نزد جفتنگر تا زن او چه مردانه گفت

مخور هول إبلیس تا جان دهدهم آن کس که دندان دهد نان دهد

و أیضا ما کان حیّان من العرب الا و بینهما المعاداه و القتال و اشدّهما عداوه الأوس و الخزرج فببرکه نبینا صلّی اللّه علیه و آله صاروا متوادین متحابین و جمع اللّه بمقدمه صلّی اللّه علیه و آله أشتاتهم و ألف بین قلوبهم و قال عزّ من قائل فی سوره الانفال الایه ۶۲: «هُوَ الَّذِی »

«أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لکِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ » فی المجمع قال الزّجاج و هذا من الایات العظام و ذلک ان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعث إلی قوم انفتهم شدیده بحیث لو لطم رجل من قبیله لطمه قاتل عنه قبیلته فالف الایمان بین قلوبهم حتّی قاتل الرّجل أباه و أخاه و ابنه فأعلم اللّه سبحانه ان هذا ما تولاه منهم الا هو.

و من تأمّل فی سیرته صلّی اللّه علیه و آله یجد أن دیدنه و شیمته کان ألیف القلوب و اصلاح ذات البین و إیجاد العلقه و الاخوه و المحبّه فی النّاس و رفع تشتت الاراء و اختلاف الکلمه قبل بعثه أیضا و کفاک شاهدا ما جاء فی السیره الهشامیّه و السیره الحلبیّه و غیرهما من الکتب المعتبره المعتمده عند المسلمین و غیرهم انه لما بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خمسا و ثلاثین سنه جاء سیل حتّی أتی من فوق الرّدم الذی صنعوه لمنعه السبیل فاخربه و دخلها و صدع جدرانها بعد ترهینها من الحریق الذی أصابها و اجتمعت القبائل من قریش و اعدّو البناء البیت نفقه طیبه لیس فیها مهر بغی و لا بیع ربا و لا مظلمه أحد من النّاس و لما بلغ البنیان موضع الحجر الاسود اختصموا کلّ قبیله ترید ان ترفعه إلی موضعه دون الاخری حتی اعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنه مملوأه دما ثم تعاقدواهم و بنو عدی أن تحالفوا علی الموت و ادخلوا أیدیهم فی ذلک الدّم فی تلک الجفنه و مکث النّزاع بینهم أربع أو خمس لیال ثمّ اجتمعوا فی المسجد الحرام و کان أبو امیّه بن المغیره و اسمه حذیفه اسنّ قریش کلّها فقال یا معشر قریش اجعلوا بینکم فیما تختلفون فیه أوّل من یدخل من باب هذا المسجد یقضی بینکم أی و هو باب بنی شیبه و کان یقال له فی الجاهلیه باب بنی عبد الشمس الذی یقال له الان باب السلام فکان أول داخل منه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلما رأوه قالوا هذا الأمین رضینا هذا محمّد و انهم کانوا یتحاکمون إلیه فی الجاهلیه لأنه کان لا یداری و لا یماری فلما انتهی إلیهم و اخبروه الخبر قال هلمّ إلیّ ثوبا فاتی به و فی روایه فوضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ازاره و بسطه فی الأرض فأخذ الحجر الأسود فوضعه فیه

بیده الشّریفه ثمّ قال لتأخذ کلّ قبیله بناحیه من الثوب ثمّ ارفعوه جمیعا ففعلوا حتّی إذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلّی اللّه علیه و آله فی مکانه حیث هو الان. و لا یخفی علی ذی درایه حسن تدبیره و شیمته فی رفع ذلک الاختلاف و اللّه أعلم حیث یجعل رسالته.

و امّا ما وعدنا من الاشاره إلی وقعه العرب مع الفرس فی ذی قار فجمله الامر فیه ان کسری ابرویز ملک العجم خطب بنت نعمان بن المنذر ملک العرب و أبی المنذر عن الاجابه فوقع بینهما خصومه و انجرّ إلی الجدال و القتال إلی أن استولی ارویز علیه و سجنه فی الساباط حتّی مات المنذر فی السجن و فی ذلک یقول الاعشی:

فذاک و ما انجی من الموت ربه بساباط حتّی مات و هو محرزق

و قتله المنذر صار سببا لاثاره الحرب بین العجم و العرب فی ذی قار و کانت تلک الواقعه فی ذی قار بعد هجره الرسول صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینه و انهزم العجم من العرب باسمه صلّی اللّه علیه و آله مع أنّهم لم یکونوا بمسلمین بعد و ذلک أن الهانی و الحنظله کانا من رؤساء العسکر من العرب و قالوا لجندهم سمعنا ان رجلا منّا یسمّی محمّدا أتی بشریعه و دین مدّعیا النّبوّه من اللّه و یدعو النّاس إلیه و سمعنا من نطق باسمه فی کلّ واقعه فقد فاز و من کان له حوائج فنطق باسمه فقد قضت و ان ضل عن الطریق فقد هدی ففی حربنا غدا نجعل شعارنا:

«محمّد معنا و النصر لنا» فلما اصبحوا و استقروا قبال عسکر العجم فاهلوا باسمه «محمّد معنا و النّصر لنا» فظفروا علیهم فهبط جبرئیل إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم علیه و قال یا رسول اللّه قد غلبت العرب علی العجم فی ذی قار باسمک فکبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث کرّات و قال هذا أوّل یوم انتصفت العرب منه و من العجم و باسمی نصروا.

ثمّ اخبره الجبرئیل القصه کما وقعت فاضبط أصحابه ذلک الیوم و السّاعه و القصّه فلما أخبروا بها وجدوها کما سمعوا.

ثمّ إنّ ذا قار هذا کان محل نزول علیّ علیه السّلام لما خرج من المدینه متوجها إلی البصره فی واقعه الجمل. و جمله القول فیه أنّه علیه السّلام بویع فی المدینه یوم الجمعه

لخمس بقين من ذى الحجه و هو اليوم الذى قتل فيه عثمان فاجتمع المهاجرون و الأنصار فيهم طلحه و الزّبير فأتوا عليّا عليه السّلام.

فقالوا و اللّه ما نختار غيرك و لا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقه و لا أقرب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فبايعه النّاس إلا نفيرا يسيرا كانوا عثمانيه و كان طلحه أوّل من صعد المنبر و بايع عليا عليه السّلام. ثمّ اتصلت بيعه علىّ عليه السّلام بالكوفه و غيرها من الامصار و كانت أهل الكوفه اسرع إجابه إلى بيعته و أخذ لها البيعه على أهلها أبو موسى الاشعرى حتّى تكاثر النّاس عليه و كان عليها عاملا لعثمان و انتزع علىّ عليه السّلام أملاكا كان عثمان اقطعها جماعه من أتباء، و أقاربه، و قسم علىّ عليه السّلام ما فى بيت المال على النّاس و لم يفضّل أحدا على أحد، ثمّ إنّ طلحه و الزّبير نكثا العهد و البيعه و خرجا إلى مكّه بعد أشهر و كانت حينئذ عائشه بمكه و غرّاها فأغراها طلبا بدم عثمان و صنعوا ما صنعوا حتّى خرجوا فيمن تبعهم إلى البصره قد خلعوا طاعه علىّ عليه السّلام و بغوا عليه ثمّ سمع على عليه السّلام مكرهم و خدعتهم و نكثهم فخرج من المدينه إلى الكوفه و كان أحذ منازله ذا قار و فيه خطب تلك الخطبه مخاطبا لاعوانه من أهل الكوفه و غيرهم. و بعث علىّ عليه السّلام من ذى قار ابنه الحسن المجتبى عليه السّلام و عمّار بن ياسر رضوان اللّه عليه ليستنفرا له أهل الكوفه حتّى اقبلت وقعه الجمل و انهزم النّاكثون.

و كان مسيره عليه السّلام من المدينه إلى البصره فى سنه ستّ و ثلاثين و فيها كانت وقعه الجمل و ذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها و كانت وقعه واحده فى يوم واحد. و قال الطبرى فى تاريخه: كان قتالهم من ارتفاع النّهار إلى قريب من العصر و يقال إلى أن زالت الشمس.

و قد تنازع النّاس فى مقدار ما قتل من الفريقين فى وقعه الجمل فمن مقلل و مكثر فالمقلل يقول قتل منهم سبعه آلاف. و المكثر يقول قتل منهم ثلاثه عشر ألفا و قال الطبرى: كان قتلى الجمل حول الجمل عشره آلاف نصفهم من أصحاب علىّ عليه السّلام و نصفهم من أصحاب عائشه، و كانت عايشه راكبه على الجمل المسمّى عسكرا فى هودج

و عرقب الجمل فی ذلک الیوم و وقع الهودج. و قیل انّه کان بین خلافه علیّ علیه السّلام إلی وقعه الجمل و بین أوّل الهجره خمس و ثلاثون سنّه و خمسه أشهر و عشره أیام و أمّا تفصیله فیأتی فی باب المختار من کتبه و رسائله علیه السّلام إن شاء اللّه تعالی.

ثمّ الظّاهر إن هذه الخطبه لجزء خطبه و إن لم نجدها مع الفحص الکثیر بعد و لم یحضرنی جمل الواقدی و لا جمل نصر و مضت خطبه اخری خطبها علیه السّلام فی ذی قار و هی الخطبه الثالثه و الثلاثون أوّلها فی النهج: و من خطبه له علیه السّلام عند خروجه لقتال أهل البصره «یعنی فی واقعه الجمل» قال عبد اللّه بن عباس دخلت علی أمیر المؤمنین علیه السّلام بذی قار و هو یخصف نعله فقال لی ما قیمه هذه النعل إلی آخرها.

أقول: اتی ثقه الاسلام الکلینی رضوان اللّه علیه فی الکافی بخطبه عنه علیه السّلام خطبها بذی قار و نقلها الفیض قدّس سرّه فی الوافی «ص ۲۲ م ۱۴» و لم تذکر فی النّهج فلا بأس بذکرها لکثره فوائدها و عظم مطالبها و مناسبتها للمقام:

أحمد عن سعید بن المنذر بن محمّد عن أبیه عن جدّه عن محمّد بن الحسین عن أبیه عن جدّه عن أبیه قال خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام و رواها غیره بغیر هذا الإسناد و ذکر أنّه خطب بذی قار فحمد اللّه و اثنی علیه ثمّ قال: أمّا بعد فانّ اللّه تعالی بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله بالحق لیخرج عباده من عباده عباده إلی عبادته و من عهود عباده إلی عهوده و من طاعه عباده إلی طاعته و من ولایه عباده إلی ولایته بشیرا و نذیرا و داعیا إلی اللّه باذنه و سراجا منیرا عودا و بدوا عذرا و نذرا بحکم قد فصّله و تفصیل قد أحکمه و فرقان قد فرقه و قرآن قد بینه لیعلم العباد من ربّهم إذ جهلوه و لیقرّوا به إذ جحدوه و لیثبتوه بعد أن أنکروه فتجلی لهم سبحانه فی کتابه من غیر أن یکونوا رأوه فأراهم حلمه کیف حلم و أراهم عفوه کیف عفا و أراهم قدرته کیف قدر و خوّفهم من سطوته و کیف خلق ما خلق من الایات و کیف محق من محق من العصات بالمثلات و احتصد مع احتصد بالنقمات و کیف رزق و هدی و اعطی و أراهم حکمه کیف حکم و صبر حتّی یسمع ما یسمع و یری فبعث اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله بذلک.

ثمّ إنّه سیأتی علیکم من بعدی زمان لیس فی ذلک الزمان شیء أخفی من الحقّ

ص:۱۹

و لا أظهر من الباطل و لا أكثر من الكـذب على اللّه و على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعه ابور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته و لا سلعه انفق بيعا و لا اغلا ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه و ليس فى العباد و لا فى البلاد شىء هو أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر و ليس فيها فاحشه أنكر و لا عقوبه انكا من الهدى عند الضلال فى ذلك الزّمان فقد نبذ الكتاب حملته و تناساه حفظته حتّى تمالت بهم الأهواء و توارثوا ذلك من الاباء و عملوا بتحريف الكتاب كذبا و تكذيبا فباعوه بالبخس و كانوا فيه من الزّاهدين، فالكتاب و أهل الكتاب فى ذلك الزّمان طريدان منفيان و صاحبان مصطحبان فى طريق واحد و لا يؤويهما مؤو، فحبذا ذانك الصّاحبان و اهالهما و لما يعملان له، فالكتاب و أهل الكتاب فى ذلك الزّمان فى النّاس و ليسوا فيهم و معهم و ليسوا معهم، و ذلك لانّ الضّلاله لا توافق الهدى و ان اجتمعا.

و قد اجتمع القوم على الفرقه و افترقوا عن الجماعه قد ولوا أمرهم و أمر دينهم من يعمل فيهم بالمنكر و المنكر و الرّشا و القتل لم يعظمهم على تحريف الكتاب تصديقا لما يفعل و تزكيه لفضله و لم يولّوا أمرهم من يعلم الكتاب و يعمل بالكتاب و لكن وليّهم من يعمل بعمل أهل النّار كانّهم أئمه الكتاب و ليس الكتاب امامهم لم يبق عندهم من الحق إلّا اسمه و لم يعرفوا من الكتاب إلّا خطّه و زبره يدخل الداخل لما يسمع من حكم القرآن فلا يطمئن جالسا حتّى يخرج من الدّين ينتقل من دين ملك إلى دين ملك و من ولايه ملك إلى ولايه ملك و من طاعه ملك إلى طاعه ملك و من عهود ملك إلى عهود ملك فاستدرجهم اللّه تعالى من حيث لا يعلمون و إن كيده متين بالأمل و الرّجاء حتّى توالدوا فى المعصيه و دانوا بالجور و الكتاب لم يضرب عن شىء منه صفحا ضلالا تايهين قد دانوا بغير دين اللّه تعالى و أدانوا لغير اللّه مساجدهم فى ذلك الزّمان عامره من الضلاله خربه من الهدى قد بدّل ما فيها من الهدى، فقرّاؤها و عمّارها اخائب خلق اللّه و خليقته من عندهم جرت الضّلاله و إليهم تعود فحضورهم مساجدهم و المشى إليها كفر باللّه العظيم إلّا من

مشى إليها و هو عارف بضلالهم فصارت مساجدهم من فعالهم على ذلك النحو خربه من الهدى عامره من الضلاله قد بدّلت سنه اللّه و تعدّيت حدوده لا يدعون إلى الهدى و لا يقسمون الفيء و لا يوفون بذمّه يدعون القتيل منهم على ذلك شهيدا فدانوا اللّه بالافتراء و الجحود و استغنوا بالجهل عن العلم و من قبل ما مثلوا بالصالحين كلّ مثله و سموا صدقهم على اللّه فريه و جعلوا فى الحسنه العقوبه السّيئه.

و قد بعث اللّه تعالى إليكم رسولا من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انزل عليه كتابا عزيزا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قرآنا غير ذى عوج لينذر من كان حيّا و يحق القول على الكافرين، فلا يلهينّكم الأمل و لا يطولنّ عليكم الأجل فانّما أهلك من كان قبلكم امتداد املهم و تغطيه الاجال عنهم حتّى نزل بهم الموعود الّذى تردّ عنه المعذره و ترفع عنه التوبه و تحل معه القارعه و النقمه و قد ابلغ اللّه تعالى إليكم بالوعيد و فصل لكم القول و علّمكم السّنه و شرع لكم المناهج ليزيح العلّه و حثّ على الذكر و دلّ على النّجاه و انّه من انتصح اللّه و اتخذ قوله دليلا هداه للتى هى أقوم و وفقه للرّشاد و سدّده و يسّره للحسنى فان جار اللّه آمن محفوظ و عدوّه خائف مغرور فاحترسوا من اللّه بكثره الذكر و اخشوا منه بالتقوى و تقرّبوا إليه بالطّاعه فانّه قريب مجيب قال اللّه تعالى: «وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِی وَ لْيُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ».

فاستجيبوا للّه و آمنوا به و عظّموا اللّه الّذى لا ينبغى لمن عرف عظمه اللّه تعالى أن يتعظّم فان رفعه الّذين يعلمون ما عظمه اللّه ان يتواضعوا له و عزّ الّذين يعلمون ما جلال اللّه ان يذلّوا له و سلامه الذين يعلمون ما قدره اللّه ان يستسلموا له فلا ينكرون انفسهم بعد حدّ المعرفه و لا يضلّون بعد الهدى فلا تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرب و البارى من ذى السقم.

و اعلموا علما يقينا انّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذى تركه و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذى نقضه و لن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذى

نبـذه و لن تتلوا الكتـاب حق تلاوته حتّى تعرفوا الّذى حرّفه و لن تعرفوا الضّلاله حتّى تعرفوا الهـدى و لن تعرفوا التقوى حتّى تعرفوا الّذى تعدى فاذا عرفتم ذلك عرفتم البدع و التكلف و رأيتم الفريه على اللّه و على رسوله و التحريف لكتابه و رأيتم كيف هـدى اللّه من هدى، فلا يجهلنّكم الّذين لا يعلمون فان علم القرآن ليس يعلم ما هو الّا من ذاق طعمه فعلم بالعلم جهله و ابصر عماه و سمع به صممه و ادرک به علم ما فات و حيى به بعد إذ مات و اثبت عند اللّه تعالى ذكره به الحسنات و محى به السيّئات و ادرک به رضوانا من اللّه تعالى، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّه فانّهم خاصّه نور يستضاء به أئمّه يهتدى بهم و هم عيش العلم و موت الجهل هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم و صمتهم عن منطقهم و ظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدّين و لا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق و صامت ناطق فهو من شانهم شهداء بالحق و مخبر صادق لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه قد خلت لهم من اللّه سابقه و مضى فيهم من اللّه تعالى حكم صادق و فى ذلك ذكرى للذّاكرين، فاعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعايه و لا تعقلوه عقل روايه فان رواة الكتاب كثير و رعاته قليل و اللّه المستعان.

الترجمه

از خطبهٔ آن حضرت است که آن را ذى قار در حالى که از مکّه متوجّه بسوى بصره بود (که در اين سفر جنگ جمل پيش آمده) فرموده است. و اين خطبه را واقدى در کتاب جمل ذکر کرده است:

پس رسول أکرم بدانچه از جانب حق متعال مأمور بود آشکار کرده است و رسالت پروردگار خود را برسانيد. پس خداى تعالى بارسال آن حضرت تفرق و پراکندگى مردمان را بهم آورد. و شکاف جمعيتها را التيام و پيوستگى داد.

و ميان خويشان و ارحام - پس از آنکه عداوت در سينها جا کرده بود و آتش کينه در دلها شعله مى زد - الفت داد.

ص:۲۲

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الثلاثون من المختار

فى باب الخطب

كلم به عبد اللّه بن زمعه و هو من شيعته و ذلك انّه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا فقال عليه السّلام:

إنّ هذا المال ليس لى و لا لك، و إنّما هو فىء للمسلمين و جلب أسيافهم، فإن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظّهم، و إلّا فجناه أيديهم لا تكون لغير أفواههم.

اللغه

(الجلب)، المال المجلوب.(الجناه)و ما يقتطف من الثمر عن الشجر و هى استعاره لما اكتسبوه بأيديهم من ذلك المال (الفىء) ما كان شمسا فينسخه الظل و الغنيمه و الخراج و الرّجوع.

قال المرزوقى فى عدّه مواضع من شرح الحماسه: الفىء الغنيمه و الرّجوع و قال فى شرحه على الحماسه ۵۶۷: الظل ما يكون للشجره و غيرها بالغداه و الفىء بالعشىّ و تمسك بقول حميد بن ثور:

فلا الظلّ من برد الضحى نستطيعه و لا الفىء من برد العشىّ نذوق

و كذا الطبرسى فى المجمع فى قوله تعالى «يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ » من سوره النحل. و إليه يفىء ما فى القاموس من ان الفىء ما كان شمسا فينسخه الظل. يعنى إن كان المحل شمسا فمحاه الظلّ فذلك الظل فىء و لذا يقال إن الفىء من زوال الشمس إلى غروبها، و لا بعد أن يقال إنّ الفىء

ص:۲۳

بحسب أصل اللّغه الرّجوع و لذا سمى فى الكتب الفقهيّه الظّل الحادث بعد الزوال فيئا لأنّه رجع و عاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه و منه فىء المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج و الغنائم كما فى المجمع فى تلك السوره المذكوره و قال فى سوره الحشر: الفىء ردّ ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك اللّه إيّاهم ذلك على ما شرط، و كذا فى الصّافى «ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ » الايه أى ردّه عليه فان جميع ما بين السّماء و الارض للّه عزّ و جلّ و لرسوله و لاتباعه من المؤمنين فما كان منه فى أيدى المشركين و الكفّار و الظّلمه و الفجّار و هو حقّهم أفاء اللّه عليهم و ردّه إليهم كذا عن الصّادق عليه السّلام فى حديث رواه فى الكافى.

و يعدّى فاء بالتّضعيف كما يعدّى بزياده الهمزه كما فى قوله تعالى «وَ ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ » الايه، و قال قيس بن الخطيم الاوسى (حماسه ۳۶).

و ساعدنى فيها ابن عمرو بن عامر زهير فأدّى نعمه و أفاءها

و جمع الفىء افياء و فيوء كشيخ و اشياخ و شيوخ.

الاعراب

اشاره

قوله عليه السّلام ليس لى خبر انّ، و قوله و لا لك عطف عليه، و جلب اسيافهم عطف على فىء أى هو جلب أسيافهم، و قوله عليه السّلام كان لك جواب انّ الشّرطيّه، و الفاء فى فان فصيحه، و مثل اسم كان اخّر على خبره اعنى لك توسعه للظرف و قوله:

و الا فجناه أيديهم، تقديره و ان لا شركتهم فجناه أيديهم إلخ.

ثمّ اختلف فى الفرق بين الفىء و الغنيمه، فى المجمع فى قوله تعالى «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ ءٍ » الايه: الغنيمه ما اخذ من أموال أهل الحرب من الكفّار بقتال و هى هبه من اللّه تعالى للمسلمين و الفىء ما اخذ بغير قتال و هو قول عطا و مذهب الشّافعى و سفيان و هو المروى عن أئمتنا عليهم السّلام و قال قوم الغنيمه و الفىء واحد و ادعوا ان هذه الايه ناسخه للّتى فى الحشر من قوله تعالى: ما أفاء اللّه على رسوله «إلخ» و كذا قال الشّهيد الثّانى «ره» فى كتاب الخمس من شرح اللّمعه: الغنيمه

ما يحوزه المسلمون باذن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الامام عليه السّلام من أموال أهل الحرب بغير سرقه و لا غيله من منقول و غيره و من مال البغاه إذا حواها العسكر عند الاكثر و من الغنيمه فداء المشركين و ما صولحوا عليه، و قال فى كتاب الجهاد: الغنيمه أصلها المال المكتسب و المراد هنا ما أخذته الفئه المجاهده على سبيل الغلبه لا باختلاس و سرقه فانّه لاخذه و لا بانجلاء أهله عنه بغير قتال فانّه للامام عليه السّلام.

المستفاد من قوله: و لا بانجلاء أهله «إلخ» انّه يشير إلى الفىء بانّ الفىء ما يؤخذ بغير قتال كما هو المستفاد من قول اللّه عزّ و جلّ فى سوره الحشر «وَ ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ » إلى آخر الايتين حيث نزلت فى أموال كفار أهل القرى و هم قريظه و بنى النضير و هما بالمدينه و فدك و هى من المدينه على ثلاثه أميال و خيبر و قرى عرينه و ينبع جعلها اللّه لرسوله يحكم فيه ما أراد و اخبر أنها كلها له فقال اناس فهلا قسمها فنزلت الايتان ردّا عليهم بانّ ما أفاء اللّه على رسوله من اليهود فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب أى لم تسيروا إليها على خيل و لا ابل و انما كانت ناحيه من نواحى المدينه مشيتم إليها مشيا كما فى المجمع و غيره فيستفاد من الايتين ان الفىء ما أخذ بغير قتال كما لا يخفى و فى المجمع أيضا فى سوره الانفال: و صحت الرّوايه عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام أنّهما قالا إنّ الانفال كلّ ما اخذ من دار الحرب بغير قتال و كلّ أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال و يسميها الفقهاء فيئا، و فى التهذيب عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى الغنيمه قال يخرج منه الخمس و يقسم ما بقى بين من قاتل عليه و ولى ذلك فأما الفىء و الانفال فهو خالص لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و فيه عن محمّد بن مسلم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه سمع يقول: انّ الانفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقه دم أو قوم صولحوا و اعطوا بأيديهم فما كان من أرض خربه أو بطون أوديه فهذا كلّه من الفىء و الانفال للّه و للرّسول. الخبر.

و فيه أيضا عن الحلبىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام الفىء ما كان من أموال لم يكن فيها هراقه دم أو قتل و الانفال مثل ذلك هو بمنزلته، و غير ذلك من الاخبار المرويه

عن أئمّتنا عليهم السّلام كما أشار إليه فى المجمع ممّا هو مصرّح بانّ الفيء ما يؤخذ بغير قتال و لم يكن فيه هراقه دم بخلاف الغنيمه، و لكن لا يخفى انّ فى هذه الخطبه أطلق عليه السّلام الفيء على الغنيمه كما هو الظّاهر من قوله عليه السّلام جلب أسيافهم فجناه أيديهم فتفيد انّهما بمعنى واحد فتأمّل.

ثمّ انّ المستفاد من الاخبار الاماميه و عبارات الفقهاء و المفسّرين من الاماميّه رضوان اللّه عليهم أنّ الانفال أعم شمولا من الفيء و الانفال يشمل الفيء و غيره لان الفيء كلّ ما اخذ من دار الحرب بغير قتال و كلّ أرض انجلى عنها أهلها و الانفال يشملهما و الارضين الموات و تركات من لا وارث له من الاهل و القربات و الاجام و المفاوز و المعادن و قطايع الملوك و صفاياهم إذا فتحت دار الحرب و بطون الأوديه و رءوس الجبال و سيف البحار و ما يغنمه الغانون بقتال بغير اذن الامام عليه السّلام و غيرها ممّا هى مذكوره فى مواضعها مع شرائطها و إن كان حكم كلّ واحد من الفيء و الانفال فى الحكم مساويا كما يستفاد من ظاهر بعض الاخبار و التعاريف تساويهما فى الشمول أيضا بل فى بعض التعابير أن الانفال مطلق الغنائم.

ثمّ إنّ استعمال الغنيمه بمعناها اللّغوى أعنى المال المكتسب فى الروايات و عبارات الفقهاء كثير و فى التهذيب عن حكم موذن بنى عبس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال قلت له: «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ ءٍ » الايه قال عليه السّلام: هى و اللّه الافاده يوما بيوم.

و قال الشّيخ فى المقنعه: الخمس واجب فى كلّ مغنم ثمّ قال و الغنائم كلّ ما استفيد بالحرب من الاموال و السلاح و الاثواب و الرّقيق و ما استفيد من المعادن و الغوص و الكنوز و العنبر و كلّ ما فضل من أرباح التّجارات و الزّراعات و الصناعات من المؤنه و الكفايه فى طول السنه على الاقتصاد انتهى و يمكن أن يستدل على ذلك بهذه الايه فانّ فى عرف اللّغه يطلق على جميع ذلك اسم الغنم و الغنيمه إلاّ ما استثنى بالأدلّه الخاصّه مما لا خمس فيه.

عبد اللّه بن زمعه من هو؟

عبد اللّه بن زمعه بفتح الميم كان من أصحاب علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام و شيعته كما صرح به الرّضى رضوان اللّه عليه و قال ابن الأثير فى أسد الغابه فى معرفه الصّحابه: عبد اللّه بن زمعه بن الاسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الأسدى امّه قريبه بنت أبى اميّه بن المغيره اخت أمّ سلمه امّ المؤمنين كان من أشراف قريش و كان يأذن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و أبو زمعه هو الأسود بن المطّلب و قتل زمعه يوم بدر كافرا و كان الأسود من المستهزئين الّذين قال اللّه تعالى فيهم:

«إِنّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئينَ » و قتل عبد اللّه مع عثمان يوم الدّار قاله أبو أحمد العسكرى عن أبى حسان الزيادى و كان لعبد اللّه ابن اسمه يزيد قتل يوم الحرّه صبرا قتله مسلم ابن عقبه المرّى. انتهى.

و كذا قال ابن الحجر فى التقريب انّ عبد اللّه بن زمعه بن الأسود بن المطّلب ابن أسد القرشى الاسدى صحابى مشهور استشهد يوم الدّار مع عثمان.

و لا يخفى ان ما ذكرا من أن عبد اللّه قتل مع عثمان يوم الدّار لا يوافق ما فى هذه الخطبه من انّه قدم عليه عليه السّلام فى خلافته.

المعنى

فدم عبد اللّه بن زمعه على علىّ عليه السّلام فى خلافته و استماحه مالا فاعتذر إليه و اجابه بان ذلك المال ليس له عليه السّلام و لم يجمعه لنفسه بل و لم يجمع مالا لنفسه يخصه حتّى يعطيه منه و أنّى له أن يخون مال الغير ابتغاء مرضاه رجل من شيعته و هو عليه السّلام خليفه اللّه و أمينه و الفائز بالخواصّ النّبويّه و المتّصف بالاوصاف الالهيّه و بها صار ربّا إنسانيّا.

و قد مرّ فى الخطب الماضيه من كلامه عليه السّلام: و اللّه لان أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر فى الاغلال مصفّدا احبّ إلىّ من ألقى اللّه و رسوله يوم القيامه ظالما لبعض العباد و غاصبا لشىء من الحطام، و فى تلك الخطبه يقول عليه السّلام ان أخاه عقيلا

افتقر حتّی استماحه من بیت المال للمسلمین صاعا من برّ فاحمی له حدیده علی ما ذکر فیها بل نعلم أنه علیه السّلام فعل بأحبّ النّاس إلیه و أقربهم منه ولده الحسین علیه السّلام ما توجل به القلوب و تقشعرّ به النفوس و ذلک ان معاویه سأل یوما عقیلا عن قصه الحدیده المحماه المذکوره فبکی و قال أنا حدثک یا معاویه عنه ثمّ احدثک عما سألت، نزل بالحسین ابنه ضیف فاستسلف درهما اشتری به خبزا و احتاج إلی الادام فطلب من قنبر خادمهم ان یفتح له زقاق عسل جاءتهم من الیمن فاخذ منه رطلا فلمّا طلبها علیه السّلام لیقسمها قال یا قنبر اظن انّه اخذت قال نعم یا أمیر المؤمنین و اخبره، فغضب علیه السّلام و قال علی بحسین الدّره فقال بحقّ عمّی جعفر و کان إذا سئل بحقّ جعفر سکن فقال له ما حملک أن أخذت منه قبل القسمه قال ان لنا فیه حقّا فإذا اعطیناه رددناه قال فداک أبوک و إن کان لک فیه حقّ فلیس لک ان تنتفع بحقّک قبل أن ینتفع المسلمون بحقوقهم أما لو لا انّی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقبل ثنیتک لأوجعتک ضربا ثمّ دفع إلی قنبر درهما کان مصرورا فی ردائه و قال اشتر به خیر عسل تقدر علیه، قال عقیل و اللّه لکانّی انظر إلی یدی علیّ و هی علی فم الزّق و قنبر یقلب العسل فیه ثمّ شدّه و جعل یبکی و یقول: اللّهم اغفر لحسین فانّه لم یعلم فقال معاویه ذکرت من لا ینکر فضله رحم اللّه أبا حسن فلقد سبق من کان قبله و اعجز من یأتی بعده هلم حدیث الحدیده فذکر له حدیثها و هذا ما ذکره الشارح المعتزلی ابن أبی الحدید فی ضمن کلامه فی الحدیده المحماه و أمثاله و نظائره من ولیّ اللّه الاعظم أرواحنا له الفداء عند المؤالف و المخالف کثیر بحیث لا یرتاب فیه فمن کان هذا دیدنه مع أخیه و بنیه فکیف یصفح عن الحق فی شیعته و موالیه.

ثمّ قال خطابا لعبد اللّه و هذا المال لیس لک أیضا و إنّما هو غنیمه المسلمین اقترفوه بسیوفهم مجاهدین فی اللّه و مباشری القتال مع أعداء اللّه و ان شرکتهم فی حربهم و جهادهم فلک مثل حظهم و إلاّ فما اکتسبوه بایدیهم من مال الکفّار و اتعبوا أنفسهم فی الجهاد فی سبیل اللّه فاغتنموا فلیس لغیرهم فیه نصیبو عبره بأحسن العبارات و افصح الاستعاراتو الا فجناه أیدیهم لا تکون لغیر أفواههم.

و ذلک لأنّه إذا اغتنم المسلمون شیئا من أهل الکفر بالسّیف قسمه الامام علی خمسه أسهم فجعل أربعه منها بین من قاتل علیه و من حضر القتال علی الشرط الذی ذکر فی الکتب الفقهیه فی الجهاد، و جعل السهم الخامس ثلاثه منها له خاصه سهمان وراثه و سهم له و ثلاثه أسهم الاخر لأیتامهم و مساکینهم و أبناء سبیلهم لا یشرکهم فی ذلک غیرهم لانّ اللّه سبحانه حرّم علیهم الصّدقات لکونها أوساخ النّاس و عوضهم من ذلک الخمس، هذا عند أصحابنا الامامیه المستفاد من قوله تعالی فی سوره الانفال «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتامیٰ وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ » و من الاخبار المرویّه عن أئمّتنا علیهم السّلام امّا السّهمان الموروثان فهو سهم اللّه و سهم رسوله و امّا السّهم له فهو سهم ذی القربی و المراد بذی القربی فی الکتاب و السّنّه هو الإمام علیه السّلام بلا خلاف معتد به عندنا.

و روی عن الحسن و قتاده انّ سهم اللّه و سهم الرسول و سهم ذی القربی للإمام القائم من بعده ینفقه علی نفسه و عیاله و مصالح المسلمین و هو مثل ما ذهب إلیه الإمامیّه، و أمّا غیرهم فالمروی عن ابن عبّاس و إبراهیم و قتاده و عطا انّ الخمس یقسم علی خمسه اسهم و انّ سهم اللّه و الرسول واحد و یصرف هذا السهم إلی الکراع و السلاح، و مذهب الشافعی علی انّ الخمس یقسم علی أربعه أسهم سهم ذی القربی لقرابه النّبیّ و الاسهم الثلاثه لمن ذکروا بعد ذلک من سائر المسلمین و ذهب أبو حنیفه إلی أنّه یقسم علی ثلاثه أسهم لان سهم الرّسول قد سقط بوفاته عندهم لأنّ الانبیاء لا یورثون فیما یزعمون و سهم ذی القربی قد سقط لان أبا بکر و عمر لم یعطیا سهم ذی القربی و لم ینکر ذلک أحد من الصحابه علیهما.

و أمّا کیفیّه تقسیم ما عدا الخمس من الاقسام الاربعه الباقیه فعند علمائنا الامامیّه ان النّبیّ و الامام القائم مقامه بعده یصطفی من الغنیمه ما یختاره من فرس جواد أو ثوب مرتفع أو جاریه حسنا و غیر ذلک ثم یقسم الباقی بین الغانمین مما ینقل و یحول بین الغانمین للراجل سهم واحد و للفارس سهمان و من کان له فرسان فصاعدا کان له سهم و لافراسه و ان تعدّدت سهمان و لا سهم للابل و البغال

و الحمير و ذهب ابن الجنيد إلى أن للفارس ثلاثه أسهم اتكالا على خبر لنا انّ عليّا عليه السّلام كان يجعل للفارس ثلاثه أسهم و للراجل سهما و هو مذهب الشافعى أيضا و حمل شيخ الطّائفه فى التهذيب ذلك الخبر على انّه عليه السّلام كان يجعل للفارس ثلاثه أسهم إذا كان معه فرسان فصاعدا فلا ينافى الأخبار الاخر و أمّا ممّا لا ينقل و لا يحول من الأرضين و العقارات فهى للمسلمين قاطبه و ذهب أبو حنيفه أيضا أن للراجل سهما و للفارس سهمين كالاماميّه.

فنقول: إنّ الظاهر من كلامه عليه السّلام انّ هذا المال ليس لى و لا لك انّما هو فىء المسلمين انّ الخمس كان قد قسم و انّ عبد اللّه بن زمعه طلب من الاقسام الأربعه الباقيه من مال المقاتله اعنى الغانمين فمنعه عليه السّلام عنه لانّه لم يكن منهم و قال فإن شكرتهم فى حربهم كان لك مثل حظّهم و مع الفرض على عدم القسمه انه لم يك ممن يستحقه لانه ان كان من الطوائف الثلاثه اعنى اليتامى و المساكين و ابن السّبيل فيعتبر انتسابهم إلى عبد المطّلب بالابوّه و يعتبر انتسابهم إلى هاشم أبى عبد المطّلب بالابوّه و هذا أيضا صحيح و الخلاف لفظى لانّ ذريّه هاشم محصوره فى ولده عبد المطّلب.

و عبد اللّه ليس منتسبا إليه نعم هو من بنى المطلب أخى هاشم و لكن فى استحقاق بنى المطّلب الخمس خلاف و تردّد و مع المماشاه انّه لم يكن من المساكين و هم أهل الفاقه و الفقر و لا ابن السبيل و هو المنقطع فى سفره و ظاهر انّه ليس من اليتامى و اولى القربى فما بقى إلا سهم اللّه و رسوله و ذى القربى اعنى سهم الامام عليه السّلام و الظاهر بل المصرّح من كلامه عليه السّلام ان هذا المال فىء المسلمين و ليس منه و مع ب ئ بقائه انّه لم يك مستحقّه و بالجمله انّ هذا الرّجل مع أنّه كان من شيعته عليه السّلام لم يبلغ بعد الى مقامات العارفين به عليه السّلام فلما رأى انّه توسدت له الوساده و حاز منصب الخلافه و أخذ ازمه الامور جاء طالبا لشىء من الحطام كما هو دأب عبيد الدّنيا فأجابه عليه السّلام بما فيه تعليم و عبره لمن كان له قلب و درايه.

الترجمه

از کلام آن حضرت است که بدان با عبد اللّه بن زمعه سخن گفت و این مرد بیوقوف اگر چه از پیروان آن حضرت بود ولی بمقام شامخ آن ولیّ اللّه أعظم و قبله نمای طالبان کعبهٔ حق و مجسمهٔ عدل و مظهر اتم اله کمال معرفت حاصل نکرده بود، در ایام خلافتش از حضرتش بی جهت استحقاق مالی طلب کرد پس آن کلام اللّه ناطق و فیصل حق و باطل در جوابش فرمود:

که این مال نه از آن من است و نه از آن تو این غنیمت مسلمانان و اندوختهٔ شمشیر ایشان است پس اگر در کار زار با ایشان انباز بوده ای در بهرهٔ از آن نیز انبازی و گر نه حاصل دست رنج آنان طعمهٔ دیگران نخواهد شد.

هر کو عمل نکرد و عنایت امید داشت دانه نکشت ابله و دخل انتظار کرد

نا برده رنج گنج میسّر نمی شود مزد آن گرفت جان برادر که کار کرد

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الواحد و الثلاثون من المختار

فی باب الخطب

ألا إنّ اللّسان بضعه من الإنسان فلا یسعده القول إذا امتنع، و لا یمهله النّطق إذا اتّسع، و إنّا لامراء الکلام، و فینا تنشّبت عروقه، و علینا تهدّلت غصونه، و اعلموا رحمکم اللّه أنّکم فی زمان القائل فیه بالحقّ قلیل، و اللّسان عن الصّدق کلیل، و اللاّزم للحقّ

ص:۳۱

ذليـل، أهله معتكفون على العصيان، مصـطلحون على الإدهـان، فتاهم عارم، و شائبهم آثم، و عالمهم منافق، و قارئهم مماذق، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، و لا يعول غنيّهم فقيرهم.

اللغه

(البضـعه) بالفتـح و قـد يكسـر: القطعه من اللّحم (فلا- يسـعده) أى لا يعينه (تنشـبت): تعلقت و فى نسـخه انتشـبت أى اعتلقت، و الاولى اولى لمكان تهدّلت كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام (تهدّلت غصونه): أى تدلّت فروعه (عكفت) بالمكان أى أقمت به ملازمـا له و اعتكـف أى احتبس و توقّف و لبث و المعتكف على العصـيان أى الملازم المـداوم عليه و الاعتكـاف فى الشّرع اللّبث فى مكان مخصوص للعباده على ما بيّن فى محلّه من الشروط يقال (اصطلحوا) على ذلك أى اتفقوا عليه.

(الادهان): الغش و النفاق و المـداراه و الكفر و الرّكون و اظهار خلاف ما تضـمر كالمـداهنه و المصانعه قال اللّه تعالى فى القلم «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ » و معنى الأخير هنا أشبه و انسب. (و الفتى) الشابّ الحدث.

و (العارم) الشـرس الاشر سيئ الأخلاق الموذى البطر و جمعه عرمه كطالب و طلبه و الفعل من كرم و الاصول الثلاثه و (الشائب) من الشيب و هو بياض الشّعر مقابل الفتى.

(القارى): الناسك المتعبـد و قارئ القرآن الكريم و غيره من الصـحف و لكن المراد ههنا هو الأوّل أعنى الزاهـد المتعبد لانّه فى قبال العالم فى قوله عليه السّلام:

عالمهم منافق.

(مذق) الودّ لم يخلصه و هو مذّاق، و ماذقه مذاقا و مماذقه فى الودّ لم يخلص له فهو مماذق أى غير مخلص، و الضمير فى يسعده و يمهله يعود إلى اللّسان و فى امتنع و اتّسع يؤل إلى الانسان.

الاعراب

كلمه من للتبعيض، و الفاء رابطه للجواب بالشرط المقدر، و التقدير إذا كان اللّسان بضعه من الانسان فلا يسعده القول إذا امتنع.

جواب إذا امتنع قدم عليه و هو لا يسعده القول أى إذا كان اللّسان بضعه من الانسان فإذا امتنع اللّسان لا يسعد الإنسان القول، و كذا الجمله التاليه.

و اللّام فى لامراء لام ابتداء تصحب خبر إنّ المكسوره للتأكيد فى الجمله المثبته دون المنفيه إلّا نادرا و انّما اخرت إلى الخبر لانّ القصد بها التّأكيد و ان للتأكيد أيضا فكرهوا الجمع بينهما و فى الفيه ابن مالك

و بعد ذات الكسر تصحب الخبرلام ابتداء نحو انى لوزر

و فينا متعلّق بقوله تنشبت قدّم توسعه للظرف و كذا القياس فى عينا تهدّلت غصونه.

جمله رحمكم اللّه معترضه وقع فى البين، و جمله انكم اه فى محلّ النصب مفعول اعلموا، و جمله القائل فيه بالحقّ قليل فى محلّ الجرّ تكون صفه لزمان و الظرفان أعنى فيه و بالحقّ متعلّقان بالقائل و الجملات العشر الاتيه معطوفه على القائل فيه بالحق قليل فكلّها وقعت صفه لزمان.

مصطلحون خبر بعد الخبر لأهله.

المعنى

هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى واقعه اقتضت ذلك و هى أنّه أمر ابن اخته جعده بن هبيره المخزومى ان يخطب النّاس يوما فصعد المنبر فحصر و لم يستطع الكلام فقام عليه السّلام فتنسّم ذروه المنبر و خطب خطبه ذكر الرّضى رضوان اللّه

عليه منها هذه الكلمات.

و فی اسد الغابه جعده بن هبیره بن أبی وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشی المخزومی ولی خراسان لعلیّ علیه السّلام و هو ابن اخته امّه امّ هانی بنت أبی طالب، ولدت امّ هانی بنت أبی طالب من هبیره ثلاث بنین جعده و هانی و یوسف و قیل أربعه، و قیل إنّ جعده هو القائل:

أبی من بنی مخزوم إن کنت سائلا و من هاشم امی لخیر قبیل

فمن ذا الّذی یأتی علیّ بخاله کخالی علیّ ذی الندی و عقیل

و فی مجالس المؤمنین للقاضی نور اللّه نوّر اللّه مرقده: قال عبیده بن أبی سفیان ذات یوم من أیّام حرب صفین لجعده بن هبیره إن هذه الشجاعه و الجرأه الّتی تبرز منک فی الحرب إنّما کانت من جانب خالک، فأجابه لو کان خالک کخالی لنسیت أباک.

فنقول: لا یخفی أن المدرک بجمیع الإدراکات المنسوبه إلی القوی الانسانیه هو القلب أعنی النفس الناطقه و هی أیضا المحرّکه لجمیع التحریکات الصّادره عن القوی المحرّکه الحیوانیّه و النباتیّه و الطبیعیه و انّ الحواس الظاهره و الباطنه کلّها آلات و عمّال و جنود لها بعضها یری بالابصار و هی الأعضاء و الجوارح و بعضها لا یری إلّا بالبصائر و هی القوی و الحواس و جمیع تلک القوی مجبوله علی طاعه القلب و مسخره له و هو المتصرف فیها لا تستطیع له خلافا و علیه تمردا، فإذا أمر العین للانفتاح انفتحت و إذا أمر الرجل للحرکه تحرکت و إذا أمر اللّسان بالکلام و جزم الحکم به تکلّم و کذا سائر الاعضاء.

و قال بعض أهل العرفان کما فی أسفار صدر المتألّهین و تسخیر الأعضاء و الحواس للقلب یشبه من وجه تسخیر الملائکه للّه تعالی فانّهم جبّلوا علی الطاعه لا یستطیعون له خلافا و لا یعصون اللّه ما أمرهم و یفعلون ما یؤمرون.

و قال صاحب اخوان الصفا فی هذا المعنی أی أنّ نسبه القوی إلی النفس کنسبه الملائکه إلی الرّب: قال الملک لحکیم من الجن کیف طاعه الملائکه

لرب العالمين؟ قال: كطاعه الحواس الخمس للنفس الناطقه، قال: زدنى بيانا، قال: أ لا ترى أيّها الملك انّ الحواس الخمس فى إدراك محسوساتها و إيرادها أخبار مدركاتها إلى النفس الناطقه لا يحتاج إلى أمر و نهى و لا وعد و لا وعيد بل كلما همت به النفس الناطقه بأمر محسوس امتثلت الحاسه لما همت به و أدركتها و أوردتها اليها بلا زمان و لا تأخر و لا إبطاء و هكذا طاعه الملائكه لربّ العالمين الّذين لا يعصون اللّه ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون لأنّه أحكم الحاكمين.

و قال ذلك العارف: و إنّما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب و الزاد لسفره الذى لأجله خلق و هذا السفر إلى اللّه و قطع المنازل إلى لقائه فلأجله جبلت القلوب قال تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» و إنّما مركبه البدن و زاده العلم و إنما الاسباب الموصله التى توصله إلى الزاد و تمكّنه من التردد العمل الصّالح فافتقر أولا إلى تعهد البدن و حفظه من الافات بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء و غيره و بأن يدفع عنه ما ينافيه و يهلكه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل طلب الغذاء إلى جندين باطن هو قوّه الشهوه و ظاهر هو البدن و الأعضاء الجالبه للغذاء فخلق فى القلب جنود كثيره من باب الشهوات كلها تحت قوه الشهوه و خلقت الأعضاء التى هى آلات الشهوه، و افتقر لأجل دفع الموذيات و المهلكات إلى جندين باطن و هو قوّه الغضب الّذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الاعداء و ظاهر و هو اليد و الرجل الذى يعمل به بمقتضى الغضب و كلّ ذلك بامور خارجه من البدن كالأسلحه و غيرها.

ثمّ المحتاج إلى الغذاء إذا لم يعرف الغذاء الموافق لا ينفعه شهوه الغذاء و آلته فافتقر فى المعرفه إلى جندين باطن و هو إدراك البصر و السمع و الذوق و الشم و اللمس و ظاهر و هو العين و الاذن و الأنف و غيرها و تفصيل وجه الحاجه إليها و وجه الحكمه فيها مما يطول شرحه.

فجمله جنود القلب يحصرها ثلاثه أصناف أحدها باعث مستحث إمّا إلى جلب المنافع النافع كالشهوه و امّا إلى دفع المضار المنافى كالغضب و قد يعبر عن هذا

الباعث بالاراده، و الثانی هو المحرک للأعضاء إلی تحصیل هذه المقاصد و یعبر عن هذا الثانی بالقدره و هی جنود مبثوثه فی سایر الأعضاء لا سیما بالعضلات منها و الأوتار و الثالث و هو المدرک المتصرف لاشیاء کالجواسیس و هی مبثوثه فی أعضاء معینه فمع کلّ واحد من هذه الجنود الباطنه جنود ظاهره هی الأعضاء التی اعدّت آلات لهذه الجنود فإن قوه البطش إنّما یبطش بالأصابع و قوه البصر انّما تدرک بالعین و کذا سائر القوی انتهی.

و بالجمله أن قوی البدن کلها جنود للنفس و أن نسبه النّفس إلی البدن کنسبه الرّبان إلی السفینه و الملک إلی المدینه بل ألطف و أدقّ و أجلّ و أشمخ من ذلک بمراحل لا یعلمه إلّا الرّاسخون فی العلم اعرضنا عن بیانه خوفا للاطاله و هو محقق و مبرهن فی الحکمه العالیه، فاذا کانت حال النّفس مع البدن کذلک فمتی عرض النّفس شاغل من جبن و خوف و خشیه و نحوها لا یقدر الانسان علی التکلم و المشی و الحرکه و لا یسمع و لا یعقل و کثیرا ما یعرض الانسان أن عینه و اذنه سلیمه مفتوحه و یمرّ عنده رجل أو یتکلّم معه لکنّه لا یسمع و لا یری لصارف عارض نفسه، و عرض جعده علی المنبر جبن من ازدحام الناس أو أمر آخر فحصر و منع فلم یستطع الکلام کما عرض لغیر واحد من الخطباء فقام علیّ علیه السّلام و ارتقی المنبر فقال: ألا و إن اللّسان «إلخ» أی إنّ اللّسان آله للانسان یتصرف بتصریفه إیّاه فاذا امتنع الانسان عن الکلام لعروض عارض و طار لا یسعد و لا یعین القول إیاه کما ان الإنسان إذا اتسع عقله بالمعارف الحقه الالهیه و العلوم الرّبانیّه و الکمالات الإنسانیه و صار أمیر الکلام لا یمهل النطق اللسان بل یسارع إلیه و یحدر عنه انحدار السیل عن قله جبل شامخ.

ثمّ ان اللسان لما کان بضعه من الانسان فیکون ما یصدر عنه بضعه و أنموذجا لما هو مستجنّ فی ضمیره فإذا تکلم فیکون کلامه حاکیا عن سریرته لانه فاض منه و الظاهر عنوان الباطن و المعلول یحکی عن العله بوجه ما علی حدّ وجوده، و قال بعض الادباء کما أن الاوانی تختبر بضرب الاصابع علیها و تصویتها کذا یعرف مقدار الرّجال

ص:۳۶

بکلامه، و المرء مخبوء تحت لسانه و لا یخفی أن لسان الانسان و کتابه و رسوله و سائر عمله کل واحد منها کانه جزؤه نشأ منه و انفصل عنه کالثمر عن الشجر و الولد عن الوالد و الولد سرّ أبیه، فان کان أصله طیبا فالبلد الطیب یخرج نباته باذن ربه و إن کان خبیثا فالذی خبث لا یخرج إلاّ نکدا، و نعم ما قال الشاعر:

و کلّ إناء بالذی فیه یرشح و ینبی الفتی عمّا علیه انطواؤه

و فی الدیوان المنسوب إلی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام:

من لم یکن عنصره طیبا لم یخرج الطیب من فیه

أصل الفتی یخفی و لکنّه من فعله یعرف ما فیه

و نعم ما قال ابن الرّومی «أو القاضی التنوخی»

تخیر إذا ما کنت فی الأمر مرسلافمبلغ آراء الرّجال رسولها

و نعم ما قاله العارف الرومی فی المثنوی أیضا:

گفت انسان پارهٔ ز انسان بود پارهٔ از نان یقین که نان بود.

و هذه الدقیقه الأنیقه الفائضه من عالم القدس باب ینفتح منه أبواب اخر یعقلها من کان له قلب و لو لا خوف الاطناب لفصلنا تلک الابواب.

ثمّ إنّ ههنا دقیقه عرشیّه اخری لا بأس أن نشیر إلیها و هی المستفاده من قوله علیه السّلام (إذا اتّسع) و لا یخفی أن هذا الاتّساع لیس بجسمانی کاتساع المکان و الزمان و الدّار و الفضاء و اشباهها بل هو السعه الکلیّه المجرده النّوریّه الوجودیّه الحاصله للنّفس الناطقه بالعلوم القدسیّه السماویه و الحقائق العرشیّه و الفضائل المکتسبه من عالم المفارقات و حضره المجردات، و هذا التعبیر من مدینه العلم یفید ان الروح مجرد عن أوصاف الجسم و أحوال المادّه و لا تنال إلیه یدأین و متی و لا أی و کیف و اخواتها و لیس له جزء خارجی و لا- حملی و لا- یحوم حوله مطلب هل المرکبه و أمثاله، و أنّ العلم لیس بعرض لذات النفس کعروض اللّون علی الجدار کما ذهب إلیه المشاءون و عدّوا العلم من الکیفیّات النفسانیّه و ذلک لان الکیف عارض علی المحل و العرض لا یکون مؤثرا فی حقیقه شیء و جوهره و ذاته

كيف أنّه كيف مع أنّه يخرج النّفس من الضّعف إلى القوّه و من الظلمه إلى النور و العلم نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء فيكون العلم كمالا للنفس فى جوهرها و قوامها و ذاتها و أنّى للعرض هذه الشأنيّه العظمى؟ بل العلم كما ذهب إليه المحققون من الحكماء المتألّهين و اتباعهم و جلّ العرفاء الشّامخين و أشياعهم خارج عن المقولات لأنّ العلم وجود و ليس الوجود جوهرا و لا عرضا و وجود العلم يجعل النّفس قويا و يخرجها من الضيق إلى السعه بحيث يتّحد العاقل مع المعقول.

نيست انسان جز خبر در آزمون هر كه او علمش فزون جانش فزون

نعم مفهوم العلم كيف نفسانى بلا كلام و يعدّ من الأعراض من هذه الجهه و ليس كمالا للنفس و لا يخرجها من القوه إلى الفعل.

قوله عليه السّلام:(و إنّا لامراء الكلام و فينا تنشبت عروقه و علينا تهدّلت غصونه) أى نحن أهل البيت و الحجج الإلهيّه تتصرف الكلام كيف نشاء تصرّف الامراء فى ممالكهم لا يعرضناعىّ و حصر، كيف و اصول الكلام فينا تعلّقت و فروعه علينا تدلّت أى نحن منبت الكلام و منشاه، و غيرنا يتناول غصونه الّتى علينا تدلّت و يستفيد منها و يجتنى ثمارها.

و نعم ما قال صدر المتألّهين فى شرح اصول الكافى من أنّ الفصحاء جميعهم بمنزله عياله عليه السّلام فى الفصاحه من حيث يملئون أوعيه أذهانهم من الفاظهم و يضمنونها خطبهم و رسائلهم فيكون بمنزله درر العقود، و لا يخفى أنّ قوله عليه السّلام و فينا تنشبت عروقه و علينا تهدلت غصونه فى الجوده و الفصاحه و اللّطافه فوق ما يحوم حوله العباره و كلامهم عليهم السّلام دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق و هو فى ذاته حجّه قاطعه و شاهد صادق على أنهم امراء الكلام و فيهم تنشبت عروقه و عليهم تدلّت غصونه فلا يخفى لطفه.

ثمّ انا نرى أن من ربيت فى حجره و نشأت فى بيته و استضاءت من مصباح وجوده و استروت من عين جوده بلغت فى تنضيد المعانى و الحكم و تنسيق المعارف

ص:۳۸

و الكلم إلى مرتبه يعترف الخصم الألدّ بجوده لفظها و عذوبه مغزيها مع أنّها كانت محفوفه بداهيه دهياء ما سمعت اذن شبهها و ما رأت عين مثلها و هى عقيله بنى هاشم زينب بنت علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام فانظر بعبن العلم و العرفان إلى خطبتها الّتى خطبت فى الكوفان و ما أجابت به عبيد اللّه بن زياد و يزيد بما فوق ان يحوم حوله البيان ففى تاريخ الطبرى و ارشاد المفيد و كثير من الكتب المعتمده:

لما ادخل عيال الحسين عليه السّلام على ابن زياد فى الكوفه دخلت زينب اخت الحسين عليه السّلام فى جملتهم متنكره و عليها ارذل ثيابها فمضت حتّى جلست ناحيه من القصر و حفت بها إماؤها فقال ابن زياد من هذه الّتى انحازت فجلست ناحيه و معها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فاعاد ثانيه يسأل عنها، فقال بعض إمائها هذه زينب بنت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاقبل عليها ابن زياد فقال لها: الحمد للّه الذى فضحكم و قتلكم و أكذب احدوثتكم، فقالت زينب عليها السّلام: الحمد للّه الذى أكرمنا بنبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و طهّرنا من الرّجس تطهيرا إنّما يفتضح الفاسق و يكذب الفاجر و هو غيرنا و الحمد للّه.

فقال ابن زياد كيف رأيت فعل اللّه بأهل بيتك؟ قالت كتب اللّه عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم و سيجمع اللّه بينك و بينهم فتحاجّون إليه و تختصمون عنده، فغضب ابن زياد و استشاط فقال عمرو بن حريث أيّها الأمير انها امرأه و المرأه لا تؤاخذ بشىء من منطقها و لا تذم على خطائها، فقال لها ابن زياد: قد شفى اللّه نفسى من طاغيتك و العصاه المرده من أهل بيتك، فرقّت زينب عليها السّلام و بكت و قالت لعمرى لقد قتلت كهلى و أبرت أهلى و قطعت فرعى و اجتثثت أصلى فان يشفك هذا فقد شفيت فقال لها ابن زياد هذه سجاعه و لعمرى لقد كان أبوها سجاعا شاعرا فقالت ما للمرأه و السجاعه انّ لى عن السجاعه لشغلا و لكن صدرى نفث لما قلت.

قوله عليه السّلام:(و اعلموا – رحمكم اللّه – أنكم فى زمان القائل فيه بالحقّ قليل) الشيطان إذا استحوذ على أهل زمان يكون القائل فيه بالحقّ قليل قال عزّ من قائل – الانعام ١٥٥ -: «وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى » و قال تعالى

– الحج ۳۳ – «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » و لا يخفى انّه إذا اتصف أهل زمان بالصفات الالهيّه و تأدبوا بالاداب الملكوتيّه لا يعد واحد عن مسيره الاوسط و لا يميل إلى اليمين و الشمال لأن اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجادّه و من كان قائده العقل يكون قوله صوابا و منطقه حقا و لا يبيع الحق بالباطل فإذا استحوذ الشيطان على أهل زمان لا بدّ أن يكون القائل فيه بالحقّ الا قليل من عباد اللّه المخلصين لا تلهيهم الدّنيا عن اللّه قليلا لانهم عبده الشّيطان و الدّنيا و خدمه النّفس و الهوى فإذا اقبلت الدّنيا باى نحو من الانحاء يصرفون عن الحق و يعرضون عن الصّواب.

قوله عليه السّلام:(و اللّسان عن الصدق كليل) يمكن ان يفسر بوجهين:

الأوّل على ما بينا من ان الأعمال و الأقوال حاكيات عن الضمائر و السّرائر فإذا صار الإنسان تابع النّفس و الهوى فلا جرم اناره العقل مكسوف بطوع الهوى فما يصدر عن الإنسان حينئذ يكون من جنس ما هو مستكن فيه و العقل يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و هو ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان فمتى صارت شمس العقل مكسوفه بظلّ الهوى فما ذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فما يصدر عن ذلك الإنسان إلاّ الضّلال.

الوجه الثّانى أن يقال إذا كان الأكثر من النّاس فى زمان بمعزل من الحقّ لا سيما عند استيلاء الجهل و الظلم على المترفين و الزّعماء و الاكابر فحينئذ لا يقدر الرجل العابد الورع العاقل أن يكون صادقا فى اموره و شئونه خوفا من شرار النّاس لكثرتهم و إيذائهم أهل الحقّ و الرّشاد فلسان أهل الحقّ فى زمان كذا عن الصّدق كليل.

قوله عليه السّلام:(و اللازم للحقّ ذليل) لقلّتهم و ضعفهم بالنسبه إلى الباقين.

قوله عليه السّلام (أهله معتكفون على العصيان) أى لا زال انّهم ملازمون عليه لبعدهم عن الحق و ما ذا بعد الحق إلاّ الضّلال.

قوله عليه السّلام (مصطلحون على الإدهان) أى متفقون على الغش و النّفاق و المصانعه و المداهنه لا يصدق قولهم فعلهم و ظاهرهم باطنهم.

قوله عليه السّلام (فتاهم عارم) لأنّ أهل الزّمان إذا كانوا بغير قسط و عدل و كانت ظلمات الجهل غالبه و الفواحش و المناكر شائعه فالحياء يخفق من أرض اجتماعهم فحينئذ يصير فتيانهم شرسى الأخلاق عارين عن الحياء لأنّ رسوخ الفواحش فيهم أمكن و أسرع لأنّ القوى الحيوانيّه و الشّهوانيّه فيهم أشدّ و أقوى فإذا ذهب الحياء عن النّاس لا يبالون أى ما فعلوا لأنّ الحياء ملكه للنفس توجب انقباضها عن القبيح و انزجارها عن خلاف الاداب خوفا من اللّوم، و روى عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لم يبق من أمثال الأنبياء الّا قول النّاس: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت.

قوله (و شائبهم آثم) لكونه متوغلا فى الجهل و الغفله بحيث لا يرى ان أجله انصرم و مهله انقطع حتّى يتنبّه من نوم الغفله و يتدارك ما فات منه، نعوذ باللّه من سبات العقل، قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ما ذا قدمتم و ما ذا أخرتم، أبناء السّتين هلمّوا إلى الحساب لا عذر لكم، أبناء السبعين عدوا أنفسكم من الموتى، و روى إذا بلغ الرّجل أربعين سنه و لم يتب مسح إبليس وجهه و قال: بأبى وجه لا يفلح.

و فى «شيب» من سفينه البحار: عن إبراهيم بن محمّد الحسنى قال بعث المأمون إلى أبى الحسن الرّضا عليه السّلام جاريه فلمّا ادخلت إليه اشمأزت من الشيب فلما رأى كراهتها ردّها إلى المأمون و كتب إليه بهذه الأبيات:

نعى نفسى إلى نفسى المشيب و عند الشيب يتّعظ اللّبيب

فقد ولّى الشباب إلى مداه فلست أرى مواضعه تؤب

سأبكيه و أندبه طويلا و ادعوه إلىّ عسى يجيب

و هيهات الّذى قد فات منه تمنّينى به النّفس الكذوب

أرى البيض الحسان يحدن عنى و فى هجرانهن لنا نصيب

فان يكن الشباب مضى حبيبا فان الشيب أيضا لى حبيب

سأصحبه بتقوى اللّه حتّى يفرّق بيننا الأجل القريب

ص:۴۱

و قال الشّيخ العارف السّعدى بالفارسيّه:

چون دوران عمر از چهل درگذشت مزن دست و پا كابت از سر گذشت

چو شيبت در آمد بروى شباب شبت روز شد ديده بر كن ز خواب

چو باد صبا بر گلستان وزد چميدن درخت جوان را سزد

نزيبد تو را با جوانان چميد كه بر عارضت صبح پيرى دميد

دريغا كه فصل جوانى گذشت بلهو و لعب زندگانى گذشت

دريغا چنان روح پرور زمان كه بگذشت بر ما چون برق يمان

دريغا كه مشغول باطل شديم ز حق دور مانديم و عاطل شديم

چه خوش گفت با كودك آموزگار كه كارى نكردى و شد روزگار

قوله عليه السّلام (و عالمهم منافق) أى يتّخذ علمه وسيله لدنياه و فطنته ذريعه لهواه لا لإرجاع النّاس من الطرق المعوجه إلى الجادّه الوسطى و الصّراط المستقيم و ارشادهم من النقوش الباطله إلى كتاب اللّه، وصفه دواء و قوله شفاء و فعله الداء العياء و يقول ما لا يفعل و ما يظهر يضاد ما يضمر و نعم ما قاله الشاعر:

يا أيّها الرّجل المعلّم غيره إلّا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدّواء لذى السقام و الطّنى كيما يصحّ و أنت به سقيم

قال اللّه عزّ من قائل: «أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ».

قوله عليه السّلام:(و قارئهم مماذق) أى عابدهم النّاسك المتعبد غير مخلص فى عبادته لوجه اللّه بل هو مشوب بالرياء و هو بظاهره وجهه إلى اللّه و لكن قلبه إلى الناس و نعم ما نظمه العارف السّعدى:

آنكه چون پسته ديديش همه مغز پوست بر پوست بود همچو پياز

پارسايان روى بر مخلوق پشت بر قبله ميكنند نماز

قال اللّه عزّ و جلّ «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انّ المرائى ينادى عليه يوم القيامه يا فاجر يا غادر يا مرائى ضلّ عملك و حبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممّن كنت تعمل له.

و قال صلّى اللّه عليه و آله سيأتى على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدّنيا لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم اللّه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم.

و فى ذمّ الرّياء آيات و روايات كثيره يستفاد منها مطالب دقيقه أنيقه لعلّنا نبحث فيها فى مباحثنا الاتيه.

قوله عليه السّلام (لا يعظم صغيرهم كبيرهم) لقله اعتداد صغيرهم بالاداب الشرعيّه و عدم التفاتهم إليها و لو كانوا متأدبين بها ليعظمونهم و يوقرونهم و يخفضون لهم جناح الذّل، لقد مضى منه عليه السّلام فى الخطب السالفه: ليتأس صغيركم بكبيركم و ليرؤف كبيركم بصغيركم و لا تكونوا كجفاه الجاهليّه لا فى الدّين يتفقّهون و لا عن اللّه يعقلون كقيض بيض فى اداح يكون كسرها وزرا و يخرج حضانها شرّا قوله عليه السّلام:(و لا يعول غنيهم فقيرهم) لبخلهم بمعروفهم و سيأتى عنه عليه السّلام ان قوام الدّنيا بأربعه: عالم مستعمل علمه و جاهل لا يستنكف أن يتعلّم و غنى لا يبخل بمعروفه و فقير لا يبيع آخرته بدنياه «إلى أن قال عليه السّلام»: و إذا بخل الغنى بمعروفه يبيع الفقير آخرته بدنياه، و سيأتى بياننا فى سرّ الأخبار و الايات فى ذلك و ما يستفاد منها من النكات الأخلاقيه و المصالح الاجتماعيّه فى تشريع الحقوق الماليه فى الأموال، و ليعلم الغنى البخيل القسىّ أنّ ماله يكون وبالا عليه لو لم يؤدّ حقّ الفقير من ماله كما يأتى بيانه و انّ المال اذا ادّى حقوقه ينمو و يكثر، قال عزّ من قائل «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ » (البقره الايه ۲۶۵) و فى الكافى عن أبى الحسن عليه السّلام) – و هو الكاظم – إنّ اللّه تعالى وضع الزكاه قوتا للفقراء و توفيرا لأموالكم، و قال العارف السعدى بالفارسيّه:

زكاه مال بدر كن كه فضلهٔ رز را چون باغبان ببرد بيشتر دهد انگور

ص:۴۳

ثمّ إنّه علیه السّلام کانّما ینظر بنا و یحکی عن زماننا حیث أصبحنا و الحقّ مهتضم و الدین مخترم، و کاد معالم الدین یؤذن بالمحو و الطمس، و لا یتکلّم فیه إلاّ بالرمز و الهمس. و احاطت الظلمات بعضها فوق بعض و ما یری سبیل الخروج، و کیف لا و أزمّه الامور بأیدی ذوات الفروج، و حماه الدّین بعضهم معتکف فی قعر السجون و بعضهم یفیض منه ماء الشجون، و اشباح الرّجال فی زیّ الرّجال، و النفوس الکرام فی صف النّعال، و النّاس عن الطریق القویم و الصّراط المستقیم لناکبون و فی إعلاء رایه العدل لناکسون کانما علی رؤوسهم الطیر، و فی إحیاء کلمه الحقّ لناکثون کأنّما جبلوا علی اماته الخیر، و لعمری لو لا انّهم قلقوا الوضین لما جعل کتاب اللّه عضین، و لو کانوا یقاتلون فی سبیل اللّه صفا کانّهم بنیان مرصوص، لما تسلّط علیهم اللّصوص، و لو قتلوا فی سبیل اللّه فالفوز بالشهاده، و لو سجنوا فالشغل بالعباده، و لو نفوا فالنیل بالسیاحه.

و نعم ما قال المتنبی:

لا یسلم الشرف الرفیع من الأذی حتّی یراق علی جوانبه الدم

و یا سوء ما فعلوا فجعلوا القرآن عدل ما نسجت بالبطلان، و حسبوا و حی الرّحمن عکم ما اختلقه الشیطان. و ارتکبوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن فأین الفلاح و هو أبعد من بیض الأنوق، و رجعوا إلی الجاهلیّه الاولی بالجدّ و لعلن فأین النجاح و هو أبعد من مناط العیّوق، و کم غدره واضحه فی الدّین و کم، و فظّت الاخلاق و الرسوم و الشیم، کلاّ بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون، فاتخذوا کتاب اللّه وراء ظهورهم سخریا و بدین اللّه یلعبون و یستهزؤن، اللّه یستهزیء بهم و یمدّهم فی طغیانهم یعمهون، فإذا رأیت أن الزّمان دار بنا و الحال کما تری تذکرت ما أجاد أبو العلاء و تمنی.

إذا عیّر الطائیّ بالبخل مادر و قرّع قسّا بالفهاهه باقل

و قال السّها للشّمس أنت خفیّه و قال الدّجی یا صبح لونک خامل

و فاخرت الارض السّماء سفاهه و کاثرت الشهب الحصا و الجنادل

ص:۴۴

فيا موت زر إن الحياه ذميمه و يا نفس جدّى إنّ دهرک هازل

و لا تحسبنّ اللّه غافلا عمّا يعمل الظّالمون و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون، و قال عزّ من قائل تبشيرا للمؤمنين و تبكيتا للمعاندين «إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ » و لا أدرى ألا سمع الخصم الألدّ قول قاصم الجبارين:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ » و قوله قهر و علا: «كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ».

الترجمه

بدانكه زبان پاره ايست از آدمى هرگاه آدمى از گفتار سر باز زند زبان او را در گفتار يارى نمى كند - يعنى زبان مانند سائر اعضاء فرمان بردار روح ميباشد تا از وى فرمان صادر نشود زبان سخن نگويد چنانكه سائر اعضاء - و هرگاه انسان مايۀ گفتار داشته باشد كه جان او بفرا گرفتن علوم وسعت و بزرگى يافت و بنور معارف حقه منور شد گفتار زبان را مهلت نمى دهد و انسان بسخن زبان گشايد.

بدرستى كه ما اميران كلاميم - يعنى عنان سخن در دست ما است و بر آن مسلّطيم هر گونه بخواهيم تصرف مى كنيم چون تصرّف امراء در ممالك خودشان كه در هنگام سخن گفتن شاغلى مانند ترس و بيم ما را از آن باز نمى دار - و درخت كلام در ما ريشه دوانيده است و شاخهاى آن بر ما آويخته است، بدانيد - خدا شما را رحمت كناد - كه در زمانى بسر مى بريد گوينده حق در آن كم است و زبان از راستى كند است، و ملازم حق خوار است، أهل آن زمان بر معصيت مقيمند و بر مداهنت و مصانعت متفق، جوان ايشان بد خو و بى شرم و پير ايشان گناهكار، عالم ايشان منافق و عابد ايشان در دوستى بحق مرائى و غير خالص، كوچك ايشان بزرگ را تعظيم نمى كند، و توانگر تهى دست را نفقه نمى دهد.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الاثنان

اشاره

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

روی الیمانی عن أحمد بن قتیبه عن عبد اللّه بن یزید عن مالک بن دحیه قال: کنّا عند أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و قد ذکر عنده اختلاف النّاس فقال:

إنّما فرّق بینهم مبادی طینهم، و ذلک أنّهم کانوا فلقه من سبخ أرض و عذبها، و حزن تربه و سهلها، فهم علی حسب قرب أرضهم یتقاربون، و علی قدر اختلافها یتفاوتون، فتامّ الرّواء ناقص العقل، و مادّ القامه قصیر الهمّه، و زاکی العمل قبیح المنظر، و قریب القعر بعید السّبر، و معروف الضّریبه منکر الجلیبه، و تائه القلب متفرّق اللّبّ، و طلیق اللّسان حدید الجنان.

اللغه

(الطین): التراب، و الطّینه: القطعه منه، فی لسان العرب الطین معروف الوحل واحدته طینه، و الطینه أیضا الخلقه و الجبلّه و فی بعض النسخ طینتهم، (الفلقه):

القطعه و الشق من الشیء و جمعه فلق کعنب، و (السبخه) محرکه و مسکنه: أرض ذات ملح لا تستعد للنبات و الزرع، مقابل العذب، و (العذب) ما طاب منها و استعد للنبات، (الحزن) علی وزن فلس: ما غلظ من الأرض کالحزنه، و (السهل) من الأرض ضدّ الحزن، (الرواء) بالضم و الهمز کغلام مشتق من روی: حسن المنظر قال المتنبی:

فارم بی ما اردت منی فانی اسد القلب آدمی الرّواء

(الهمه) بالكسر و بالفتح: ما هم به من أمر ليفعل و هممت بالشىء أهمّ هما إذا أردته. (الزاكى): الطيّب الخالص الحسن و الزّكاه صفوه الشىء، (السبر): امتحان غور الجرح و غيره كالاستبار يقال سبرت الرّجل اسبره أى اختبرت باطنه و غوره و السبر فى الاصل ادخال الميل فى الجراحه لمعرفه غورها و يطلق على مطلق الاختبار قال الحريرى: فولجت غابه الجمع لا سبر مجلبه الدمع و قال المرزوقى فى شرح الحماسه «۸۷۳» و توسع فى استعماله «يعنى سبرت» حتى وضع موضع جرّبت، و لذا سمّى الململول الذى يقدّر به الجرح و غوره مسبارا، و المسبار مفعال من ابنيه الالات كالمفتاح و من أبيات تلك الحماسه.

فلقد سمتنى بوجهك و الوصل قروحا أعيت على المسبار (الضريبه): الطبيعه و الخليقه و جمعها الضّرائب، قال القتّال الكلابى «حماسه ۲۱۷»:

جليد كريم خيمه و طباعه على خير ما تبنى عليه الضّرائب

(الجليبه): ما يجلبه الانسان و يتكلّفه، المجلوبه و جمعها كالضريبه و المراد بها الخلق الذى يتكلفه الانسان و يستجلبه مثل أن يكون جبانا بالطبع فيتكلف الشجاعه أو شحيحا بالطبع فيتكلف الجود، (التائه) فاعل من التيه بمعنى الحيره و الضلاله لسان طلق و (طليق) فصيح ذو حدّه، (الجنان) بفتح أوّله: القلب.

اليمانى هو أبو محمّد ذعلب و هو من شيعته عليه السّلام فى الكافى للكلينى قدّس سرّه فى باب جوامع التوحيد و فى الوافى للفيض ص ۹۵ ج ۱ بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على منبر الكوفه إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ فى الخطب شجاع القلب فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك فقال ويلك يا ذعلب ما كنت اعبد ربا لم أره فقال يا أمير المؤمنين كيف رأيته قال ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهده الابصار و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان ويلك يا ذعلب ان ربّى لطيف اللّطافه لا يوصف باللّطف الحديث.

و ذعلب بالذال المعجمه و العين المهمله كزبرج معناه فى الاصل الناقه السريعه

ص:۴۷

ثمّ صار علما للانسان كما أن بكرا فى الأصل فتى الابل ثمّ صار علما لبكر بن وائل.

الاعراب

اضافه المبادى إلى الطين بيانيه و يمكن أن تكون بمعنى اللام أى المبادى لطينهم.

كلمه من بيانيه للفلقه و يمكن أن تكون للتبعيض و ان كان الأوّل أظهر.

جمله هم يتقاربون مبتداء و خبر و على تتعلّق بالخبر قدمت عليه للتوسع فى الظروف و كذا الجمله التاليه المعطوفه عليها.

الفاءان سببيّتان فتفيدان التفريع.

و قوله عليه السّلام: فتام الرّواء إلى آخره من الجملات السبع تفسير و تفصيل لقوله: يتفاوتون.

المعنى

اشاره

نقدّم عدّه مباحث تبيينا للمراد و تبليغا إلى الرّشاد مستعينا من اللّه الواهب الفيّاض:

الاول

انّ الإنسان كسائر المركبات مركب من العناصر إلا أن بعض المركّبات ذو صوره لا نفس له كالمعدنيات، و بعضها ذو صوره له نفس غاذيه و ناميه و مولّده للمثل لا حسّ و لا حركه اراديه له كالنبات، و بعضها ذو صوره له نفس غاذيه و ناميه و مولّده للمثل و حساسه و متحركه بالاراده كالإنسان و سائر الحيوانات المتكونه فى حيز الأرض.

و انّ العناصر لكلّ واحد منها صوره مضادّه للاخر منها ينبعث كيفيّاته المحسوسه و تلك الكيفيّات هى الحراره و البروده و الرّطوبه و اليبوسه الناشئه من اسطقس النّار و الماء و الهواء و الأرض، فانّ النّار حارّه يابسه و الهواء حارّ رطب

و الأرض بارده يابسه و الماء بارد رطب و تلك الاسطقسات تسمى الأركان و العناصر أيضا - و هذا القول لا ينافى ما ذهبوا إليه علماء هذه الاعصار من أن هذه الأركان ليست ببسيطه بل كلّ واحد منها مركب من أجزاء اخر - و هذه الأركان إذا تصغرت اجزاؤها و تماست و فعل بعضها فى بعض بقواها المتضادّه و كسر كلّ واحد منها سوره كيفيّه الاخر فإذا انتهى الفعل و الانفعال بنيها إلى حدّ ما حدثت لذلك المركّب الممتزج كيفيه متشابهه فى أجزائه و هى المزاج.

و بعباره اخرى انّ العناصر إذا اختلطت و امتزجت تفعل كلّ واحده منها بصورته فى الاخرى و ينفعل فى كيفيّتها عنها و تحصل من تفاعل كيفيّات متضاده موجوده فى عناصر و انكسارها كيفيّه متوسطه وحدانيّه توسطا ما فى حدّ ما متشابه فى أجزائها و هى تسمّى مزاجا فالأرض تفيد الكائن تماسكا و حفظا لما يفاده من التشكيل و التخليق، و الماء يفيد الكائن سهوله قبول التخليق و التشكيل و يستمسک جوهر الماء بعد سيلانه بمخالطه الأرض و يستمسک جوهر الأرض عن تشتته بمخالطه الماء، و الهواء و النار ينكسران عنصريّه هذين و يفيد انهما اعتدال المزاج، و الهواء يخلخل و يفيد وجود المنافذ و المسام، و النّار تنضج و تطبخ.

الثانى

المزاج الّذى يحصل باختلاط الأركان لا يجوز أن يكون معتدلا حقيقيا سواء كان معدنيا أو نباتيا أو حيوانيا، لأنّ الاعتدال الحقيقى هو أن يكون المقادير من الكيفيّات المتضادّه فى الممتزج متساويه و هو ممّا لا يمكن ان يوجد أصلا لانّه إذا حصل شيء من الأركان متساوى المقادير لا بدّ أن يكون فى الخارج مكان و ذلك المكان ان كان لأحد من الأركان فيلزم الترجيح بلا مرجّح فنقول أى سبب اقتضى أن يكون ذلك المركّب فى هذا المكان دون ذلك، و امّا أن يكون خارجا من أمكنتها مع انا نرى بالعيان و البرهان أيضا انّه ليس كذلك فلا بدّ أن يكون فى ذلك المركّب واحد من الأركان غالب على غيره حتّى يميل المركّب إلى المكان اللائق للغالب فإن كان التراب مثلا غالبا فهو يميل إلى

مكانه الحرىّ به و هكذا.

قال الشّيخ فى النّمط الثّانى من الاشارات و انت إذا تعقبت جميع الأجسام الّتى عندنا وجدتها منتسبه بحسب الغلبه إلى واحد من هذه التى عددناها يعنى بها الأركان، و قال المحقّق الطوسى فى شرحه: و فيه تعريض بان المركّب من الاجزاء المتساويه من الأركان غير موجود.

فإن قلت أليس يمكن أن يكون مزاج إنسان معتدلا بحيث لا يعتريه أحوال و أسباب منافيه له ممرّضه له من جهه الاخلاط و يجرى أفعال البدن دائما على أفعاله الطبيعى و لا يخرج عنه، بأن يكون إنسان عالما بما يصلح للبدن و ما يفسده من الأغذيه و الأشربه و الأمكنه و الأهويه و غيرها فيجتنب عن كلّ ما ينافيه و يمرضه و يؤذيه و يؤدّى بدل ما يتحلّل غذاء للبدن على وفق المزاج المتوسّط عن حدّى التفريط و الافراط؟ قلت هذا ممكن بل ثابت محقق و به يبين سرّ قول المجتبى و الصّادق عليهما السّلام ما منّا إلّا مقتول أو مسموم و به يجاب الخصم الألدّ فى بقاء حجّه اللّه فى العالمين بقيّه اللّه فى الأرضين حجّه بن الحسن العسكرى روحى لروحه الفداء و نفسى لنفسه الوقاء و هو أحد البراهين العقليه على ذلك و إن كانت البراهين العقليّه و النّقليّه فيه كثيره، و بالجمله موت إنسان يحتاج إلى دليل و يسأل عن السّبب الّذى مات به لا بقائه، و لكن هذا الاعتدال طور آخر من الاعتدال غير ما ذكرناه آنفا و الفرق بينهما انّ الأوّل يبحث فى الطبيعيّات من الكتب الحكميّه و الاعتدال بذلك المعنى ممّا لا يجوز أن يوجد أصلا كما دريت، و الاعتدال الممكن المحقق هو الّذى يبحث الطبيب عنه و هو بمعنى آخر.

و لا بأس أن ننقل كلام الشّيخ فى القانون حتّى يتضح المراد أتم إيضاح قال فى أوّل القانون: يجب أن يتسلم الطبيب من الطبيعى أنّ المعتدل على هذا المعنى «أى ما قلنا من حصول الشىء و تركيبه من الأركان متساوى المقادير» ممّا لا يجوز أن يوجد أصلا فضلا عن أن يكون مزاج إنسان أو عضو إنسان

و ان تعلم أنّ المعتدل الّذى يستعمله الاطباء فى مباحثهم ليس هو مشتقّا من التعادل الّذى هو التوازن بالسويّه بل من العدل فى القسمه و هو أن يكون قد توفر فيه على الممتزج بدنا كان بتمامه أو عضوا من العناصر بكميّاتها و كيفيّاتها القسط الّذى ينبغى له فى المزاج الانسانى على أعدل قسمه و نسبه لكنه قد يعرض أن يكون هذه القسمه التى تتوفر على الإنسان قريبه جدا من المعتدل الحقيقى الأوّل.

الثالث

ان كلّ نوع من أنواع المركّبات يشتمل على أصناف و كلّ صنف على أشخاص لا ـ حصر لها بحيث نرى لا يتشابه اثنان من الأنواع بل من الانواع بل من الأشخاص لونا و خلقا و خلقا و منطقا و قال عزّ من قائل فى سوره الرّوم «وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ » و هذا الاختلاف لا بدّ أن يكون من سبب و ذلك السبب لا محاله مادّى لأنّ المادّه هى منشأ الاختلاف و مثار الكثره و لذا صار المجرد نوعه منحصرا فى فرده لعدم وجود الماده هناك.

و ذلك السبّب ما ذا؟ قال العلامه الطوسى فى شرحه على الاشارات: و ليس هذا الاختلاف بسبب الهيولى الاولى و لا بسبب الجسميّه فانّهما مشتركان يعنى أنّهما مشتركان فى جميع الاشخاص فلو كان الهيولى أو الجسميّه سببا للزم أن يكون كلّ شخص من أى نوع من الأنواع يتشابه الاخر لاتحاد السبب، و لا بسبب المبدأ المفارق فانّه موجود أحدىّ الذات متساوى النسبه إلى جميع المادّيّات فهو إذن بسبب امور مختلفه و الامور المختلفه فى الهيولى بعد الصّوره الجسميّه هى هذه الصّور الأربع النّوعيّه الّتى أجسامها موادّ المركّبات و الاختلاف ليس بسبب هذه الصّور أنفسها، لأنّ الاختلاف الّذى يكون بسببها لا يزيد على أربعه فهو إذن بحسب أحوالها فى التركيب و فيما يعرض بعد التركيب، و التّركيب يختلف باختلاف مقادير الاسطقسات فى القلّه و الكثره بقياس بعضها إلى بعض اختلافا لا ـ نهايه له و يختلف ما يعرض بعد التركيب باختلاف ذلك لا محاله فتلك الاختلاف الغير المتناهيه هى

ص:51

أسباب اختلاف المركّبات.

أقول: و من تلك الأحوال المؤثره فى اختلاف الاشخاص اختلاف البقاع و الاقاليم و الأمكنه، لأنّ مقادير الاسطقسات فى المركّبات يختلف باختلاف عروض البلاد أى قربها من خطّ الاستواء و بعدها عنه فهو يصير سببا لاختلاف مدار الشمس بحسب الافاق كما أنّ فى الافاق الاستوائيه تتحرّك الشمس دولابيا و فى القطبيين رحويا و ما بينهما حماليا و الافاق التى عرضها أكثر من الميل الكلّى شماليّا كان أو جنوبيّا لا تسامت الشّمس رءوس أهلها قطّ و الافاق الّتى عرضها بقدر الميل الكلى تسامتها فى الدوره مرّه و التى عرضها أقل و اتى عديم العرض تسامتها فى الدوره مرتين حين كون ميل الشّمس أعنى بعده من معدل النهار مساويا لعرض تلك الافاق و فى عديم العرض حين كونها على نقطتى الاعتدال و قرب الشمس و بعدها مؤثر فى أحوال أشخاص تلك الافاق كما فى ترابها و هوائها و نباتها و عامه ما يوجد فيها و هذا ممّا لا يليق أن يرتاب فيه فلذلك يكون عامّه أهل الاقليم الاوّل السود، و عامّه أهل الاقليم الثّانى بين السواد و السمرد، و عامّه أهل الثالث السمر، و عامّه أهل الرابع بين السمره و البيض، و عامّه أهل الخامس البيض و فى الاقليم السّادس الغالب على أهله الشقره، و أهل السّابع لونهم بين الشّقره و البياض.

و كما يكون صفاتهم الظاهريه و ألوانهم مختلفه كذلك أمزجتهم متفاوته متغيره فلا محاله اختلاف اللّون و المزاج حاك عن اختلاف من جهه تركيب الاخلاط فإن غلبه الدّم سبب لحمره لون البدن و غلبه البلغم سبب لبياضه و غلبه الصفراء لصفرته و غلبه السوداء لسواده و ما بينها متوسطات مسميات باسامى الألوان الاخر كل ذلك مبرهنه بالبراهين القاطعه فى الكتب المفصّله الطبيّه لا سيّما فى قانون الشّيخ الرّئيس أبى علىّ بن سينا و شروحها.

ثمّ اختلفوا فى أنّ أهل أى الاقليم أعدل مزاجا، و الصّواب أن أهل الاقليم الرّابع أعدل من غيرهم فانهم لا محترقون بدوام مسامته الشّمس رؤوسهم حينا بعد

ص:۵۲

تباعدها عنهم كسكان أكثر الثانى و الثالث و لا هم فجّون نيّون بدوام بعد الشمس عن رؤوسهم كسكان آخر الخامس و ما هو أبعد منه عرضا.

و صرح كثير من علماء الهيئه و الجغرافيا بأن سكان عرض ۶۶ درجه و ما هو أبعد منه شبيهه بالوحوش و صرّح غير واحد منهم أيضا بانّ سكان الافاق الاستوائيه بسبب قرب الشّمس منهم و مسامتتها إياهم سود مجعّد الشعر خارج عن الاعتدال خلقا و خلقا و لكن الشّيخ الرّئيس ذهب فى القانون إلى خلافه و قال:

فقد صحّ عندنا أنه إذا كان فى الموضع الموازى لمعدل النّهار عماره و لم يعرض من الاسباب الأرضيّه أمر مضادّ أعنى من الجبال و البحار فيجب أن يكون سكانها أقرب الأصناف من الاعتدال الحقيقى و انّ الظنّ الّذى يقع أن هناك خروجا عن الاعتدال بسبب قرب الشّمس ظن فاسد فان مسامته الشّمس هناك أقل نكايه و تغيير الهواء من مقاربتها هاهنا أو الأكثر عرضا مما هاهنا و إن لم تسامت ثمّ سائر أحوالهم فاصله متشابهه و لا يتضاد عليهم الهواء تضادا محسوسا بل يشابه مزاجهم دائما ثمّ من بعد هؤلاء فأعدل الاصناف سكان الاقليم الرّابع إلى آخر ما قال. فتأمل

الرابع

كما أنّ اختلاف مقادير الاسطقسات فى القلّه و الكثره و شدّتها و ضعفها و اختلاف البقاع و الاقاليم و غيرها من الأحوالات المشار إليها يكون سببا لاختلاف الأمزجه و الألوان و الصّور من الأحوالات الجسمانيّه و المادّيه، كذلك يكون سببا لاختلاف الصّفات الباطنيّه المعنويه و ذلك لارتباط و اتصال كامل بين النّفس و البدن بحيث يتأثر كلّ واحد منهما عن الاخر كما نرى أنّ النفس يكل بكلال القوى البدنيّه و بالعكس يظهر أحوال النفس فى الأعضاء الظاهريّه، و فى النّمط الثالث من الاشارات و التنبيهات ما هو كاف فى أداء مقصودنا.

قال الشّيخ: و له «أى لجوهر النّفس» فروع من قوى منبثه فى أعضائك فاذا احست بشىء من أعضائك شيئا أو تخيلت أو اشتهيت أو غضبت القت العلاقه التى بينها و بين هذه الفروع هيئه فيك حتّى تفعل بالتكرار اذعانا مّا، بل عاده و خلقا

يمكّنان من هذا الجوهر المدبر تمكن الملكات كما يقع بالعكس فانّه كثيرا ما يبتدىء فيعرض فيه هيئه مّا عقليه فتنقل العلاقه من تلك الهيئه أثرا إلى الفروع ثمّ إلى الأعضاء، انظر إذا استشعرت جانب اللّه عزّ و جلّ و فكرت فى جبروته كيف يقشعر جلدك و يقف شعرك، و هذه الانفعالات و الملكات قد تكون أقوى و قد تكون أضعف، و لو لا هذه الهيئات لما كان نفس بعض النّاس بحسب العاده أسرع إلى التهتك و الاستشاطه غضبا من نفس بعض.

و قوله «فإذا أحست إلى تمكن الملكات» بيان كيفيّه تأثر النّفس عن البدن و قوله «كما يقع بالعكس إلى شعرك» بيان كيفيّه تأثر البدن عن النّفس و قوله «و هذه الانفعالات» إلى آخره اشاره كما فى شرحه للعلامه الطوسى إلى أن هذه الكيفيّات المذكوره فى الجانبين قابله للشدّه و الضعف و يختلف النّاس بحسبها فى هذه الانفعالات و الملكات، و ذلك لاختلاف أحوال نفوسهم و أمزجتهم و بحسب تلك الشدّه و الضعف يتفاوتون فى اخلاقهم الفاضله و الرذله فيكون بعضهم أشدّ و أضعف استعداد للغضب و بعضهم للشهوه و كذلك فى سائرها.

ثمّ نقول: و من هنا يمكن أن يستنبط أن السر فى تفاوت الخلايق فى الخيرات و الشرور و اختلافهم فى السعاده و الشقاوه هو اختلاف استعداداتهم و تنوع حقائقهم لتباين المواد السفليه فى اللّطافه و الكثافه و اختلاف أمزجتهم فى القرب و البعد من الاعتدال الحقيقى و اختلاف الارواح الّتى بازائها فى الصفاء و الكدوره و القوه و الضعف و ترتب درجاتهم فى القرب من اللّه سبحانه و البعد عنه كما اشير إليه فى الحديث: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضّه خيارهم فى الجاهليّه خيارهم فى الاسلام، كما نبه إليه بعض الاعلام.

فنقول بعد ما اخذت الفطانه بيدك و استحضرت معانى المباحث الاربعه المذكوره فى ذهنك يظهر معانى كلامه عليه السّلام بأنّه كيف صار مبادى طينهم سببا لاختلاف أمزجتهم و صورهم و اخلاقهم و فرق بعضهم عن بعض.

و إن قلت: إنّه علم فى المباحث المذكوره انّ السبب فى تفرق النّاس فى

أخلاقهم و خلقهم انما هو اختلاف مبادى خلقتهم من التراب و الماء و الهواء و النّار و غيرها مما مر و لكن الظّاهر فى كلامه عليه السّلام هو الارض فقط فكيف التوفيق؟ قلت: أوّلا انها أكثر ممّا يوجد فى المركّبات و لذلك تكون فى حين الارض.

و ثانيا انّ للتراب أثرا عظيما فى اختلاف أخلاقهم و خلقهم و الاركان الاخر فى الطيب و الخبث تابعه لها و لذا خصها بالذكر دونها و ذلك لانه ممّا يرى بالعيان ان الارض العذبه الّتى طيبه ترابها ماؤها عذب طيب و أيضا و كذا هواؤها و الارض السبخه ماؤها مالح و هواؤها تابع لها لا محاله و كذا فى أوصافها الاخر ممّا هو أكثر من أن يحصى فلذلك من نشأ و تولد فى الارض العذبه تكون فى الخلق و الخلق أحسن و أعدل من غيره و الذى تولد فى الارض السبخه يكون ذا مزاج حار يابس و تكون صفاته تابعه لمزاجه و خلقه كما دريت فى المبحث الرابع و كفاك فى ذلك قول اللّه جلّ جلاله فى الاعراف «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً» الايه.

قوله عليه السّلام (فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون و على قدر اختلافها يتفاوتون) نحن نرى الاشخاص بالحس و العيان انّ أهل الافاق الاستوائيه و أهل الافاق كثيره العرض مثلا- أهل عرض ستين درجه و ما بعدها بينهما فى الخلق و الخلق بون بعيد بحيث لو رأى هذا ذلك ليستوحش منه و يتنفر عنه و لم يكن بين أهل الاقليم الثالث و الرّابع ذلك البعد فيهما، و كذلك نرى أن بين أهل مبدء الاقليم الرّابع مثلا- و بين من كان فى آخره تشابه و تناسب و تقارب فيهما و هكذا الأقرب فالأقرب و الأبعد فالأبعد و ذلك لما حققناه فى المبحث الثالث فهم حسب قرب أرضهم يتقاربون و على قدر اختلافها يتفاوتون.

قوله عليه السّلام (فتام الرّواء ناقص العقل) من قوله عليه السّلام هذا إلى آخره بيان لقوله يتفاوتون فذكر تفاوت سبع طوائف من النّاس خلقا و خلقا فهذه الاقسام السبعه بعضها يضاد خلقها لاخلاقها و بعضها يلائم و يناسب، فبدأ بالّتى تضاد و هى خمسه:

الاولى ان منهم من يكون تام الرّواء أى حسن المنظر و لكنه ناقص فى عقله.

كما ثبت فى فن القيافه أنّ من يكون لمقدم رأسه نتوّا و كذا لمؤخر رأسه فهو داه حازم و له زياده عقل و خبره و فهم وجوده فكر لانّ هيئه الدماغ شبيهه بمثلث قاعدته من جانب مقدم الرّأس و زاويته التى يحيط بها الساقان من جانب المؤخر و هو مبدء القوه النفسانيّه و به يكون الحس و الحركه، أمّا الحس فبواسطه العصب اللّين و أمّا الحركه فبواسطه العصب الصّلب و عند القائفين إذا كان فى الرأس تنوكما ذكر يكون البطن المقدم من الدماغ على وجه الكمال و الاعصاب المنشعبه الناشئه منه على أحسن الحال فإذا يستلزم ذكاء صاحبه و الرّأس إذا كان بتلك الصفه تصير العين غائره لا محاله فليس له منظر جميل فهو ليس بتام الرواء مع أنّه كامل العقل.

فتام الرّواء ناقص العقل، و هذا القسم قليل جدّا لانّ حسن الجمال و اعتدال الخلقه دالّ على استواء التركيب و اعتدال المزاج و من اعتدل مزاجه فتصرف الروح و تعلقه فيه أشدّ و أتمّ و تدبير النّفس النّاطقه و عملها فيه أكمل و أقوم و ذكاؤه و رويته أكثر و أسلم.

و كفاك شاهدا فى ذلك خلق الانبياء و السفراء الإلهيه و خلفائهم المنصوبين من عند اللّه حيث خلقوا على أعدل الامزجه و الخلقه فكانوا فى كمال العقل و الذكاء و قوّه الرأى و الفطنه و بالجمله فى كمال الاتصاف بالصفات الالهيه و مكارم الاخلاق و محاسن الافعال و التنزه عن الامور المنفره للطباع عنهم خلقا و خلقا.

و جاء فى شمائل رسولنا خاتم النّبيّين صلّى اللّه عليه و آله انّه كان فخما مفخّما، يتلالا وجهه كالقمر ليله البدر، أعلى الهامه، رجل الشّعر، واسع الجبهه، أزجّ الحواجب أقنى الأنف، كثّ اللّحيه، سهل الخدّين، ضليع الفم، مفلّج الأسنان، كان فى وجهه تدوير، أسمر اللون، أبيض مشرب، أهدب الاشفار، أدعج العينين، سواء البطن و الصّدر، طويل اليدين، أسود العينين، أقصر من المشذّب رحب الرّاحه،

أطول القامه، عريض الصّدر، ليس شعر فى بدنه إلاّ كالخط من الصّدر إلى السرّه و نظمها ابن الحاج فى رسالته المنظومه الموسومه بنظم المحاسن الغرر و منها:

و بعد فاعلم أنّ من تمام ايماننا معاشر الإسلام

ايقاننا بأنّ أبهى بدن جثمان أحمد النّبىّ المدنى

ففيه حسن مدهش الأبصار تشبيهه يحتاج لاستغفار

كان كما صحّ عن البراء أكمل خلق اللّه فى البهاء

و عن علىّ لم يكن مطهّما منتفخ الوجه و لا مكلثما

و عن أبى هريره ذى الجدّ كان نبيّنا أسيل الخد

ما ذا يقال مطنبا أو مختصر فى عينه من بعد ما زاغ البصر

عن ابن عبّاس يرى فى الدّاج كما يرى فى الضوء و السّراج

و سمعه أسمع كلّ سامع يسمع غيبا من سواه لم يع

حسبك فيه ما رواه الترمذى و مثله أبو نعيم يحتذى

إنّى أرى ما لم تروا و لم تعوا و إنّ مالا تسمعون أسمع

افصح خلق اللّه إذ تلفظا أو ضحهم أحلاهم إذ وعظا

أتاه ربّه جوامع الكلم كانّها فى عقدها درّ نظم

و صحّ كان واضح الجبين مزججا أقرن حاجبين

و فى حديث البيهقى العلامه صحّحه كان عظيم الهامه

ضخم الكراديس عنوا رؤساء من العظام احفظ حميت البؤسا

تلك العظام مثل ركبتيه و المرفقين ثمّ منكبيه

و قد رووا أن كان أقنى الانف رقيق عرنين هما كالرّدف

إذا لقنا فی الأنف رقّه القصب و طوله و کان فی الوسط حدب

مع ضیق منخرین و العرنین بالکسر أنف خذه یاقمین

و عنقه إبریق فضه روی ذاک مقاتل حدیثه حوی

ص:۵۷

(وصف على عليه السّلام لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) قال ابن هشام فى السيره النّبويّه: و كانت صفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله - فيما ذكر عمر مولى غفره، عن إبراهيم بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إذا نعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال -: لم يكن بالطويل الممغط، و لا القصير المتردّد. و كان ربعه من القوم و لم يكن بالجعد القسط و لا السبط، كان جعدا رجلا، و لم يكن بالمطهم و لا المكلثم، و كان أبيض مشربا أدعج العينين، أهدب الاشفار، جليل المشاش و الكتد، دقيق المسربه، أجر دشثن الكفّين و القدمين، إذا مشى تقلّع كانما يمشى فى صبب، و إذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النّبوّه و هو صلّى اللّه عليه و آله خاتم النّبيّين، أجود النّاس كفّا، و اجرأ النّاس صدرا، و أصدق النّاس لهجه، و اوفى النّاس ذمّه، و ألينهم عريكه، و أكرمهم عشره من رآه بديهه هابه، و من خالطه احبّه، يقول ناعته: لم ار قبله و لا بعده مثله صلّى اللّه عليه و آله.

بيان: الممغّط و الممعطّ بالعين المعجمه و المهمله: الممتد. القسط:

الشديد جعوده الشعر. رجلا: مسرح الشعر. المطهم: العظيم الجسم. المكلثم:

المستدير الوجه فى صغر. الادعج: الاسود العينين. اهدب الاشفار: طويلها.

المشاش عظام رءوس المفاصل. الكتد: ما بين الكتفين. المسربه: الشعر الّذى يمتد من الصدر إلى السره. الاجرد: القليل شعر الجسم. الشثن: الغليظ.

تقلع: لم يثبت قدميه. الصبب: ما انحدر من الأرض. اصل اللّهجه: طرف اللسان، و يكنى بصدق اللهجه عن الصدق. الذمّه: العهد. العريكه «فى الاصل»:

لحم ظهر البعير، فاذا لانت سهل ركوبه، يريد انه احسنهم معاشره.

و فى الكافى لثقه الإسلام الكلينى فى باب ما جاء فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: عن جابر قال قلت لأبى جعفر عليه السّلام صف لى نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال كان نبى اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبيض مشرب بالحمره ادعج العينين مقرون الحاجبين شثن الاطراف كان الذهب افرغ على براثنه عظيم مشاشه المنكبين إذا التفت يلتفت جميعا من شده استرساله سربه سابله من لبته إلى سرّته كانها وسط الفضه المصفّاه و كانّ عنقه إلى كاهله ابريق

فضه يكاد انفه إذا شرب ان يرد الماء و إذا مشى تكفّا كانه ينزل فى صبب لم ير مثل نبى اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبله و لا بعده، كذا عده أخبار اخر فيه فراجع.

فإن قلت: ما نفقه كثيرا ما تقول مع انه وردت روايات على انّ بعض الانبياء ابتلاهم اللّه بقبح الصّوره و الخلقه كما فى أيّوب عليه السّلام بحيث تنتن له رائحه و تدوّد جسده بل فى روايه اصابه الجذام حتى تساقطت اعضاؤه فكيف التوفيق؟ قلت قضاء العقل فى هذه الامور أولى و أقدم و لا ريب انّ اللّه تعالى بعث الأنبياء لطفا منه على العباد ليقوم الناس بالقسط و ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حىّ عن بينه و لامور اخر ذكرها المتكلمون فى الكتب الكلاميّه مفصله فلو كان فى الانبياء ما يوجب النفره عنهم لا يرغب النّاس إليهم فيكون منافيا للغرض من البعثه فاللّه ليس بمتم نوره و لطفه و حجته فى هذه الصّوره على عباده و الحكم فى اصول الدّين و ما يتبعها هو العقل وحده و صريح العقل يقضى بذلك و من لم يكن أحول و أعور لا يرتاب فيه.

قال أفضل المتاخرين العلامه الطوسى قدس اللّه نفسه القدسى فى التجريد:

و يجب فى النبىّ العصمه ليحصل الوثوق فيحصل الغرض و لوجوب متابعته و ضدها و الانكار عليه و كمال العقل و الذكاء و الفطنه و قوه الرأى و عدم السهو و كلما ينفر عنه من دناءه الاباء و عهر الامهات و الفظاظه و الابنه و شبهها و الاكل على الطريق و شبهه. انتهى فان كان فيما يقضى به صريح العقل روايه يعاضدها و إلاّ فإن كانت الروايه قابله لان يحمل على ذلك المقضى به و إلا فلا نعبأ بها و نعرض عنها.

مع انا نعلم ان هذه الرّوايات القائله فى الأنبياء بهذه الصفات الّتى تنفر عنها الطباع اسرائيليات و ذلك كما نبه عليه ابن خلدون فى مقدمه تاريخه ان كعب الاحبار و وهب بن منبه لما اسلموا و ذكروا تلك الرّوايات للمسلمين قبلها عوام المسلمين منهم حسن الظن فيهم بانهم مسلمون و ان هذه الرّوايات مما جاء بها الوحى على خاتم الانبياء صلّى اللّه عليه و آله و الحق الصريح فى ذلك و الكلام المبين فيه ما قاله عزّ من قائل فى سوره آل عمران «فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » الايه و هذا امضاء فى حكم العقل و معاضده له و هو إحدى

ص:۵۹

فوائد البعثه و قال الطبرسی «ره» فی المجمع و فیها: «أی فی هذه الایه» أیضا دلاله علی ما نقوله فی اللطف لأنّه سبحانه نبه علی انّه لو لا رحمته لم یقع اللین و التّواضع و لو لم یکن کذلک لما أجابوه فبیّن انّ الامور المنفره منفیّه عنه و عن سائر الأنبیاء و من یجری مجراهم فی انّه حجه علی الخلق إلی آخر ما قال و أیضا جاءت روایه رواها الصدوق رضوان اللّه علیه فی الخصال و نقلها المجلسی رحمه اللّه علیه فی کتاب النّبوّه من البحار «ص ۲۰۴ طبع کمبانی» خلاف ما جاءت فی تلک الرّوایات فی أیّوب علیه السّلام و لا بأس بذکرها لانها روایه الصادقه الموافقه للعقل و الایه قال الصّدوق «ره»: القطان عن السکری عن الجوهری عن ابن عماره عن أبیه عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام قال انّ أیّوب علیه السّلام ابتلی سبع سنین من غیر ذنب و ان الأنبیاء لا یذنبون لانهم معصومون مطهرون لا یذنبون و لا یزیغون و لا یرتکبون ذنبا صغیرا و لا کبیرا و قال علیه السّلام ان أیوب من جمیع ما ابتلی به لم تنتن له رائحه و لا قبحت له صوره و لا خرجت منه مده من دم و لا قیح و لا استقذره أحد رآه و لا استوحش منه أحد شاهده و لا تدوّد شیء من جسده و هکذا یصنع اللّه عزّ و جلّ بجمیع من یبتلیه من انبیائه و أولیائه المکرمین علیه و انما اجتنبه النّاس لفقره و ضعفه فی ظاهر أمره لجهلهم بماله عند ربه تعالی ذکره من التأیید و الفرج.

و قال علم الهدی سیّد المرتضی قدّس سرّه فی کتاب تنزیه الأنبیاء فی أیّوب علیه السّلام فان قیل افتصحّحون ما روی من أن الجذام اصابه «یعنی أیّوب علیه السّلام» حتّی تساقطت أعضاؤه؟ قلنا اما العلل المستقذره الّتی تنفر من رآها و توحشه کالبرص و الجذام فلا یجوز شیء منها علی الأنبیاء علیهم السّلام لان النفور لیس بواقف علی الامور القبیحه بل قد یکون من الحسن و القبیح معا و لیس ینکر ان یکون أمراض أیوب علیه السّلام و أوجاعه و محنته فی جسمه ثمّ فی أهله و ماله بلغت مبلغا عظیما تزید فی الغم و الالم علی ما ینال المجذوم و لیس ننکر تزاید الالم فیه علیه السّلام و انّما ننکر ما اقتضی التنفیر .

فإن قلت فلم قال عليه السّلام فتام الرّواء ناقص العقل مع أن على ما حققته يقتضى ان يكون تام الرواء كامل العقل.

قلت ان قوله عليه السّلام ليس بقضيه كلّيه حاكمه بان كلّ من كان تام الرّواء فهو ناقص العقل البته بل هى قضيه مهمله فى قوّه الجزئيه يعنى ان بعض تام الرّواء ناقص العقل كما لا يخفى على الاديب العارف باساليب العبارات و كذلك السته الباقيه و من يكن له منظر جميل و عقل ناقص اعترته آفه لا محاله و ان خفيت علينا و كما اشرنا إليه انّه قليل و الأكثر بخلافه.

قوله عليه السّلام (و مادّ القامه قصير الهمّه) الطائفه الثانيه من يكون طويل القامه لكنه ناقص فى همّته و هذا القسم يشترك الأول فى مخالفه ظاهره لباطنه و يتفاوت عنه فى الاستعداد الباطن و سببه بعد الدّماغ عن القلب لانّ القلب مبدء الحراره الغريزيه و الاعراض النفسانيّه من الفطنه و الذكاء و علو الهمه و قله الانفعال عن الاشياء و جوده الرأى و حسن الظنّ و النشاط و الرّجاء و غيرها دالّه على فرط الحراره الغريزيه و ضدّ هذه الاوصاف تدلّ على برودتها فقرب الدّماغ من القلب يوجب وصول كثره الحراره إليه فيكون الانسان متصفا بتلك الفضائل كالقصار من الناس فبعد الدّماغ عنه يوجب قلّه الحراره الغريزيّه فى الدماغ فيتصف بخلافها من الرذائل، فمادّ القامه يكون فى الاغلب ناقص العقل و هو يستلزم قصور الهمه و فتور العزم حتّى قيل كلّ طويل أحمق و فى باب الأسد و الثور من الكليله الاحمق من طال و طالت عنقه، و سيجىء فى الطائفه الرابعه الكلام فى القصار.

قوله عليه السّلام (و زاكى العمل قبيح المنظر) و هى الطائفه الثالثه أى بعض النّاس من يكون مزاج ذهنه معتدلا فيصدر عنه الاعمال الزاكيه الحسنه الطيبه و لكن صورته الظاهره قبيحه لانّ مزاجه اقتضى ذلك و استعدّ له و هذا أيضا قليل لما بيناه فى الطّائفه الاولى من أن ذا المزاج المستعدّ لحسن الصّوره و جمالها يكون فطنا غالبا و يصدر عنه الافعال الزاكيه و المستعدّ لقبح الصوره على خلاف ذلك و من زكى عمله و ان قبح منظره فهو فائز لان العمل هو الملاك للفلاح و البدن كالغمد و النفس كالسيف و اللّه تعالى لا ينظر إلى الابدان بل إلى الأعمال و القلوب

و نعم ما قاله أبو العلاء فی سقط الزند.

و لو کان فی لبس الفتی شرف له فما السیف الاّ غمده و الحمائل

و ما اجاد السعدی أیضا بالفارسیه:

طعنه بر من مزن بصورت زشت ای تهی از فضیلت و انصاف

تن بود چون غلاف و جان شمشیر کار شمشیر میکند نه غلاف

قوله علیه السّلام(و قریب القعر بعید السبر)و هذه الطائفه الرّابعه من الطوائف السبع المذکوره و هذا القسم أیضا یضاد خلقه لخلقه و قریب القعر کنایه عن قصیر القامه و المراد من القعر هو البطن و قریب القعر من لم یکن من رأسه إلی بطنه و کذا من قدمیه إلی مسافه کثیره فهو کنایه عن قصیر القامه، و بعید السبر کنایه عن دهائه و فطانته یعنی ان قصیر القامه لبیب داهیه فطن حازم بحیث یصعب للغیر الوقوف علی اسراره و اختیار باطنه و ذلک کما هو المشاهد لنا فی القصار و نجدهم غالبا ذوی لب و حزم لا یطلع الغیر علی ضمائرهم علی مرور الأیّام بل الشهور و الاعوام و حکی أن رجلا قصیرا اتی کسری أنوشروان العادل و تظلم عنده من رجل فقال الملک انّ القصیر لا یظلمه أحد فقال الرّجل أیّها الملک من ظلمنی کان اقصر منی فضحک الملک فانصفه، و السبب فی ذلک هو کما قال بعض الحکماء حین سئل ما بال القصار من الناس ادهی و احذق قال لقرب قلوبهم من ادمغتهم و مراده کما أشرنا الیه ان القلب مبدء الحراره الغریزیه و الاعراض النفسانیّه کلّها دالّه علی الحراره و توفرها و اضداد تلک الاعراض علی برودتها فالقصیر لقرب قلبه من دماغه یوجب توفر الحراره فی الدّماغ و یؤدی إلی تلک الفضائل النفسانیه، و فی الطوال من الناس علی عکس ذلک.

قوله علیه السّلام (و معروف الضریبه منکر الجلیبه) هذه الطّائفه الخامسه منها و هی أیضا یضاد ظاهرها باطنها و ینافی خلقها أخلاقها و المعنی الصحیح لهذه الجمله ان بعضا من الناس یکون ذا خلقه حسنه و طبیعه طیّبه یحبّ مکارم الخصال و محاسن الافعال بحسب ضریبته المعروفه و یتنفّر عن الفحشاء و الصفات الرذیله و مع ذلک یستجلب إلیه رذائل الاخلاق و مقابح الاعمال لدواع نفسانیّه و تسویلات شیطانیه

و عوارض و حوادث بها يعرض عن مقتضى طبيعته السليمه و فطرته الكريمه فيرتكب الفواحش و المعاصى و الرذائل و إليه يرجع ما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انّ اللّه يحبّ العبد و يبغض عمله و ذلك كما ترى رجلا- يحب السخاء و الجود و يكون جوادا سخيا بالطبع و لكن قد يعرضه املاق فيسلك مسلك البخلاء و آخر يتنفر بطبعه عن المعاصى و لكن قرينه السوء مثلا يجرّه إليها و هكذا و لا يخفى أن معروف الضريبه يلتذ عن الأعمال الحسنه و الصفات الحميده و ان عرضته احيانا اضدادها زالت عنه بسرعه لان اتصافه بها و اقتحامه فيها يكون قسرا بعائق و متى زال العائق يعود إلى أصله المعروف و القسرى لا يدوم بل هو سريع الزوال فالمؤمن الموحّد الذى ليس من أهل المعاصى و الفجور و يستبشعها طبعا و يستقبحها إذ ابتلى بها و ارتكبها آثما خائفا من اللّه جل جلاله فى إتيانها فلا جرم ينـدم على ارتكابها إذا رجع إلى عقله و اناب إلى ربّه و هو الّذى يقبل التوبه عن عباده و يعفو عن السيّئات و بذلك التحقيق فسر قوله تعالى «يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً ».

و ورد فيه حديث تابى نفسى الاّ ايراده فى هذا المقام لتضمنه هذه الدقيقه روى الصّدوق (ره) فى التوحيد بإسناده عن زيد بن وهب عن أبى ذرّ قال خرجت ليله من الليالى فإذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يمشى وحده ليس معه إنسان فظننت انّه يكره أن يمشى معه أحد قال (ره) فجعلت امشى فى ظل القمر فالتفت فرآنى فقال من هذا فقلت أبو ذر جعلنى اللّه فداك فقال يا أبا ذر تعال فمشيت معه ساعه فقال إنّ المكثرين هم الأقلون يوم القيامه إلاّ من أعطاه اللّه خيرا فنفخ منه بيمينه و شماله و بين يديه و ورائه و عمل فيه خيرا قال فمشيت ساعه فقال صلّى اللّه عليه و آله اجلس ههنا و أجلسنى فى قاع حوله حجاره فقال لى اجلس أرجع إليك قال و انطلق فى الحرّه حتّى لم أره و توارى عنّى و أطال اللبث ثمّ إنّى سمعته و هو مقبل يقول و ان زنى و ان سرق قال فلماء جاء لم اصبر حتّى قلت له يا نبى اللّه جعلنى اللّه فداك من تكلّمه فى جانب الحرّه فانى ما سمعت أحدا يردّ عليك شيئا فقال صلّى اللّه عليه و آله ذاك جبرئيل عرض لى فى جانب الحرّه فقال ابشر امتك انّه من مات لا يشرك باللّه عزّ و جل شيئا دخل الجنّه قال قلت

يا جبرئيل و ان زنى و إن سرق و ان شرب الخمر قال نعم و ان شرب الخمر انتهى.

و من ذلک الحدیث یستفاد ما ذکرنا من أن ارتکاب المعاصی للمؤمن قسری و یعرض عنها لا محاله فیتوب إلی اللّه و اللّه هو التوّاب الرحيم فالعاصی لما تاب دخل الجنّه كما قال الصّدوق (ره) أيضا بعد ذكر هذا الخبر: يعنى بذلك انّه يوفق للتّوبه حتّى يدخل الجنّه.

ثمّ انّ ابن میثم (ره) لم یسلک فی تمثیل هذه الجمله و تشبیهه و تعلیله طریق الصواب لأنه قال قوله علیه السّلام: «معروف الضریبه منکر الجلیبه» أی یکون له خلق معروف یتکلف ضده فیستنکر منه و یظهر علیه تکلیفه کأن یکون مستعدا للجبن فیتکلف الشجاعه أو بخیلا فیتکلف السخاوه فیستنکر منه ما لم یکن معروفا منه و هو أکثری و ذلک لمحبّه النفوس للکمالات، فتری البخیل یحبّ ان یعدّ کریما فیتکلف الکرم و الجبان یحبّ أن یعد شجاعا فیتکلّف الشجاعه انتهی و کذا المترجم القاسانی (ره) مشی حذوه و لا یخفی انّ ما ذهب إلیه و اختاره و علّله یقتضی أن تکون الجمله هکذا:

«و منکر الضریبه معروف الجلیبه» کما یظهر بادنی تأمل و الصواب أن یقول کان یکون مستعدا للشجاعه فیتکلّف الجبن أو سخیا فیتکلف البخل و کذلک تعلیله بقوله و ذلک لمحبه النفوس آه لیس بصحیح و ظنی ان عباره الشارح المعتزلی أوقعتهما فیه حیث قال قوله علیه السّلام «و معروف الضریبه منکر الجلیبه» الجلیبه هی الخلق الذی یتکلفه الإنسان و یستجلبه مثل ان یکون جبانا بالطبع فیتکلف الشجاعه أو شحیحا بالطبع فیتکلف الجود، و حسبا ان قوله مثل أن یکون اه بیان لقوله علیه السّلام معروف الضریبه منکر الجلیبه و غفلا عن أنه یکون بیانا للجلیبه.

قوله علیه السّلام (و تائه القلب متفرق اللب و طلیق اللّسان حدید الجنان) هذان القسمان یتشارکان فی مناسبه ظاهرهما لباطنهما فهما یخالفان الاقسام الخمسه السالفه کما یفارق القسم الأوّل منهما تالیه بانّه ذمّ و ذلک مدح لأن الطائفه الاولی منهما همج رعاع اتباع کل ناعق یمیلون مع کلّ ریح لم یستضیئوا بنور العلم و لم یلجئوا إلی رکن

وثيق و لو رزقوا نور العلم و استمسكوا بالعروه الوثقى لم يكونوا تائهى القلب متفرقى اللب فى كلّ سانحه و عارضه اقبلت أو أدبرت و كانوا كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف، و لا يخفى حسن صنيعته عليه السّلام جمع بين التام و الناقص، و الماد و القصير و الزاكى و القبيح، و القريب و البعيد، و المعروف و المنكر و ما روعى من السجع المتوازى بين قرينتى الاخيرين.

ثمّ اعلم ان فى هذا المقام اخبارا مرويه عن أهل بيت العصمه و الطّهاره منقوله شرذمه منها فى كتاب الايمان و الكفر من الكافى لرئيس المحدثين ثقه الاسلام الكلينى (ره) و ما ذكر فيه من أبواب الطينات و بدء الخلائق و بيانها ينجرّ الى بحث طويل الذيل لانها صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبى مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان و كذا فى المقام لعرفائنا الشامخين كلاما كانه سرّ ما فى تلك الأخبار و هو على سبيل الاجمال ان سر اختلاف الاستعدادات و تنوع الحقائق فهو تقابل صفات اللّه تعالى و اسمائه الحسنى التى من أوصاف الكمال و نعوت الجلال و ضروره تباين مظاهرها التى بها يظهر أثر تلك الأسماء فكل من الاسماء يوجب تعلّق ارادته سبحانه و قدرته إلى إيجاد مخلوق يدلّ عليه من حيث اتصافه بتلك الصفه فلا بدّ من إيجاد المخلوقات كلّها اختلافها و تباين أنواعها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنى جميعا و مجالى لصفاته العليا قاطبه فلكل اسم من اسمائه الحسنى و صفه من صفاته العليا مظهر فى الوجود العلمى و العينى.

قال القيصرى فى شرح الفصوص و كلّ واحد من الاقسام الأسمائيه يستدعى مظهرا به يظهر أحكامها و هو الأعيان فإن كانت قابله لظهور الأحكام الأسمائيه كلّها كالأعيان الإنسانيّه كانت فى كلّ آن مظهرا لشأن من شئونها و إن لم يكن قابله لظهور أحكامها كلّها كانت مختصّه ببعض الأسماء دون البعض كالأعيان الملائكه و دوام الأعيان فى الخارج و عدم دوامها فيها دنيا و آخره يراجع إلى دوام الأسماء و عدم دوامها.

و لنعم ما قال العارف الرّومى فى المثنوى:

آدم اسطرلاب گردون علوست وصف آدم مظهر آیات اوست

هر چه در وی می نماید عکس اوست همچو عکس ماه اندر آب جوست

خلق را چون آب دان صاف و زلال اندر او تابان صفات ذو الجلال

علمشان و عدلشان و لطفشان چون ستارهٔ چرخ بر آب روان

پادشاهان مظهر شاهی حق عارفان مرآت آگاهی حق

خوبرویان آینه خوبی او عشق ایشان عکس مطلوبی او

جمله تصویرات عکس آب جوست چون بمالی چشم خود خود جمله اوست

الترجمه

از کلام آن حضرت علیه السّلام است که یمانی از أحمد بن قتیبه از عبد اللّه بن یزید از مالك دحیه که او گفت: در نزد أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام بودیم که در حضرت او سخن از اختلاف مردمان در خلق و خلق بمیان آمد، فرمود:

بدرستی که جدائی انداخته است و فرق نهاده است میان مردم از مبادی طینت و سرشت ایشان یعنی از جهت صفات و حالات عناصر که از آن خلق شده اند بدین أحوال گوناگون در خلق و خلق متصف شده اند چه ایشان پارهٔ از زمین شوره و شیرین و خاك درشت و نرم بودند پس بحسب نزدیکی خاکشان بیکدیگر قرب پیدا میکنند و بقدر اختلاف آن متفاوت می گردند پس یکی نیکو منظر کم عقلست و یکی کشیده قامت کوتاه همت و یکی پاکیزه کردار زشت روی و یکی نزدیک تک دور اندیش است (قریب القعر کنایه از این که قامت او کوتاه است، و بعید السبر کنایه از این که دور اندیش و زیرك است که باسانی کسی نمی تواند از نهاد او و أسرار وی آگاه شود) و یکی نیکو خوی و بد بسوی خود کشنده است «یعنی اصل طبیعت و سرشت او خوب است و دوستدار اخلاق و اعمال نیکو است و لکن جهت غرضی و پیش آمدی خصال بد را بتکلف بسوی خود می کشاند مثل این که أصلا شخص صادق است و بغرضی دروغ می گوید و یا طبیعه مردی بخشنده است و از جهتی در جائی زفتی میکند و هکذا) و یکی سرگشته دل پراکنده عقلست و یکی گشاده زبان تیز دل.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان و الثالث

اشاره

و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

قـاله عليه السّـلام و هو يلى غسـل رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و تجهيزه بـأبى و أمّى لقـد انقطع بموتـك مـا لم ينقطع بموت غيرك من النّبوّه و الإنباء و أخبار السّـماء، خصصت حتّى صرت مسلّيا عمّن سواك، و عممت حتّى صار النّاس فيك سواء، و لو لا أنك أمرت بالصّبر، و نهيت عن الجزع، لأنفـدنا عليك ماء الشّؤن، و لكان الـدّاء مماطلا، و الكمـد محالفا، و قلّا لك، و لكنّه ما لا يملك ردّه، و لا يستطاع دفعه، بأبى أنت و أمّى أذكرنا عند ربّك، و اجعلنا من بالك.

اللغه

(النّبوّه) أصـله النّبوءه فابدلت الهمزه واوا فادغمت لثقل التلفظ بها عندهم و لذا يبدّلون الهمزه تاره واوا متى كان ما قبله مضـموما و تاره الفا إن كان مفتوحا كقوله تعالى «آللّهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ » و تاره تقلبونه ياء إن كان ما قبله مكسورا كنبيّ لأن أصله النّبىء على مذهب من يهمز و الايمان و غيرهما قال ابن زيّابه التميمى «حماسه ۲۲»:

نبّيت عمرا غارزا رأسه فى سنه يوعد أخواله

و قـالوا لولا نزل القرآن بالهمز لما تكلموا به لان التلفّظ به يشـبه التهوع عنـدهم كما قيل، و تصـغيرها نبيه تقول العرب كانت نبيّه مسيلمه نبيّه سوء، و أصلها

ص:۶۷

النبأ و هو الخبر، و قال الطبرسی فی المجمع فی تفسیر قوله تعالی «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ » فی سوره إبراهیم: النبأ الخبر عما یعظم شأنه یقال لهذا الأمر نبأ عظیم أی شأن و کذا فی سوره النبأ.

(الانباء) افعال من النبأ یقال أبنأه أی أخبره و فی بعض النسخ الأنباء بالفتح و هو جمع النبأ و فی نسخه اخری الأنبیاء و هو جمع نبیّ و لکنه لا یناسب اسلوب الکلام کما لا یخفی، و هذا و هم من النساخ لأنه إن کان الانباء لزم ان تکون کلمه الجار اعنی من بیانا لما فی قوله ما لم ینقطع کما فی اخویه أعنی النبوه و اخبار السماء و یکون الکلام علی اسلوب واحد و لو کان الأنبیاء لزم أن یکون من فی النّبوه و أخبار السماء بیانا لما و فی الأنبیاء بیانا لکلمه الغیر فی قوله غیرک فیخرج الکلام عن النظم و الاتّساق.

(السماء)مأخوذ من السموّ و هو العلو و الارتفاع قال الجوهری: السماء کلّ ما علاک فأظلّک و منه قیل لسقف البیت سماء و لفظ السماء هنا مستعار لعالم الغیب و مقامات الملاء الأعلی لعلوه و ارتفاعه معنی من عالم الشهاده.

(المسلّی) من التسلیه یقال سلّانی من همّی تسلیه أی کشفه عنی.

(و الجزع) بالتحریک: انزعاج النّفس بورود ما یغم فهو نقیض الصبر قوله تعالی فی سوره إبراهیم «سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ ».

(نفد) الشیء من باب ضرب نفادا إذا فنی قال اللّه تعالی فی آخر الکهف «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی » و الانفاد: الافناء یقال أنفدت الشیء أی افنیته و قرئ بالوجهین قول الشاعر «حماسه ۸۴۲»

فجاءوا بشیخ کدّح الشرّ وجههجهول متی ما ینفد السبّ یلطم

(ماء الشؤن): الدمع، و الشؤن و الاشؤن جمع الشأن کفلس و افلس و فلوس و قال الجوهری فی الصحاح: الشؤن هی مواصل قبائل الرّأس و ملتقاها و منها تجیء الدموع، قال ابن السّکیت: الشانان عرقان ینحدران من الرأس إلی الحاجبین ثمّ إلی العینین، فالشئون هی منابع الدمع و مجاریها کما فسرها بها المرزوقی

فی قول ابن هرمه «حماسه ۴۷۰».

استبق دمعك لا يود البكاء به و اكفف مدامع من عينيك تستبق

ليس الشؤن و إن جادت بباقيه و لا الجفون على هذا و لا الحدق

(الداء): المرض و العله و المراد به هنا ألم الحزن و اصله دوء لأنّ جمعه أدواء و الجمع كالتصغير و النسبه يرد الشيء إلى أصله كدار و أدوار و دويره و دوریّ.

(مماطلا) قال الجوهری: مطلت الحدیده امطلها مطلا إذا ضربتها و مددتها لتطول و كلّ ممدود ممطول و منه اشتقاق المطل بالدين و هو اللّيّان به يقال مطله و ماطله بحقه فالمراد ان الداء لازمنی و لا يزول عنى فكنى به انه يماطل و يسوف بالزوال و الذهاب و البرء.

(الكمد) بفتحتين: الحزن المكتوم و قال المرزوقی فی شرح الحماسه «حماسه ۲۶۷» فی قول الشاعر:

لو كان يشكى إلى الأموات ما لقى الأحياء من شدّه الكمد الكمد: حزن و همّ لا يستطاع امضاؤه و قال الدّريدی: هو مرض القلب من الحزن، يقال كمد يكمد كمدا من باب علم، و رأيته كامد الوحه و كمد الوجه إذا بان به اثر الكمد و اكمده الحزن اكمادا.

(محالفا) المحالف الحليف الملازم، يقال حالفه أی عاهده و لازمه.

(لا يستطاع) الاستطاعه: الاطاقه، لا يستطاع دفعه أی لا يطاق و لا يقدر عليه و فی الصّحاح و ربما قالوا اسطاع يسطيع يحذفون التاء استثقالا لها مع الطاء و يكرهون ادغام التاء فيها و ربما يتحرك السين و هی لا تحرك أبدا، و قرء حمزه «فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ » «سوره الكهف ۹۸» بالادغام فجمع بين الساكنين «و هما السين الساكنه و التاء المدغمه» و ذكر الاخفش أن بعض العرب يقول استاع يستيع فيحذف التاء استثقالا و هو يريد استطاع يستطيع قال: و بعض يقول اسطاع يسطيع بقطع الالف و هو يريد أن يقول اطاع يطيع و يجعل السين عوضا من ذهاب حركه عين الفعل.

ص:۶۹

(البال): القلب و أصله أجوف واوی، و البال و الخلد یستعملان علی طریقه واحده یقولون وقع فی خلدی کذا و سقط علی بالی و خطر ببالی یقال هذا من بال فلان أی ممّا یبالیه و یهتم به.

الاعراب

(بأبی أنت و امّی) امّی معطوف علی أبی أی و بامّی و الباء للتفدیه و الطرفان کلاهما یتعلّقان بمحذوف و التقدیر أنت مفدی بأبی و امّی و هذا التقدیر أولی من افدیک بأبی و امّی لبقاء الجمله علی هیئتها و عدم التصرّف فیها، یقال فداه من باب ضرب وفاداه إذا اعطی فداءه فانقذه من الاسر و نحوه و فداه بنفسه و فداه تفدیه إذا قال له جعلت فداک فقوله علیه السّلام: بأبی أنت و امّی أی جعل أبوای فداءک و الفداء و الفدی و الفدیه ما یعطی من مال و نحوه عوض المفدی (بموتک) الباء فی کلیهما للسببیّه (من النبوّه) کلمه من للتبیین یبین ما فی ما لم ینقطع (و الانباء و أخبار السماء) معطوفان علی النبوه.

(خصصت) أی خصصت النّاس بمصیبتک أو خصصت فی مصیبتک أو خصّت مصیبتک.

(عمّن سواک) أی مصیبه عمّن سواک، و کذا قوله علیه السّلام عممت أی عممت النّاس بمصیبتک أو عمّت مصیبتک النّاس حتّی صار النّاس فی مصیبتک سواء، و اضاف الخصوص و العموم إلیه صلّی اللّه علیه و آله مع انهما للمصیبه لکونها بسببه و حذف المضاف و اقیم المضاف إلیه مقامه.

(لو لا انّک) اه لولا هذه لامتناع الشیء لوجود غیره أعنی امتناع جوابها بوجود شرطها و تختص بالاسم و انّ مع ما بعدها فی تأویل مصدر و التقدیر لولا أمرک بالصبر و نهیک عن الجزع لأنفدنا اه و اللام فی لأنفدنا جواب شرط و کذا و لکان الداء معطوفا علی انفدنا.

(و قلّا لک) الضمیر فی قلّا یعود إلی الداء المماطل و الکمد المحالف لانّ الضمیر یرجع إلی أقرب المراجع مع عدم القرینه و یحتمل أن یرجع إلی انفاد ماء الشؤن

ص:۷۰

المستفاد من انفدنا و إلى الداء المماطل و الكمد المحالف بجعلهما واحدا من حيث قربهما معنى (و لكنه) اه الضمير فيه و فى ردّه و دفعه يرجع إلى الموت فى قوله عليه السّلام لقد انقطع بموتك و يمكن أن يرجع إلى البكاء و الحزن المستفاد من الجمل السالفه على ما يأتى بيانه فى المعنى.

المعنى

اشاره

قوله (بأبى أنت و أمى) أى جعل أبواى فداك و التفديه هى كلمه معتاده للعرب تقال لمن يعزّ عليهم حتى انه اعزّ و ارجح عنده من أبويه بحيث يجعلهما فداء له و لو تخييلا فلا يشترط فيها امكان التفديه إذ ليس الغرض من اطلاقها تحقيق الفديه و ثبوتها فلا يرد ههنا ان يقال انّ التفديه بعد موت من يفدى له غير ممكنه فكيف قال عليه السّلام بأبى أنت و امّى.

ثمّ انّ ههنا كلاما يناسب المقام و هو أن المستفاد من بعض اخبارنا المرويه عدم جواز قول انسان ان يقول لغيره بأبى أنت و امى إذا كانا مؤمنين حيين كما روى فى الوسال و الخصال على طريقين عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام حيث سئل عن الرّجل يقول لابنه أو لابنته بأبى أنت و امّى أو بأبوى أنت أ ترى بذلك بأسا؟ فقال عليه السّلام: ان كان أبواه مؤمنين حيين فأرى ذلك عقوقا و ان كانا قد ماتا فلا بأس.

و ظاهر الخبر يدل على عدم جواز القول بالتفديه بالابوين إذا كانا مؤمنين حيين فى قبال الولد لان المفدى يكون أحبّ من الفديه حيث يجعلها فداءه فيلزم أن يكون الأولاد أحبّ و أعزّ من الوالدين و هذا عقوق لهما و خروج عن الأوامر بالبر بالوالدين و النّواهى عن العقوق لهما مع شده تأكيد برهما بحيث جعل فى القرآن الكريم الاحسان بالوالدين قرين عباده اللّه تعالى «وَ قَضى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً » و غير ذلك من الايات و الأخبار و أمّا إذا كانا قد ماتا فلا بأس بذلك لعدم تحقق التفديه كما إذا كانا حيين غير مؤمنين أيضا لا بأس به لعدم حرمه لهما حينئذ فمتى كان فى الولد لا يجوز ذلك و فى غيره عدم

جواز القول بها أولى، و النّبى صلّى اللّه عليه و آله أولى بالمؤمنين من أنفسهم فضلا عن آبائهم و أولادهم و أموالهم.

قوله عليه السّلام (لقد انقطع) اه أى انقطع بسبب موتك النّبوه و الأخبار و الوحى و لم ينقطع بموت غيرك من الأنبياء و ذلك لأنّه صلّى اللّه عليه و آله خاتم النّبيّين و آخرهم ختمت النّبوّه به فشريعته باقيه الى يوم القيامه، فبموته صلّى اللّه عليه و آله انقطع الوحى و النبوه نصّ بذلك عزّ من قائل فى الاحزاب «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْ ءٍ عَلِيماً » قرء عاصم بفتح التاء و الباقون من القراء بكسر تاء و على كلا القرائتين يحصل المقصود لأنّ من كسر التاء من خاتم فانه ختمهم فهو خاتمهم، و من فتح التاء فمعناه آخر النّبيّين لا نبى بعده و فى الصحاح الخاتم - بفتح التاء - و الخاتم بكسر التاء و الخيتام و الخاتام كلّه بمعنى.

و فى المجمع و صح الحديث عن جابر بن عبد اللّه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال انّما مثلى فى الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فاكملها و حسّنها إلّا موضع لبنه فكان من دخل فيها فنظر إليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنه قال صلّى اللّه عليه و آله فانا موضع اللبنه ختم بى الأنبياء، و أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما.

أقول: اتى بهذه الرّوايه العارف المتأله ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى ص ٣٦٩ و البراهين القاطعه و المعجزات القاهر عقلا- و نقلا- فى انه صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيّين كثيره لا- يعتريه ريب و لا يشوبه عيب و لا يرتاب فيه الا من كان فى عقله خبل و فى عينه حول و لا يدعى النبوّه بعده صلّى اللّه عليه و آله إلّا الكذاب الاشر المفترى الذى غرته الدنيا و باع حظه بالأرذل الأدنى و تغطرس و تردّى فى هواه، و من اظلم ممن افترى على اللّه كذبا أو قال اوحى إلىّ و لم يوح إليه شىء و اولئك يلعنهم اللّه و يلعنهم اللاعنون.

و فى السيره الحلبيه: ان جبرئيل جاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى وجعه الذى توفى فيه «إلى أن قال:» و جاء أن جبرئيل عليه السّلام قال هذا آخر وطئى بالأرض، و فى لفظ آخر: عهدى بالأرض بعدك و لن اهبط إلى الأرض لأحد بعدك.

ص:٧٢

قال الحافظ السیوطی و هو حدیث ضعیف جدا و لو صح لم یکن فیه معارضه أی لما ورد انه ینزل لیله القدر مع الملائکه یصلّون علی کلّ قائم و قاعد یذکر اللّه لانه یحمل علی انه آخر نزوله بالوحی.

ثمّ اعترض علی السیوطی بان حدیث یوحی اللّه إلی عیسی علیه السّلام أی بعد قتله الدجال صریح فی أنّه یوحی إلیه بعد النزول و الظّاهر أنّ الجائی بالوحی هو جبرئیل علیه السّلام لانه السفیر بین اللّه و رسله انتهی.

أقول: معلوم عند العقلاء بانّ الوحی بعد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لا یکون وحی نبوّه قطعا و القطع بأن الجائی بالوحی إلی عیسی علیه السّلام هو جبرئیل غیر معلوم.

و فی الکافی لثقه الاسلام الکلینیّ (قده) عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال ان فاطمه علیها السّلام مکثت بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خمسه و سبعین یوما و کان دخلها حزن شدید علی أبیها و کان یأتیها جبرئیل علیه السّلام فیحسن عزاءها علی أبیها و یطیب نفسها و یخبرها عن أبیها و مکانه و یخبرها بما یکون بعدها فی ذرّیتها و کان علیّ علیه السّلام یکتب ذلک فهذا مصحف فاطمه علیها السّلام.

و کذا فی الکافی باب مشتمل علی الاخبار الحاکیه علی أنّ الملائکه تدخل بیوتهم و تطأ بسطهم و تأتیهم بالاخبار و هم علیهم السّلام مختلف الملائکه «ص ۱۴۶ م ۲ من الوافی».

ثمّ انّ الانباء و اخبار السّماء و ان کانا متقاربی المعنی لکنّه لا یبعد ان یقال: ان المراد من أخبار السماء هو الوحی الذی اوحی إلیه صلّی اللّه علیه و آله من اللّه تعالی و المراد من الانباء ما أخبر هو صلّی اللّه علیه و آله النّاس و أنبأهم به.

قوله علیه السّلام (خصصت حتّی صرت مسلیا عمّن سواک) أی خصصت فی مصیبه من حیث انّها مصیبه خاصّه عظیمه و داهیه دهیاء لا یصاب النّاس بمثلها فلذلک صارت مسلیه عن غیرها من المصائب و کل مصیبه دونها و إن کانت کبیره لصغیره بل لا یعبأ بها و کیف لا و هو خاتم النبیّین و اشرف المخلوقین و کان نبیّ الرّحمه و قال اللّه تعالی «لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ »

«بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ » فایّ مصیبه أعظم من تلک المصیبه للعالمین.

فأشار علیه السّلام بانه لیس لنا مصیبه غیرها لانها مسلیه عن غیرها کما قال علیه السّلام فی الخطبه المأتین عند دفن فاطمه علیها السّلام کالمناجی به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند قبره:

الا ان فی التأسی لی بعظیم فرقتک و فادح مصیبتک موضع تعزّ.

فی الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام قال ابن اصبت بمصیبه فی نفسک أو فی مالک أو فی ولدک فاذکر مصابک برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فان الخلائق لم یصابوا بمثله قطّ.

و فیه أیضا سلیمان عمرو النخعی عنه علیه السّلام قال من اصیب بمصیبه فلیذکر مصابه بالنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فانها أعظم المصائب.

و فیه أیضا عبد اللّه بن الولید الجعفی عن رجل عن أبیه قال: لما اصیب أمیر المؤمنین علیه السّلام نعی الحسن إلی الحسین علیهما السّلام و هو بالمدائن فلما قرأ الکتاب قال یا لها من مصیبه ما أعظمها مع أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال من أصیب منکم بمصیبه فلیذکر مصابه بی فانه لم یصاب بمصیبه أعظم منها و صدق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و فی الوسائل الحسین بن علوان عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من اصیب بمصیبه فلیذکر مصیبته فیّ فانه اعظم المصائب.

و روی الشیخ زین الدین فی کتاب مسکّن الفؤاد عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذا أصاب أحدکم بمصیبه فلیذکر مصیبته بی فانها ستهون علیه.

و عنه صلّی اللّه علیه و آله انه قال من عظمت عنده مصیبه فلیذکر مصیبته بی فانّها ستهون علیه.

و عنه صلّی اللّه علیه و آله انّه قال فی مرض موته أیّها النّاس ایّما عبد من امّتی اصیب بمصیبه من بعدی فلیتعزّ بمصیبته بی عن المصیبه التی تصیبه بعدی فان أحدا من امّتی لن یصاب بمصیبه بعدی اشد علیه من مصیبتی و غیر ذلک من الأخبار المرویه فی الباب من کتب علمائنا الاقدمین رضوان اللّه علیهم أجمعین.

و فسر الشّارح المعتزلی کلامه علیه السّلام بوجه آخر حیث قال: قوله علیه السّلام خصصت، أی خصت مصیبتک أهل بیتک حتّی أنهم لا یکترثون بما یصیبهم بعدک من

المصائب و لا بما أصابهم من قبل انتهى.

و مختارنا ان تلك المصيبه لها خصوصيّه و مرتبه بحيث صارت مسليه عن غيرها من المصائب الوارده على المسلمين سواء كان من أهل بيته صلّى اللّه عليه و آله أولا و لا يخفى رجحانه ان لم نقل بتعيينه و عدم صحه غيره، و الأخبار المذكوره آنفا أصدق شاهد فى ذلك و العلامه المجلسى (ره) فى البحار و ابن ميثم و غيره فى شرح النهج اختار و اما اخترناه.

قوله عليه السّلام (و عممت حتّى صار النّاس فيك سواء) أى عممت النّاس بمصيبتك يعنى أن مصيبتك شملت جميع المسلمين بحيث لا يكون أحد فارغا عنها.

قوله عليه السّلام(و لو لا أنك امرت اه)أى لو لا امرك بالصبر فى قبال المصائب و حدثان الدهر و نهيك عن الجزع فى إزاء نوائب الايام لبكينا حتّى لا يبقى من الدّموع فى مجاريها و منابعها شيء، و هذا كنايه عن كثره البكاء، و لكان الألم و الحزن فى مصيبتك و فراقك ملازما غير مفارق، على ان انفاد الدمع و مماطله الداء و ملازمه الحزن قلا لك بل ينبغى أن يكون البكاء و الحزن فى مصيبتك أشد و أكثر من ذلك.

ثمّ إنّه عليه السّلام أشار من قوله هذا: و لو لا انك آه، الى العذر فى ترك البكاء و الحزن بأن أمره صلّى اللّه عليه و آله بالصبر و نهيه عن الجزع ألزمنى على ذلك و منعنى على البكاء و الألم الامر و النّهى فى كلامه عليه السّلام ليسا محمولين على الوجوب و الحرمه لان النوح فى المصيبه إذا لم يكن بالباطل و لم يكن ما يسخط الربّ تعالى ليس بمحرم بل يستحب البكاء لموت المؤمن لا سيما لموت المؤمن الفقيه.

و فى الفقيه انّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله حين جاءته وفاه جعفر بن أبى طالب و زيد بن حارثه كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جدا و يقول كانا يحدثانى و يؤنسانى فذهبا جميعا.

و فيه أيضا لما انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من وقعه احد إلى المدينه سمع من كلّ دار قتل من أهلها قتيل نوحا و بكاء و لم يسمع من دار حمزه عمّه فقال صلّى اللّه عليه و آله لكن حمزه لابواكى عليه فالى أهل المدينه ان لا ينوحوا على ميت و لا يبكوه حتّى يبدأوا بحمزه فينوحوا عليه و يبكوه فهم إلى اليوم على ذلك.

و فی الکافی لما مات إبراهیم ابن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله حزنا علیک یا إبراهیم و انا لصابرون یحزن القلب و تدمع العین و لا نقول ما یسخط الربّ و غیرها من الأخبار فی کتبنا القیّمه الدالّه علی بکاء فاطمه علی أبیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بکاء علیّ علیه السّلام علیهما و بکاء سیّد السّاجدین علی سیّد الشهداء علیهما السّلام.

بل یستفاد من جمله تلک الأخبار جواز شق الثوب علی الأب و الأخ و القرابه کما روی أنّه لما قبض علیّ بن محمّد العسکری علیهما السّلام رؤی الحسن بن علیّ علیهما السّلام و قد خرج من الدار و قد شق قمیصه من خلف و قدام.

نعم مضمون بعض تلک الأخبار النّهی عن الصراخ بالویل و العویل و لطم الوجه و الصّدر و جزّ الشعر من النواصی و ثبوت الکفّاره فی بعض الصور.

ثمّ انّ الروایات کثیره فی التعزی و التسلّی و استحباب احتساب البلاء و الصبر فی المصائب و ترک الجزع مما لا یعدّ و لا یحصی علی أنّ اللّه جلّ جلاله قال: «وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ ».

و فی الفقیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أربع من کن فیه کان فی نور اللّه عزّ و جلّ الاعظم: من کان عصمه أمره شهاده ان لا إله إلاّ اللّه و انی رسول اللّه، و من إذا أصابته مصیبه قال «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ »، و من إذا أصاب خیرا قال الحمد للّه ربّ العالمین و من إذا أصاب خطیئه قال أستغفر اللّه و أتوب إلیه.

و فی الکافی قال فضیل بن میسر کنا عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فجاءه رجل فشکی إلیه مصیبه اصیب بها فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام امّا انّک ان تصبر توجر و ان لم تصبر مضی علیک قدر اللّه الذی قدر علیک و أنت مأزور، و غیرهما من الأخبار الوارده فی المقام.

و لا یخفی انّ الصبر فی المصائب حسن جمیل جدا لأنّ الغمّ و الحزن و الاضطراب تورث أمراضا کثیره من خلل فی الدّماع و الصداع و السهر و الفالج و اللقوه و الرعشه و الهزال فی الجسم و کلال فی البصر و بالخلل فی الدّماغ تحدث الافه فی الأفعال الدماغیّه من الفکر و التخیل و التذکر و الحرکات الارادیه و غیرها

لأنّ مقدم البطن المقدم من الدّماغ موضع الحس المشترك و هو المدرك للصور الجزئيه المحسوسه بادراك الحواس الظاهره، و مؤخّر البطن المقدم لخزانه الحسّ المشترك المسماه بالخيال، و فى الخيال تحفظ الصور المرتسمه إذا غابت عن الحواس الظاهره، و البطن الاوسط من الدماغ موضع الوهم و هو القوه المدركه للمعانى الجزئيّه القائمه بتلك الصور و خزانتها الحافظه و هى قوه تحفظ ما يدركه الوهم من المعانى الجزئيه و موضعها البطن المؤخر من الدماغ. و من المدركات المتصرفه و هى قوّه تاره تركب بعض الصور مع بعض كتخيل إنسان ذى جناحين أو بعض المعانى مع بعض كتخيل هذه الصّداقه مع هذه العداوه أو بعض المعانى مع بعض الصور كتخيل صداقه جزئيه لزيد و تاره تفصل بعض الصور عن بعض كتخيل انسان بلا رأس و هكذا و هذه القوّه موضعها الدماغ كلها لعموم تصرفها ان سلطنتها فى الوسط على ما برهن و بين مفصلا و مشروحا فى محله و كذلك الأفعال الصادره عن القوى كلّها تكون بالاعصاب و هى تتصل بالدماغ و متى صار مئوفا تحدث الافه فى أفعالها.

و فى ماده «جذم» من سفينه البحار أنّ كثره الهموم تولّد المواد السوداويه المولده للجذام.

و فى شرح النفيس: الغم كيفيّه نفسانيّه تتبعها حركه الرّوح و الحراره الغريزيّه إلى داخل البدن خوفا من الموذى الواقع و هى لتكاثف الرّوح بالبرد الحادث عند انتفاء الحراره الغريزيّه لشدّه الانقباض و الاختناق يتبعها ضعف القوى الطبيعيّه و يلزمه قله توليد بدل ما يتحلل من الدّم و الرّوح البخارى و كثره التحلل منهما لعجز القوّه عن حفظهما عن التحلل فيحدث الجفاف فيتبعها الهزال و الصداع و أمراض اخر و كذا السهر فانه يجفف لكثره تحلل الرطوبات بالحراره الحادثه عن حركه الأرواح إلى جهه الظاهر و عن حركه الحواس فى ادراكاتها عن الحركات الاراديه لكن تأثيرها فى الدماغ يكون أكثر و اقوى لانه مبدء الحواس و الحركات فيتولد منها علل رديه.

و بالجمله الأمراض التابعه للحزن و الغم أكثر أن تحصى فبالحرىّ ان

ص:۷۷

يصبر الانسان فى نوائب الـدهر و لا يلقى بيده إلى التهلكه مع أن الجزع لا فائده فيه يكون مورثا لتلك الأمراض المزمنه و لذلك كله امر فى الشرع بالصبر و نهى عن الجزع.

قوله عليه السّلام (و لكنه ما لا يملك ردّه و لا يستطاع دفعه) استدرک عليه السّلام تسليه لنفسه و لغيره بقوله و لكن الموت الذى لاجله البكاء و الحزن مما لا يملك و لا يقدر ردّه و لا يطاق دفعه فلا فائده فى الجزع و البكاء و الحزن فصبر جميل و الاحتساب حسن و ما أحسن السعدى بقوله:

خبر دارى اى استخوان قفس كه جان تو مرغى است نامش نفس

چون مرغ از قفس رفت و بگسست قيد دگر ره نگردد بدام تو صيد

و يمكن أن يعود الضـمير فى لكنه ورده و دفعه إلى الأمر الذى هو البكاء و الحزن و يكون تمهيدا للعذر على البكاء و الحزن مع انّه صـلّى اللّه عليه و آله أمر بـالصبر و نهى عن الجزع فقـال عليه السّـلام ان البكاء و الحزن بهـذا المقـدار الـذى صـدر منا مما لا نملـك على رده و لسنا بقـادر على دفعه كمـا قـال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لما مات ابنه إبراهيم و هملت عينه بالـدموع: يحزن القلب و تدمع العين و لا نقول ما يسخط الرّب.

قوله عليه السّـلام (بأبى أنت و امى اذكرنا عنـد ربک و اجعلنا من بالک) أعاد التفـديه إعزازا و تعظيما له صـلّى اللّه عليه و آله و إبرازا لمـا فى الضـمير كره بعـد كره توكيـدا من أنّه صـلّى اللّه عليه و آله احب النّاس إليه بحيث يجعـل أبـويه فـداءه ثمّ سـأله و التمس منه أن يذكره عند ربه و ان يجعله من باله، يعنى أن يكون فى قلبه صلّى اللّه عليه و آله بمنزله و مكانه بحيث يهتمّ به و لا ينساه عند ربه.

و يؤيـد مـا فى الروايه المنقوله فى البحـار: و اجعلنـا من همـک، مكان من بالك و فى اخرى من بالك و همک بجمع كليهما و سنذكرهما باسـرهما، و غايه مأموله عليه السّـلام ان يذكر بلسان خاتم الأنبياء صـلّى اللّه عليه و آله عند اللّه تبارك و تعالى و من رزق نور المعرفه يدرک علوّ شأنه و جلاله قدره من امله هذا نعم إن العبد يلتذ أن يذكر عند اللّه و لا يرجو سواه و الحبيب يحب أن يذكر اسمه عند الحبيب و يذكر الحبيب عنده و يلهج لسانه بذكره و يقول يا رب أذقنى حلاوه ذكرک.

وفاه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و الاقوال فى يوم وفاته و مبلغ سنه حينئذ

و من يلى غسله و تجهيزه

قال الطبرسى فى المجمع و الزمخشرى فى الكشاف قال مقاتل لما نزلت سوره الفتح قرأها صلّى اللّه عليه و آله على أصحابه ففرحوا و استبشروا و سمعها العبّاس فبكى فقال صلّى اللّه عليه و آله ما يبكيك يا عمّ؟ فقال: اظن انه قد نعيت إليك نفسك يا رسول اللّه فقال انه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤى فيهما ضاحكا مستبشرا قال: و هذه السّوره تسمى سوره التوديع.

و فى المجمع قال ابن عبّاس لما نزلت إذا جاء نصر اللّه و الفتح قال: نعيت إلى نفسى بانها مقبوضه فى هذه السنه اختلف فى انهم من أى وجه علموا ذلك و ليس فى ظاهره نعى فقيل لانّ التقدير فسبح بحمد ربك فانّك حينئذ لاحق باللّه و ذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرّسل و عند الكمال يرقب الزوال كما قيل:

إذا تمّ أمر بدا نقصه توقّع زوالا إذا قيل تمّ

و قيل لأنّه سبحانه أمره بتجديد التوحيد و استدراك الفائت بالاستغفار و ذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الأبرار، و عن عبد اللّه بن مسعود قال لما نزلت السوره كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يقول كثيرا سبحانك اللّهمّ و بحمدك اللّهمّ اغفر لى إنّك أنت التّواب الرّحيم، و عن امّ سلمه قالت كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالأخره لا يقوم و لا يقعد و لا يجىء و لا يذهب الا قال: سبحان اللّه و بحمده استغفر اللّه و اتوب إليه فسألناه عن ذلك فقال صلّى اللّه عليه و آله انّى امرت بها ثمّ قرأ: إذا جاء نصر اللّه و الفتح، و فى روايه عائشه انه كان يقول سبحانك اللّهمّ و بحمدك استغفرت و اتوب إليك.

و فى الكشاف فى هذه السوره: و عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله انه دعا فاطمه عليها السّلام فقال يا بنتاه انه نعيت إلىّ نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك اول أهلى لحوقابى.

و قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه بإسناده عن أبى مويهبه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: بعثنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من جوف الليل فقال لى: يا أبا مويهبه انى قد امرت ان استغفر لأهل البقيع فانطلق معى، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال:

السّلام عليكم أهل المقابر ليّهن لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح النّاس فيه اقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم يتبع آخرها أوّلها الاخره شرّ من الاولى ثمّ أقبل عليّ فقال يا أبا مويهبه انى قد اوتيت مفاتيح خزائن الدّنيا و الخلد فيها ثمّ الجنّه خيّرت بين ذلك و بين لقاء ربّى و الجنّه فاخترت لقاء ربّى و الجنّه قال: قلت بأبى أنت و امّى فخذ مفاتيح خزائن الدّنيا و الخلد فيها ثمّ الجنّه فقال: لا و اللّه يا أبا مويهبه لقد اخترت لقاء ربّى و الجنّه ثمّ استغفر لأهل البقيع ثمّ انصرف فبدئ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بوجعه الّذى قبض فيه.

و فيه عن عائشه زوج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قالت رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من البقيع فوجدنى و أنا اجد صداعا فى رأسى و أنا أقول: وا رأساه، قال بل أنا و اللّه يا عائشه وا رأساه ثمّ قال ما ضرّك لومتّ قبلى فقمت عليك و كفّنتك و صلّيت عليك و دفنتك فقلت: و اللّه لكأنّى بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فاعرست ببعض نسائك قالت:

فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تنام به وجعه و هو يدور على نسائه حتّى استعزّ به و هو فى بيت ميمونه فدعا نساءه فاستأذنهن ان يمرّض فى بيتى فإذنّ له فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العبّاس و رجل آخر تخطّ قدماه الأرض عاصبا رأسه حتّى دخل بيتى.

ثمّ قال الطبرى بعد نقل هذا الخبر عن عائشه: قال عبيد اللّه فحدثت هذا الحديث عنها عبد اللّه بن عبّاس فقال: هل تدرى من الرّجل - يعنى به الرّجل الاخر الذى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بينهما فى حديث عائشه - قلت لا قال علىّ بن أبى طالب و لكنّها - أى عايشه - كانت لا تقدر على أن تذكره - أى عليّا عليه السّلام - بخير و هى تستطيع، انتهى.

و قال أبو جعفر الطبرى بإسناده إلى الفضل بن عبّاس قال: جاءنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه فقال خذ بيدى يا فضل فأخذت بيده حتّى جلس على المنبر ثمّ قال: ناد فى النّاس، فاجتمعوا إليه فقال:

أمّا بعـد أيّها النّاس فانى أحمد إليكم اللّه الذى لا إله إلاّ هو و انّه قد دنى منى خفوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه و أنّ الشحناء ليست من طبعى و لا من شأنى، ألا و انّ احبكم إلىّ من أخـذ منّى حقّـا ان كـان له أو حلّلنى فلقيت اللّه و أنا اطيب النّفس و قـد أرى ان هـذا غير مغن عنّى حتّى أقوم فيكم مرارا.

قال الفضل ثمّ نزل فصلّى الظهر ثمّ رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الاولى فى الشحناء و غيرها فقام رجل فقال يا رسول اللّه انّ لى عندك ثلاثه دراهم قال أعطه يا فضل فامرته فجلس.

ثمّ قال يا أيّها النّاس من كان عنـده شـىء فليؤده و لا يقل فضوح الـدّنيا الا و انّ فضوح الـدّنيا أيسـر من فضوح الاخره فقام رجل فقال يا رسول اللّه عندى ثلاثه دراهم غللتها فى سبيل اللّه قال: و لم غللتها قال: كنت إليها محتاجا قال: خذها منه يا فضل.

ثمّ قـال يـا أيهـا النّاس من خشـى من نفسه شـيئا فليقم أدع له فقام رجل فقال: يا رسول اللّه انى لكـذاب انى لفاحش و انّى لنؤوم فقـال اللهمّ ارزقه صـدقا و إيمانـا و اذهب عنه النوم إذا أراد، ثمّ قام رجل فقال و اللّه يا رسول اللّه إنّى لكـذّاب و انّى لمنافق و ما شىء او ان شـىء الاـ قـد جنيته، فقـام عمر بن الخطّاب فقـال فضـحت نفسك أيّها الرجل فقال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله يا ابن الخطاب فضوح الدّنيا أهون من فضوح الاخره اللّهم ارزقه صدقا و إيمانا الحديث.

و قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه أيضا بإسـناده إلى عبد اللّه بن مسـعود انّه قال: نعى إلينا نبيّنا و حبيبنا نفسه قبل موته بشهر فلمّا دنى الفراق جمعنا فى بيت امّنا عائشه فنظر إلينا و شدّد فدمعت عينه و قال مرحبا بكم رحمكم اللّه بكم رحمكم اللّه، آواكم اللّه، حفظكـم اللّـه، رفعكـم اللّه، نفعكم اللّه، وفّقكم اللّه، نصـركم اللّه، سـلّمكم اللّه، رحمكم اللّه، قبلكم اللّه، اوصـيكم بتقـوى اللّه و اوصى اللّه بكم و أستخلفه عليكم و اؤدّيكم إليه انّى لكم نذير و بشير لا تعلوا على اللّه فى عباده

ص:٨١

و بلاده فانه قال لی و لکم «تلک الدّار الاخره نجعلها للّذین لا یریدون علوّا فی الأرض و لا فسادا و العاقبه للمتّقین». و قال «أ لیس فی جهنّم مثوی للمتکبّرین».

فقلنا متی اجلک قال قد دنا الفراق و المنقلب إلی اللّه و إلی سدره المنتهی قلنا فمن یغسّلک یا نبیّ اللّه؟ قال: أهلی الأدنی فالأدنی، قلنا ففیم نکفّنک یا نبیّ اللّه؟ قال فی ثیابی هذه إن شئتم أو فی بیاض مصر أو حلّه یمانیه، قلنا فمن یصلّی علیک یا نبیّ اللّه؟ قال مهلا غفر اللّه لکم و جزاکم عن نبیّکم خیرا فبکینا و بکی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال إذا غسلتمونی و کفنتمونی فضعونی علی سریری فی بیتی هذا علی شفیر قبری ثمّ اخرجوا عنی ساعه فانّ أول من یصلّی علیّ جلیسی و خلیلی جبرئیل ثمّ میکائیل ثمّ سرافیل ثمّ ملک الموت مع جنود کثیره من الملائکه بأجمعها ثمّ ادخلوا علیّ فوجا فوجا فصلّوا علیّ و سلّموا تسلیما و لا تؤذونی بتزکیه و لا برنّه و لا صیحه و لیبدأ بالصلاه علیّ رجال أهل بیتی ثمّ نساؤهم ثمّ أنتم بعد اقرؤا انفسکم منّی السّلام فانّی اشهدکم انّی قد سلمت علی من بایعنی علی دینی من الیوم إلی یوم القیامه، قلنا فمن یدخلک فی قبرک یا نبیّ اللّه؟ قال: أهلی مع ملائکه کثیرین یرونکم حیث لا ترونهم.

أقول: نقل المجلسی فی البحار من کتاب إسحاق الثعلبی خبرا قریبا مما نقله الطبری إلّا أنّ فیه کان أبو بکر سائلا النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله عمن یغسله و یکفنه و غیر ذلک.

قال الشّارح المعتزلی بعد نقل هذا الخبر من الطبری: قلت: العجب لهم کیف لم یقولوا له فی تلک الساعه فمن یلی امورنا بعدک لأنّ ولایه الامر أهمّ من السؤال عن الدفن و عن کیفیّه الصّلاه علیه و ما أعلم ما أقول فی هذا المقام، انتهی.

أقول: و انی أعلم ما أقول بحق فی هذا المقام عائذا من اللّه تعالی عن الوساوس النفسانیّه و التسویلات الشیطانیّه و تنزها عن التعصّب الذی هو دیدن العوام و دأب من یکون فی طریق الحقّ ألدّ الخصام، و السّلام علی من اتبع الهدی و نهی

النفس عن الهوى.

فنقول أوّلا من أين ثبت انهم لم يقولوا ذلک و لم يسقطه الاخرون.

و ثانيا کان فى الخبر انّهم سألوا عمن يغسّله و يصلّيه و کانهم سألوا عمن يليق بهذا الأمر العظيم فأجاب صلّى اللّه عليه و آله أهلى الأدنى فالأدنى و قال صلّى اللّه عليه و آله رجال أهل بيتى فأين لم يصرح بعلىّ عليه السّلام فابدلوه بالأهل و بالرّجل من أهل البيت کما دريت فى الخبر المروى آنفا عن عائشه انها لم تذکر عليّا و لا تقدر أن تذکره بخير و هى تستطيع.

فان أبيت عن قولنا هذا و قلت انه اشبه بالخطابى و لم يکن برهانيّا فنقول:

لا شبهه ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين امورا ممّا هو ليس بأهمّ من أمر الولايه جدّا مثل آداب الأکل و المشى و الجلوس و الدخول فى الحمّام و المبرز و ادب النّوره و الحلق و لبس الثياب و قص الاظفار و آداب المعاشره و فوائد بعض الفواکه و الأغذيه و غيرها مما هى أکثر من أن تحصى و مذکوره فى کتب الفريقين و من هذه حاله و سيرته و يبين هذه الامور التى بيّن شأنها و منزلتها کيف يهمل امّته بلا ولىّ معصوم منصوب من قبل اللّه تعالى؟ و نعم ما قاله العلامه الحلى قدّس سرّه فى کشف المراد: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله کان أشفق على النّاس من الوالد على ولده حتّى انّه عليه و آله السّلام أرشدهم إلى أشياء لا نسبه لها إلى الخليفه بعده کما أرشدهم فى قضاء الحاجه إلى امور کثيره مندوبه و غيرها من الوقائع و کان صلّى اللّه عليه و آله إذا سافر عن المدينه يوما أو يومين استخلف فيها من يقوم بأمر المسلمين، و من هذه حاله کيف ينسب إليه اهمال امّته و عدم إرشادهم فى أجلّ الأشياء و أسناها و أعظمها قدرا و أکثرها فائده و أشد حاجه إليها و هو المتولى لامورهم بعده، فوجب من سيرته صلّى اللّه عليه و آله نصب إمام بعده و النّص عليه و تعريفهم إياه و هذا برهان لمىّ، انتهى.

و بالجمله من لم يکن عينه أحول و لم يعدل عن الحق و لم يضل يرى أن نصب الامام واجب على اللّه تعالى باللّطف و لم يترک اللّه عباده سدى، و أنّ اللّه ليس

بظلام للعبيد.

ثمّ نقول للشارح المعتزلیّ: إن الأخبار المتواتره من الفريقين فی حقّ علیّ عليه السّلام من أحاديث غدير خم و استخلافه صلّی اللّه عليه و آله عليّا عليه السّلام فی المدينه، و حديث المنزله المتواتر عند الفريقين، و ما قاله صلّی اللّه عليه و آله فی حقه لما نزل و أنذر عشيرتک الأقربين سلموا عليه بامره المؤمنين و أنت الخليفه بعدی و قوله صلّی اللّه عليه و آله فی حقّه أنت أخی و وصيی و خليفتی من بعدی و قاضی دينی - بكسر الدال - و غيرها ممّا هی متواتره معنی و نص فی امامته و ولايته علی النّاس و خلافته بلا فصل عن خاتم الأنبياء صلّی اللّه عليه و آله و المطاعن المقبوله المسلمه المتواتره عند الفريقين فی أبی بکر و عمر و عثمان و مثالبهم و تسليم جميع المسلمين أفضليته عليه السّلام من كلّ جهه من العلم و التقوی و الشجاعه و غيرها من الفضائل بعد النّبیّ صلّی اللّه عليه و آله علی كافه الانام حتّی انّه لم يكن بينه و بين النّبیّ فرق إلاّ رتبه النّبوّه كما شهد بها المؤالف و المخالف، لم تبق لهؤلاء شكّا و ريبا فی الامامه حتّی يسألوا النّبیّ صلّی اللّه عليه و آله عمّن يلی امورهم بعده.

علی أنّ النّبیّ صلّی اللّه عليه و آله مع ذلک كلّه أراد أن يكتب و يصرح بذلک أيضا حين وفاته و منع عمر عن ذلک كما هو متواتر بالمعنی.

الكلام فی ان عمر آذی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و المسلمين

بقوله انه صلّی اللّه عليه و آله يهجر

قال أبو جعفر الطبری فی تاريخه باسناده إلی سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال يوم الخميس و ما يوم الخميس قال: ثمّ نظرت إلی دموعه تسيل علی خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله ايتونی باللوح و الدواه أو بالكتف و الدّواه اكتب لكم كتابا لا تضلّون بعده قال: فقالوا إنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله يهجر.

و فيه أيضا عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: يوم الخميس و ما يوم الخميس قال اشتد برسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله وجعه فقال ايتونی اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدی ابدا فتنازعوا و لا ينبغی عند نبی أن يتنازع فقالوا ما شأنه أهجر أهجر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعونی فما أنا فيه خير ممّا تدعوننی إليه و أوصی

بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيره العرب و اجيزوا الوفد بنحو ممّا كنت اجيزهم و سكت عن الثالثه عمدا أو قال فنسيتها.

أقول: القائل بهجر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عمر لا غير و حرفوا هذين الحديثين و هما حديث واحد فى الحقيقه عن أصلهما و عدلوا عن لفظ المفرد إلى الجمع لبعض شأنهم و نقل هذا الحديث نقلتهم فى كتبهم المعتبره عندهم و صرّحوا بأن ذلك القائل كان عمر، و من تفحص كتب الأخبار و ما ذكره نقله الاثار منّا و منهم درى أن خبر طلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الدواه و الكتف و منع عمر ذلك و ان كان ألفاظه مختلفه متواتر بالمعنى.

قال الشهرستانى فى المقدمه الرّابعه من الملل و النحل: أوّل تنازع وقع فى مرضه صلّى اللّه عليه و آله فيما رواه محمّد بن إسماعيل البخارى بإسناده عن عبد اللّه بن عباس قال لما اشتد بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله مرضه الّذى مات فيه قال ايتونى بدواه و قرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى فقال عمر انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب اللّه و كثر اللفظ «اللغط ظ» فقال صلّى اللّه عليه و آله قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع قال ابن عبّاس الرزيه كلّ الرزيه ما حال بيننا و بين كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، انتهى.

فى البحار: البخارى و مسلم فى خبر أنّه قال عمر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب اللّه، فاختلف أهل ذلك البيت و اختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول اللّه كتابا لن تضلوا بعده و منهم من يقول القول ما قال العمر فلما كثر اللغط و الاختلاف عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال قوموا فكان ابن عباس يقول ان الرزيه كلّ الرزيه ما حال بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بين أن يكتبهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم.

و فى صحيح البخارى: و إذا اشتدت مرض النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال ائتونى بقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى فقال الرجل أى عمر بن الخطاب تهجر يكفينا و فى الملل و النحل كتاب اللّه عندنا قال احدهم ائتوا حتّى جال التنازع و لا

ينبغى عند النبىّ التنازع فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله قوموا عنى.

أقول: للّه در ابن عباس نعم ما فهم و تفطن حدوث الرزيه كلّ الرزيه من منع الرجلّ عن اتيان الدواه و الكتف و لو لا منعه و هجره لما قام التشاجر و التنازع بين الناس بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ما كان لهم فى ذلك سبيل و لصانت المله البيضاء المحمّديّه عن هذا التفرق و التشتت و الشقاق و الاختلاف فى المذاهب و استنبط ابن عبّاس قوله هذا الرزيه كلّ الرزيه من كلامه صلّى اللّه عليه و آله لن تضلوا بعدى.

الكلام فى لدود رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ما فيه

ثمّ انّ أبا جعفر الطبرى و غيره اتوا باخبار انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لدّ فى مرضه الّذى توفى لا يخلو بعضها عن دغدغه و اضطراب و بعضها عن فائده فى ما ذهب إليه المتكلمون فى أنبياء اللّه و حججه و لا بأس بذكرها و ذكر بعض التنبيهات و الاشارات فيها.

قال: بإسناده عن عبد اللّه بن عتبه عن عائشه قالت لددنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرضه فقال لا تلدّونى فقلنا كراهيه المريض الدواء فلما افاق قال لا يبقى منكم أحد الالدّ غير العبّاس فانه لم يشهدكم.

و عن عبيد اللّه بن عبد اللّه عنها أيضا قالت ثمّ نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله - تعنى من المنبر - فدخل بيته و تتامّ به وجعه حتى غمر و اجتمع عنده نساء من نسائه امّ سلمه و ميمونه و نساء من نساء المؤمنين منهن اسماء بنت عميس و عنده عمّه العبّاس ابن عبد المطلب و اجمعوا على ان يلدّوه فقال العبّاس لألدنه قال فلدّ فلما افاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال من صنع بى هذا قالوا يا رسول اللّه عمك العبّاس قال هذا دواء اتى به نساء من نحو هذه الأرض و اشار نحو أرض الحبشه قال: و لم فعلتم ذلك فقال العبّاس خشينا يا رسول اللّه ان يكون بك وجع ذات الجنب فقال صلّى اللّه عليه و آله انّ ذلك لداء ما كان اللّه ليعذبنى به لا يبقى فى البيت أحد الالدّ إلّا عمّى قال فلقد لدت ميمونه و انها لصائمه لقسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عقوبه لهم بما صنعوا، و كذا

فی السیره الهشامیّه.

و قال أبو جعفر الطبری باسناده عن عروه ان عائشه حدثته انّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین قالوا خشینا أن یکون بک ذات الجنب قال انّها من الشیطان و لم یکن اللّه لیسلّطها علیّ.

و فیه ایضا بإسناده عن الصّقعب بن زهیر عن فقهاء أهل الحجاز ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثقل فی وجعه الّذی توفّی فیه حتّی اغمی علیه فاجتمع إلیه نساؤه و ابنته و أهل بیته و العبّاس بن عبد المطلب و علیّ بن أبی طالب و جمیعهم و انّ أسماء بنت عمیس قالت: ما وجعه هذا الا ذات الجنب فلدّوه فلددناه فلمّا افاق قال من فعل بی هذا قالوا لدّتک اسماء بنت عمیس ظنّت انّ بک ذات الجنب قال اعوذ باللّه ان یبلینی بذات الجنب انا أکرم علی اللّه من ذلک.

و فی السیره الحلبیه و فی روایه انه لما اشتد علیه صلّی اللّه علیه و آله المرض دخل علیه عمّه العبّاس و قد اغمی علیه فقال لأزواج النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لو لددتنه قلن إنا نجتری «إنا لا نجتریء، او أنّی نجتریء ظ» علی ذلک فاخذ العبّاس یلدده فافاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: من لدنی فقد اقسمت لیلدن إلّا أن یکون العبّاس فانکم لددتمونی فانا صائم.

فهذه شرذمه من الأخبار الوارده فی اللدود نقلها الطبری و غیره و کانت العرب تداوی باللدود من به ذات الجنب، قال ابن أثیر فی النهایه: و فیه «یعنی فی الحدیث» خیر ما تداویتم به اللدود و هو بالفتح من الادویه ما یسقاه المریض فی أحد شقی الفم و لدید الفم جانباه و منه الحدیث انه لدّ فی مرضه فلما افاق قال: لا یبقی فی البیت أحد إلّا لدّ فعل ذلک عقوبه لهم لانهم لدّوه بغیر اذنه انتهی.

و فی السیره الحلبیّه: و جاء انهم لددوه صلّی اللّه علیه و آله فی هذا المرض أی سقوه لدودا من أحد جانبی فمه و جعل صلّی اللّه علیه و آله یشیر إلیهم و هو مغمی علیه ان لا یفعلوا به و هم یظنون ان الحامل له علی ذلک کراهه المریض للدواء فلما افاق الحدیث.

أقول: و أمّا الدغدغه فیها فلانه لا یخفی تناقضها ففی الاولی تصریح بانّ

العبّاس عمّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يشهدهم، و فى الثانيه انه كان شاهدا و هو لدّ النّبىّ ظاهرا و مع ذلك فى ذيل الحديث انّه صلّى اللّه عليه و آله قال: لا يبقى فى البيت أحد الا لدّ إلّا عمّى، و فى الثالثه ان اسماء بنت عميس لدّته، و فى الرابعه صريح بان ازواجه صلّى اللّه عليه و آله قلن انا لا نجترىء فاخذ العبّاس يلدده.

و لولا ـ الرّوايه الرّابعه يمكن أن يقال فى رفع التناقض فيها الصواب فى الرّوايه الثانيه ان العبّاس قال لا الدّه اولا الدنّه قال فلدوه فلما أفاق إلخ كما نقله الشارح المعتزلى هكذا «فقال العبّاس لا الدّه فلدّوه فلمّا أفاق آه» فحرّف «لا الده فلدوه، او لا الدّنه فلدّوه» إلى «لألدّنّه فلدّ» كما نقلناها عن الطبرى.

فان قلت فعلى هذا كيف قالوا فى جواب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: عمك العبّاس؟ قلت انّما قالوا ذلك كما فى السيره الحلبيّه تعلّلا و خوفا منه صلّى اللّه عليه و آله و ردهم النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بقوله غير العبّاس فانه لم يشهدكم و ان لا يناسب هذا الجمع ظاهر صدر الحديث و عنده عمه العبّاس و كذا ذيله فقال العبّاس خشينا يا رسول اللّه أن يكون بك وجع ذات الجنب على انّه لا يدلّ على انّ العبّاس لدّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و اللّه أعلم.

و كيف كان قال الشّارح المعتزلى سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد البصرى عن حديث اللدود فقلت ألدّ علىّ بن أبى طالب ذلك اليوم فقال معاذ اللّه لو كان لدّ لذكرت عايشه ذلك فيما تذكره و تنعاه عليه و قال: و قد كانت فاطمه عليها السّلام حاضره فى الدار و ابناها معها افتراها لدّت أيضا ولدّ الحسن و الحسين كلّا هذا أمر لم تكن و انما هو حديث ولّده من ولّده تقرّبا إلى بعض النّاس و الّذى كان ان اسماء بنت عميس اشارت بان تلد و قالت هذا دواء جاءنا من أرض الحبشه جاء به جعفر بن أبى طالب و كان بعلها و ساعدتها على تصويب ذلك و الاشاره به ميمونه بنت الحارث فلد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلمّا أفاق انكره و سأل عنه فذكر له كلام أسماء و موافقه ميمونه لها فامران تلد الامرأتان لا غير فلدّتا و لم يجر غير ذلك.

و أمّا الفائده الكلاميّه فيها فانّه صلّى اللّه عليه و آله لما قيل له انما فعلنا ذلك ظننا ان

بـك يا رسول اللّه ذات الجنب فقال لها انّ ذلک لـداء ما كان اللّه ليعـذبنى به و فى روايه أنا أكرم على اللّه من أن يعـذبنى بها و فى اخرى انها من الشيطان و ما كان اللّه ليسـلّطها علىّ و فى السيره الحلبيه قال بعضهم و هذا يدلّ على انها من سيئ الاسقام التى استعاذ صلّى اللّه عليه و آله منها بقوله اللّهم انى اعوذ بك من الجنون و الجذام و سيئ الاسقام.

أقول: و هذا كلّه يدلّ على ما بيناه فى المختار المأتين و الاثنين و الثّلاثين من ان الانبياء منزهون عن كلّ ما ينفر عنه فيكون منافيا للغرض من البعثه و ذات الجنب داء يوجب نفره النّاس و تبريهم عمن ابتلى به، و ذلـك لأنّ ذات الجنب كمـا قـال علىّ بن أبى الحزم القرشـى المتطبب نفيس بن عوض المتطبب فى شـرحه: الورم فى الغشـاء المسـتبطن للاضـلاع أى أضـلاع الصـدر الملبس عليها من داخل فان الصدر مركب من أربعه عشر ضلعا من كلّ جانب سبعه و بين كلّ اثنين منها عضل به يكون انبساط الصدر و انقباضه و يحيط بهـذه الاضـلاع و العضـلات كما يدور و ينحنى من داخل غشاء واحد فاذا عرض فى هذا الغشاء ورم سـماه قوم ذات الجنب الخالص و الصحيح و سماه بعض شوصه صحيحه.

أو هو أى ذات الجنب الورم فى الحجاب الحاجز أى الفاصل بين آلات الغـذاء و آلات النّفس المسـمّى ديافر غما عنـد الجمهور فمتى عرض هذا الداء ايّا منهما كان يوجب للعليل امورا منها ضـيق النفس لضـغط الورم مجارى النفس و لأن الحجاب من جمله آلات النفس فإذا ورم عجز عن الانبساط التامّ و كذلك الغشاء المستبطن فانّه أيضا يعين على التّنفس.

و منها السـعال لتأذى الريه بالمجاوره و ترشـح ماده المرض إليها فإن كانت غليظه كان مع السـعال نفث و ان كانت رقيقه هيجت السعال من غير نفث.

و قـال الشـيخ الرّئيس فى القانون و ذات الجنب قـد يعرض معه اعراض السـرسام المنكره مثل اختلاط الـذهن و الهـذيان و تواتر النفس و الخفقان و الغشى و غيرها.

و من كـان ذا عقـل سـليم و رويّه غير رديّه و لم ينفث الشـيطان فى روعه يحكم بان صـريح العقل يأبى عن اكتساء الأنبياء بتلك الامور المنفره للطباع و لا يسند

اختلاط الذهن و الهذيان و اشباههما إليهم عليهم السّلام على كل حال.

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه باسناده عن الارقم بن شرحبيل قال سألت ابن عبّاس اوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال لا قلت فكيف كان ذلك قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ابعثوا إلى علىّ عليه السّلام فادعوه فقالت عائشه لو بعثت إلى أبى بكر و قالت حفصه لو بعثت إلى عمر فاجتمعوا عنده جميعا فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انصرفوا فان تك لى حاجه ابعث إليكم فانصرفوا و قيل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الصلاه فقال مروا أبا بكر ان يصلّى بالناس فقالت عائشه ان أبا بكر رجل رقيق فمر عمر فقال مروا عمر فقال عمر ما كنت لأتقدم و أبو بكر شاهد، فتقدّم أبو بكر فوجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خفه فخرج فلما سمع أبو بكر حركته تأخر فجذب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثوبه فأقامه مكانه و قعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقر أمن حيث انتهى أبو بكر.

أقول: ارادت بقولها ان أبا بكر رجل رقيق، انّه لا يطيق أن يقوم مقام النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لرقه قلبه، قال الشارح المعتزلى بعد نقل هذا الخبر:

فان قلت لم قلت فى صدر كلامك هذا انه أراد أن يبعث إلى علىّ ليوصى إليه و لم لا يجوز أن يكون بعث إليه لحاجه؟.

قلت لأن مخرج كلام ابن عبّاس هذا المخرج ألا ترى ان الأرقم بن شرحبيل الرّاوى لهذا الخبر قال سألت ابن عباس هل اوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ فقال لا فقلت فكيف كان فقال: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال فى مرضه ابعثوا لى علىّ فادعوه فسألته المرأه ان يبعث إلى أبيها و سألته الاخرى ان يبعث إلى أبيها فلو لا ان ابن عبّاس فهم من قوله صلّى اللّه عليه و آله: ابعثوا إلى على فادعوه انه يريد الوصيّه إليه لما كان لاخبار الارقم بذلك متصلا بسؤاله عن الوصيه معنى، انتهى.

أقول: لقد انصف الشارح المعتزلى هناك و نقلنا هذه الأخبار و الأقوال منهم حتّى يزداد اللّبيب بصيره من عمل القائل بالهجر و هاتين المرأتين لا سيما الاولى منهما و لقائل ان يقول فاذا صرّح الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سمّى عليّا عليه السّلام بالاسم و قال ابعثوا إلى علىّ فادعوه فلم اعرضت المرأتان عن امره صلّى اللّه عليه و آله فبعثتا إلى أبيهما و ضجر الرسول صلّى اللّه عليه و آله من ذلك و غضب حيث قال انصرفوا فان تكن لى حاجه ابعث إليكم

فانصرفوا و لو كان راضيا بذلك لما أمرهم بالانصراف و يقول أيضا لو كان صلاه أبى بكر عن أمره صلّى اللّه عليه و آله و رضاه لمـا قطع صلّى اللّه عليه و آله صلاته و لم يقرأها من أولها و لم يبن على ما مضى من فعال أبى بكر و لم يبال بها كما جاء فى عده من أخبار اخر انّه صلّى اللّه عليه و آله ابتدأ الصلاه التى كان ابتدأها أبو بكر لا انه قرأ من حيث انتهى أبو بكر.

و انصف الشّارح المعتزلى فى ذلك و قال بعد نقل هذا الخبر:

قلت عندى فى هذه الواقعه كلام و يعترضنى فيها شكوك و اشتباه إذا كان قد اراد صلّى اللّه عليه و آله ان يبعث إلى علىّ ليوصى إليه فنفست عائشه فسألت أن يحضر أبوها و نفست حفصه عليه فسألت أن يحضر أبو هاشم حضرا و لم يطلبا فلا شبهه ان ابنتيهما طلبتاهما هذا هو الظاهر و قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد اجتمعوا كلهم عنده انصرفوا فان تكن لى حاجه بعثت إليكم قول من عنده ضجر و غضب باطن لحضورهما و تهمه للنّساء فى استدعائها فكيف يطابق هذا الفعل و هذا القول ما روى من أن عائشه قالت لما عين عليها فى الصلاه ان أبى رجل رقيق فمر عمر و اين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء و الاستقاله و هذا يوهم صحه ما تقوله الشيعه من ان صلاه أبى بكر كانت عن أمر عائشه.

ثمّ ارضى نفسه بقوله فعلّ الخبر غير صحيح مع أن المتدرب فى كتب الأخبار لا يشك فى أن طلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله عليّا و دعوته اياه و ما فعلت المرأتان لا بيهما و أمر الرسول بانصرافهم و ذهابه إلى المسجد ورده أبى بكر من صلاته مما هو مسلم عند الكل و متواتر و ليس فى ذلك خبر واحد و كتاب متفرد.

فى البحار و غيره من كتب الأخبار و كان علىّ عليه السّلام لا يفارقه صلّى اللّه عليه و آله فى مرضه إلا لضروره فقام فى بعض شئونه فأفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله افاقه فافتقد عليّا فقال و أزواجه حوله ادعوا لى أخى و صاحبى و عاوده الضعف فاصمت فقالت عائشه ادعوا له أبا بكر فدعى و دخل عليه و قعد عند رأسه فلما فتح عينه نظر إليه فاعرض عنه بوجهه فقام أبو بكر فقال لو كان له إلىّ حاجه لافضى بها إلىّ، فلمّا خرج اعاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله القول ثانيه و قال ادعوا لى أخى و صاحبى فقالت حفصه ادعوا له عمر فدعى فلمّا حضر و رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اعرض عنه ثمّ قال ادعوا لى أخى و صاحبى فقالت امّ سلمه

رضى اللّه عنها ادعوا له عليّا عليه السّلام فانّه لا يريد غيره فدعى أمير المؤمنين عليه السّلام فلمّا دنا منه أومأ إليه فأكبّ عليه فناجاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طويلا ثمّ قام فجلس ناحيه حتّى اغفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلمّا اغفى خرج فقال له النّاس ما الّذى أوعز اليک يا أبا الحسن فقال علمنى ألف باب من العلم فتح لى كلّ باب ألف باب و أوصانى بما أنا قائم به إنشاء اللّه تعالى.

فى الكافى فى باب الاشاره و النصّ على علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام: يحيى الحلبى عن بشير الكناسى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرضه الّذى توفّى فيه ادعوا لى خليلى فأرسلنا إلى أبويهما فلمّا نظر إليهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعرض عنهما ثمّ قال: ادعوا لى خليلى فارسل إلى علىّ فلما نظر إليه اكبّ عليه يحدّثه فلمّا خرج لقياه فقالا له ما حدّثک خليلک فقال: حدّثنى ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب.

بيان: أبويهما يعنى ابوى عائشه و حفصه أبا بكر و عمر، اكبّ بمعنى أقبل و فيه عن الحضرمى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: علّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السّلام ألف حرف كلّ حرف يفتح ألف حرف.

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى آخر حديث طويل: فاوصى إليه بالاسم الاكبر و ميراث العلم و آثار علم النّبوّه و أوصى إليه بألف كلمه و ألف باب يفتح كلّ كلمه و كلّ باب ألف كلمه و ألف باب.

بيان: قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى قوله عليه السّلام بألف كلمه و ألف باب يفتح كل كلمه و كلّ باب ألف كلمه و ألف باب: يعنى بقواعد كليّه اصوليّه و قوانين مضبوطه جميله امكنه ان يستنبط منها أحكاما جزئيه و مسائل فرعيّه تفصيليه.

مثال ذلک ما رواه الصفّار رحمه اللّه فى بصائر الدرجات بإسناده عن موسى بن بكر قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام الرّجل يغمى عليه اليوم و اليومين أو ثلاثه أو أكثر من ذلک كم يقضى من صلاته فقال ألا اخبرک بما ينتظم به هذا و اشباهه فقال كلّما غلب اللّه عليه من أمر فاللّه أعذر لعبده و زاد فيه غيره و هذا من الأبواب الّتى يفتح

كلّ باب منها ألف باب.

و فى الكافى عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال كان فى ذؤابه سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صحيفه صغيره فقلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أى شيء كان فى تلك الصحيفه قال:

هى الاحرف الّتى يفتح كلّ حرف ألف حرف قال أبو بصير: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فاخرج منها حرفان حتّى الساعه.

و فيه عن يونس بن رباط قال دخلت أنا و كامل التمار على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال له كامل جعلت فداك حديث رواه فلان فقال اذكره فقال: حدثنى انّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله حدّث عليّا عليه السّلام بألف باب يوم توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلّ باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب فقال لقد كان ذلك قلت جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم و مواليكم فقال يا كامل باب أو بابان فقلت له جعلت فداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلاّ باب أو بابان قال: فقال: و ما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلاّ ألفا غير معطوفه.

بيان، قال الفيض (ره) فى الوافى: من فضلكم، أى من علمكم الفا غير معطوفه يعنى الا حرفا واحدا ناقصا أى أقل من حرف واحد و انما اختار الألف لانه أقلّ الحروف و ابسطها و اخفها مؤنه و عدم عطفها كنايه عن نقصانها فانها تكتب فى رسم الخط الكوفى هكذا «ا» فاذا كان طرفها غير مائل كان ناقصا.

و فى السيره الحلبيه: أعتق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرضه هذا أربعين نفسا و كانت عنده صلّى اللّه عليه و آله سبعه دنانير أو سته فأمر عائشه أن تتصدق بها بعد أن وضعها صلّى اللّه عليه و آله فى كفه و قال: ما ظن محمّد بربه أن لو لقى اللّه و هذه عنده فتصدقت بها، و قال: و فى روايه أمرها بارسالها إلى علىّ عليه السّلام ليتصدق بها فبعث إليه فتصدق بها بعد وضعها فى كفّه.

ثمّ قال: و قد كان العبّاس رضى اللّه عنه قبل ذلك بيسير رأى أن القمر قد رفع من الأرض إلى السماء فقصّها على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال له: هو ابن أخيك، و نعم ما قاله الحافظ:

ستاره ای بدرخشید و ماه مجلس شد دل رمیدهٔ ما را أنیس و مونس شد

قال المجلسی (ره) فی البحار و غیره من نقله الاثار: انّه مما أکّد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لأمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام من الفضل و تخصیصه منه بجلیل رتبته ماتلا- حجّه الوداع من الامور المجدده لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الاحداث التی اتفقت بقضاء اللّه و قدره.

و ذلک انّه صلّی اللّه علیه و آله تحقق من دنوّ أجله ما کان قدم الذکر به لامّته فجعل صلّی اللّه علیه و آله یقوم مقاما بعد مقام فی المسلمین یحذرهم الفتنه بعده و الخلاف علیه و یؤکّد وصایتهم بالتمسک بسنته و الاجماع علیها و الوفاق، و یحثهم علی الاقتداء بعترته و الطاعه لهم و النصره و الحراسه و الاعتصام بهم فی الدین، و یزجرهم عن الاختلاف و الارتداد.

و کان فیما ذکره من ذلک ما جاءت به الروایه علی اتفاق و اجتماع قوله صلّی اللّه علیه و آله:

یا أیّها النّاس انّی فرطکم و أنتم واردون علی الحوض ألا- و إنّی سائلکم عن الثقلین فانظروا کیف تخلفونی فیهما فان اللطیف الخبیر نبأنی أنهما لن یفترقا حتّی یلقیانی و سألت ربّی ذلک فأعطانیه الأوانی قد ترکتهما فیکم کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی فلا تسبقوهم فتفرقوا و لا تقصروا عنهم فتهلکوا و لا تعلموهم فانهم أعلم منکم، أیّها النّاس لا الفینّکم بعدی ترجعون کفارا یضرب بعضکم رقاب بعض فتلقونی فی کتیبه کبحر السیل الجرار، ألا و إن علیّ بن ابی طالب أخی و وصیّی یقاتل بعدی علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله.

و قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه: ثمّ ضرب صلّی اللّه علیه و آله فی المحرم من سنه احدی عشره علی النّاس بعثا إلی الشّام و أمّر علیهم مولاه و ابن مولاه اسامه بن زید بن حارثه و أمره أن یوطیء الخیل تخوم البلقاء و الدّاروم من أرض فلسطین فتهجز النّاس و أوعب مع اسامه المهاجرون الأوّلون، فبینا النّاس علی ذلک ابتدئ صلّی اللّه علیه و آله شکواه الّتی قبضه اللّه عزّ و جلّ فیها إلی ما أراد به من رحمته و کرامته فی لیال بقین من صفر أو فی أوّل شهر ربیع الأوّل.

و قال الطبری باسناده عن أبی مویهبه مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: رجع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینه بعد ما قضی حجّه التمام فتحلل به السیر و ضرب علی النّاس بعثا و امّر

علیهم اسامه بن زید و أمره أن یوطی من آبل الزیت من مشارف الشام الأرض بالاردنّ فقال المنافقون فی ذلک و ردّ علیهم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله انه لخلیق لها أی حقیق بالاماره و إن قلتم فیه لقد قلتم فی أبیه من قبل و إن کان لخلیقا لها، فطار الأخبار بتحلل السیر بالنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قد اشتکی فوثب الأسود بالیمن و مسیلمه بالیمامه و جاء الخبر عنهما للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، ثمّ وثب طلیحه فی بلاد أسد بعد ما أفاق النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، ثمّ اشتکی فی المحرم وجعه الذی قبضه اللّه تعالی فیه.

و قال باسناده عن ابن عبّاس قال: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قد ضرب بعث اسامه فلم یستتبّ لوجع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لخلع مسیلمه و الأسود «و هو ذو الخمار عبهله بن کعب» و قد أکثر المنافقون فی تأمیر اسامه حتّی بلغه فخرج النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی النّاس عاصبا رأسه من الصداع لذلک من الشأن و انتشاره لرؤیا رآها فی بیت عائشه فقال: إنی رأیت البارحه فیما یری النّائم أن فی عضدیّ سوارین من ذهب فکرهتهما فنفختهما فطارا فأوّلتهما هذین الکذابین صاحب الیمامه و صاحب الیمن، و قد بلغنی أن أقواما یقولون فی اماره اسامه، و لعمری لإن قالوا فی أمارته لقد قالوا فی أماره أبیه من قبله و إن کان أبوه لخلیقا للاماره و أنه لخلیق لها، فانفذوا بعث اسامه و قال: لعن اللّه الذین یتخذون قبور أنبیائهم مساجد، فخرج اسامه فضرب بالجرف و انشأ النّاس فی العسکر و نجم طلیحه و تمهّل النّاس و ثقل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلم یستتمّ الأمر ینظرون أولهم آخرهم حتّی توفی اللّه عزّ و جلّ نبیّه صلّی اللّه علیه و آله.

و قال المجلسی فی البحار: ثمّ انه عقد لاسامه بن زید بن حارثه الامره و أمره و ندبه أن یخرج بجمهور الامه إلی حیث اصیب أبوه من بلاد الروم، و اجتمع رأیه علیه السّلام علی اخراج جماعه من مقدمی المهاجرین و الأنصار فی معسکره حتی لا یبقی فی المدینه عند وفاته من یختلف فی الریاسه و یطمع فی التقدّم علی النّاس بالاماره و یستتب الأمر لمن استخلفه من بعده و لا ینازعه فی حقّه منازع، فعقد له الامره علی ما ذکرناه و جدّ فی اخراجهم و أمر اسامه بالبروز عن المدینه بمعسکره إلی الجرف و حث النّاس علی الخروج معه و المسیر إلیه و حذّرهم من التلوم

و الابطاء عنه.

فبينا هو فى ذلک إذ عرضت له الشکاه التى توفى فيها، فلما أحسّ بالمرض الّذى عراه أخذ بيد علىّ بن أبى طالب و اتبعه جماعه من النّاس و توجه إلى البقيع فقال للذى اتبعه: إننى قد امرت بالاستغفار لأهل البقيع، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم و قال السّلام عليکم أهل القبور ليهنئکم ما أصبحتم فيه مما فيه النّاس أقبلت الفتن کقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلا و أقبل على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: انّ جبرئيل عليه السّلام کان يعرض علىّ القرآن کلّ سنه مره و قد عرضه علىّ العام مرّتين و لا أراه إلاّ لحضور أجلى ثمّ قال: يا علىّ إنّى خيّرت بين خزائن الدّنيا و الخلود فيها و الجنّه فاخترت لقاء ربّى و الجنه، و إذا انا متّ فاغسلنى فاستر عورتى فانه لا يراها أحد الا أکمه، ثمّ عاد إلى منزله فمکث ثلاثه أيّام موعوکا.

ثمّ خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمدا على أمير المؤمنين عليه السّلام بيمنى يديه و على الفضل بن عبّاس باليد الاخرى حتّى صعد المنبر فجلس عليه ثمّ قال يا معشر النّاس و قد حان منّى خفوق من بين أظهرکم من کان له عندى عده فليأتنى اعطه إيّاها و من کان له علىّ دين فليخبرنى به، معاشر الناس ليس بين اللّه و بين أحد شىء يعطيه به خيرا أو يصرف عنه به شرا إلا العمل أيّها النّاس لا يدعى مدع و لا يتمنى متمن و الذى بعثنى بالحق نبيّا لا ينجى إلاّ عمل مع رحمه و لو عصيت لهويت، اللهم هل بلغت ثم نزل فصلى بالناس صلاه خفيفه ثم دخل بيته.

و کان إذ ذاک فى بيت ام سلمه رضى اللّه عنها فأقام به يوما أو يومين فجاءت عائشه إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولى تعليله و سألت أزواج النّبى صلّى اللّه عليه و آله فى ذلک فأذنّ لها، فانتقل إلى البيت الذى أسکنه عائشه و استمر به المرض فيه أياما و ثقل فجاء بلال عند صلاه الصّبح و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مغمور بالمرض فنادى: الصلاه يرحمکم اللّه، فاوذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بندائه فقال: يصلّى بالنّاس بعضهم فانى مشغول بنفسى فقالت

عـايشه: مروا أبا بكر و قالت حفصه: مروا عمر فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حين سـمع كلامهما و رأى حرص كلّ واحد منهمـا على التنويه بأبيهمـا و افتتانهمـا بـذلك و رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حىّ: اكففن فـانكنّ صويحبـات يوسف، ثمّ قـام مبادرا خوفا من تقدم أحد الرجلين و قد كان صلّى اللّه عليه و آله أمرهما بالخروج مع اسامه و لم يك عنده أنّهما قد تخلّفا. فلما سمع من عائشه و حفصه ما سـمع علم أنهما متأخران عن أمره فبدر لكفّ الفتنه و إزاله الشـبهه فقام صـلّى اللّه عليه و آله و انّه لا يسـتقل على الأرض من الضـعف، فأخـذ بيده علىّ بن أبى طالب و الفضل بن العبّاس فاعتمد عليهما و رجلاه يخطان الأرض من الضـعف، فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه، فتأخر أبو بكر و قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مقامه فكبر و ابتدأ الصّلاه التى كان ابتدأها أبو بكر و لم يبن على ما مضـى من فعاله، فلما سلّم انصرف إلى منزله و اسـتدعى أبا بكر و عمر و جماعه من حضـر المسـجد من المسلمين ثمّ قال: الم آمر أن تنفذوا جيش اسامه؟ فقالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: فلم تأخرتم عن أمرى؟ قال أبو بكر: انى خرجت ثمّ رجعت لاجدد بك عهدا، و قال: يا رسول اللّه انى لم اخرج لأننى لم احبّ أسأل عنك الركب فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله نفذوا جيش اسامه نفذوا جيش اسامه يكرّرها ثلاث مرات إلى آخره.

قال الشارح المعتزلى: بعد ما خطب الناس دخل بيت ام سـلمه ثمّ انتقل إلى بيت عائشه يعلّله النساء و الرجال أمّا النساء فأزواجه و بنته و أمّـا الرّجال فعلىّ عليه السّـلام و العبّاس و الحسن و الحسـين عليهما السّـلام و كانا غلامين يومئـذ و كان الفضل بن العبّاس يـدخل احيانا إليهم ثمّ حـدث الاختلاف بين المسـلمين أيّام مرضه فأوّل ذلك التنازع الواقع يوم قال صـلّى اللّه عليه و آله ايتونى بدواه و قرطاس و تلا ذلك حديث التخلف عن جيش اسامه.

أقول: لاـ خلاـف بين المسـلمين أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ولّى اسـامه على جمـاعه منهم أبو بكر و عمر و عثمـان و خـالفوا الرسول صـلّى اللّه عليه و آله فى تنفيـذ جيش اسامه و كان قصـد النبى صـلّى اللّه عليه و آله بعدهم عن المدينه لئلا يدعو الامامه بعد موته صلّى اللّه عليه و آله و لذلك لم يجعل أمير المؤمنين

علیا علیه السّلام فی جیش اسامه و هم تخلفوا عن أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله علی ان اماره اسامه علیهم تدلّ علی انه أفضل منهم و لم یرو و لم یقل أحد ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمّر أحدا علی علی علیه السّلام فعلی أفضل من غیرهم فمن کان اسامه أفضل علیه لا یلیق بالاماره مع أن فیهم من یکون أفضل من اسامه و غیره، مع أنّهم عصوا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و تخلفوا عن أمره، و قبح تقدیم المفضول علی الأفضل معلوم و امامه المفضول قبیحه عقلا و لا یرتاب فیه إلا الطغام قال عزّ من قائل: «أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ ».

و بذلک تعلم أن قول الشّارح المعتزلی فی خطبه شرحه: - و قدّم المفضول علی الأفضل لمصلحه اقتضاها التکلیف - اختلاق محض و افتراء صرف و لا یعلم ایه مصلحه اقتضت ذلک أو لا یکون هذا الفعل نفسه قبیحا و ظلما و زورا؟ تعالی اللّه عن ذلک.

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه باسناده عن عبد اللّه بن کعب بن مالک انّ ابن عبّاس أخبره أن علیّ بن أبی طالب خرج من عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی وجعه الّذی توفّی فیه فقال النّاس: یا أبا حسن کیف أصبح رسول اللّه قال: أصبح بحمد اللّه بارئا فأخذ بیده عبّاس بن عبد المطلب فقال: ألا تری انّک بعد ثلث عبد العصا و انی اری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سیتوفی فی وجعه هذا و انی لأعرف وجوه بنی عبد المطّلب عند الموت فاذهب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسله فیمن یکون هذا الأمر فان کان فینا علمنا ذلک و إن کان فی غیرنا امر به فأوصی بنا، قال علیّ علیه السّلام: و اللّه لئن سألناها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فمنعناها لا یعطیناها النّاس أبدا و اللّه لا أسألها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أبدا.

أقول: لما انجرّ کلامنا إلی هذا صادفنا عبد اللّه الأکبر یوم غدیر خم یوم الأحد الثامن عشر من ذی الحجّه من السنه ۱۳۸۲ من الهجره النّبویّه علی هاجرها السلام فتذکرنا أن واقعه غدیر خم حیث أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من عند اللّه تبارک و تعالی ان ینصب علیّا علیه السّلام للناس و یخبرهم بولایته فنزلت آیه «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ » فی ذلک فاعلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کل أبیض و أسود بقوله من

کنت مولاه فهذا علیّ مولاه علی التفصیل الذی جاء فی أخبار الفریقین و مسلّم عند المسلمین و اشعار حسان فی ذلک المسطوره فی دیوانه و کتب الأخبار و نقله الاثار مما لا ینکره احد و لا یابی عنه الا الخصم الألدّ: جاء حسان بن ثابت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال یا رسول اللّه أ تأذن لی ان اقول فی هذا المقام ما یرضاه اللّه؟ فقال له قل یا حسان علی اسم فوقف علی نشز من الأرض و تطاول المسلمون لسماع کلامه فأنشأ یقول:

ینادیهم یوم الغدیر نبیّهم بخمّ و اسمع بالنبیّ منادیا

و قال فمن مولاکم و ولیکم فقالوا و لم یبدوا هناک التعادیا

الهک مولانا و أنت ولیّنا و لن تجدن منا لک الیوم عاصیا

فقال له قم یا علی فاننی رضیتک من بعدی اماما و هادیا

فخصّ بها دون البریّه کلّها علیّا و سمّاه الوزیر المواخیا

فمن کنت مولاه فهذا ولیّه فکونوا له اتباع صدق موالیا

هناک دعی اللهمّ وال ولیّه و کن للذی عادی علیا معادیا

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا تزال یا حسان مؤیدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانک و انما اشترط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الدعاء له لعلمه بعاقبه أمره فی الخلاف و لو علم سلامته فی مستقبل الاحوال لدعا له علی الاطلاق کما فی الارشاد للمفید (ره).

و تلک الواقعه کانت فی السنه التی توفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیها أعنی فی حجّه الوداع و لم یمض من تلک الواقعه إلی رحله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلا شهران و بضعه أیام فکیف ذهل عباس بن عبد المطلب عن ذلک حتّی سأل علیا عن أن یسأل الرسول صلّی اللّه علیه و آله عن ذلک مع أن حدیث المنزله و غیرهما فی حقّ علیّ علیه السّلام متواتر عند الفریقین و لذلک إنّ فی قلبی فی صحّه هذا الخبر شیئا علی انّی أری علی تقدیر الصحه حرف قوله «فمنعناها» عن أصله و کان الأصل «فمنحناها» بقرینه لا یعطیناها فلیتأمّل.

و فی السیره الحلبیّه: جاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جبرئیل صحبه ملک الموت و قال له: یا أحمد ان اللّه قد اشتاق إلیک قال: فاقبض یا ملک الموت کما امرت فتوفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و فی لفظ اتاه جبرئیل علیه السّلام فقال یا محمّد ان اللّه ارسلنی إلیک تکریما لک و تشریفا یسألک عما هو اعلم به منک یقول لک کیف تجدک قال اجدنی یا جبرئیل مغموما و اجدنی یا جبرئیل مکروبا ثمّ جاءه الیوم الثانی و الثالث فقال له ذلک فرد علیه صلّی اللّه علیه و آله بمثل ذلک و جاء معه فی الیوم الثالث ملک الموت فقال له جبرئیل علیه السّلام هذا ملک الموت یستأذن علیک ما استأذن علی أحد قبلک و لا یستأذن علی آدمی بعدک أتأذن له فدخل فسلم علیه ثم قال یا محمّد ان اللّه ارسلنی إلیک فإن امرتنی ان اقبض روحک قبضت و ان امرتنی ان اترک ترکت قال او تفعل قال نعم و بذلک امرت فنظر النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال یا محمّد ان اللّه یقرؤک السّلام و یقول لک: إن شئت شفیتک و کفیتک، و إن شئت توفیتک و غفرت لک قال ذلک إلی ربّی یصنع بی ما یشاء.

و فی روایه الخلد فی الدّنیا ثمّ فی الجنّه أحب إلیک أم لقاء ربک ثمّ الجنه فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقاء ربّی ثمّ الجنّه.

و فی الوافی (م ۱۴ ص ۴۶) عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لمّا حضرت النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله الوفاه نزل جبرئیل علیه السّلام فقال یا رسول اللّه هل لک فی الرجوع إلی الدّنیا فقال لا قد بلغت رسالات ربّی، فأعادها علیه فقال: لا بل الرّفیق الأعلی ثمّ قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و المسلمون حوله مجتمعون: أیّها الناس انه لا نبی بعدی و لا سنه بعد سنّتی فمن ادّعی ذلک فدعواه و مدّعیه فی النار فاقتلوه و من اتبعه فانه فی النّار أیّها النّاس احیوا القصاص و احیوا الحق لصاحب الحق و لا تفرقوا اسلموا و سلّموا تسلّموا «کتب اللّه لأغلبن انا و رسلی انّ اللّه قوی عزیز».

فی البحار: ثمّ ثقل صلّی اللّه علیه و آله و حضره الموت و أمیر المؤمنین علیه السّلام حاضر عنده فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع یا علیّ رأسی فی حجرک فقد جاء امر اللّه تعالی فاذا فاضت نفسی فتناولها بیدک و امسح بها وجهک ثمّ وجهنی إلی القبله و تولّ أمری و صل علیّ أوّل النّاس و لا تفارقنی حتّی تواربنی فی رمسی و استعن باللّه تعالی، فأخذ علیّ علیه السّلام رأسه فوضعه فی حجره فاغمی علیه فأکبّت فاطمه علیها السّلام تنظر فی

وجهه و تندبه و تبكى و تقول:

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

ففتح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عينه و قال بصوت ضئيل: يا بنيّه هذا قول عمك أبى طالب لا تقوليه و لكن قولى: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ » فبكت طويلا و أومأ اليها بالدنوّ منه فدنت منه فأسرّ اليها شيئا تهلّل وجهها له ثمّ قبض صلّى اللّه عليه و آله و يد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه صلّى اللّه عليه و آله فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه و غمّضه و مدّ عليه ازاره و اشتغل بالنظر فى أمره صلّى اللّه عليه و آله.

و جاءت الروايه انه قيل لفاطمه عليها السّلام: ما الّذى أسرّك إليك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فسرى عليك به ما كنت عليه من الحزن و القلق بوفاته؟ قالت: إنه اخبرنى أننى أول أهل بيته لحوقا به و انّه لن يطول المده بى بعده حتّى ادركه فسرى ذلك عنّى.

و فى البحار انّه صلّى اللّه عليه و آله دعا الحسن و الحسين عليهما السّلام فقبّلهما و شممهما و جعل يترشفهما و عيناه تهملان.

و جاءت الرّوايه المنقوله عن الفريقين انه كان عنده صلّى اللّه عليه و آله قدح فيه ماء و فى لفظ بدل قدح علباء و فى آخر ركوه فيها ماء فلمّا اشتدّ عليه صلّى اللّه عليه و آله الأمر صار يدخل يده الشريفه فى القدح ثمّ يمسح وجهه الشريف بالماء و يقول: اللهمّ اعنى على سكرات الموت و كذا فى تاريخ الطبرى و بشاره المصطفى لشيعه المرتضى و فى غيرها من كتب الأخبار.

لما توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قالت فاطمه عليها السّلام: وا ابتاه اجاب داع دعاه يا ابتاه الفردوس مأواه يا ابتاه إلى جبرئيل ننعاه، و فى السيره الحلبيّه قال ابن كثير هذا لا يعدّ نياحه بل هو من ذكر فضائل الحقّ عليه عليه أفضل الصّلاه و السّلام قال و انّما قلنا ذلك لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نهى عن النياحه انتهى، أقول: و مضى الكلام منا آنفا فى ذلك.

فی البحار ناقلاـ عن المناقب لابن شهر آشوب و الطبرسی فی المجمع فی ضمن قوله تعالی «وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ » الایه (۲۸۱ البقره): عن ابن عبّاس و السّدی لما نزل قوله تعالی «إِنَّکَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیتنی أعلم متی یکون ذلک فنزل سوره النصر فکان یسکت بین التکبیر و القراءه بعد نزل هذه السوره فیقول: سبحان اللّه و بحمده استغفر اللّه و أتوب إلیه فقیل له انک لم تکن تقوله قبل هذا فقال أمّا نفسی نعیت إلیّ ثمّ بکا بکاء شدیدا فقیل: یا رسول اللّه أو تبکی من الموت و قد غفر اللّه لک ما تقدّم من ذنبک و ما تأخّر؟ قال: فأین هو المطلع و أین ضیقه القبر و ظلمه اللّحد و أین القیامه و الأهوال، فعاش بعد نزول هذه السّوره عاما انتهی.

«آخر آیه نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله»

أقول: آخر آیه نزلت من السّماء علی خاتم النبیین صلّی اللّه علیه و آله بلا خلاف عند قاطبه المسلمین قوله تعالی: «وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ »، و لا خلاف أیضا فی أن جبریل علیه السّلام قال له صلّی اللّه علیه و آله ضعها فی رأس الثمانین و المأتین من البقره کما فی المجمع و البیضاوی و الکشاف و غیرها عن ابن عبّاس و السّدی.

و انما الخلاف فی أنّه صلّی اللّه علیه و آله کم عاش من الأیام بعد نزولها، و الاکثر علی انه صلّی اللّه علیه و آله عاش بعدها أحدا و عشرین یوما و قال: ابن جریح: تسع لیال، و قال سعید بن جبیر و مقاتل: سبع لیال، و فی الکشاف و البیضاوی و قیل أحدا و ثمانین یوما، و فی الکشاف و قیل ثلاث ساعات.

أقول: قول جبرئیل علیه السّلام له صلّی اللّه علیه و آله ضع هذه الایه فی رأس الثمانین و المأتین من البقره یدل علی أن ترکیب السور و ترتیب الایات القرآنیه کما هو الان بین أیدینا کان بأمر اللّه تعالی و بأمر رسوله صلّی اللّه علیه و آله و ما نقص منه شیء و لا زید فیه شیء، و من تفحص فی کتب الأخبار للمسلمین یجد أن السور کانت عند ارتحال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مرتّبه منظّمه باذن اللّه تعالی

ص:۱۰۲

و بأمر رسوله صلّى اللّه عليه و آله موسومه بأساميها، و لنا فى ذلك من الأخبار و الايات و أقوال أهل الخبره شواهد و براهين لعلّنا نبحث فى ذلك مفصلا ان شاء اللّه تعالى فى محلّه.

ثمّ نقول إنّ هذا القول أعنى آخر آيه نزلت على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله هى تلك الايه المذكوره لا ينافى ما فى العدّه الفهديه و غيرها أوّل ما نزل «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» و آخره «إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ » لأنّ كلامنا فى آخر آيه نزلت و هذا القول من ابن الفهد و غيره فى آخر سوره نزلت.

قال المسعودى فى مروج الذهب: و قد قيل انّه انزل عليه صلّى اللّه عليه و آله بالمدينه من القرآن اثنتان و ثلاثون سوره.

أقول: و سيأتى إنشاء اللّه تعالى بحثنا فى ذلك على التفصيل و التحقيق.

الاقوال فى مده شكواه صلّى اللّه عليه و آله

كانت مده شكواه صلّى اللّه عليه و آله ثلاث عشره ليله و قيل أربع عشره ليله و قيل اثنتى عشره ليله و قيل عشرا و قيل ثمانيه.

الاخبار فى مبلغ سنه صلّى اللّه عليه و آله يوم وفاته

الأكثر من الفريقين ذهبوا إلى أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان حين قبض ابن ثلاث و ستين سنه و هو الحقّ فى ذلك قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه بإسناده عن ابن عبّاس قال أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكّه ثلاث عشره سنه يوحى إليه و بالمدينه عشرا و مات و هو ابن ثلاث و ستين سنه.

و فيه عنه أيضا: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأربعين سنه و أقام بمكّه ثلاث عشره يوحى إليه و بالمدينه عشرا و مات و هو ابن ثلاث و ستين سنه و كذا نقل عده أخبار اخر فى انه صلّى اللّه عليه و آله كان يومئذ ابن ثلاث و ستين سنه.

و فى البحار للمجلسى «قد» عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو ابن ثلاث و ستين سنه فى سنه عشر من الهجره فكان مقامه بمكّه أربعين سنه ثمّ نزل

علیه الوحی فی تمام الأربعین و کان بمکّه ثلاث عشره سنه ثمّ هاجر إلی المدینه و هو ابن ثلاث و خمسین سنه فاقام بالمدینه عشر سنین الحدیث و کذا غیره من الأخبار المرویّه من أصحابنا رضوان اللّه علیهم و کبار علماء العامّه.

و نقل الطبری عن بعض أنه صلّی اللّه علیه و آله کان حینئذ ابن خمس و ستین سنه، و عن بعض آخر هو ابن ستین، و لکن الصواب ما ذهب إلیه الاکثر و لا یعبأ بهذه الأقوال الشاذّه النادره.

ذکر الاقوال عن الیوم و الشهر الذین توفی فیهما صلّی اللّه علیه و آله

قال أبو جعفر الطبری فی حدیث عن ابن عبّاس انّه قال: ولد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الاثنین، و استنبیء یوم الاثنین، و رفع الحجر یوم الاثنین، و خرج مهاجرا من مکه إلی المدینه یوم الاثنین، و قدم المدینه یوم الاثنین، و قبض یوم الاثنین.

و فی المصباح للکفعمی قال الشیخ المفید (ره) فی مزاره اتق السفر یوم الاثنین فانه یوم الذی قبض فیه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و انقطع الوحی فیه و ابتز أهل بیته الامر و قتل فیه الحسین علیه السّلام و هو یوم نحس و کذا المنقول عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام من کشف الغمه کما فی البحار أنّه قبض صلّی اللّه علیه و آله فی شهر ربیع الأوّل یوم الاثنین للیلتین خلتا منه.

و قال شیخ الطائفه قدّس سرّه فی التهذیب: قبض صلّی اللّه علیه و آله بالمدینه مسموما یوم الاثنین للیلتین بقیتا من صفر سنه عشر من الهجره و ولد بمکّه یوم الجمعه السابع عشر من شهر ربیع الاول فی عام الفیل.

أقول: و انما قال (ره): قبض صلّی اللّه علیه و آله مسموما لانه روی فی البحار نقلا عن بصائر الدرجات عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمت الیهودیه النّبیّ فی ذراع قال:

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یحب الذراع و الکتف و یکره الورک لقربها من المبال قال لما اتی بالشواء أکل من الذراع و کان یحبّها فاکل ما شاء اللّه و ما زال ینتفض به سمه حتی مات الخبر.

و قال ثقه الاسلام الكلينى رضوان اللّه عليه: انّه قبض صلّى اللّه عليه و آله لاثنتى عشره ليله مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين و هو ابن ثلاث و ستين سنه.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: قبضه اللّه يوم الاثنين لاثنتى عشر ليله مضت من ربيع الأوّل سنه عشر فى الساعه التى دخل فيها المدينه «يعنى مهاجرا من مكّه إلى المدينه زاد اللّه لهما شرفا» فى منزل عائشه و كان علته اثنى عشره يوما.

و فى تفسير الثعلبى يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأوّل حين زاغت الشّمس.

و قال أبو جعفر الطبرى أمّا اليوم الذى مات فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلا خلاف بين أهل العلم بالاخبار فيه انّه كان يوم الاـثنين من شهر ربيع الأوّل غير أنّه اختلف فى أى الاثنين كان موته صلّى اللّه عليه و آله ففقهاء أهل الحجاز قالوا قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأوّل.

و قال الواقدى توفى يوم الاثنين لثنتى عشره ليله خلت من شهر ربيع الاوّل و دفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس و ذلك يوم الثلثاء.

و قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: ثمّ ضرب صلّى اللّه عليه و آله فى المحرم من سنه - ١١ - على النّاس بعثا إلى الشام و امّر عليهم مولاه و ابن مولاه اسامه بن زيد بن حارثه و أمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء و الدّاروم من أرض فلسطين فتجهّز النّاس و أوعب مع اسامه المهاجرون الأوّلون فبينا الناس على ذلك ابتدى صلّى اللّه عليه و آله شكواه التى قبضه اللّه عزّ و جلّ فيها إلى ما أراد به من رحمته و كرامته فى ليال بقين من صفر أو فى أوّل شهر ربيع الاول.

و فيه فى الخبر الاخر عن أبى مويهبه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله - إلى أن قال -:

ثم اشتكى فى المحرم وجعه الّذى قبضه اللّه تعالى فيه.

و فيه باسناده عن هشام بن عروه عن أبيه قال اشتكى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجعه الّذى توفاه اللّه به فى عقب المحرم.

و قال الواقدى بدىء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجعه لليلتين بقيتا من صفر

ص:١٠٥

و قال الطبرسی فی المجمع فی قوله تعالی «وَ اتَّقُوا یَوْماً تُرْجَعُونَ فِیهِ إِلَی اللّهِ » الایه ۲۸۱ من البقره: ثمّ مات صلّی اللّه علیه و آله یوم الاثنین للیلتین خلتا من ربیع الأوّل حین بزغت الشمس، قال: و روی أصحابنا للیلتین بقیتا من صفر سنه احدی عشره من الهجره و لسنه واحده من ملک أردشیر بن شیرویه بن ابرویز بن هرمز بن أنوشیروان و قال المفید (ره) فی الارشاد: و کان ذلک فی یوم الاثنین للیلتین بقیتا من صفر سنه عشر من هجرته صلّی اللّه علیه و آله و هو ابن ثلاث و ستین سنه و قال الخوارزمی توفّی أوّل شهر ربیع الأوّل.

و فی السیره الحلبیّه: قال السهیلی: لا یصح أن یکون وفاته یوم الاثنین إلا فی ثالث عشره أو رابع عشره لاجماع المسلمین علی ان وقفه عرفه کانت یوم الجمعه و هو تاسع ذی الحجّه و کان المحرم اما بالجمعه و إما بالسبت، فان کان السبت فیکون أوّل صفر إما الأحد أو الاثنین فعلی هذا لا یکون الثانی عشر من شهر ربیع الأول بوجه.

هذه طائفه من الأقوال فی یوم وفاته صلّی اللّه علیه و آله و شهره و جمله القول فیهما انه مما لا ینبغی ان یشک ان وفاته صلّی اللّه علیه و آله کان یوم الاثنین و هذا اتفاقی و المخالف فیه مکابر نفسه، و المشهور عند الجمهور انه کان فی شهر ربیع الاوّل لاثنتی عشره لیله خلت من شهر ربیع الاول، و عند أصحابنا الامامیّه للیلتین بقیتا من صفر إلّا الکلینی و المسعودی فانّهما وافقا العامه فی ذلک(۱).

۱- (۱) - المسعودی صاحب مروج الذهب هو أبو الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی الهذلی امامی ثقه بقی الی سنه ثلاث و ثلاثین و ثلاثمأه و له کتب: کتاب فی الامامه المسمی باثبات الوصیه، و مروج الذهب و معادن الجوهر، کتاب الهدایه الی تحقیق الولایه و غیرها مما عدها النجاشی فی کتاب الرجال و ذکره العلامه قدس سره فی القسم الاول من الخلاصه و وضعه أن یذکر الثقات من أصحابنا الامامیه فی القسم الاول منها فارجع الی کتب الرجال الامامیه من کتاب النجاشی و تنقیح المقال للمامقانی و جامع الرواه للاردبیلی و غیرها حتی یتضح لک انه من العلماء الکبار الاخیار و فی ذکری أن صاحب الجواهر فی کتابه الصلاه أو الارث ذکر منه قولا. و بالجمله أن ما کتب فی ظهر مروج الذهب المطبوع فی مصر من أنه شافعی و هم و مختلق.

قال العلامه المجلسی فی البحار: لعل قول سنه عشر مبنی علی اعتبار سنه الهجره من أوّل ربیع الاول حیث وقعت الهجره فیه و الذین قالوا سنه احدی عشره بنوه علی المحرم و هو اشهر.

أقول: و بذلک یرتفع الاختلاف کما هو واضح و یأتی فی المباحث الاتیه التحقیق فی مبدء تاریخ الهجره.

و خلاصه القول فیه ان ما بنی علیه المسلمون هو من أوّل المحرّم و قول الاخر أعنی أوّل ربیع الأوّل شاذّ لم یعمل به و إن ذهب إلیه شرذمه من النّاس و منهم محمّد بن إسحاق المطلبی کما فی السّیره النبویّه لابن هشام التی أصلها لابن إسحاق و انتخبها ابن هشام قال: قدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینه یوم الاثنین حین اشتدّ الضحی و کادت الشمس تعتدل لثنتی عشره لیله مضت من شهر ربیع الأوّل و هو التّاریخ.

و لکن هذا القول غیر مقبول عند الجمهور و المبدأ المعمول به عند المسلمین هو المحرّم.

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه: قام رجل إلی عمر بن الخطاب فقال:

أرّخوا فقال عمر: ما أرّخوا قال شیء تفعله الاعاجم یکتبون فی شهر کذا من سنه کذا فقال عمر: حسن فأرّخوا فقال من ایّ السنین نبدأ قالوا من مبعثه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا من وفاته صلّی اللّه علیه و آله ثمّ أجمعوا علی الهجره ثمّ قالوا فأیّ الشهور نبدأ فقالوا رمضان ثمّ قالوا المحرّم فهو منصرف النّاس من حجهم و هو شهر حرام فأجمعوا علی المحرم.

ثمّ أقول: و لا غرابه أن یقال انّه اشتبه الامر علی القائل بوفاته صلّی اللّه علیه و آله فی شهر ربیع الاوّل و کذا علی راوی هذا الخبر لانّ ولادته صلّی اللّه علیه و آله کان فی ذلک الشهر فاخذ الوفاه مکان الولاده.

«الکلام فی أن عمر أنکر موت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

و لم یکن عارفا بالقرآن»

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه عن أبی هریره: لما توفّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

كان أبو بكر بالسنح و عمر حاضرا فقام عمر بن الخطاب فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله توفى و ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اللّه ما مات و لكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليله ثمّ رجع بعد ان قيل قد مات و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فليقطعنّ أيدى رجال و أرجلهم يزعمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مات.

قال: و اقبل أبو بكر حتّى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر و عمر يكلم النّاس فلم يلتفت إلى شيء حتّى دخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بيت عائشه و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مسجّى فى ناحيه البيت عليه برد حبره فاقبل حتّى كشف عن وجهه ثمّ أقبل عليه فقبّله ثمّ قال بأبى أنت و امّى أما الموته التى كتب اللّه عليك فقد ذقتها ثمّ لن يصيبك بعدها موته أبدا ثمّ ردّ الثوب على وجهه ثمّ خرج و عمر يكلّم النّاس فقال على رسلك يا عمر فأنصت فأبى إلاّ أن يتكلّم، فلمّا رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على النّاس فلمّا سمع النّاس كلامه أقبلوا عليه و تركوا عمر فحمد اللّه و اثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس انّه من كان يعبد محمّدا فان محمّدا قد مات و من كان يعبد اللّه فانّ اللّه حيّ لا يموت ثمّ تلا هذه الايه: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ ».

قال. فواللّه لكان النّاس لم يعلموا أن هذه الايه نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى تلاها أبو بكر يومئذ قال و أخذها النّاس عن أبى بكر فانّما هى أفواههم.

قال أبو هريره قال عمر: و اللّه ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت إلى الارض ما تحملنى رجلاى و عرفت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد مات.

و كذا روى أبو جعفر الطبرى عن أبى أيوب عن إبراهيم خبرا آخر قريبا من الاوّل.

و كذا فى آخر عن عبد الرّحمن الحميرى قال توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أبو بكر فى المدينه فجاء فكشف الثوب عن وجهه فقبّله و قال فداك أبى و امّى ما أطيبك حيّا و ميّتا

مات محمّد و رب الکعبه.

قال: ثمّ انطلق إلی المنبر فوجد عمر بن الخطّاب قائما یوعد النّاس و یقول انّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیّ لم یمت و أنّه خارج إلی من أرجف به و قاطع أیدیهم و ضارب أعناقهم و صالبهم قال: فتکلّم أبو بکر و قال: انّ اللّه قال لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله «إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ تَخْتَصِمُونَ » و قال: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ » الایه حتی ختم الایه فمن کان یعبد اللّه لا شریک له فانّ اللّه حیّ لا یموت الخبر.

قال الشهرستانی فی المقدّمه الرابعه من الملل و النحل: الخلاف الثالث فی موته صلّی اللّه علیه و آله قال عمر: من قال أن محمّدا قد مات قتلته بسیفی هذا و انما رفع إلی السماء کما رفع عیسی بن مریم علیه السّلام، و قال أبو بکر: من کان یعبد محمّدا فانّ محمّدا قد مات و من کان یعبد إله محمّد فانه حیّ لا یموت و قرأ هذه الایه: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ » إلخ.

أقول: و الأخبار فی ذلک المضمون اعنی انکار عمر موته صلّی اللّه علیه و آله فی کتبهم المعتبره عندهم بلغت إلی مبلغ التواتر معنی و لا سبیل إلی إنکاره و إن کانت عباراتهم مختلفه، و لنا فی هذا المقام کلام و هو:

ان من لم یکن عارفا للایات القرآنیّه و متدبرا لها و حافظا للکتاب العزیز کما اعترف به نفسه کیف یلیق للامامه علی الامّه و الخلافه عن اللّه و رسوله؟ و هل هذا الا تهافت و اختلاق؟ جلّ جناب الرّب عن أن ینال عهده الجاهلین.

الکلام فی ان علیا علیه السّلام هو الذی ولی غسل رسول اللّه

صلّی اللّه علیه و آله و هو الاصل فی ذلک.

و قال أبو جعفر الطبری عن عبد اللّه بن عبّاس ان علیّ بن أبی طالب و العبّاس ابن عبد المطلب و الفضل بن عبّاس و قثم بن العبّاس و اسامه بن زید و شقران مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هم الّذین ولّوا غسله و انّ اوس بن خولی احد بنی عوف بن الخزرج قال لعلیّ بن ابی طالب انشدک اللّه یا علیّ و حظّنا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان اوس

من أصحاب بدر و قال ادخل فدخل فحضر غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاسنده علىّ بن أبى طالب إلى صدره و كان العبّاس و الفضل و قثم هم الذين يقلّبونه معه و كان اسامه بن زيد و شقران مولياه هما الذان يصبّان الماء و علىّ يغسله قد اسنده إلى صدره و عليه قميصه يدلك من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علىّ يقول: بأبى أنت و امّى ما أطيبك حيّا و ميّتا و لم ير من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شيء ممّا يرى من الميّت.

و قال الشّارح المعتزلى: و روى محمّد بن حبيب فى أماليه قال تولى غسل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله علىّ عليه السّلام و العبّاس رضى اللّه عنه و كان علىّ عليه السّلام يقول بعد ذلك ما شممت اطيب من ريحه و لا رأيت اضوء من وجهه حينئذ و لم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى.

أقول: و قد مضى الخبر الاخر من أبى جعفر الطبرى عن عبد اللّه بن مسعود حيث سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمن يغسله فقال صلّى اللّه عليه و آله أهلى الأدنى فالأدنى الخبر.

فحيث ضم ذلك الخبر إلى هذا الذى نقله الطبرى عن عبد اللّه بن عباس و محمّد ابن حبيب فى أماليه و غيرهما ينتج ان علىّ بن أبى طالب كان أقرب النّاس منه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ انه يعلم من خطاب اوس على عليه السّلام انشدك اللّه يا علىّ و حظّنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام كان هو الّذى تولى غسله و هو الاصل فى ذلك و العبّاس و الفضل و قثم و اسامه و شقران كانوا أعوانه فى ذلك كما يدلّ عليه أيضا قوله و كان العبّاس و الفضل و قثم هم الذين يقلبونه معه و كان اسامه و شقران مولياه هما اللذان يصبّان الماء و قوله و علىّ عليه السّلام يغسله صريح فى ذلك.

فى الكافى للكلينى (قده) عن عبد اللّه بن مسعود قال: قلت للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يا رسول اللّه من يغسلك إذا مت؟ فقال: يغسل كلّ نبى وصيّه قلت: فمن وصيّك يا رسول اللّه؟ قال: علىّ بن أبى طالب، فقلت: كم يعيش بعدك يا رسول اللّه؟ قال ثلاثين سنه، فان يوشع بن نون وصىّ موسى عاش من بعده ثلاثين سنه و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى فقالت أنا أحق بالأمر منك فقاتلها فقتل مقاتليها و اسرها فأحسن اسرها، و ان ابنه أبى بكر ستخرج على علىّ عليه السّلام فى كذا و كذا

ألفا من امتى فيقتل مقاتليها و يأسرها فيحسن أسرها و فيها انزل اللّه تعالى «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكَنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى » يعنى صفراء بنت شعيب.

فى التهذيب بإسناده عن يعلى بن مره عن أبيه عن جدّه قال قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فستر بثوب و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خلف الثوب و علىّ عليه السّلام عند طرف ثوبه و قد وضع خدّه على راحتيه يضرب طرف الثوب على وجه علىّ عليه السّلام قال و النّاس على الباب و فى المسجد ينتحبون و يبكون و إذا سمعنا صوتا فى البيت ان نبيكم طاهر مطهر فادفنوه و لا تغسلوه، قال: فرأيت عليّا عليه السّلام حين رفع رأسه فزعا فقال اخسأ عدوّ اللّه فانّه أمرنى بغسله و كفنه و ذاك سنه قال ثم نادى مناد آخر غير تلك النغمه يا على بن أبى طالب استر عوره نبيّك و لا تنزع القميص، و روايات اخر قريبه منها اتى بها فى كتب العامّه أيضا.

قال فى البحار: فى الاحن و المحن بإسناده عن إسماعيل بن عبد اللّه عن أبيه عن علىّ عليه السّلام قال: أوصانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أنا مت فاغسلنى بسبع قرب من بئرى بئر غرس.

و فى السيره الحلبيّه: و عند ابن ماجه أنّه صلّى اللّه عليه و آله قال لعلىّ عليه السّلام إذا أنا مت فاغسلنى بسبع قرب من بئرى بئر غرس.

فى الكافى و التهذيب عن فضيل سكره قال قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك هل للماء الذى يغسل به الميت حدّ محدود؟ قال: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لعلىّ عليه السّلام: إذا أنامت فاستق ستّ قرب من ماء بئر غرس «غرس بئر بالمدينه» فغسلنى و كفّنى و حنطنى فاذا فرغت من غسلى و كفنى فخذ بجوامع كفنى و اجلسنى ثمّ سلنى عمّا شئت فو اللّه لا تسألنى عن شىء الا اجبتك فيه.

و فى البحار: أبان بن بطه قال يزيد بن بلال قال علىّ عليه السّلام: اوصى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الّا يغسله احد غيرى فانّه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه قال: فما تناولت عضوا إلّا كانما كان يقلّه معى ثلاثون رجلا حتّى فرغت من غسله، و كذا فى خبر قريب منه فى السيره الحلبيّه.

أقول: و المراد من هذا الخبر ان عليّا عليه السّلام لو رأى عورته لا تطمس عينه كان على فرض الوقوع لا ان يجوز له ذلك.

و فيه أيضا: و روى انه لما أراد علىّ عليه السّلام غسله استدعى الفضل بن عبّاس ليعينه كان مشدود العينين و قد امره علىّ عليه السّلام بذلك اشفاقا عليه من العمى.

و فيه نقلا عن تفسير العياشى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سمعوا صوتا من جانب البيت و لم يروا شخصا يقول: «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ » إلى قوله «فقد فاز» ثمّ قال: فى اللّه خلف و عزاء من كلّ مصيبه و درك لما فات فباللّه فثقوا و إيّاه فارجوا انما المحروم من حرم الثواب و استروا عوره نبيكم فلما وضعه على السرير نودى يا علىّ لا تخلع القميص قال فغسّله علىّ عليه السّلام فى قميصه.

و روى أبو جعفر الطبرى فى تاريخه باسناده عن عائشه قالت لما أرادوا ان يغسلوا النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله اختلفوا فيه فقالوا و اللّه ما ندرى أنجرّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ثيابه كما نجرّد موتانا أو نغسّله و عليه ثيابه، فلمّا اختلفوا القى عليهم السّنه حتى ما منهم رجل إلا و ذقنه فى صدره، ثمّ كلمهم متكلم من ناحيه البيت لا يدرى من هو أن اغسلوا النّبىّ و عليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: فغسلوه و عليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص و يدلكونه و القميص دون أيديهم، و كذا مر منه آنفا نقلا عن عبد اللّه بن عبّاس أن عليّا عليه السّلام يغسله صلّى اللّه عليه و آله و عليه قميصه يدلك من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الخبر.

و قال المفيد (ره) فى الارشاد: لما أراد أمير المؤمنين عليه السّلام غسل الرسول صلّى اللّه عليه و آله استدعى الفضل بن العبّاس فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصّب عينيه ثمّ شق قميصه من قبل جيبه حتّى بلغ إلى سرّته و تولّى غسله و تحنيطه و تكفينه و الفضل يعاطيه الماء و يعينه عليه.

و فى التهذيب لشيخ الطّائفه الاماميه قدس سره عن يعلى بن مرّه عن أبيه عن جدّه قال: قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فستر بثوب و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خلف الثوب و علىّ عليه السّلام

عند طرف ثوبه قد وضع خديه على راحته قال و الرّيح يضرب طرف الثوب على وجه عليّ عليه السّلام قال: و النّاس على الباب و فى المسجد ينتحبون و يبكون و إذا سمعنا صوتا فى البيت ان نبيكم طاهر مطهر فادفنوه و لا تغسلوه قال فرايت عليا عليه السّلام حين رفع رأسه فزعا فقال اخسأ عدو اللّه فانه امرنى بغسله و كفنه و دفنه و ذاك سنه قال ثم نادى مناد آخر غير تلك النغمه يا عليّ بن أبى طالب استر عوره نبيّك و لا تنزع القميص.

أقول: ما يستفاد من جمله تلك الاخبار انّ عليّا عليه السّلام تولّى غسله بيده بلا كلام فيه و انه غسله صلّى اللّه عليه و آله فى قميصه و لا تنافى لها مع ما فى الارشاد، و أمّا المرويه عن عائشه من اختلافهم و أخذهم السنه و يدلك من ورائه لا يفضى بيده فلا يخلو عن اختلاق و افتعال و البصير الناقد فى الأحاديث المرويه عنها فى ذلك الباب من الطبرى و غيره يرى ما لا يخفى عليه و كانت تقولها لبعض شانها و لا جرم انهم جردوه عاقبه الأمر و كفنوه.

فالحق فيها ما أنصف الشارح المعتزلى فى المقام حيث بعد نقل شرذمه من تلك الأحاديث المرويه عنها و نقلها فكانت عايشه تقول لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسله الا نساؤه كما رواها الطبرى و غيره أيضا، قال: قلت: حضرت عند محمّد بن معدّ العلوى فى داره ببغداد و عنده حسن بن معالى الحلى المعروف بابن الباقلاوى و هما يقرآن هذا الخبر «يعنى خبر عائشه عن اختلافهم و أخذهم السنه و قولها لو استقبلت من امرى إلخ» و هذه الأحاديث من تاريخ الطبرى فقال محمّد بن معد لحسن بن معالى: ما تراها قصدت بهذا القول قال: حسدت أباك على ما كان يفتخر به من غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فضحك محمّد و قال: هبها استطاعت أن تزاحمه فى الغسل هل تستطيع أن تزاحمه فى غيره من خصائصه انتهى.

ثمّ قال أبو جعفر الطبرى: قال ابن إسحاق و حدثنى الزهرى عن عليّ بن الحسين قال فلما فرغ من غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كفن فى ثلاثه اثواب ثوبين صحاريّين و برد حبره ادرج فيها ادراجا.

و كذا فى الكافى للكلينى (قده) عن زيد الشّحام قال سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام

ص:۱۱۳

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بم كفن قال فى ثلاثه أثواب ثوبين صحاريين و برد حبره.

و فى السيره الحلبيه ذكر أقوالا اخر تنتهى إلى سبعه.

«بيان» قال ابن اثير فى النهايه: فى الحديث كفن رسول اللّه فى ثوبين صحاريين صحار قريه باليمن نسب الثوب إليها و قيل هو من الصحره و هى حمره خفيه كالغبره يقال ثوب اصحر و صحارى.

فى البحار نقلا عن مجالس الصّدوق بإسناده الى عبد اللّه بن عبّاس رضى اللّه عنه قال لما توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تولّى غسله علىّ بن أبى طالب و العباس معه فلما فرغ علىّ عليه السّلام من غسله كشف الازار عن وجهه ثمّ قال بأبى أنت و امّى طبت حيّا و طبت ميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوّه و الانباء خصصت حتى صرت مسلّيا عمن سواك و عممت حتّى صار النّاس فيك سواء و لو لا انك امرت بالصبر و نهيت عن الجزع لا نفدنا عليك الشؤن و لكن مالا يدفع كمد و غصص مخالفان و هما داء الاجل و قلا لك بأبى أنت و امى اذكرنا عند ربك و اجعلنا من همّك ثمّ اكبّ عليه فقبّل وجهه و مد الازار عليه.

و نقل هذه الخطبه الشارح المعتزلى على صوره اخرى قال:

قال محّد بن حبيب فلما كشف الازار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مرارا و بكى طويلا و قال: بأبى أنت و امّى طبت حيا و طبت ميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوّه و الأنبياء (و الانباء - ظ) و اخبار السماء خصصت حتّى صرت مسليا عمّن سواك و عممت حتى صارت المصيبه فيك سواء و لو لا انك امرت بالصبر و نهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤن و لكن اتى ما لا يدفع اشكو إليك كمدا و ادبارا مخالفين و داء الفتنه فانها قد استعرت نارها و داءها الداء الاعظم بأبى أنت و امّى اذكرنا عند ربّك و اجعلنا من بالك و همك.

ثمّ نظر إلى قذاه فى عينه فلفظها بلسانه ثمّ ردّ الازار على وجهه.

أقول: لا يخفى ان هذه الرّوايه تخالف ما فى النهج فى بعض ألفاظه و لا بعد

أن يقال متى دار الأمر بين ما فى النّهج و بين ما فى غيره يكون ما فى النّهج اضبط و أصحّ.

الكلام فی من صلّى اللّه عليه و آله

و لما فرغ علىّ عليه السّلام من غسله و تجهيزه تقدم فصلّى عليه وحده و لم يشركه معه فى الصلاه عليه و كان المسلمون فى المسجد يخوضون فيمن يؤمّهم فى الصلاه عليه و اين يدفن فخرج إليهم أمير المؤمنين و قال لهم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله امامنا حيّا و ميتا فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلّون عليه بغير امام و ينصرفون و ان اللّه تعالى لم يقبض نبيا فى مكان إلا و قد ارتضاه لرمسه فيه و انى لدافنه فى حجرته الّتى قبض فيها فسلم القوم لذلك و رضوا به كما فى الارشاد للمفيد و فى غيره.

و روى ثقه الاسلام الكلينى فى الكافى باسناده عن الحلبى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال اتى العباس أمير المؤمنين عليه السّلام فقال يا علىّ ان النّاس قد اجتمعوا ان يدفنوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بقيع المصلى و ان يؤمهم رجل منهم فخرج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى النّاس فقال يا أيّها النّاس ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله امامنا حيا و ميتا و قال انّى ادفن فى البقعه الّتى قبض فيها ثمّ قام على الباب فصلّى عليه ثمّ أمر النّاس عشره عشره يصلّون عليه ثمّ يخرجون.

و فى الكافى أيضا باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال لما قبض النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله صلّت عليه الملائكه و المهاجرون و الأنصار فوجا فوجا و قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول فى صحته و سلامته انما انزلت هذه الايه على فى الصّلاه بعد قبض اللّه لى «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً ».

و فى روايه الامالى ان أوّل من يصلى عليه هو اللّه سبحانه ثمّ الملائكه ثمّ المسلمون.

قال الطبرى: و دخل النّاس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصلون عليه أرسالا حتّى إذا

فرغ الرّجال ادخل النّساء حتّى إذا فرغ النساء ادخل الصبيان ثمّ ادخل العبيد و لم يؤمّ الناس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أحد.

و فى البحار: و لما أراد علىّ عليه السّلام غسله استدعى الفضل بن العبّاس فامره ان يناوله الماء بعد ان عصب عينيه فشق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرّته و تولّى غسله و تحنيطه و تكفينه و الفضل يناوله الماء فلما فرغ من غسله و تجهيزه تقدّم فصلّى عليه.

فى البحار: سئل الباقر عليه السّلام كيف كانت الصّلاه على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقال:

لما غسله أمير المؤمنين و كفنه سجّاه و ادخل عليه عشره فداروا حوله ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السّلام فى وسطهم فقال «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً » فيقول القوم مثل ما يقول حتّى صلّى عليه أهل المدينه و أهل العوالى.

ان قلت نقل فى البحار روايه عن سليم بن قيس نقلا عن سلمان الفارسى (ره) انّه قال اتيت عليّا عليه السّلام و هو يغسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد كان اوصى ان لا يغسله غير على «إلى أن قال:» فلمّا غسله و كفّنه ادخلنى و ادخل أبا ذر و المقداد و فاطمه و حسنا و حسينا عليهم السّلام فتقدم و صففنا خلفه و صلّى عليه و عائشه فى الحجره لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها ثمّ ادخل عشره عشره من المهاجرين و الانصار فيصلون و يخرجون حتّى لم يبق أحد من المهاجرين و الأنصار إلا صلّى عليه الخبر. فكيف يوافق هذا الخبر ما ذكر من قبل ان عليّا صلّى عليه صلّى اللّه عليه و آله وحده و لم يشركه معه أحد فى الصّلاه؟ قلت: يمكن الجمع بينهما انّه لم يشركه أحد فى ان يؤم النّاس فلم يؤم النّاس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أحد إلاّ علىّ عليه السّلام على أن فى سليم بن قيس كلاما.

و بالجمله لا يخفى على المتدرب البصير فى الأخبار المرويه عن الفريقين أن الصّلاه الحقيقيّه هى التى صلاها علىّ عليه السّلام على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أوّلا و ان صلّى عليه بعده غيره من الرّجال و النساء فوجا بعد فوج.

الکلام فی دفنه صلّی اللّه علیه و آله

و اختلف الاقوال فی موضع دفنه فذهب قوم إلی أن یدفنوه صلّی اللّه علیه و آله بمکّه لانها مسقط رأسه و قال الاخرون فی المدینه فمنهم من رأی ان یدفن فی البقیع عند شهداء احد و منهم من قال ان یدفنوه فی صحن المسجد و قال أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام انّ اللّه لم یقبض نبیا إلاّ فی أطهر البقاع فینبغی ان یدفن فی البقعه التی قبض فیها فاخذوا بقوله.

قال الطبری نقلا عن عبد اللّه بن عبّاس لما أرادوا ان یحفروا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان أبو عبیده بن الجراح یضرح کحفر أهل مکّه و کان أبو طلحه زید بن سهل هو الّذی یحفر لأهل المدینه و کان یلحد فدعا العبّاس رجلین فقال لأحدهما اذهب إلی أبی عبیده و للاخر اذهب إلی أبی طلحه اللهم خر لرسولک.

و قال الطبری قال ابن إسحاق و کان الّذی نزل قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ بن أبی طالب و الفضل بن العبّاس و قثم بن العباس و شقران مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد قال اوس بن خولی انشدک اللّه یا علیّ و حظنا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال له انزل فنزل مع القوم و قد کان شقر ان مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حفرته و بنی علیه قد اخذ قطیفه کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلبسها و یفترشها فقذفها فی القبر و قال و اللّه لا یلبسها أحد بعدک أبدا قال فدفنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فی التهذیب لشیخ الطّائفه الامامیه فی روایه عن أبی جعفر علیه السّلام «إلی أن قال:» ثمّ دخل علیّ علیه السّلام القبر فوضعه علی یدیه و ادخل معه الفضل بن العبّاس فقال رجل من الأنصار من بنی الخیلاء یقال له اوس بن الخولی انشدکم اللّه ان تقطعوا حقنا فقال له علیّ علیه السّلام ادخل فدخل معهما الخبر.

و فیه عن جعفر عن أبیه علیهما السّلام ان قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله رفع شبرا من الأرض.

و فی الکافی للکلینی رضوان اللّه علیه عن أبان بن تغلب قال سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول جعل علیّ علیه السّلام علی قبر النّبیّ لبنا.

ص:۱۱۷

و فیه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله یا علی ادفنی فی هذا المکان و ارفع قبری من الأرض أربع أصابع و رش علیه من الماء.

أقول: جاءت الرّوایات من الفریقین فی تعیین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مدفنه کما فی الرّوایه المرویه عن أبی جعفر الطبری المذکوره آنفا و من کتب الامامیّه أیضا و مع ذلک اختلافهم فی مدفنه صلّی اللّه علیه و آله غریب جدّا.

و فیه أیضا عن یحیی بن أبی العلا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: القی شقران مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی قبره القطیفه.

و فی الارشاد للمفید (ره) بعد ما قال صلّی علیّ علیه السّلام وحده علی النّبی و لم یشرکه معه أحد ثمّ صلّی المسلمون قال:

و لما صلّی المسلمون علیه أنفذ العبّاس بن عبد المطلب برجل إلی أبی عبیده ابن الجراح و کان یحفر لأهل مکّه و یضرّح و کان ذلک عاده أهل مکه و انفذ إلی زید بن سهل و کان یحفر لأهل المدینه و یلحد فاستدعاهما و قال: اللهم خر لنبیک فوجد أبو طلحه زید بن سهل و قیل له احفر لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فحفر له لحدا و دخل أمیر المؤمنین و العبّاس بن عبد المطلب و الفضل بن العباس و اسامه بن زید لیتولّوا دفن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فنادت الأنصار من وراء البیت یا علیّ إنا نذکرک اللّه و حقنا الیوم من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یذهب ادخل منا رجلا یکون لنا به حظ من مواراه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فقال لیدخل اوس بن خولی و کان بدریا فاضلا من بنی عوف من الخزرج فلما دخل قال له علیّ علیه السّلام: انزل القبر فنزل و وضع أمیر المؤمنین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی یدیه و ولاه فی حفرته فلما حصل فی الأرض قال له اخرج فخرج و نزل علیّ علیه السّلام القبر فکشف عن وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و وضع خدّه علی الأرض موجها إلی القبله علی یمینه ثمّ وضع علیه اللبن و أهال علیه التراب و کان ذلک فی یوم الاثنین للیلتین بقیتا من صفر سنه عشر من هجرته صلّی اللّه علیه و آله و هو ابن ثلاث و ستّین سنه و لم یحضر دفن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أکثر الناس لما جری بین المهاجرین و الأنصار من التشاجر فی أمر الخلافه وفات أکثرهم الصّلاه علیه لذلک و أصبحت

فاطمه عليها السّلام تنادى: و اسوء صباحاه، فسمعها أبو بكر فقال لها: إنّ صباحك لصباح سوء و اغتنم القوم الفرصه لشغل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و انقطاع بنى هاشم عنهم بمصابهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتبادروا إلى ولايه الأمر و اتفق لأبى بكر ما اتفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم و كراهيه الطلقاء و المؤلفه قلوبهم من تأخر الأمر حتّى يفرغ بنو هاشم فيستقر الامر مقرّه. فبايعوا أبا بكر لحضوره المكان وكالت أسباب معروفه تيسر للقوم منها.

ثمّ قال المفيد (ره): و قد جاءت الرّوايه انه لمّا تم لأبى بكر ما تمّ و بايعه من بايع جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يسوى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمسحاه فى يده فقال له ان القوم قد بايعوا أبا بكر و وقعت الخذله للانصار لاختلافهم و بدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفا من ادراككم الامر فوضع طرف المسحاه على الأرض و يده عليها ثمّ قال عليه السّلام «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ».

و لقد مضى الكلام منه عليه السّلام فى الخطبه المأتين عند دفن سيده نساء العالمين مخاطبا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند قبره: و لقد وسدتك فى ملحوده قبرك و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك آه.

و قال عليه السّلام فى الخطبه السادسه و التسعين و المأه: و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله انّى لم ارد على اللّه و لا على رسوله ساعه قط و لقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الابطال و تتأخر الاقدام نجده اكرمنى اللّه بها و لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ان رأسه على صدرى و لقد سالت نفسه فى كفّى فامررتها على وجهى و لقد ولّيت غسله صلّى اللّه عليه و آله و الملائكه اعوانى فضجّت الدار و الافنيه ملأ يهبط و ملأ يعرج و ما فارقت سمعى هينمه منهم يصلون عليه حتى و اريناه فى ضريحه فمن ذا احق به منّى حيّا و ميتا.

قال الشّارح المعتزلى بعد نقل شرذمه من تلك الأخبار عن أبى جعفر الطبرى:

من تأمل هـذه الأخبار علم ان عليّا عليه السّـلام كان الأصل و الجمله و التفصـيل فى أمر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و جهازه ألاـ ترى ان اوس بن خولى لاـ يخـاطب أحـدا من الجماعه غيره فى حضور الغسل أو النزول فى القبر. ثمّ انظر إلى كرم علىّ عليه السّـلام و سـجاحه اخلاـقه و طهـاره شـيمته كيف لم يضن بمثل هـذه المقامات الشـريفه عن اوس و هو رجل غريب من الانصار فعرف له حقه و اطلبه بما طلبه فكم بين هـذه السـجيّه الشـريفه و بين قول من قال «يعنى بها عائشه كما مضـى الخبر فى ذلك» لو اسـتقبلت من أمرى ما اسـتدبرت ما غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الانساؤه و لو كان فى ذلك المقام غيره من اولى الطباع الخشنه و ارباب الفظاظه و الغلظه و قد سأل اوس لزجر و انتهر و رجع خائبا انتهى.

الكلام فى تجهيزه صلّى اللّه عليه و آله فى انه أى يوم

كان و الحق فى ذلك

مضى الكلام فى يوم وفاته صلّى اللّه عليه و آله انه عند الاكثر الاشهر بل مما اتفقوا عليه كان يوم الاثنين.

ثمّ قـال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه: فلما بويع أبو بكر اقبل النّاس على جهاز رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و بويع أبو بكر يوم الاثنين فى اليوم الـذى قبض فيه النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و قال بعضـهم كان ذلك من فعلهم يوم الثلثاء و ذلك الغـد من وفاته صلّى اللّه عليه و آله.

أقول: و ذلك البعض هو الواقـدى حيث قال: و دفن صـلّى اللّه عليه و آله من الغد نصف النهار حين زاغت الشـمس و ذلك يوم الثلثاء.

و قال بعضـهم انما دفن بعد وفاته بثلاثه أيام ثمّ دفن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من وسط الليل ليله الأربعاء، و روى فى دفنه صلّى اللّه عليه و آله ليله الأربعاء عدّه روايات من عائشه و غيرها، و قال بعضهم دفن يوم الأربعاء.

و روى الطبرى عن زياد بن كليب عن إبراهيم النخعى انه لما قبض النّبى صـلّى اللّه عليه و آله كان أبو بكر غائبا فجاء بعـد ثلاث إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم يجترء أحد ان يكشف عن

وجهه و قد اربدّ بطنه فكشف عن وجهه و قبل عينيه و قال بأبى أنت و امّى طبت حيا و طبت ميتا ثمّ خرج إلى النّاس فقال من يعبد محمّدا فان محمّدا قد مات الحديث.

و كذا أقوال الاماميه و أخبارهم مختلفه فى ذلك ففى بعضها ان النّاس دخلوا عليه عشره عشره فصلوا عليه يوم الاثنين و ليله الثلثاء و فى آخر أنهم صلوا عليه يوم الاثنين و ليله الثلثاء حتى الصباح و يوم الثلثاء.

و الصواب انه صلّى اللّه عليه و آله دفن فى اليوم الذى قبض و هو رأى المحققين من علمائنا الاماميّه كما صرّح به عماد الدّين الطبرى فى كامل البهائى و تولى تجهيزه فى ذلك اليوم أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام على ما مضى الكلام فيه مفصلا و القوم قد اشتغلوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بامر البيعه.

و إذا انضم قول أبى جعفر الطبرى و بويع أبو بكر يوم الاثنين فى اليوم الذى قبض فيه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى قول المفيد فى الارشاد و قد جاءت الروايه انه لما تم لأبى بكر ما تمّ و بايعه من بايع جاء رجل إلى أمير المؤمنين و هو يسوى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمسحاه فى يده الحديث، ينتج ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دفن فى اليوم الذى قبض.

على انه نهى ان يترك الميت و أمر بتعجيل الدفن الا لضروره اقتضت خلافه حتى يحصل العلم الذى تطمئن به النفس و لا أقل ان يكون الامر بالتعجيل للاستحباب ان لم نقل بوجوبه و النهى للكراهه لا للحرمه ففى الوافى للفيض نقلا عن الكافى و التهذيب و الفقيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يا معشر النّاس لا الفينّ رجلا مات له ميت ليلا فانتظر به الصبح و لا رجلا مات له ميت نهارا فانتظر به الليل لا تنتظروا بموتكم طلوع الشمس و لا غروبها عجلوا بهم إلى مضاجعهم رحمكم اللّه قال النّاس و أنت يا رسول اللّه يرحمك اللّه.

و فيه نقلا عن الاولين عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا مات الميّت أوّل النهار فلا يقيل إلّا فى قبره.

و فيه نقلا عن الثالث قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كرامه الميت تعجيله.

و لم يكن موته صلّى اللّه عليه و آله مشتبها حتى يتربص فى تجهيزه ثلاثه أيام لحصول العلم

به و لاـ يقبـل العقـل السـليم ان يبقى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ميتا يوم الاثنين و الثلثاء و الأربعاء و أمير المؤمنين علىّ عليه السّـلام حاضـر لا يقوم بتجهيزه و يتركه حتّى اربدّ بطنه صلّى اللّه عليه و آله و العجب من تلك الروايه المنقوله عن الطبرى أنه لا يجترىء أحـد أن يكشف عن وجهه هـل يقبله عاقـل و يتسـلم لبيب ان عليّـا عليه السّـلام لاـ يجترى فى ذلـك، و أنصف الشارح المعتزلى فى المقام و قال:

و كيف يبقى طريحـا بين أهله ثلاـثه أيام لا يجترىء أحـد منهم أن يكشف عن وجهه و فيهم علىّ بن أبى طالب و هو روحه بين جنبيه و العبّـاس عمه القـائم مقـام أبيه و ابنـا فـاطمه و همـا كولـديه و فيهم فاطمه بضـعه منه أ فما كان فى هؤلاء من يكشف عن وجهه و لا من يفكر فى جهازه. و لا من يأنف له من انتفاخ بطنه و اخضـرارها و ينتظر بذلك حضور أبى بكر ليكشف عن وجهه انا لا اصدق ذلك و لا يسكن قلبى إليه.

ثمّ قال ذلك الشارح: و بقى الاشـكال فى قعود علىّ عليه السّلام عن تجهيزه و إذا كان اولئك مشتغلين بالبيعه فما الذى شغله هو فاقول يغلب على ظنى ان صـح ذلك ان يكون قد فعله شـناعه على أبى بكر و اصـحابه حيث فاته الأمر و اسـتوثر عليه به فأراد ان يتركه صـلّى اللّه عليه و آله بحاله لا يحـدث فى جهازه امرا ليثبت عند الناس ان الدّنيا شـغلتهم عن نبيهم ثلاثه أيام حتى آل أمره إلى ما ترون و قد كان عليه السّـلام يتطلب الحيله فى تهجين أمر أبى بكر حيث وقع فى السـقيفه ما وقع بكل طريق و يتعلق بأدنى سبب من امور كان يعتمدها و أقوال كان يقولها فلعل هذا من جمله ذلك، أو لعله إن صحّ ذلك فانما تركه صلّى اللّه عليه و آله بوصيته منه اليه و سرّ كانا يعلمانه فى ذلك.

فان قلت فلم لا يجوزان يقال ان صـح ذلك انه اخر جهازه ليجتمع رأيه و رأى المهاجرين على كيفيه غسـله و كفنه و نحو ذلك من اموره؟ قلت لأن الروايه الاولى يبطل هـذا الاحتمال و هى قوله صـلّى اللّه عليه و آله لهم قبل موته يغسـلنى أهلى الادنى منهم فالادنى و اكفن فى ثيابى أو فى بياض مصر أو فى حله يمنيّه انتهى.

أقول كيف اجترى هذا الرجل ان يتفوه بذلك و كان له شيطان يعتريه

ص:۱۲۲

و الا فكيف نطق بأنّ عليّا عليه السّلام تركه صلّى اللّه عليه و آله ثلاثه أيّام لذلك الغرض الذى بمراحل عنه عليه السّلام و هو شارح أقواله و عارف بأحواله فى الجمله و لا يخالف أحد فى أنّه عليه السّلام أزهد الناس و أعلمهم و أفضلهم و أتقاهم و أنّه طلق الدنيا ثلاثا و لا يعدّ مكارم أعماله و محاسن أخلاقه و فضائل أوصافه و مناقب آدابه كلّت ألسن الفصحاء عن توصيف مقامه الشاهق، و حارت أفهام العقلاء فيه و كيف لا و هو كتاب اللّه الناطق، و بالجمله لما كانت سخافه قول الرّجل و خرافته أظهر من الشمس فى رائعه النهار فلا يهمنا اطاله الكلام فى الرّد و الانكار، و نستجير باللّه من الهواجس النّفسانيّه و الوساوس الشيطانيّه.

قال ابن قتيبه الدينورى - و هو من أكابر علماء العامه المتعصب جدّا فى مذهبه كما هو الظاهر لأهل التتبع و التفحص فى حال الرجال - فى كتابه الامامه و السياسه المعروف بتاريخ الخلفاء «المتوفى سنه ۲۷۶» فى إبايه علىّ عليه السّلام بيعه أبى بكر:

ثمّ إن عليّا عليه السّلام اتى به إلى أبى بكر و هو يقول: أنا عبد اللّه و أخو رسوله فقيل له بايع أبا بكر فقال عليه السّلام: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعه لى، أخذتم هذا الامر من الأنصار و احتججتم عليه بالقرابه من النّبى صلّى اللّه عليه و آله و تأخذونه منّا أهل البيت غصبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمّد صلّى اللّه عليه و آله منكم فأعطوكم المقاده و سلموا إليكم الإماره و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. نحن اولى اللّه برسول اللّه حيّا و ميّتا فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، و إلاّ فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون «إلى أن قال:» فقال عليه السّلام: اللّه اللّه يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد فى العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقه، فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أحق النّاس به لأنا أهل البيت و نحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه، العالم

بسنن رسول اللّه، المضطلع بأمر الرعيّه المدافع عنهم الامور السيئه، القاسم بينهم بالسويّه، و اللّه إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحق بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصارى لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علىّ قبل بيعتها لأبى بكر، ما اختلف عليك اثنان.

قال: و خرج عليه السّلام يحمل فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على دابه ليلا فى مجالس الأنصار تسألهم النصره، فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه قد مضت بيعتنا لهذا الرجل و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به فيقول علىّ عليه السّلام: أ فكنت أدع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بيته لم أدفنه، و أخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمه عليها السّلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له و لقد صنعوا ماللّه حسيبهم و طالبهم.

و فى الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فى مرثيه سيد المرسلين:

نفسى على زفراتها محبوسه يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك فى الحياه و انما ابكى مخافه ان تطول حياتى

و اسند إلى فاطمه عليها السّلام فى مرثيه أبيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إذا اشتد شوقى زرت قبرك باكيا انوح و اشكو لا اراك مجاوبى

فيا ساكن الصحراء علّمتنى البكا و ذكرك انسانى جميع المصائب

فان كنت عنى فى التراب مغيبا فما كنت عن قلب الحزين بغائب.

و قالت عليها السلام فى رثاه صلّى اللّه عليه و آله و ندبته بقولها يوم موته و بعده بألفاظ منها:

يا أبتاه جنه الخلد مثواه، يا أبتاه عند ذى العرش مأواه، يا أبتاه كان جبريل يغشاه يا أبتاه لست بعد اليوم أراه.

فى الكافى للكلينى (ره) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جاءهم جبرئيل عليه السّلام و النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله مسجّى و فى البيت علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام فقال السّلام عليكم يا أهل بيت الرّحمه «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ»

«وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أَجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أَدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَیاهُ الدُّنْیا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ » ان فی اللّه تعالی عزاء من کلّ مصیبه و خلفا من کل هالک و درکا مما فات فباللّه فثقوا و ایاه فارجوا فان المصاب من حرم الثّواب هذا آخر وطیی من الدنیا قالوا سمعنا الصوت و لم نر الشخص.

الترجمه

از کلام آن بزرگوار است، در حالی که مباشر غسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تکفین و تدفین او بود فرموده است:

پدر و مادرم فدای تو باد هر آینه بموت تو نبوّت و خبر دادن بحقائق و وحی آسمانی قطع شد که بموت دیگر پیغمبران قطع نشده بود «زیرا آن حضرت خاتم انبیاء است و تا قیام قیامت شریعت او منسوخ نمی شود و دیگر بر کسی کتاب آسمانی وحی نمی شود»، مصیبت تو مصیبت مخصوص و ممتازی است که دیگر مصیبتها را تسلّی دهنده است و عام است که همه آدمیان را فرا گرفت و هیچکس از آن فارغ نیست، و اگر امر بشکیبائی و نهی از بیتابی نمی فرمودی هر آینه آب چشم را «که از درزهای کاسه سر فرود می آید و از مجرای عین خارج می شود» در مصیبت تو تمام می کردیم، و هر اینه درد و غم پیوسته همدم بود «و در بر طرف شدن مماطله و امروز و فردا میکرد» و اندوه و الم هم قسم و ملازم بود، و این درد پیوسته و اندوه همیشه برای تو اندکست «یا آن گونه گریستن و همدم اندوه و ماتم بودن برای تو اندکست» و برای بیش از این سزاوار و درخوری.

و لکن مرگ تو چیزیست که ردّ آن مقدور کسی نیست و دفع آن در استطاعت احدی نه، «و یا این که: آن مقدار که گریستیم و با غم و اندوه همدم بودیم دفع آن میسور نبود، به بیانی که در شرح گفته ایم».

ص:۱۲۵

و من كلامه عليه السّلام اقتص فيه ذكر ما كان منه

اشاره

بعد هجره النبى صلّى اللّه عليه و آله ثم لحاقه به

:

فجعلت أتبع مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج «فى كلام طويل».

«قال الرضى (ره)»: قوله عليه السّلام: فأطا ذكره من الكلام الذى رمى به إلى غايتى الايجاز و الفصاحه، و أراد أننى كنت اعطى خبره صلّى اللّه عليه و آله من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكنايه العجيبه.

اللغه

(جعلت) أى اخذت و شرعت (مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) أى الصوب الّذى سلكه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى هجرته من مكّه إلى المدينه.

(اطأ) من وطئت الشىء برجلى وطا، سقطت الواو فيه و فى اخواته، قال الجوهرى فى الصحاح سقطت الواو من يطأ كما سقطت مع يسع لتعدّيهما لأن فعل يفعل مما اعتل فاؤه لا يكون إلاّ لازما فلمّا جاءه من بين أخواتهما متعديين خولف بهما نظائرهما.

و فى بعض النسخ «قاطّا» مكان «فاطا» و كانه تصحيف لأن القطّ كما قال الخليل: فصل الشىء عرضا، يقال قططت الشىء اقطه إذا قطعته عرضا و منه قط القلم، كما قيل فى علىّ عليه السّلام كان يقطّ الهام قطّ الاقلام، لكنه لا يناسب المقام و ان تكلف و تعسف بعض فى تفسيره.

(العرج) بفتح أوله و سكون ثانيه و هو كما قال الجوهرى فى الصحاح و غيره

ص:۱۲۶

منزل بطريق مكّه و إليه ينسب العرجىّ الشاعر و هو عبد اللّه بن عمر بن عثمان ابن عفّان و هو أحد الأمكنه التى وقع فى طريقه صلّى اللّه عليه و آله فى هجرته و هو قريب من المدينه كما يأتى ذكر طريقه صلّى اللّه عليه و آله فى هجرته و لذا قال عليه السّلام: حتّى انتهيت إلى العرج و فى النسخ المطبوعه من النهج اعرب العرج بفتح الراء و الصواب سكونها كما ذكرنا، قال زراح بن ربيعه في قصيده له(۱)

و جاوزن بالركن من ورقانو جاوزن بالعرج حيا حلولا

الاعراب

الظاهر أن كلمه حتّى متعلقه بكلّ واحد من اتبع و أطأ و لا تختصّ بالأخير.

المعنى

اشاره

يقتص و يروى فى هذا الفصل حاله فى خروجه من مكه إلى المدينه بعد هجره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان قد تخلف عنه صلّى اللّه عليه و آله بمكّه لقضاء دينه و ردّ ودائعه و ما أمره به ثمّ لحق به في قباء راجلا و قد تورمت قدماه و قد نزل على كلثوم بن هدم حيث نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليه ثمّ جاء معه صلّى اللّه عليه و آله المدينه و نزلوا على أبى أيّوب الأنصارى كما يأتى شرحه.

(فجعلت اتبع مأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) يعنى به خرجت من مكّه زادها اللّه شرفا مهاجرا إلى المدينه فأخذت أتبع الطريقه و الجهه التى سلكها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يأتى فى طريقه أنّه صلّى اللّه عليه و آله أتى العرج و قال علىّ عليه السّلام: حتّى انتهيت إلى العرج فسلكت تلك الجهه و خرج على ذلك الطريق و ايتسى به فى ذلك أيضا.

(فاطأ ذكره) اغنانا بشرحه كلام الرضى (ره) فى بيانه و لا حاجه إلى التطويل.

(حتّى انتهيت إلى العرج) أى اننى كنت اعطى خبره من بدء خروجى من

۱- (۱) - السيره النبويه لابن هشام ج ۱ ص ۱۲۷ طبع مصر ۱۳۷۵ ه.

مکّه ثمّ اطا الطریق علی النحو الـذی اخبرت فی سـیره و جهته یعنی انی لازمت ذلک الطریق الّـذی سـلکه صـلّی اللّه علیه و آله علی حـذوه غیر مفارق ایاه حتّی انتهیت علی ذلک المسیر إلی العرج و الظاهر انه علیه السّـلام لما وصل إلیه اطمأن قلبه علی أنه ورد المدینه سالما لأن ذلک المکان کان قریبا منها و لذا قال حتی انتهیت إلی العرج.

الکلام فی هجره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی المدینه و ما جری فی ذلک علی الایجاز

«بدء اسلام الانصار»

فی السـیره الهشـامیّه و فی تاریـخ الطبری: لمـا أراد اللّه عزّ و جلّ اظهار دینه و إعزاز نبیّه صـلّی اللّه علیه و آله و انجاز موعـده له خرج رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی الموسم الّـذی لقیه فیه النفر من الأنصار فعرض نفسه علی قبائل العرب کما کان یصـنع فی کل موسم فبینما هو عند العقبه لقی رهطا من الخزرج أراد اللّه بهم خیرا.

لما لقیهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال:

أمن مـوالی یهـود؟ قـالوا: نعم، قـال: أفلاـ تجلسـون اکلّمکم؟ قـالوا: بلی فجلسـوا معه فـدعاهم إلی اللّه عزّ و جـلّ و عرض علیهم الاسلام و تلا علیهم القرآن.

و کـان مما صـنع اللّه بهم فی الاسـلام أن یهود کـانوا معهم فی بلاـدهم و کـانوا أهـل کتـاب و علم و کانوا هم أهل الشـرک و أصـحاب أوثان و کانوا قد غزوهم ببلادهم فکانوا إذا کان بینهم شـیء قالوا لهم إن نبینا مبعوث الان قد أظلّ زمانه تتّبعه فنقتلکم معه قتل عاد و إرم.

فلمـا کلم رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله اولئـک النفر و دعـاهم إلی اللّه قـال بعضـهم لبعض یا قوم تعلموا و اللّه انه للنبی الـذی توعدکم به یهود فلا تسبقنّکم إلیه فأجابوه فیما دعاهم إلیه بأن صدقوه و قبلوا منه ما عرض علیهم من الاسلام و قالوا إنا قد ترکنا قومنا و لا قوم بینهم من العداوه و الشـر ما بینهم فعسـی أن یجمعهم اللّه بک فسنقدم علیهم فندعوهم إلی أمرک و تعرض علیهم الّذی اجبناک إلیه من هذا الدین فان یجمعهم اللّه علیه فلا

رجل أعزّ منک.

ثمّ انصرفوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله راجعين إلى بلادهم و قد آمنوا و صدّقوا و هم سته نفر من الخزرج.

فلما قدموا المدينه إلى قومهم ذكروا لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دعوهم إلى الاسلام حتّى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار الا و فيها ذكر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

«أمر العقبه الاولى»

حتّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنى عشر رجلا فلقوه بالعقبه و هى العقبه الاولى فبايعوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على بيعه النساء(١) و ذلک قبل أن تفترض عليهم الحرب.

قال عباده بن الصامت: بايعنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليله العقبه الاولى على أن لا نشرک باللّه شيئا و لا نسرق و لا نزنى و لا نقتل أولادنا و لا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا و أرجلنا و لا نعصيه فى معروف، فان وفيتم فلكم الجنّه، و إن غشيتم من ذلک شيئا فاخذتم بحدّه فى الدّنيا فهو كفاره له، و إن سترتم عليه يوم القيامه فأمركم إلى اللّه عزّ و جلّ إن شاء عذّب و إن شاء غفر.

فلمّا انصرف عنه القوم بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله معهم مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف و أمره أن يقرأهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم فى الدّين فكان يسمّى المقرى بالمدينه مصعب.

١- (١) - و المراد من العباره أنهم بايعوا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) على الشروط التى ذكرت فى بيعه النساء فى الممتحنه: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَکَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَکَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».و كان بيعه النساء يوم فتح مكه لما فرغ النبى (صلّى اللّه عليه و آله) من بيعه الرجال و هو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الايه فشرط اللّه تعالى فى مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط.

«أمر العقبه الثانيه»

ثمّ إن مصعب بن عمير رجع إلى مكّه و خرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجّاج قومهم من أهل الشرك حتّى قدموا مكّه فواعدوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله العقبه من أوسط أيّام التشريق حين أراد اللّه بهم ما أراد من كرامته و النصر لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و إعزاز الاسلام و أهله و إذلال الشرك و أهله.

و اجتمع فى الشعب عند العقبه ثلاثه و سبعون رجلا فى اللّيله الّتى كانوا و اعدوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها فبعد ما توثق العبّاس بن عبد المطلب و هو يومئذ على دين قومه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله تكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتلا القرآن و دعا إلى اللّه و رغّب فى الاسلام ثمّ قال: اأبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم، فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: نعم و الّذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنّك ممّا نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول اللّه فنحن و اللّه أبناء الحروب و أهل الحلقه و رثناها كابرا عن كابر.

فاعترض القول و البراء يكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، أبو الهيثم بن التّيهان فقال:

يا رسول اللّه إن بيننا و بين الرّجال حبالا و انّا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟ فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم قال: بل الدم الدم و الهدم الهدم أنا منكم و أنتم منى احارب من حاربتم و اسالم من سالمتم.

فبايعهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى العقبه الأخيره على حرب الأحمر و الأسود أخذ لنفسه و اشترط على القوم لربّه و جعل لهم على الوفاء بذلك الجنّه.

«بيان» قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: بعثت إلى الأسود و الأحمر و هى من الألفاظ التى جاءت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من باب الكنايات يريد بعثت إلى العرب و العجم فكنى عن العرب بالسود و عن العجم بالحمر، و العرب تسمى العجمى أحمر لأن الشقره تغلب عليه و قال جرير حيث يذكر العجم:

يسموننا الأعراب و العرب اسمنا و أسماهم فينا رقاب المزاود

إنّما يسمونهم رقاب المزاود لأنها حمره.

نزول الامر لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی القتال

و كـان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قبـل بيعه العقبه لم يؤذن له فى الحرب و لم تحلل له الـدماء إنما يؤمر بالـدعاء إلى اللّه و الصبر على الأذى و الصـفح عن الجاهل و كانت قريش قـد اضـطهدت من اتبعه من المهاجرين حتّى فتنوهم عن دينهم و نفوهم من بلادهم فهم بين مفتون فى دينه و من بين معـذب فى أيـديهم و بين هـارب فى البلاد فرارا منهم، منهم من بأرض الحبشه، و منهم من بالمدينه و فى كلّ وجه.

فلما عتت قريش على اللّه عزّ و جلّ و ردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامه و كـذبوا نبيّه صـلّى اللّه عليه و آله و عـذّبوا و نفوا من عبـده و وحّـده و صـدّق نبيّه و اعتصم بـدينه أذن اللّه عزّ و جلّ لرسوله صـلّى اللّه عليه و آله فى القتال و الانتصار ممّن ظلمهم و بغى عليهم فكـانت أول آيه انزلت فى اذنه له فى الحرب و احلاله له الـدماء و القتال لمن بغى عليهم قول اللّه تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ » إلى قوله تعالى: «وَ لِلّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ » (الحج آيه ۴۲ و ۴۳).

فلمّا أذن اللّه تعالى له صلّى اللّه عليه و آله فى الحرب و بايعه هذا الحىّ من الأنصار على الاسلام و النّصره له و لمن اتبعه و آوى إليهم من المسـلمين أمر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أصحابه من المهاجرين من قومه و من معه بمكه من المسلمين بالخروج إلى المـدينه و الهجره إليها و اللحوق من الأنصار، و قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ قـد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا و أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكه ينتظر أن يأذن له ربّه فى الخروج من مكّه و الهجره إلى المدينه.

و لم يتخلّف معه بمكّه أحـد من المهـاجرين إلاّ من حبس أو فتن إلاّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام و أبو بكر بن أبى قحافه و كان أبو بكر كثيرا ما يسـتأذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الهجره فيقول له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا تعجل لعل اللّه يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر ان يكونه.

و لما رأت قريش أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد صارت له شيعه و أصحاب من غيرهم بغير بلدهم و رأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا و أصابوا منهم منعه فحذروا خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عرفوا أنهم قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوه – و هى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلّا فيها – يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين خافوه.

و عن عبد اللّه بن عبّاس لما أجمعوا لذلك و اتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوه ليتشاوروا فيها فى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غدوا فى اليوم الذى اتّعدوا له، و كان ذلك اليوم يسمى يوم الزّحمه فاعترضهم إبليس فى هيئه شيخ جليل عليه بتله فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالّذى اتّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون و عسى أن لا يعدمكم منه رأيا و نصحا، قالوا: أجل فادخل فدخل معهم و قد اجتمع فيها أشراف قريش و غيرهم ممّن لا يعدّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض إن هذا الرّجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانّا و اللّه ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا قال:

فتشاوروا.

ثمّ قال قائل منه: احبسوه فى الحديد و اغلقوا عليه بابا ثمّ تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا و النابغه و من مضى منهم من هذا الموت حتّى يصيبه ما أصابهم، فقال الشّيخ النجدى: لا و اللّه ما هذا لكم برأى و اللّه لئن حبستموه كما تقولون لخيرجنّ أمره من وراء الباب الّذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثمّ يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره فتشاوروا.

ثمّ قال قائل منهم و هو أبو الاسود ربيعه بن عامر نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا اخرج عنّا فو اللّه ما نبالى أين ذهب و لا حيث وقع إذا غاب عنّا و فرغنا منه فاصلحنا أمرنا و الفتنا كما كانت، فقال الشّيخ النجدى: لا و اللّه ما

هـذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه و حلاوه منطقه و غلبته على قلوب الرجال بما يأتى به و اللّه لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحلّ على حيّ من العرب فيغلب عليهم بـذلك من قوله و حـديثه حتّى يتـابعوه عليه ثم يسـير بهم إليكم حتّى يطـأكم بهم فى بلادكم فيأخذكم أمركم من أيديكم ثمّ يفعل بكم ما أراد، دبّروا فيه رأيا غير هذا.

قال: فقال أبو جهل بن هشام: و اللّه إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعـد، قالوا: و ما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى ان نأخـذ من كـلّ قبيله فتى شابا جليـدا نسيبا وسـيطا فينا، ثمّ نعطى كلّ فتى منهم سـيفا صارما ثمّ يعمـدوا إليه فيضـربوه بها ضـربه رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقـل فعقلنـاه لهم، قال: فقال الشـيخ النجـدى: القول ما قال الرجل هـذا الرأى الّـذى لا رأى غيره فتفرّق القوم على ذلك و هم مجمعون له.

«خروج النبى صلّى اللّه عليه و آله و استخلافه عليا عليه السّلام

على فراشه»

فأتى جبرئيل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: لا تبت هذه الليله على فراشك الذى كنت تبيت عليه قال: فلمّا كانت عتمه من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله مكانهم قال لعليّ بن أبى طالب: نم على فراشـى و تسجّ ببردى هذا الحضـرميّ الأخضـر فنم فيه فانّه لن يخلص إليك شـىء تكرهه منهم، و كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ينام فى برده ذلك إذا نام.

و لما اجتمعوا له و فيهم أبو جهل بن هشام فقال و هم على بابه: إن محمّـدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب و العجم ثمّ بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردنّ، و إن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثمّ بعثتم من بعد موتكم ثمّ جعلت لكم نار تحرقون فيها.

و خرج عليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأخذ حفنه من تراب فى يده ثمّ قال أنا أقول

ذلک أنت أحدهم و أخذ اللّه تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلک التراب على رؤوسهم و هو يتلو هؤلاء الايات من يس: «يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ » إلى قوله:

«فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ » حتّى فرغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من هؤلاء الايات و لم يبق منهم رجل إلّا و قد وضع على رأسه ترابا ثمّ انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال. ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمّدا قال:

خيّبكم اللّه قد و اللّه خرج عليكم محمّد ثمّ ما ترک منكم رجلا- إلاّ- و قد وضع على رأسه ترابا و انطلق لحاجته أ فما ترون ما بكم؟ فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثمّ جعلوا يتطلعون فيرون عليّا على الفراش مستحبّا ببرد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيقولون: و اللّه إن هذا لمحمّد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلک حتى أصبحوا فقام عليّ عليه السّلام عن الفراش فقالوا: و اللّه لقد كان صدقنا الّذى حدّثنا.

أقول: فان قلت: إذا علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السّلام لن يصيبه المكروه فى منامه على الفراش حيث قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله له عليه السّلام: فنم فيه فانه لن يخلص إليک شيء تكرهه و كان عليّا عليه السّلام على يقين من صدق قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فهل لعليّ فى ذلک فضيله و منقبه و كيف يكون كذلک مع انهما كانا عالمين بعدم اصابه مكروه لهما و كيف يصح ان يقال انّ عليّا بذل نفسه دون النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و وقاه بنفسه؟ على أنّه ورد فى أخبار الاماميّه ان الأئمّه الاثنى عشر يعلمون علم ما كان و ما يكون و لا يخفى عليهم شيء كما جاء فى ذلک باب فى الكافى لثقه الاسلام الكلينى و باب آخر إن اللّه تعالى لم يعلم نبيّه صلّى اللّه عليه و آله علما الا أمره أن يعلّمه أمير المؤمنين عليه السّلام و أنه كان شريكه فى العلم ثمّ انتهى إليهم صلوات اللّه عليهم.

و فى هذا الباب عن الصّادق عليه السّلام ان جبرئيل أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله برمانتين فأكل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إحداهما و كسر الاخرى بنصفين فأكل نصفا و أطعم عليّا نصفا ثمّ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا أخى هل تدرى ما هاتان الرمّانتان؟ قال:

لا، قال: أمّا الاولى فالنبوّه ليس لک فيها نصيب و أما الاخرى فالعلم أنت شريكى

ص:۱۳۴

فیه فقلت أصلحک اللّه کیف کان یکون شریکه فیه قال: لم یعلم اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله علما الا و أمره أن یعلمه علیا و غیر ذلک من الأبواب المشتمله علی الأخبار الّتی جیئت فی علمهم بما کان و ما یکون.

قلت: إنّ الأخبار الوارده فی تلک الأبواب لا یدلّ علی أن الأئمه الاثنی عشر کانوا عالمین بجمیع ما یعلمه الامام الحیّ الّذی کان قبله ما دام ذلک الامام حیّا فلا یستفاد منها أن علیّا علیه السّلام کان عالما بجمیع ما علمه الرسول صلّی اللّه علیه و آله ما دام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیّا کما ورد فی ذلک بابان آخران فی الکافی أولهما باب وقت ما یعلم الامام جمیع علم الامام الّذی قبله و ثانیهما باب أن الامام متی یعلم أن الامر قد صار إلیه، و الأخبار فی هذین البابین مبیّنه و مخصّصه لتلک الأخبار فی البابین الأولین، کما روی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام متی یعرف الأخیر ما عند الأوّل قال فی آخر دقیقه تبقی من روحه.

عن صفوان قال: قلت للرضا علیه السّلام أخبرنی عن الامام متی یعلم أنه إمام حین یبلغه أن صاحبه قد مضی أو حین یمضی مثل أبی الحسن قبض ببغداد و أنت ههنا قال: یعلم ذلک حین یمضی صاحبه قلت: بأیّ شیء؟ قال: یلهمه اللّه.

و من الأخبار الدالّه علی ذلک روایه اخری فی الکافی فی باب الاشاره و النص علی علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام: یحیی الحلبیّ عن بشیر الکناسی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مرضه الّذی توفی فیه: ادعوا لی خلیلی، فأرسلنا إلی أبویهما «یعنی أبوی عائشه و حفصه أبا بکر و عمر» فلما نظر إلیهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعرض عنهما ثمّ قال: ادعوا لی خلیلی فارسل إلی علیّ علیه السّلام فلما نظر إلیه أکبّ علیه یحدّثه فلمّا خرج لقیاه فقالا له ما حدّثک خلیلک؟ فقال:

حدّثنی ألف باب یفتح کلّ باب ألف باب.

فبما ذکرنا دریت أن لیس بمعلوم قطعا أن علیا علیه السّلام کان فی لیله المبیت عالما بتّا علی أن المشرکین لا یقتلونه حیث نام علی فراشه صلّی اللّه علیه و آله.

علی أن أنبیاء اللّه و أولیاءه لا یعلمون من عندهم شیئا و لا یقدرون بذاتهم علی

شیء و لا يطلعون على الغيب بل اللّه تعالى يظهرهم على غيبه عند المصلحه كظهور المعجزات فى أيديهم كما نرى فى كثير من الأخبار أن اناسا لمّا اتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سألوه عن أشياء و امور استمهلهم و انتظر الوحى فى ذلك و لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

و فى المجمع للطبرسى: قيل إنّ أهل مكه قالوا يا محمّد ألا يخبرك ربّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتريه فنربح فيه و الأرض التى تريد أن تجدب فنرتحل منها إلى أرض قد اخصبت فأنزل اللّه هذه الايه:

«قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلّا ما شاءَ اللّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » و فى سوره الجن: «قُلْ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ » الايه.

و قال اللّه تعالى: «تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ » الايه.

و فى الكافى فى باب أنّهم لا يعلمون الغيب إلاّ أنهم متى شاءوا أن يعلموا اعلموا، و فى الوافى ص ۱۳۷ م ۲، عن أبى عبيده المدائنى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إذا أراد الامام أن يعلم شيئا أعلمه اللّه عزّ و جلّ ذلك.

و عن معمّر بن خلاد قال سأل أبا الحسن عليه السّلام رجل من أهل فارس فقال له أ تعلمون الغيب؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: يبسط لنا العلم فنعلم و يقبض عنّا فلا نعلم و قال: سرّ اللّه أسرّه إلى جبرئيل عليه السّلام و أسرّه جبرئيل إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أسرّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى ما شاء اللّه.

و نعم ما نظمه العارف السعدى فى هذا المعنى:

یکی پرسید از آن گم گشته فرزند که ای روشن روان پیر خردمند

ز مصرش بوی پیراهن شنیدی چرا در چاه کنعانش ندیدی

بگفت أحوال ما برق جهان است دمی پیدا و دیگر دم نهان است

ص:۱۳۶

گهی بر طارم أعلی نشینیم گهی تا پشت پای خود نبینیم

و أمّا ما نقلناه عن السیره الهشامیه من أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لعلیّ علیه السّلام «نعم فیه فانه لن یخلص إلیک شیء تکرهه» فنقول فیه أوّلا انه ذکر ابن أبی الحدید المعتزلی فی ضمن بعض الخطب الماضیه عن شیخه أبی جعفر النقیب: هذا هو الکذب الصراح و التحریف و الادخال فی الروایه ما لیس منها و المعروف المنقول أنه صلّی اللّه علیه و آله قال له اذهب فاضطجع و تغش ببردی الحضرمی فان القوم سیفقدوننی و لا یشهدون مضجعی فلعلّهم إذا رأواک یسکّنهم ذلک حتّی یصبحوا فاذا أصبحت فاغد فی أداء أمانتی و ما قیل إنه صلّی اللّه علیه و آله قال له نم فیه فانه لن یخلص إلیک شیء تکرهه کلام مولد لا أصل له.

و لو کان هذا صحیحا لم یصل إلیه منهم مکروه و قد وقع الاتفاق علی أنّه ضرب و رمی بالحجاره قبل أن یعلموا من هو حتّی تضور و أنهم قالوا له رأینا تضورک فانا کنا نرمی محمّدا و لا یتضور.

و لأن لفظه المکروه إن کان قالها إنما یراد بها القتل فهب أنه أمن القتل کیف یأمن من الضرب و الهوان و من أن ینقطع بعض أعضائه و بان سلمت نفسه أ لیس اللّه تعالی قال لنبیّه «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ » و مع ذلک فقد کسرت رباعیّته و شج وجهه و ادمیت ساقه و ذلک لأنها عصمه من القتل خاصّه و کذلک المکروه الّذی او من علیّ علیه السّلام منه إن کان صحّ ذلک فی الحدیث.

و قال ابن ابی الحدید: سألت النقیب أبا جعفر یحیی بن أبی زید الحسنی فقلت إذا کانت قریش قد محضت رأیها و القی إلیها إبلیس کما روی ذلک الرأی و هو أن یضربوه بأسیاف من أیدی جماعه من بطون مختلفه لیضیع دمه فی بطون قریش فلا تطلبه بنو عبد مناف فلما ذا انتظروا به تلک اللّیله الصبح فانّ الروایه جاءت بأنهم کانوا تسوروا الدار فعاینوا فیها شخصا مسجّی بالبرد الحضرمی الأخضر فلم یشکوا أنه هو فرصدوه إلی أن أصبحوا فوجدوه علیا و هذا طریق لأنهم کانوا قد اجمعوا علی قتله تلک اللیله فما بالهم لم یقتلوا ذلک الشخص المسجّی و انتظارهم

ص:۱۳۷

به النهار دليل على أنهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليله.

فقال فى الجواب لقد كانوا هموا من النهار بقتله تلك الليله و كان إجماعهم على ذلك و عزمهم فى حقنه من بنى عبد مناف لأن الّذين محضوا هذا الرأى و اتفقوا عليه النضر بن الحارث من بنى عبد الدار و أبو البخترى بن هشام و حكيم بن حزام و زمعه بن الأسود بن المطلب هؤلاء الثلاثه من بنى سهم، و اميه بن خلف و أخوه ابىّ بن خلف هذان من بنى جمح فنما هذا الخبر من الليل إلى عتبه بن ربيعه بن عبد شمس فلقى منهم قوما فنهاهم عنه و قال إن بنى عبد مناف لا تمسك عن دمه و لكن صفدوه فى الحديد و احبسوه فى دار من دوركم و تربّصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء و كان عتبه بن ربيعه سيد بنى عبد شمس و رئيسهم و هم من بنى عبد مناف و بنوعم الرجل و رهطه، فاحجم أبو جهل و أصحابه تلك الليله عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه و هم يظنونه فى الدار فلما رأوا انسانا مسجّى بالبرد الحضرمى الأخضر لم يشكّوا أنّه هو و ائتمروا فى قتله فكان أبو جهل يذمرهم عليه فيهمون ثمّ يحجمون ثمّ قال بعضهم لبعض: ارموه بالحجاره فرموه فجعل على يتضوّر منها و يتقلّب و يتأوّه تأوّها خفيفا فلم يزالوا كذلك فى إقدام عليه و إحجام عنه لما يريده اللّه تعالى من سلامته و نجاته حتّى أصبح و هو وقيذ من رمى الحجاره و لو لم يخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينه و أقام بينهم بمكه و لم يقتلوه تلك الليله لقتلوه فى الليله التى تليها و إن شبّت الحرب بينهم و بين عبد مناف فان أبا جهل لم يكن بالّذى ليمسك عن قتله و كان فاقد البصيره شديد العزم على الولوع فى دمه ثمّ قال: قلت للنقيب: أ فعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علىّ عليه السّلام بما كان من نهى عتبه لهم؟.

قال: لا إنّهما لم يعلما ذلك تلك الليله و إنما عرفاه من بعد و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم بدر لما رأى عتبه و دعا له ما كان منه ان يكن فى القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر و لو قدّرنا أن عليّا علم ما قال لهم عتبه لم يسقط ذلك فضيله فى المبيت لأنّه لم يكن على ثقه من أنّهم يقبلون قول عتبه بل كان ظن الهلاك

و القتل أغلب.

و كان ممّا أنزل اللّه عزّ و جلّ من القرآن فى ذلك اليوم و ما كانوا أجمعوا له: «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ » الايه (يه ٣٠ الانفال) و قول اللّه عزّ و جلّ: «أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » (يه ٣٠ الطور).

و أذن اللّه تعالى لنبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند ذلك فى الهجره و كان أبو بكر رجلا ذا مال و لما قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد اذن لى فى الخروج و الهجره و صحبته اياه اعدّ راحلتين كان احتبسهما فى داره ثمّ استأجرا عبد اللّه بن أرقط يدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

فلما أجمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الخروج أتى أبا بكر بن أبى قحافه فخرجا من خوخه لأبى بكر فى ظهر بيته ثمّ عمد إلى غار بثور - جبل باسفل مكه و الغار هو الذى سماه اللّه فى القرآن - فدخلاه و أمر أبو بكر ابنه عبد اللّه بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول النّاس فيهما نهاره ثمّ يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر، و أمر عامر بن فهيره مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثمّ يريحها عليهما يأتيهما إذا أمسى فى الغار، و كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

فأقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الغار ثلاثا و معه أبو بكر و جعلت قريش فيه حين فقدوه مأئه ناقه لمن يردّه عليهم و كان عبد اللّه بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به و ما يقولون فى شأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أبى بكر ثمّ يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر و كان عامر بن فهيره مولى أبى بكر يرعى فى رعيان أهل مكه فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا و ذبحا فاذا عبد اللّه بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكه اتبع عامر بن فهيره أثره بالغنم حتّى يعفّى عليه حتّى إذا مضت الثلاث و سكن عنهما النّاس و هدأت عنهما الأصوات أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما و بعير له

فلما قرّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صلى اللّه عليه و آله قدّم له أفضلهما ثمّ قال:

اركب فداك أبى و امى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنى لا أركب بعيرا ليس لى قال:

فهى لك يا رسول اللّه، قال: لا و لكن ما الثمن الّذى ابتعتها به قال: كذا و كذا قال: قد أخذتها به، قال: هى لك يا رسول اللّه فركبا و انطلقا و اردف أبو بكر عامر ابن فهيره مولاه خلفه ليخدمهما فى الطريق، فكانوا أربعه: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أبو بكر و عامر بن فهيره مولا أبى بكر و عبد اللّه بن أرقط دليلهما، و احتمل أبو بكر معه خمسه آلاف درهم أو سته آلاف. كل ذلك نقلناه عن السيره لابن هشام و تاريخ الطبرى.

و فى المجمع فى قوله تعالى «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ » (الانفال آيه ۳۰): قال المفسرون إنها نزلت فى قصه دار الندوه «إلى أن قال:» و جاء جبرئيل فأخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فخرج إلى الغار و أمر عليّا عليه السّلام فبات على فراشه فلمّا أصبحوا و فتشوا عن الفراش و جدوا عليّا عليه السّلام و قد رد اللّه مكرهم فقالوا أين محمّد؟ فقال: لا أدرى فاقتصوا أثره و ارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الجبل و مروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثمّ قدم المدينه.

و قال فى قوله تعالى «إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيا وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » - التوبه ۴۰ -: قال الزهرى لما دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أبو بكر الغار ارسل اللّه زوجا من حمام حتّى باضافى اسفل الثقب و العنكبوت حتّى تنسج بيتا فلما جاء سراقه بن مالك فى طلبهما فرأى بيض الحمام و بيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض و تفسخ بيت العنكبوت فانصرف، و قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله اللّهم أعم أبصارهم، فعميت أبصارهم عن دخوله و جعلوا يضربون يمينا و شمالا حول الغار، و قال أبو بكر: لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا.

و روى علىّ بن إبراهيم بن هاشم قال: كان رجل من خزاعه فيهم يقال له

أبو كرز فما زال يقفو أثر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى وقف بهم على باب الغار فقال لهم:

هـذا قـدم محمّـد هى و اللّه اخت القـدم التى فى المقـام، و قـال هـذه قـدم أبى قحـافه أو ابنه و قال: ما جازوا هـذا المكان اما أن يكونوا قد صـعدوا فى السـماء أو دخلوا فى الأرض و جاء فارس من الملائكه فى صوره الانس فوقف على باب الغار و هو يقول لهم:

اطلبوه فى هـذه الشـعاب و ليس ههنـا و كانت العنكبوت نسـجت على باب الغار و نزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال أبو بكر قد أبصرونا يا رسول اللّه، فقال صلّى اللّه عليه و آله لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم.

ثمّ قال: و قال بعضـهم: يجوز أن تكون الهاء الّتى فى «عليه» راجعه إلى أبى بكر و هـذا بعيد، لأنّ الضـمائر قبل هذا أو بعده تعود إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بلا خلاف، و ذلك فى قوله «إلّا تنصروه فقد نصره اللّه» و فى قوله «إذ أخرجه» و قوله «لصاحبه» و قوله فيما بعـده «و ايّـده» فكيف يتخلّلها ضـمير عائـد إلى غيره هـذا و قـد قال سـبحانه فى هذه السوره «ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَـكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » و قال فى سوره الفتح «فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » و قد ذكرت الشيعه فى تخصيص النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى هذه الايه بالسكينه كلاما رأينا الاضراب عن ذكره أحرى لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء. انتهى.

أقول: و سيأتى طائفه من ذلك الكلام بعد ذا.

و قال فى قوله تعالى: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » (يه ۲۰۶ البقره):

روى السّدى عن ابن عبّاس قال: نزلت هذه الايه فى علىّ بن أبى طالب حين هرب النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله عن المشركين إلى الغار و نام علىّ عليه السّـلام على فراش النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و نزلت هـذه الايه بين مكّه و المـدينه، و روى أنه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه و جبرائيل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى اللّه بك الملائكه.

قال المفيد (ره) فى الارشاد فى اختصاص أمير المؤمنين عليه السّلام بمناقب كثيره:

و من ذلک أن النّبی صلّی اللّه علیه و آله لما امر بالهجره عند اجتماع الملاء من قریش علی قتله فلم یتمکن صلّی اللّه علیه و آله من مظاهرتهم بالخروج عن مکه و أراد صلّی اللّه علیه و آله الاستسرار بذلک و تعمیه خبره عنهم لیتمّ الخروج علی السلامه منهم ألقی خبره إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و استکتمه إیاه و کلّفه الدفاع عنه بالمبیت علی فراشه من حیث لا یعلمون أنه هو البائت علی الفراش و یظنون أنّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله بایتا علی حالته الّتی کان یکون علیها فیما سلف من اللیل، فوهب أمیر المؤمنین علیه السّلام نفسه للّه تعالی و شراها من اللّه تعالی فی طاعته و بذلها دون نبیّه صلوات اللّه و سلامه علیه و آله لینجوا به من کید الأعداء و یتمّ له بذلک السّلامه و البقاء و ینتظم له به الغرض فی الدعاء إلی الملّه و إقامه الدین و إظهار الشریعه.

فبات علیه السّلام علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله متستّرا بازاره و جاءه القوم الّذین تمالئوا علی قتل النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فأحدقوا به و علیهم السلاح یرصدون طلوع الفجر لیقتلوه ظاهرا فیذهب دمه فرغا بمشاهده بنی هاشم قاتلیه من جمیع القبائل و لا یتم لهم الأخذ بثاره منهم لاشتراک الجماعه فی دمه و قعود کلّ قبیل عن قتال رهطه و مباینه أهله، فکان ذلک سبب نجاه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و حفظ دمه و بقائه حتّی صدع بأمر ربّه صلّی اللّه علیه و آله.

و لولا أمیر المؤمنین علیه السّلام و ما فعله من ذلک لما تمّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله التبلیغ و الأداء و لا استدام له العمر و البقاء، و لظفر به الحسده و الأعداء فلما أصبح القوم و أرادوا الفتک به علیه السّلام ثار إلیهم و تفرقوا حین عرفوه و انصرفوا و قد ضلّت حیلهم فی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و انتقض ما بنوه من التدبیر فی قتله، و خابت ظنونهم و بطلت آمالهم.

و کان بذلک انتظام الایمان، و إرغام الشیطان، و خذلان أهل الکفر و العدوان و لم یشرک أمیر المؤمنین علیه السّلام فی هذه المنقبه أحد من أهل الاسلام، و لا احیط بنظیر لها علی حال و لا مقارب لها فی الفضل بصحیح الاعتبار، و فی أمیر المؤمنین علیه السّلام و مبیته علی الفراش انزل اللّه سبحانه «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ » الایه.

ثمّ قال المفید فی الارشاد أیضا فی الفصل الاخر: و من ذلک انّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله

کان أمین قریش علی ودائعهم فلما فجأه من الکفار ما احوجه إلی الهرب من مکّه بغته لم یجد فی قومه و أهله من یأتمنه علی ما کـان مؤتمنا علیه سوی أمیر المؤمنین علیه السّلام فاستخلفه فی ردّ الودائع إلی أربابها و قضاء ما کان علیه من دین لمستحقّیه و جمع بناته و نساء أهله و أزواجه و الهجره بهم إلیه و لم یر انّ أحدا یقوم مقامه فی ذلک من کافه النّاس فوثق بأمانته و عوّل علی نجدته و شجاعته و اعتمد فی الدفاع عن أهله و حامّته علی بأسه و قدرته و اطمأنّ إلی ثقته علی أهله و حرمه و عرف من ورعه و عصمته ما تسکن النفس معه إلی أمانته علی ذلک فقام علیّ علیه السّلام به أحسن القیام و ردّ کلّ ودیعه إلی أهلها و اعطی کلّ ذی حقّ حقه و حفظ بنات نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و حرمه و هاجر بهم ماشیا علی قدمیه یحوطهم من الاعداء و یکلاءهم من الخصماء و یرفق بهم فی المسیر حتّی أوردهم علیه صلّی اللّه علیه و آله المدینه علی اتم صیانه و حراسه و رفق و رأفه و حسن تدبیر فأنزله النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عند وروده المدینه داره و احلّه قراره و خلطه بحرمه و أولاده و لم یمیّزه من خاصّه نفسه و لا احتشمه فی باطن امره و سرّه و هذه منقبه توحّد بها علیه السّلام من کافه أهل بیته و أصحابه و لم یشرکه فیها أحد من اتباعه و اشیاعه و لم یحصل لغیره من الخلق فضل سواها یعادلها عند السبر و لا یقاربها علی الامتحان.

و روی الثعلبی فی تفسیره و الغزالی فی الاحیاء فی بیان الایثار و فضله و غیرهما من أعاظم الفریقین: انه لما بات علیّ علیه السّلام علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اوحی اللّه سبحانه إلی جبرئیل و میکائیل انی قد آخیت بینکما و جعلت عمر احدکما اطول من الاخر فایّکما یؤثر أحد کما بالحیاه؟ فاختار کلاهما الحیاه فاوحی اللّه الیهما ألا کنتما مثل علیّ بن أبی طالب علیه السّلام آخیت بینه و بین محمّد نبیّی صلّی اللّه علیه و آله فبات علی فراشه یفدیه بنفسه و یؤثره بالحیاه اهبطا إلی الأرض فاحفظاه من عدوّه فهبطا إلیه فجلس جبرئیل عند رأسه و میکائیل عند رجلیه فقال جبرئیل بخ بخ من مثلک یا ابن أبی طالب یباهی اللّه بک الملائکه فانزل اللّه تعالی «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ » الایه و العجب ما فی انسان العیون فی سیره الامین و المأمون المعروف بالسیره

ص:۱۴۳

الحلبيه تأليف علىّ بن برهان الـدّين الحلبىّ الشافعى نقلا من ابن تيميه من ان هذا الحديث اعنى ما اوحى اللّه إلى الملكين كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.

أقـول: و لعـلّ وجه تكـذيبه الـحـديث انه ينـافى نص الكتـاب العزيز حيث قـال عزّ من قائـل فى سوره التحريم: «لا ـ يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ » و فى عبس: «بِأَيْـدِى سَـفَرَهٍ كِرامٍ بَرَرَهٍ » و كـذا ينافى الاخبار الاخر القائله بانهم لا يعصون اللّه طرفه عين و لا يغشاهم سهو العقول و نحوها. فتأمل و اللّه أعلم.

و فى الكافى للكلينى قدس سره عن سعيد بن المسيب سأل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن علىّ عليه السّلام إلى أن قال عليه السّـلام و خلف عليّا فى امور لم يكن يقوم بها أحـد غيره و كان خروج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من مكّه فى أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل و ذلك يوم الخميس من سـنه ثلاث عشره من المبعث و قدم صلّى اللّه عليه و آله المدينه لاثنتى عشره ليله خلت من شـهر ربيع الأوّل مع زوال الشـمس فنزل بقبـا فصـلى الظهر ركعتين و العصـر ركعتين ثمّ لم يزل مقيما ينتظر عليّا عليه السّـلام يصـلى الخمس صـلوات ركعتين ركعتين و كان نازلا على عمرو بن عوف فأقام عنـدهم بضـعه عشـر يوما يقولون له أ تقيم عندنا فنتخذ لك منزلا و مسجدا فيقول لا إنى أنتظر علىّ بن أبى طالب و قد أمرته أن يلحقنى و لست مستوطنا منزلا حتى يقدم علىّ.

إلى أن قال: قال سـعيد بن المسيب لعلىّ بن الحسين عليهما السّلام جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين أقبـل المـدينه فأين فارقه؟ فقال: إنّ أبا بكر لما قـدم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إلى قبا فنزل بهم انتظر قـدوم علىّ عليه السّـلام فقال له أبو بكر انهض بنا إلى المدينه فان القوم قد فرحوا بقدومك و هم يستريثون اقبالك اليهم فانطلق بنا و لا تقم ههنا تنتظر عليّا فما أظنه يقدم عليك إلى شهر، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلّا ما اسرعه و لست اريم حتى يقدم ابن عمى و اخى فى اللّه تعالى و احبّ أهل بيتى إلىّ فقد وقانى بنفسه من المشـركين قال: فغضب عند ذلك أبو بكر و اشـمأز و داخله من ذلك حسد لعلىّ عليه السّلام و كان ذلك أول عداوه بدت منه

ص:۱۴۴

لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى علىّ عليه السّلام و أول خلاف على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فانطلق حتّى دخل المدينه و تخلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقبا حتّى ينتظر عليا عليه السّلام الحديث.

و فى الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام:

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصى و من طاف بالبيت العتيق و بالحجر

رسول اله الخلق اذ مكروا به فنجاه ذو الطول الكريم من المكر

و بتّ اراعيهم متى ينشروننى و قد وطّنت نفسى على القتل و الاسر

و بات رسول اللّه فى الغار آمنا موقى و فى حفظ الاله و فى ستر

اقام ثلاثا ثمّ زمّت قلائص قلائص يفرين الحصى اينما يفرى

اردت به نصر الإله تبتّلا و اضمرته حتّى اوسّد فى قبرى

طريقه صلّى اللّه عليه و آله فى هجرته من مكه الى المدينه

فى السيره النبويه لابن هشام و فى التاريخ للطبرى: فلما خرج بهما دليلهما عبد اللّه بن ارقط سلك بهما اسفل مكّه.

ثمّ مضى بهما على الساحل حتّى عارض الطريق اسفل من عسفان، ثمّ سلك بهما على اسفل امج، ثمّ استجاز بهما حتّى عارض بهما الطريق بعد ان أجاز قديدا ثمّ اجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرّاز، ثمّ سلك بهما ثنيّه المرّه، ثمّ سلك بهما لقفا، ثمّ اجاز بهما مدلجه لقف، ثم استبطن بهما مدلجه محاج، ثمّ سلك بهما مرجح محاج، ثمّ تبطّن بهما مرجح من ذى الغضوين، ثمّ بطن ذى كشر. ثم اخذ بهما على الجداجد، ثمّ على الاجرد، ثمّ سلك بهما ذا سلم، ثمّ على العبابيد، ثمّ اجاز بهما الفاجّه، ثم هبط بهما العرج ثمّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنيّه العائر حتى هبط بهما بطن رئم ثمّ قدم بهما قباء لاثنتى عشره ليله خلت من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين حين اشتدّ الضحاء، و كادت الشمس تعتدل و نزل على كلثوم بن هدم فأقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء و يوم الخميس و اسّس مسجده ثمّ خرج من قبا إلى المدينه و نزل على أبى أيّوب الأنصارى

و لا يسع المقام ذكره على التفصيل و اقام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بمكّه ثلاث ليال و أيّامها حتّى ادّى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الودائع الّتى كانت عنده للناس حتّى إذا فرغ منها لحق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنزل معه صلّى اللّه عليه و آله على كلثوم بن هدم فى قباء.

قال المسعودى فى مروج الذهب: فخرج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مكّه و معه أبو بكر و عامر بن فهيره مولى أبى بكر و عبد اللّه بن أرقط الدئلى دليل بهم على الطريق و لم يكن مسلما و كان مقام علىّ بن أبى طالب بعده بمكه ثلاثه أيام إلى أن أدى ما أمر بأدائه ثمّ لحق بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و كان دخوله عليه السّلام إلى المدينه يوم الاثنين لاثنتى عشره ليله مضت من ربيع الأوّل، فأقام بها عشر سنين كوامل و كان نزوله عليه السّلام فى حال موافاته المدينه بقبا على سعد بن خيثمه و كان مقامه بقباء يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و سار يوم الجمعه ارتفاع النهار و أتته الأنصار حيّا حيّا يسأله كلّ فريق النّزول عليه و يتعلقون بزمام راحلته و هى تجذبه فيقول صلّى اللّه عليه و آله خلوا عنها فانها مأموره حتّى أدركته الصلاه فى بنى سالم فصلى بهم يوم الجمعه و كانت تلك أوّل جمعه صليت فى الاسلام و هذا موضع تنازع الفقهاء فى العدد الّذى بهم تتم صلاه الجمعه فذهب الشافعى فى آخرين معه إلى أن الجمعه لا تجب إقامتها حتّى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا و أقل من ذلك لا يجزى و خالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفه و غيرهم و كان فى بطن الوادى المعروف بوادى رائوناء إلى هذه الغايه.

أقول: فى كتاب إنسان العيون فى سيره الأمين و المأمون المعروف بالسيره الحلبيّه تأليف علىّ بن برهان الدين الحلبى الشافعى، و عند مسيره صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينه أدركته صلاه الجمعه فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين و هم مأئه و صلاها بعد ذلك فى المدينه و كانوا به صلّى اللّه عليه و آله أربعين فعن ابن مسعود أنه صلّى اللّه عليه و آله جمع بالمدينه و كانوا أربعين رجلا- أى و لم يحفظ أنه صلاها مع النقض عن هذا العدد و من حينئذ صلّى الجمعه فى ذلك المسجد سمّى هذا المسجد بمسجد الجمعه و هو على يمين السالك نحو قباء فكانت أوّل جمعه صلاها بالمدينه «إلى أن

قال:» و كان هو صلّى اللّه عليه و آله بالمدينه يخطب الجمعه بعد أن يصلّى مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعه قائما إذ قدمت عير دحيه الكلبى و كان إذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل و اللهو و يخرج النّاس للشراء من طعام تلك العير فانفض الناس و لم يبق معه صلّى اللّه عليه و آله إلا نحو اثنى عشره رجلا.

و فى كنز العرفان للفاضل المقداد: فخرج النّاس فلم يبق فى المسجد الا اثنى عشر رجلا، و عن ابن عبّاس لم يبق الا ثمانيه، و عن ابن كيسان أحد عشر.

و فى السيره الهشاميّه لم يذكر عددهم.

و قال الجصّاص الحنفى فى أحكام القرآن: و اختلفوا فى عدد من تصحّ به الجمعه من المأمومين: أبو حنيفه و زفر و محمّد و الليث ثلاثه سوى الإمام، و روى عن أبى يوسف اثنان سوى الإمام و به قال الثورى، و قال الحسن بن صالح إن لم يحضر الإمام الا رجل واحد فخطب عليه و صلّى به أجزأهما، و أما مالك فلم يجد فيه شيئا و اعتبر الشافعى أربعين رجلا.

ثمّ قال: روى جابر أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يخطب يوم الجمعه فقدم عير فنفر النّاس و بقى معه اثنا عشر رجلا فأنزل اللّه تعالى: «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها » و معلوم أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يترك الجمعه منذ قدم المدينه و لم يذكر رجوع القوم فوجب أن يكون قد صلّى باثنى عشر رجلا.

و نقل أهل السير ان أوّل جمعه كانت بالمدينه صلاها مصعب بن عمير بأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله باثنى عشر رجلا و ذلك قبل الهجره فبطل بذلك اعتبار الأربعين، و أيضا الثلاثه جمع صحيح فهى كالأربعين لاتفاقهما فى كونهما جمعا صحيحا و ما دون الثلاثه مختلف فى كونه جمعا صحيحا فوجب الاقتصار على الثلاثه و اسقاط اعتبار ما زاد، انتهى.

و فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعه: المالكيه قالوا أقل الجماعه الّتى تنعقد بها الجمعه اثنا عشره رجلا غير الامام.

و الحنفيه قالوا يشترط فى الجماعه التى تصح بها الجمعه أن تكون بثلاثه

غير الامام.

الشافعيه قالوا أن يكونوا أربعين و لو بالامام فلا تنعقد الجمعه بأقلّ من ذلك.

و الحنابله قالوا أن لا يقل عددهم عن أربعين و لو بالامام انتهى و قوله المالكيه قالوا تنعقد الجمعه باثنى عشره رجلا لا ينافى ما ذهب عن الجصاص و ما قاله الشيخ الطوسى (ره) فى الخلاف و لم يقدر مالكك فى هذا شيئا كما لا يخفى.

و هذه مذاهب العامّه فى عدد من تصح به الجمعه، و عند أصحابنا الاماميه لا تنعقد الجمعه بأقلّ من خمسه و الإمام أحدهم، و تجب عليهم بسبعه و الإمام أحدهم قطعا و إنّما الكلام فى بلوغ العدد مع الامام خمسه هل تجب تخييرا و جوازا أو تجب عينا، و ذلك لأن من أهل البيت عليهم السّلام فى العدد روايتين:

ففى التهذيب باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام قال: تجب الجمعه على سبعه نفر من المسلمين و لا تجب على أقل منهم الامام و قاضيه و المدعى حقا و المدعى عليه و الشاهدان و الذى يضرب الحدود بين يدى الامام.

و فيه عن البقباق عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أدنى ما يجزى فى الجمعه سبعه أو خمسه أدناه.

و فى الكافى و التهذيب عن زراره كان أبو جعفر عليه السّلام يقول: لا تكون الخطبه و الجمعه و صلاه ركعتين على أقل من خمسه رهط الامام و أربعه.

و فى الفقيه قال زراره: قلت له عليه السّلام: على من تجب الجمعه؟ قال: تجب على سبعه نفر من المسلمين و لا جمعه لأقل من خمسه من المسلمين أحدهم الامام فاذا اجتمع سبعه و لم يخافوا أمّهم بعضهم و خطبهم.

و فى التهذيب عن منصور بن حازم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يجمع القوم يوم الجمعه إذا كانوا خمسه فما زاد فان كانوا أقل من خمسه فلا جمعه لهم الحديث.

و كذا اخبار اخر بعضها يفيد أن الجمعه لا تنعقد بأقل من خمسه، و بعضها يفيد أنها تنعقد من سبعه، و لا تنافى بينهما لأن الخبر الذى يتضمن اعتبار سبعه أنفس

فهو على طريق الفرض و الوجوب، و الخبر الأخير على طريق الندب و الاستحباب و على جهه الأولى و الأفضل كما فى التهذيبين و الخلاف، و غيرها من أسفار الاماميه من غير واحد من علمائنا، و بالجمله هؤلاء قالوا بأن السبعه شرط للوجوب العينى و الخمسه للتخييرى، و هذا لا يخلو عندى من قوه.

و قال آخرون إذا كانوا خمسه تجب عينا لا- تخييرا و فى الرياض أنه قول الأكثر، و اعلم أن هذا الشرط يختص بالابتداء دون الاستدامه بلا خلاف فيه بيننا الاماميه.

ثمّ إن الاماميه اختلفوا فى إقامه الجمعه فى زمن الغيبه فبعضهم أسقطوها لأن صلاه الجمعه عند حصول شرائطها لا تجب إلّا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاه و يعنون بالسلطان العادل الامام عليه السّلام، و بعضهم أوجبوها عند الغيبه أيضا و هذا لا يخلو عندى من قوه و يكون مجزيا عن الظهر و الاختلاف بين الفقهاء فى مسائل الجمعه كثير و ليطلب فى الكتب الفقهيّه.

المؤاخاه بين المهاجرين و الانصار

ثمّ آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار فقال تاخوا فى اللّه أخوين أخوين، ثمّ أخذ بيد علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فقال: هذا أخى، فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سيد المرسلين و امام المتقين و رسول ربّ العالمين الذى ليس له خطير و لا- نظير من العباد و علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أخوين، و كان حمزه بن عبد المطلب عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و زيد بن حارثه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخوين، و جعفر بن أبى طالب و معاذ بن جبل أخوين، و كذا غير واحد من المهاجرين و الأنصار أخوين على التفصيل المذكور فيهما.

كلام ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى

قال السالك الموحد الفقيه المتكلم المتأله المرتاض الرّاوى للأحاديث

ص:۱۴۹

المرويّه عن الأئمه الهداه المعروف بابن أبى جمهور الاحسائى فى كتابه الجامع للاصول اليقينيّه و المنازل العرفانيّه بالبراهين العقليّه و النقليه المعروف بالمجلى، فى أدلّه اثبات الخلافه لعليّ بن أبى طالب عليه السّلام:

و يوم المواخاه يوم مشهور و موقف معلوم مبناه على تمييز الأشباه و النظائر و الاطّلاع على الخصائص و الضمائر و لم تكن المواخاه يومئذ عن الهوى بل إنما هو وحى يوحى، فواخى بين أصحابه فقرن كلّ شبه إلى شبهه، و جعل كلّ نظير مع نظيره، و لم يقرن بين عليّ عليه السّلام و بين أحد من الصحابه، بل عدل به عن جميعهم ثمّ اختاره لنفسه و قرن بينه و بينه و ميزه من بينهم باخوته، و شرفه عليهم بقربه، إظهارا لشأنه و احتجاجا عليهم ببيان حاله و كان ذلك بوحى من اللّه و نصّه فكان ذلك موجبا له استحقاق الولايه و القيام فيهم مقامه، اذ كلّ أخ قائم مقام أخيه فيما له من المزايا، فان الاخوه مشاكله و مشابهه فى الصفات، فيقال للشىء أخو الشىء إذ كان بينه و بينه مشابهه كلّيه فى جميع صفاته، و لما كانت الولايه من أجلّ الصفات الّتى كان صلّى اللّه عليه و آله متصفا بها وجب أن يكون أخوه و مماثله و مشاكله موصوفا بها، و إلا لما تحققت الاخوه و لا ثبت معناها و لم يكن للمماثله و المشاكله حينئذ معنى، فتضيع الفائده من ذلك الفعل الصّادر عن الحكيم بنصّ أحكم الحاكمين.

فان قلت: يلزم على ما قرّرتموه إدخال النبوّه لأنها من جمله الصفات و هو خلاف الاجماع.

قلت: النّبوه معلومه الاستثناء بالأصل لما ثبت عند الكل من عدم جواز المشاركه فيها لتحقق معنى الختم به فانحجب ما سواه عن بلوغ مرتبتها فلا تصحّ المشاركه و المماثله فيها و يبقى ما عداها داخلا فى عموم الاخوه هذا مع ان الولايه المطلقه الثابته له صلّى اللّه عليه و آله كما عرفت أعلى و أجلّ و أعظم من مرتبه النّبوّه ما عرفت أن مقام الاولى مقام الوحده و أن مقام الثانيه مقام الكثره و الوحده أجلّ و أعلى من الكثره، فاذا ثبت أن الولايه له فقد ثبت له مقام الوحده

الذی هو مبدء الکثره.

ثمّ إنّ الولایه الّتی هی مقام الوحده الثّابت له باعتبار الاخوه یستلزم ثبوت مقام الکثره بواسطه الرد إلی الخلق بعد المرور علی مقام الوحده الثابت له بقوله صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السّلام یا علیّ إنک تسمع ما أسمع و تری ما أری إلّا أنک لست بنبیّ.

فمقام النّبوّه الخاص بعد الولایه المطلقه استثنی و لم یستثن مقتضاه أعنی الرد إلی الخلق لأنه إذا کان له مقام الولایه الخاصه کانت السیاسه بیده و هی مقتضی الکثره بواسطه إهداء الخلق و القیام علیهم بما یکلمهم و یصلح معاشهم و معادهم، فلا یکون مقتضی مقام الکثره مسلوبا عنه و ذلک هو مقتضی مقام النّبوه و لازمه لا هو، فالواجب للولیّ هو مقتضی مقام النّبوّه و لازمه لا هو فما فاته علیه السّلام شیء من معانی الاخوه و لا خصائص کمال الأخ سوا الاسم المحجوب عنه و عن کلّ ما سواه للمصلحه المقتضیه لسلبه، انتهی ما أردنا نقله من المجلی.

قال العلامه الحلیّ قدس سره فی شرح تجرید الاعتقاد لنصیر الحق و الملّه و الدین الخواجه الطوسی قدس اللّه روحه القدسی عند قوله: و علیّ علیه السّلام أفضل:

اختلف النّاس ههنا فقال عمر و عثمان و ابن عمر و أبو هریره من الصحابه:

إنّ أبا بکر أفضل من علیّ علیه السّلام، و به قال من التابعین الحسن البصری و عمرو بن عبید و هو اختیار النظام و أبی عثمان الجاحظ، و قال الزبیر و المقداد و سلمان و جابر ابن عبد اللّه و عمّار و أبو ذر و حذیفه من الصحابه: إنّ علیّا علیه السّلام أفضل، و به قال من التابعین عطاء و مجاهد و سلمه بن کهیل، و هو اختیار البغدادیین کافه و الشیعه بأجمعهم و أبی عبد اللّه البصری، و توقف الجبائیان و قاضی القضاه، قال أبو علی الجبائی ان صحّ خبر الطائر فعلیّ أفضل.

و نحن نقول: إن الفضائل إما نفسانیه أو بدنیه، و علیّ علیه السّلام کان أکمل و أفضل من باقی الصحابه فیهما، و الدلیل علی ذلک وجوه ذکرها المصنف رحمه اللّه «إلی أن قال فی وجه الثامن عشر:».

ص:۱۵۱

انّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لما و اخی بین الصحابه و قرن کلّ شخص إلی مماثله فی الشرف و الفضیله رأی علیّا علیه السّلام متکدرا (متفکرا خ ل) فسأله عن سبب ذلک فقال: انک آخیت بین الصحابه و جعلتنی متفردا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ألا ترضی أن تکون أخی و وصیّی و خلیفتی من بعدی؟ فقال: بلی یا رسول اللّه، فواخاه من دون الصحابه فیکون أفضل منهم.

و قال الشاعر العارف الحکیم مجدود بن آدم السنائی فی الحدیقه بالفارسیه:

مرتضائی که کرد یزدانش همره جان مصطفی جانش

هر دو یک قبله و خردشان دو هر دو یک روح و کالبدشان دو

دو رونده چو أختر گردون دو برادر چو موسی و هارون

هر دو یکدرّ ز یک صدف بودند هر دو پیرایهٔ شرف بودند

تا نه بگشاد علم حیدر در ندهد سنّت پیمبر بر

و قال فی دیوانه:

آنکه او را بر سر حیدر همی خوانی أمیر کافرم گر می تواند کفش قنبر داشتن

تا سلیمان وار باشد حیدر اندر صدر ملک زشت باشد دیو را بر تارک أفسر داشتن

چون همی دانی که شهر علم را حیدر در است خوب نبود جز که حیدر میر و مهتر داشتن

کی روا باشد بناموس و حیل در راه دین دیو را بر مسند قاضی أکبر داشتن

روی عمرو بن القناد عن محمّد بن فضیل عن أشعث بن سوار قال: سبّ عدی ابن أرطاه علیّا علیه السّلام علی المنبر فبکی الحسن البصری و قال لقد سبّ هذا الیوم رجل انه لأخو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الدّنیا و الاخره.

و روی عبد السلم بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمّد عن آبائه علیهم السّلام أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما زوج فاطمه دخل النساء علیها فقلن یا بنت رسول اللّه خطبک فلان و فلان فردّهم عنک و زوّجک فقیرا لا مال له، فلما دخل علیها أبوها صلّی اللّه علیه و آله رأی ذلک فی وجهها فسألها فذکرت له ذلک، فقال: یا فاطمه إنّ اللّه أمرنی

فأنكحتك أقدمهم سلما و أكثرهم علما و أعظمهم حلما، و ما زوّجتك إلاّ بأمر من السماء أما علمت أنّه أخى فى الدّنيا و الاخره؟.

الكلام فى أن مبيت على عليه السّلام على فراش رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله منقبه لم يحصل لغيره من الخلق فضل يعادلها

لا يخفى على ذى درايه أن مبيته عليه السّلام على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيث وهب نفسه للّه تعالى و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله فضيله لا يقاس اليها بذل المال و نعم ما قيل:

جادوا بأنفسهم فى حبّ سيّدهم و الجود بالنفس أقصى غايه الجود

و للّه درّ قائله:

مبيت علىّ بالفراش فضيله كبدر له كلّ الكواكب تخضع

و من أعرض عن ذلك و اعترض فيه فهو مكابر نفسه، و ليله المبيت متواتر لا يريبه عاقل و بذل علىّ عليه السّلام نفسه دون نبيه صلّى اللّه عليه و آله فى الليله مسلم عند الكلّ و بلغ مبلغ الضروره.

و للمغفلين فى بذل أبى بكر طائفه من ماله و مصاحبته رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تعسفات استدلوا على ذلك من آيه الغار و استنبطوا منها صورا مشوّهات و استمسكوا بتلك العرى الواهيه على تفضيل من قال: اقيلونى فلست بخيركم و علىّ فيكم، على من كلّت فيه ألسن العالمين.

و آيه الغار عندهم من أشهر الدلائل على فضل أبى بكر بستّه أوجه:

الأوّل انّ اللّه تعالى جعله ثانى رسوله بقوله «ثانى اثنين»، الثانى وصف اجتماعهما فى مكان واحد بقوله «اذ هما فى الغار»، الثالث جعله مصاحبا له صلّى اللّه عليه و آله بقوله «لصاحبه» الرابع قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله له رحمه و محبه بقوله «لا تحزن».

الخامس ان اللّه كان لهما فى التصرف و الاعانه على نسبه واحده بقوله «انّ اللّه معنا» السادس نزول السكينه عليه بارجاع الضمير اليه دون الرسول صلّى اللّه عليه و آله.

و للإماميّه رضوان اللّه عليهم فى ردّ هذه الوجوه الستّه عليهم بل استدلالهم

على نقيض ما ذهبوا اليه مباحث رأينا الاعراض عنها ههنا أجدر و لكن نكتفى بذكر بعض ما أورده الشارح المعتزلى فى المقام فى المقام فى ضمن بعض الخطب الماضى ناقلا عن الجاحظ ما تشمئزّ منها النفوس و يأبى عنها الفطره السليمه و عن شيخه أبى جعفر فى جوابها ما لا يخلو عن الانصاف و الاعتدال و نذكر بعض ما خطر ببالى فى المقام و اللّه ولىّ التوفيق و الهادى إلى خير السبيل.

قال الشارح المعتزلى: قال الجاحظ: فان احتج محتج لعلىّ عليه السّلام بالمبيت على الفراش فبين الغار و الفراش فرق واضح، لأن الغار و صحبه أبى بكر للنّبى صلّى اللّه عليه و آله قد نطق به القرآن فصار كالصلاه و الزكاه و غيرهما ممّا نطق به الكتاب و أمر علىّ عليه السّلام و نومه على الفراش و إن كان ثابتا صحيحا إلّا أنّه لم يذكر فى القرآن و إنّما جاء مجىء الروايات و السير و هذا لا يوازن هذا و لا يكائله.

ثمّ قال: قال شيخنا أبو جعفر: هذا فرق غير مؤثر لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش فلا فرق بينه و بين ما ذكر فى نص الكتاب و لا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل الملّه، أرأيت كون الصلوات خمسا و كون زكاه الذهب ربع العشر و كون خروج الريح ناقضا للطهاره و أمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لما نصّ فى الكتاب عليه من الأحكام؟ هذا مما لا يقوله رشيد و لا عاقل.

على أن اللّه تعالى لم يذكر اسم أبى بكر فى الكتاب و انما قال «إذ يقول لصاحبه» و إنما علمنا انه أبو بكر بالخبر و ما ورد فى السيره و قد قال أهل التفسير إن قوله تعالى: «وَ يَمْكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ » كنايه عن علىّ عليه السّلام لأنه مكر بهم و أوّل الايه «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ » انزلت فى ليله الهجره و مكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش و مكر اللّه تعالى هو منام علىّ عليه السّلام على الفراش فلا فرق بين الموضعين فى أنهما مذكوران كنايه لا تصريحا، و قد روى المفسّرون كلّهم ان قول اللّه تعالى: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » انزلت

فی علیّ علیه السّلام لیله المبیت علی الفراش فهذه مثل قوله تعالی: «إِذْ یَقُولُ لِصاحِبِهِ » لا فرق بینهما.

و قال: و قال الجاحظ: و فرق آخر و هو أنّه لو کان مبیت علیّ علیه السّلام علی الفراش جاء مجیء کون أبی بکر فی الغار لم یکن له فی ذلک کبیر طاعه لأن الناقلین نقلوا أنه صلّی اللّه علیه و آله قال له: نم فلن یخلص إلیک شیء تکرهه. و لم ینقل ناقل أنّه قال لأبی بکر فی صحبته إیّاه و کونه معه فی الغار مثل ذلک و لا قال له أنفق و أعتق فانک لن تفتقر و لن یصل إلیک مکروه.

ثمّ قال: و قال شیخنا أبو جعفر: هذا هو الکذب الصراح و التحریف و الادخال فی الرّوایه ما لیس منها و المعروف المنقول أنه صلّی اللّه علیه و آله قال له: اذهب فاضطجع فی مضجعی و تغش ببردی الحضرمی فان القوم سیفقدوننی و لا یشهدون مضجعی فلعلّهم إذا رأوک یسکّنهم ذلک حتی یصبحوا فاذا أصبحت فاغد فی أداء أمانتی، و لم ینقل ما ذکره الجاحظ و إنما ولّده أبو بکر الأصمّ و أخذه الجاحظ و لا أصل له.

و لو کان هذا صحیحا لم یصل إلیه منهم مکروه و قد وقع الاتفاق علی أنّه ضرب و رمی بالحجاره قبل أن یعلموا من هو حتی تضور، و أنهم قالوا له: رأینا تضورک فانا کنا نرمی محمّدا و لا یتضور، و لأن لفظه المکروه إن کان قالها إنما یراد بها القتل فهب أنه أمن القتل کیف یأمن من الضرب و الهوان و من أن ینقطع بعض أعضائه و بأن سلمت نفسه ألیس اللّه تعالی قال لنبیّه «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ » و مع ذلک فقد کسرت رباعیته و شجّ وجهه و ادمیت ساقه و ذلک لانها عصمه من القتل خاصّه، و کذلک المکروه الّذی او من علیّ علیه السّلام منه إن کان صحّ ذلک فی الحدیث إنما هو مکروه القتل.

ثمّ یقال له: و أبو بکر لا فضیله له أیضا فی کونه فی الغار لأنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال له «لا تحزن إنّ اللّه معنا» و من یکن اللّه معه فهو آمن لا محاله من کلّ سوء فکیف قلت و لم ینقل ناقل انه قال لأبی بکر فی الغار مثل ذلک، فکلّ ما یجب به عن هذا فهو جوابنا عمّا أورده فنقول له: هذا ینقلب علیک فی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لأنّ اللّه تعالی

وعـده بظهور دينه و عاقبه أمره فيجب على قولك أن لا يكون مثابا عنـد اللّه تعالى على ما يحتمله من المكروه و لا ما يصـيبه من الاذى إذ كان قد ايقن بالسلامه و الفتح فى عدته.

و قال: قال الجاحظ: و من جحد كون أبى بكر صاحب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فقد كفر، لأنّه جحد نصّ الكتاب ثمّ انظر إلى قوله تعالى «إِنَّ اللّهَ مَعَنا » من الفضـيله لأبى بكر لأنه شـريك رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى كون اللّه تعالى معه، و انزل السـكينه قـال كثير من النّاس انّه فى الايه مخصوص بأبى بكر لانّه كان محتاجا إلى السـكينه لما تـداخله من رقه الطبع البشـرى و النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله كان غير محتاج إليها لأنّه يعلم أنّه محروس من اللّه تعالى فلا معنى لنزول السـكينه عليه و هـذه فضـيله ثالثه لأبى بكر.

ثمّ قـال: قـال شـيخنا أبو جعفر: ان أبـا عثمان يجرّ على نفسه مالا طاقه له به من مطاعن الشيعه و لقـد كان فى غنيه عن التعلق بما تعلق به لانّ الشـيعه تزعم أن هذه الايه بأن تكون طعنا و عيبا على أبى بكر أولى من أن تكون فضيله و منقبه له لأنه لما قال له «لا تَحْزَنْ » دل على أنه قد كان حزن و قنط و أشـفق على نفسه و ليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين و لا يجوز أن يكون حزنه طاعه، لان اللّه تعالى لا ينهى عن الطاعه فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه.

و قوله «إِنَّ اللّهَ مَعَنا » اى ان اللّه عالم بحالنا و ما نضمره من اليقين أو الشكّ كما يقول الرجل لصاحبه لا تضمرنّ سوءا و لا تنوين قبيحـا فـان اللّه يعلم مـا نسـرّه و ما نعلنه، و هـذا مثل قوله تعالى «وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا » أى هو عالم بهم.

و أمّا السـكينه فكيف يقول إنها ليست راجعه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بعدها قوله «وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها » ا ترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟.

و قوله: إنّه مستغن عنها ليس بصحيح و لا يستغنى أحد عن ألطاف اللّه و توفيقه و تأييده و تثبيت قلبه و قد قال اللّه تعالى فى قصه حنين «وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما »

ص:۱۵۶

«رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ ».

و أمّا الصحبه فلا تدلّ إلاّ على المرافقه و الاصطحاب لا غير، و قد يكون حيث لا ايمان كما قال تعالى «قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ ».

أقول: و قد مضى من قبل ص ۱۴۱ أن القول بجواز رجوع الضمير فى عليه «فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » إلى أبى بكر بعيد جدّا، بل ليس بصحيح قطعا، لان الضمائر قبله و بعده كلّها راجعه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بلا خلاف فيه فكيف يتخلل تلك الضمائر ضمير عائد إلى غيره فى البين و هل هذا الا الخروج عن اسلوب الفصاحه و البلاغه؟ فذلك القول تهافت بتّا و لا يجنح إليه إلا من ليس بعارف فى أساليب الكلام أو يحرفه لتحصيل المرام و إن أفضى إلى الطعن فى النّبوّه و الاسلام و قد تقدم فيه الكلام، و نسأل اللّه نور الايمان و العرفان، و من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور.

مبدء تاريخ المسلمين و الفرق بين الهجرى القمرى و الهجرى الشمسى

كلمه التاريخ - كما قال الفاضل البرجندى رضوان اللّه عليه فى شرحيه على زيج الغ بيک و على التذكره فى الهيئه لبطليموس الثّانى المحقق الطوسى قدس سره -: فى اللغه تعريف الوقت، و قيل هو قلب التأخير و قيل التاريخ مشتق من أرخ و هو فى اللغه ولد البقر الوحش و التفعيل قد يأتى للازاله و التاريخ بمعنى ازاله الجهاله فى مبدء شىء و وقت صدوره.

و نقل المطرزى عن بعض أهل اللغه: التاريخ بمعنى الغايه يقال: فلان تاريخ قومه أى ينتهى إليه شرفهم فمعنى قولهم فعلت فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشىء الّذى ينتهى إليه.

و قيل هو ليس بعربى فانه مصدر المورخ و هو معرب ماه روز و ذلک أنه كتب أبو موسى الأشعرى و كان من قبل عمر حاكما فى اليمن انه تأتينا منک صكوک محلّها فى شعبان و ما ندرى أىّ الشعبانين هو الماضى أو الاتى؟ فجمع عمر النّاس

للمشوره و كان فيهم ملك أهواز اسمه الهرمزان و قد أسلم على يده حين اسر فقال:

إن لنا حسابا نسمّيه ماه روز أى حساب الشهور و الأعوام و شرح لهم كيفيه استعماله فصوّبوه و عرّبوا ماه روز بقولهم مورخ و أمّا فى الاصطلاح فهو تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع من ملّه أو دوله أو حدث فيه هائل كزلزله و طوفان لينسب إليه ما يراد تعيين وقته فى مستأنف الزّمان أو فى مستقدمه.

و لما كان أشهر الاجرام السّماويه النيرين اعتبر الامم فى وضع الشهور و السنين دورهما، و أكثرهم اعتبروا فى وضع الشهور دور القمر و فى وضع السنين دور الشمس المقتضى لعود حال السنه بحسب الفصول لكنهم لم يعتبروا عوده القمر فى نفسه بل عودته إلى الشمس القريبه من عودته فى نفسه ليكون استناره القمر فى أوائل الشهور و أواسطه و أواخره بل فى جميع اجزائها على نسق واحد، ثمّ لما كان عوده الشمس فى اثنى عشر شهرا قمريا تقريبا قسموا السنه اثنى عشر قسما و سموا كلا منها شهرا مجازا و ركبوا اثنى عشر شهرا قمريا و سموها سنه على التشبيه.

و لم يكن للمسلمين بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تاريخ فى حوادثهم و امورهم و كان قبل الاسلام بين الأعراب عده تواريخ كتاريخ بناء الكعبه و تاريخ رياسه عمرو بن ربيعه و هو الذى وضع عباده الاصنام فى العرب و كان هذا التاريخ متداولا به إلى عام الفيل ثمّ صار عام الفيل مبدءا، فلما حدث التباس بعض الأمور فى زمان عمر كما دريت أمر بوضع التاريخ.

فأشار بعض اليهود إلى تاريخ الروم فلم يقبله لما فيه من الطول، و بعضهم إلى تاريخ الفرس فردّه لعدم استناده إلى مبدء معين فانهم كانوا يجددونه كلما قام ملك و طرحوا ما قبله.

فاستقر رأيهم على تعيين يوم من أيامه عليه الصلاه و السّلام لذلك و لم يصلح وقت للمبعث لكونه غير معلوم، و لا وقت الولاده لاختلاف فيه فقيل إنه ولد ليله الثانى أو الثامن أو الثالث عشر من شهر الرّبيع الاوّل سنه أربعين أو اثنتين و أربعين أو ثلاث و أربعين من ملك أنوشروان إلى غير ذلك من الأقوال، و لا وقت الوفاه لتنفر الطبع عنه.

ص:۱۵۸

فجعل مبدءه الهجره من مکّه إلی المدینه باشاره علیّ علیه السّلام إلی ذلک کما سیأتی نقل الأخبار فیه إذ بها ظهرت دوله الاسلام فأجمعوا علیه.

ثمّ قالوا: فأیّ الشهور نبدأ فقالوا: رمضان ثمّ قالوا: المحرم فهو منصرف الناس من حجهم و هو شهر حرام فأجمعوا علی المحرم.

و اعلم أن أوّل تلک السنه أعنی أوّل المحرم کان یوم الخمیس بحسب الامر الأوسط بالاتفاق لانّه ممّا لا یعتریه خلاف و لو بسطنا الکلام فیه لا نجرّ إلی بحث طویل الذیل.

و أمّا بحسب الرؤیه ففی بعض الأحادیث أنه کان یوم الخمیس و هذا ممکن لانه قد یتفق أول الشهر بحسب الامر الاوسط و الرؤیه معا، و فی بعض الروایات أنّه کان یوم الجمعه و هذا أیضا ممکن لانه قد یختلف بین یوم الأمر الأوسط و یوم الرّؤیه فی یوم بأن یکون أوّل الشهر الوسطی خمیسا و الحقیقی المبنی علی الرؤیه جمعه مثلا أو یومین بأن یکون أوّل الحقیقی سبتا.

و فی بعض الروایات أنه کان أول المحرم من تلک السنه یوم الاثنین و هذا محال لانه لا یمکن اختلافهما فی أکثر من یومین علی ما برهن و حقق فی محلّه.

و لم یتفق لی طول ستّ سنوات استخراجی إلی الان أن یقدم أوّل الشهر الحقیقی علی الوسطی و لو بیوم بل قد یتفقان فی أوّل الشهر أو یقدم الوسطی علی الحقیقی اما یوما أو یومین.

الفرق بین الشهر القمری الحقیقی و الوسطی

و اعلم أن الشهر القمری مأخوذ من تشکلات القمر النوریه بحسب أوضاعه من الشمس، و دریت أنه لما کان أشهر الاجرام السماویه النیرین اعتبر الناس فی وضع الشهور و الأعوام دورهما.

فمستعملوا الشهر القمری بعضهم و هم الترک أخذوا مبدئه من اجتماع حقیقی فالشهر عندهم من اجتماع حقیقی بین النّیرین إلی اجتماع حقیقی بعده، فان وقع الاجتماع قبل

نصف النهار فذلک اليوم هو أوّل الشهر، و إن كان بعده فاليوم الّذى بعده، و لكن فيه تعذرا لتوقفه على استخراج التقويمين فى رأس كل شهر و اعمال كثيره اخر حتى يعلم أن الاجتماع فى أىّ يوم و أىّ ساعه، و هذا لا يتيسر الا للأوحدى من الناس ممّن رزقهم اللّه التفكر فى خلق السموات و الأرض.

و المسلمون و أهل الباديه من الأعراب اخذوه من ليله رؤيه الهلال إلى ليلتها لأن أقرب أوضاع القمر من الشمس إلى الادراک هو الهلال، فالأوضاع الاخرى من المقابله و التربيع و غير ذلک لا يدرک إلّا بحسب التخمين، فان القمر يبقى على النور التام قبل المقابله و بعدها زمانا كثيره و كذلک غيره من الأوضاع و أما وضعه منها عند وصوله فى تحت الشعاع و إن كان يشبه وضع الهلال فى ذلک لكنه فى وضع الهلال يشبه الموجود بعد العدم و المولود الخارج من الظلم فجعله مبدء أولى.

قال اللّه تعالى «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ » الايه، و كان اتفاق المسلمين ان أوّل شهر الصيام ليله رؤيه الهلال إلى ليله رؤيتها و يكون الصوم للرؤيه و الفطر للرؤيه و هذا الشهر لا يزيد عن ثلاثين يوما و لا ينقض على تسعه و عشرين يوما.

و ليعلم انه على هذا الوجه اعنى أخذ الشهر القمرى من ليله رؤيه الهلال إلى ليلتها كما ذهب اليه المسلمون يمكن أن تكون أربعه أشهر متواليات ثلاثين يوما و لا يزيد على ذلک قط كما يمكن أن تكون ثلاثه أشهر متواليات تسعه و عشرين يوما و لا يزيد على هذا المقدار أيضا قطّ على ما حقق فى محلّه، و ذكر الدليل ينجرّ إلى بحث طويل. و هذا هو الشهر القمرى الحقيقى المبتنى على وضع القمر مع الشمس و أما الوسطى فهو مصطلح أهل الحساب فيأخذون مبدء الشهر من الاجتماع الوسطى و يجعلون المحرم ثلاثين يوما و الصفر تسعه و عشرين يوما، و هكذا كل فرد ثلاثين يوما و كلّ زوج تسعه و عشرين يوما، و فى طول ثلاثين سنه يأخذون ذا الحجه إحدى عشر مره ثلاثين يوما و يسمونها كبائس، و برهانه مذكور فى الكتب

المبرهنه فى الفنّ، و هذا الشهر الوسطى هو مبنى الجداول فى كتب الأعمال أعنى الزيجات.

و مقدار الشهر الوسطى ما حوسب و استخرج فى الزيج البهادرى و هو أدق الزيجات:

يكون تسعه و عشرين يوما و احدى و ثلاثين دقيقه و خمسين ثانيه و ثمانى ثوالث على أن كلّ يوم ستون دقيقه و كلّ دقيقه ستون ثانيه.

«فائدتان»

الاولى

انك دريت أن وضع الجداول فى الزيجات على الامر الاوسط و لا مساس له فى الرؤيه اعنى ان المنجمين يرتّبون حركات الكواكب فى الجداول على ذلك النهج الاوسط فاذا أرادوا ان يعلموا رؤيه هلال أو تقويم كوكب او خسوف و كسوف او مقدار الايام و الليالى و غير ذلك من الامور احتاجوا إلى محاسبه ثانيه من تلك الجداول باعمال التعديلات على الطرق المعلومه عند العالمين بها فليس مبنى الجداول أولا على السير الحقيقى و التقويم الواقعى للكواكب.

و يعبر الزيج فى تعابير الفقهاء بالجدول و ما فى كتب الفقهيّه - كاللمعه للشهيد الاول (ره) فى كتاب الصوم فى رؤيه الهلال - لا عبره بالجدول، حق لان مبنى الجداول أعنى الزيجات على عدّ شهر تامّا و شهر ناقصا حتى يمكن ضبطها و وضعها فى الجداول فالجدول فى تعابير الفقهاء كان بهذا المعنى و لا اعتبار به قبل المحاسبه ثانيه لكل امر لا انه ليس على مبنى صحيح و معتبر و ذلك كما ترى ان محاسبا يخبران فى يوم كذا و ساعه كذا ينكسف الشمس مثلا فى مقدار كذا و مده كذا فترى ما اخبر مطابقا للواقع و ان ظهر خلافه فغلّط هو فى عمله.

الفائده الثانيه

ان شهر رمضان كسائر الشهور تاره يكون ثلاثين يوما و تاره تسعه و عشرين يوما لان الشهر القمرى كما دريت يكون من ليله رؤيه الهلال إلى ليله رؤيه الهلال و القمر قد يخرج تحت شعاع الشمس فى اليوم التاسع و العشرين فيرى الهلال عند مغيب الشمس و قد لا يخرج فى ذلك اليوم فيصير الشهر ثلاثين يوما و ليس للنّيرين فى شهر رمضان وضع خاص حتى يكون دائما ثلاثين يوما و ليس لشهر رمضان تأثير خاص فى ذلك.

و فی التهذیب عن محمّد بن الفضیل قال سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام عن الیوم الّذی یشکّ فیه لا یدری اهو من شهر رمضان أو من شعبان فقال: شهر رمضان شهر یصیبه ما یصیب الشهور من الزیاده و النقصان فصوموا للرؤیه و افطروا للرؤیه الحدیث.

و ذهب رئیس المحدثین الصدوق رضوان اللّه علیه إلی ان شهر رمضان لا ینقص عن ثلاثین یوما ابدا و روی فی الخصال بإسناده عن إسماعیل بن مهران قال سمعت جعفر بن محمّد علیهما السّلام یقول و اللّه ما کلّف اللّه العباد إلا دون ما یطیقون انما کلفهم فی الیوم و اللیله خمس صلوات و کلفهم فی کلّ الف درهم خمسه و عشرین درهما و کلفهم فی السنه صیام ثلاثین یوما و کلفهم حجه واحده و هم یطیقون أکثر من ذلک.

ثمّ قال (ره) مذهب خواصّ الشیعه و أهل الاستبصار منهم فی شهر رمضان انه لا ینقص عن ثلاثین یوما ابدا و الاخبار فی ذلک موافقه للکتاب و مخالفه العامه فمن ذهب من ضعفه الشیعه إلی الاخبار التی وردت للتقیّه فی انه ینقص و یصیبه ما یصیب الشهور من النقصان و التمام اتقی کما یتقی العامه و لم یکلم الا بما یکلم به العامه.

و قریب من قوله هذا ما فی الفقیه.

أقول: و هذا الکلام منه قدس سرّه مع جلاله شأنه غریب جدّا و الاخبار الناطقه فی ذلک إما یشیر إلی صوم یوم الشک حیث تغیّمت السماء او إلی امور اخر ذکروها شراح الاحادیث علی ان شیخ الطائفه قدس سرّه ردّ تلک الاخبار فی التهذیب بوجوه فمن شاء فلیرجع الیه او إلی الوافی و غیره من الکتب المبسوطه.

ثمّ ان شراح الأحادیث و فقهاء الامامیّه لا سیما الشیخ الطوسی فی الهذیبین و ان ذکروا فی ردّ تلک الاخبار القائله بان شهر رمضان لا ینقص عن ثلاثین ابدا و توجیهها وجوها کثیره و لکن ههنا دقیقه تبصّر بها و ذکرها فی حاشیه الوافی شیخنا الاجل و استادنا الاعظم الجامع للعلوم النقلیه و العقلیه و المتبحر فی الفنون الغریبه الحاج المیرزا أبو الحسن الشعرانی متعنا اللّه بطول بقائه یعجبنی ان اذکرها تیمنا بما قال و تمثلا له فی البال، قال مدّ ظله:

أقول: عاده المنجمین ان یحاسبوا الشهور الهلالیه اولا علی الامر الاوسط و یرتبون الایام و یستخرجون مواضع الکواکب فی تلک الایام ثم یرجعون و یستخرجون

رؤيه الأهله و يرتبون الشهور و يعينون غره كل شهر على حسب الرؤيه فاذا بنوا على الامر الاوسط حاسبوا شهر محرم تاما و صفر ناقصا فهكذا فيكون شعبان ناقصا و رمضان تاما و هذا بحسب الأمر الاوسط و هو عادتهم من قديم الدهر الا ان هذا عمل يبتدون به فى الحساب قبل ان يستخرج الأهله فإذا استخرج الهلال بنوا على الرؤيه و كان بعض الرواه سمع ذلك من عمل المنجمين فاستحسنه لان نسبه النقصان إلى شهر رمضان و هو شهر اللّه الأعظم يوجب التنفير و اسائه الادب فنسبه إلى بعض الائمه عليهم السّلام سهوا و زادوا فيه و العجب ان الصدوق رحمه اللّه روى الأحاديث فى الصوم للرؤيه و الافطار لها و روى أحاديث الشهاده على الهلال و روى احكام يوم الشك و لو كان شعبان ناقصا ابدا و شهر رمضان تاما ابدا لا تنفى جميع هذه الاحكام و بطلت جميع تلك الروايات و لا يبقى يوم الشك و لم يحتج إلى الرؤيه.

و أمّا الفرق بين السنه الهجريه القمريه و الهجريه الشمسيه فنقول: مبدءهما الأوّل واحد و هو مهاجره نبيّنا خاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله من مكه إلى المدينه كما مرّ بيانه مفصّلا إلّا انهم فى صدر الاسلام جعلوا مبدء القمريه من المحرّم و جعل فى قرب عصرنا مبدء الشمسيه من تحويل الشمس إلى الحمل و ما كان الاصل فى ذلك هو السنه الهجريه القمريه لما دريت ان العرب اعتبروا الشهور و الاعوام من دور القمر فالشهر من ليله رؤيه الهلال إلى ليلتها ثمّ ركّبوا اثنى عشره شهرا قمريا و سموها سنه و مضى من هجره نبينا صلّى اللّه عليه و آله إلى هذا اليوم الّذى نحرّر ذلك المطلب و هو يوم الاثنين ثامن ربيع الاوّل يوم وفاه امامنا أبى محمّد الحسن بن علىّ العسكرى عليه السّلام، اثنان و ثمانون و ثلاثمأه و الف سنه و شهران و ثمانيه أيام.

و أمّا الهجريه الشمسيه و إن كان مبدءهما الأوّل هجره الرسول صلّى اللّه عليه و آله إلّا انّه تاريخ حديث وضعوه فى طهران عاصمه ايران و كان مبدءه السنه ۱۳۰۴ الشمسيه و هو مبنى على اثنى عشره شهرا شمسيا كتاريخ الجلالى و اسامى الشهور بعينها اسامى اليزدجردى و هى: فروردين، ارديبهشت، خوردا، تير، مرداد، شهريور، مهر، آبان، آذر، دى، بهمن، اسفند و جعلوا الشهور الستّ الأوّل احدا و ثلاثين يوما

ص:۱۶۳

و الست الاخر ثلاثين يوما إلّا ان شهر اسفند يكون فى الكبيسه ثلاثين يوما و فى غيره تسعه و عشرين يوما و بهذه الحيله نشروا الخمس المسترقه فى الشهور تسهيلا للامر و مبدء السنه يكون من يوم تحويل الشمس إلى أوّل الحمل إن كان تحويلها قبل نصف النهار و إلّا فاليوم الذى بعده و مضى من تلك السنه إلى اليوم احدى و أربعون و ثلاثمأه و الف سنه.

و التفاوت بينهما ناش من حيث إن الأوّل مبتن على حركه القمر و تكون السنه مركبه من اثنى عشر شهرا قمريا و الثانى على حركه الشمس فالسنه مركبه من اثنى عشر شهرا شمسيّا.

و الشهر القمرى الحقيقى على الزيج البهادرى هو تسعه و عشرون يوما و اثنتى عشر ساعه و أربع و أربعون دقيقه و ثلاث ثوانى و ثلاث ثوالث و تسع روابع و ست و ثلاثون خامسه.

فلا جرم ان السنه القمريه الحقيقيه أربع و خمسون و ثلاثمأه يوم و ثمانى ساعات و ثمانى و أربعون دقيقه و ست و ثلاثون ثانيه و سبع و ثلاثون ثالثه و خمس و خمسون رابعه و اثنتا عشر خامسه الحاصله من ضرب عدد الشهر القمرى فى اثنى عشره.

و السنه الشمسيه الحقيقيه على ما رصد فى الزيج البهادرى و صرّح به فى الصفحه الثامنه و الثلاثين منه:

خمسه و ستون و ثلاثمأه يوما و خمس ساعات و ثمانى و أربعون دقيقه و ست و أربعون ثانيه و ست ثوالث و عشر روابع.

فالتفاوت بين السنه الشمسيّه الحقيقيه و القمريه الحقيقيه هو عشره أيام و احدى و عشرون ساعه و تسع ثوانى و ثمانى و عشرون ثالثه و اربع عشره رابعه و ثمانى و اربعون خامسه. و هذا هو التحقيق فى ذلك المقام بما لا مريه فيه و لا كلام و بالجمله مبدء تاريخ المسلمين المعمول به عند جمهورهم هو أوّل شهر المحرّم من سنه هجره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مكه زادها اللّه شرفا إلى المدينه الطيّبه.

و ذهب محمّد بن إسحاق المطلبى كما فى السيره النبويه لابن هشام التى هى منتخبه ممّا الفه ابن إسحاق، و غيره إلى ان مبدأه يكون شهر ربيع الأوّل حيث

قال: قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المدينه يوم الاثنين حين اشتدّ الضّحاء و كادت الشمس تعتدل لثنتى عشره ليله مضت من شهر ربيع الأوّل و هو التاريخ و هذا متروک عند المسلمين.

و يمكن ان يكون الضمير اعنى هو فى قوله و هو التاريخ راجعا إلى قدومه و هجرته من مكه إلى المدينه فلا تنافى

«ذكر الاخبار فى ذلک»

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخه المعروف: قال عبيد اللّه بن أبى رافع قال سمعت سعيد بن المسيب يقول جمع عمر بن الخطّاب الناس فسألهم فقال من أىّ يوم نكتب فقال على عليه السّلام من يوم هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ترک أرض الشرک ففعله عمر.

و فيه بإسناده عن الشعبى قال كتب ابو موسى الأشعرى إلى عمر انه تأتينا منک كتب ليس لها تاريخ قال فجمع عمر الناس للمشوره فقال بعضهم ارخ لمبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال بعضهم لمهاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال عمر لابل نؤرخ لمهاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فان مهاجره فرق بين الحق و الباطل.

و فيه عن ميمون بن مهران قال رفع إلى عمر صکّ محله فى شعبان فقال عمر أىّ شعبان الّذى هو آت او الّذى نحن فيه؟ قال ثمّ قال لأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فقيل انهم يكتبون من عهد ذى القرنين فهذا يطول و قال بعضهم اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل إنّ الفرس كلما قام ملک طرح من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظرواكم اقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالمدينه فوجدوه عشر سنين فكتب التاريخ من هجره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و فيه قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال ارّخوا فقال عمر ما أرخوا قال شىء تفعله الاعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنه كذا فقال عمر حسن فارّخوا فقالوا من أىّ السنين نبدأ قالوا من مبعثه و قالوا من وفاته ثمّ اجمعوا على الهجره ثمّ قالوا فأىّ الشهور نبدأ فقالوا رمضان ثمّ قالوا المحرّم فهو منصرف الناس من حجهم و هو شهر حرام فاجمعوا على المحرّم.

الترجمه

اشاره

از کلام آن حضرت است که رفتن خود را در پی پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله و رسیدن بان جناب بعد از مهاجرت حضرتش از مکه بسوی مدینه حکایت میکند:

پس شروع کردم، پیروی می کردم آن راهی را که پیمبر خدا رفته بود، پس بیاد او گام می نهادم تا به عرج رسیدم (کنایه از این که از ابتداء خروج از مکّه تا این موضع پیوسته از آن جناب خبر می گرفتم و بر اثر نشان او قدم می زدم عرج بر وزن خرج موضعی است بین مکه و مدینه و بمدینه نزدیکتر است).

سید رضی رضوان اللّه علیه در مدح کلام مولی می گوید: این جمله گفتار آن حضرت (فاطأ ذکره) کلامی است که در نهایت اعجاز و غایت فصاحت از آن جناب صادر شد. اراده کرده است از آن که من ابتداء بیرون آمدن از مکه تا رسیدن بدین موضع همواره از آن حضرت خبر می گرفتم، این مطلب را باین کنایه عجیب اداء فرموده است.

هجرت پیغمبر (صلّی اللّه علیه و آله) از مکه بمدینه و جانشین شدن علی علیه السّلام

آن بزرگوار را و در فراش او خفتن باختصار

کفار مکه از هر قبیله ای تنی چند برگزیدند که پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله را شبانه در بستر خوابش بقتل رسانند و چون بنو عبد مناف قوۀ مقابله و مقاتله با جمیع قبائل ندارند بدیت راضی شوند، جبرئیل رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله را از سوء نیت آن گروه اعلام فرمود و حضرتش را به مهاجرت اشارت کرد.

پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله علی علیه السّلام را از آن اخبار فرمود و وی را جانشین خود قرار داد و زن و فرزندان و ودائعی را که مردم از جهت اطمینان و اعتمادی که به پیغمبر داشتند در نزد وی بامانت نهاده بودند بدست علی علیه السّلام سپرد، أمیر المؤمنین امر آن جناب را بیدریغ امتثال کرد و در جای رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله بخفت و در حقیقت جانش را وقایه و فدای پیغمبر اکرم صلّی اللّه علیه و آله گردانید که رسول اللّه شبانه با ابو بکر بغار ثور رفته و سه شب در غار بسر برد تا جان بسلامت بدر برد و سپس بسوی مدینه مهاجرت فرمود.

و آیۀ کریمه «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » در شأن

علی علیه السّلام در این موضوع نازل شد.

کفار چون گرد خانه پیغمبر صلّی اللّه علیه و آله را گرفتند و علی علیه السّلام را بجای پیغمبر دیدند نا امید شدند. أمیر المؤمنین علیه السّلام سه روز در مکه بود و ودائع را بصاحبانش برگردانید و سپس با زن و فرزندان پیغمبر بسوی مدینه بدان راهی که رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله گام نهاد رهسپار شد. و مبدء تاریخ هجری چه قمری چه شمسی از اینجا آغاز می گردد.

بر مسلمان خردمند پوشیده نیست که این عمل أمیر المؤمنین علیه السّلام موجب انتظام دین و ایمان و سبب خذلان اهل کفر و عدوان شد. علی علیه السّلام جان خویش را در طاعت خدا و حفظ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخشیده و در فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخفت تا حضرتش را از کید اعداء برهانید و امر ملّت و دین و سلامت و بقاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کتاب اللّه بدان انتظام یافت و حافظ و حامی شریعت سید المرسلین صلّی اللّه علیه و آله گردید چه خداوند فرمود «نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ » و بر خردمند هوشیار معلوم است که بذل مال و کالا در ازاء بذل نفس بی مقدار است و الجود بالنفس اقصی غایه الجود.

المختار المأتان و الخامس و الثلاثون

اشاره

و من خطبه له علیه السّلام: فاعملوا و أنتم فی نفس البقاء و الصّحف منشوره، و التّوبه مبسوطه، و المدبر یدعی، و المسیء یرجی قبل أن یخمد العمل و ینقطع المهل، و ینقضی الأجل، و یسدّ باب التّوبه، و تصعد الملائکه فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، و أخذ من حیّ لمیّت، و من فان لباق، و من ذاهب لدائم، امرؤ خاف اللّه و هو معمّر إلی أجله، و منظور إلی عمله امرؤ ألجم نفسه بلجامها، و زمّها بزمامها، فأمسکها بلجامها عن معاصی اللّه، و قادها بزمامها إلی طاعه اللّه.

ص:۱۶۷

اللغه

(فی نفس البقاء) أی فی سعته. و النفس بالتحریک کالسبب السعه و الفرج و المهله و الفسحه. فی الصحاح للجوهری: و النفس بالتحریک، یقال انت فی نفس من امرک أی فی سعه.

(الصحف) جمع الصحیفه أی الکتاب و تجمع علی الصحائف أیضا و المراد به هنا صحائف اعمال الانسان (التوبه) اصلها الرجوع عمّا سلف و لذا فسّر الزمخشری قوله تعالی «فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ » (البقره یه ۳۶): أی فرجع علیه بالرحمه و القبول و فی الاصطلاح الندم علی الذنب لقبحه عند العدلیه و لذا عرفوها علی التفصیل بقولهم: هی الندم علی المعصیه لکونها معصیه مع العزم علی ترک المعاوده فی المستقبل و بعباره اخری الندم علی القبیح مع العزم ان لا یعود إلی مثله فی القبح کما یأتی شرحها و تفسیرها. و التوبه إذا اسند إلی اللّه تعالی تکون صلته علی کقوله تعالی: «فَتابَ عَلَیْهِ » و قوله تعالی: «وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَیْنا » (البقره یه ۱۲۳) و إذا اسند إلی العبد تکون صلته إلی کقوله تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً » (التحریم یه ۸) فی صحاح الجوهری: و تاب إلی اللّه توبه و متابا و قد تاب اللّه علیه وفّقه لها.

و قال الطبرسی فی المجمع: التوبه و الاقلاع و الانابه فی اللغه نظائر و ضدّ التوبه الاصرار و اللّه تعالی یوصف بالتواب و معناه انه یقبل التوبه عن عباده و اصل التوبه الرجوع عما سلف و الندم علی ما فرط فاللّه تعالی تائب علی العبد بقبول توبته و العبد تائب إلی اللّه تعالی بندمه علی معصیته (یدعی و یرجی) کل واحد منهما ناقص واوی من دعو و رجو و یحتمل إن یکون یرجی من الارجاء ای التاخیر و الامهال و قلب الهمزه یاء لغه فیه فقلب الهمزه یاء ثمّ أبدل الفا و منه قوله تعالی فی الاعراف و الشعراء «قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ » قال الجوهری فی صحاح اللغه ارجأت الامر: اخّرته، بالهمز و بعض العرب یقول ارجیت، و لا یهمز.

(یخمد) فی الصحاح: خمدت النار تخمد خمودا إذا سکن لهبها و لم یطفأ جمرها و خمدت الحمّی سکن فورانها، و جاء من بابی نصر و علم قال یزید بن حمان

ص:۱۶۸

السکونی فی الحماسه الثالثه و التسعین.

انّی حمدت بنی شیبان اذ خمدت نیران قومی و فیهم شبّت النار

و روی (یحمد العمل) بالهاء المهمله و الاول اولی و انسب بقرینه ینقطع (المهل) بالتحریک کالأجل: التّؤده و قال المرزوقی فی شرحه علی الحماسه المهل و المهل و المهله تتقارب فی اداء معنی الرفق و السکون، و المراد به ههنا العمر الّذی امهل الناس فیه.

(الاجل) بالتحریک: مدّه الشیء، وقت الموت، غایه الوقت.

(فاخذ) امر فی صوره الخبر ای فلیأخذ.

(میت) فیعل من الموت و اصله میوت کسیّد سیود من السودد، قال نظام الدین النیشابوری فی شرحه علی الشافیه لابن الحاجب: نحو سید لیس مکرر العین إذ لم یوجد فعل بکسر العین فی الاسماء الصحیحه و لا فعل بفتحها و فیعل بالکسر و ان لم یوجد فی الصحیح إلّا انهم وجدوا فیعلا بالفتح نحو صیرف و ضیغم فکانهم خصّوا الاجوف بالکسر لمناسبه الیاء (اللجام) معرب لگام کما فی الصحاح اللجام فارسیّ معرّب.

(قادها) قدت الفرس و غیره أقود قودا إذا مشیت أمامه آخذا بمقوده عکس ساق یقال ساق الدّابه سوقا من باب قال کقاد إذا حثّها علی السیر من خلف.

الاعراب

کلمه الفاء فی قوله علیه السّلام فاعملوا لمجرد الترتیب و التقدیر أنتم فی نفس البقاء و... فاعملوا قبل ان یخمد العمل.

الواو فی (و أنتم فی نفس البقاء) للحال و الجمله مبتداء و خبر و الجمل الاربع بعدها معطوفه علیها ای و الحال أنتم فی نفس البقاء و الحال الصحف منشوره و هکذا.

(قبل ان یخمد العمل) الظرف متعلق بقوله فاعملوا، و الجمل الاربع بعدها معطوفه علیها ای فاعملوا قبل ان ینقطع المهل و فاعملوا قبل ان ینقضی الاجل و هکذا

ص:۱۶۹

(فاخـذ امرؤ من نفسه لنفسه) اخـذ فعـل ماض اقيم مقام الامر اعنى انه امر فى صوره الخبر أى فليأخـذ و كلمه (فا) رابطه للجواب بالشرط و التقدير إذا كان كذلك فليأخذ، و كلمتا من و اللام الجارتين متعلقان باخذ و اللام للتعليل و كذا الجمل الثلاث التاليه.

(امرؤ خاف) بدل لامرؤ فى قوله فاخذ امرؤ و كذا قوله امرؤ ألجم نفسه.

(و الواو) فى و هو معمر للحال و منظور عطف على معمر.

و قوله (فامسكها بلجامها) الى قوله (طاعه اللّه) مفصله و مبينه لقوله ألجم نفسه بلجامها و زمها بزمامها فالفاء فيها للترتيب لان تلك الفاء تكون فى عطف مفصل على مجمل كما فى مغنى اللبيب و هذا المقام كذلك كقوله تعالى «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً » و نحو قوله تعالى «وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی » الايه.

و الباءات الاربع للاستعانه نحو كتبت بالقلم و نجرت بالقدوم و الاولى متعلقه بألجم و الثانيه بزمّ و الثالثه و الجاره تاليها بامسك و الرابعه و تاليها بقاد.

المعنى

فى هذه الخطبه يحرّض عليه السّلام النّاس و يحثهم على طاعه اللّه و المتاب إليه تعالى و نهى النفس عن الهوى و سوقها إلى الكمالات الانسانيه و يحذرهم عن القنوط من رحمه اللّه و سوء الظنّ به تعالى و اليأس من روح اللّه بأن باب التوبه مفتوح و وقت العمل باق فقال عليه السّلام:

(فاعملوا و أنتم فى نفس البقاء) اى فاعملوا لاخرتكم و خذوا من ممركم لمقركم و الحال أنتم فى سعه من البقاء و الحياه فلم يتصرم وقت العمل فاغتنموا الفرص و كونوا أبناء الوقت.

قوله عليه السّلام (و الصحف منشوره) أى الصحائف التى كتب فيها أعمال الخلائق منشوره لم يطو بعد و انما يطوى بانقضاء الاجل أى فاعملوا و أنتم احياء بعد لما علمت ان صحيفه اعمال الانسان لا يطوى الا إذا مات فالانسان متى لم يجىء اجله فهو فى

سعه ان يعمل الصالحات.

قوله عليه السّلام (و التوبه مبسوطه) أى ان التوبه ليست مردوده عليكم و لا مقبوضه عنكم ان فعلتموها فهى مبسوطه و بابها مفتوح للانسان إلى قبيل موته.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى آخر خطبه خطبها كما فى من لا يحضره الفقيه للصدوق قدس سره: من تاب قبل موته بسنه تاب اللّه عليه ثمّ قال و ان السنه لكثيره من تاب قبل موته بشهر تاب اللّه عليه ثمّ قال و ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب اللّه عليه ثم قال و ان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعه تاب اللّه عليه ثمّ قال الساعه لكثيره من تاب و قد بلغت نفسه هذه و اهوى بيده إلى حلقه تاب اللّه عليه.

و فى مجمع البيان بعد نقل هذه الروايه عن الفقيه قال: و روى الثعلبى باسناده عن عباده بن الصامت عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله هذا الخبر بعينه إلا انه قال فى آخره و الساعه لكثيره من تاب قبل ان يغر غربها تاب اللّه عليه.

و فى الكافى لثقه الاسلام الكلينى قدس سرّه فى باب وقت التوبه: عن بكير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام او عن أبى جعفر عليه السّلام: قال ان آدم قال يا ربّ سلّطت علىّ الشيطان و اجريته مجرى الدم منّى فاجعل لى شيئا فقال يا آدم جعلت لك انّ من همّ من ذرّيتك بسيّئه لم يكتب عليه شىء فان عملها كتبت عليه سيّئه و من همّ منهم بحسنه فان لم يعملها كتبت له حسنه فان هو عملها كتبت له عشرا قال يا ربّ زدنى قال جعلت لك انّ من عمل منهم سيّئه ثمّ استغفر غفرت له قال يا ربّ زدنى قال جعلت لهم التوبه و بسطت لهم التوبه حتى يبلغ النفس هذه قال يا ربّ حسبى.

و فيه أيضا فى ذلك الباب عن ابن وهب: قال خرجنا إلى مكّه و معنا شيخ متعبد متأله لا يعرف هذا الأمر يتمّ الصلاه فى الطريق و معه ابن اخ له مسلم فمرض الشيخ فقلت لابن اخيه لو عرضت هذا الأمر على عمّك لعل اللّه تعالى ان يخلّصه فقال كلّهم دعوا الشيخ حتّى يموت على حاله فانّه حسن الهيئه فلم يصبر ابن اخيه حتّى قال له يا عمّ إن النّاس ارتدّوا بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلّا نفرا يسيرا و كان لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام من الطاعه ما كانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

الحق و الطاعه له قال فتنفّس الشيخ و شهق و قال انا على هذا و خرجت نفسه فدخلنا على أبى عبد اللّه عليه السّلام فعرض علىّ بن السرّى هذا الكلام على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال هو رجل من أهل الجنه فقال له علىّ بن السرّى إنّه لم يعرف شيئا من ذلک غير ساعته تلک قال فتريدون منه ما ذا قد دخل و اللّه الجنّه.

و فى الكافى عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال إذا بلغت النفس هذه و اومى بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبه و كانت للجاهل توبه.

و فى رياض السالكين فى شرح الصحيفه لسيّد الساجدين عليه السّلام فى الدعاء الحادى و الثلاثين: قال بعض المفسرين و من لطف اللّه تعالى بالعباد ان أمر قابض الارواح بالابتداء فى نزعها من اصابع الرجلين ثمّ تصعد شيئا فشيئا إلى ان تصل إلى الصدر ثمّ تنتهى إلى الحلق ليتمكن فى هذه المهله من الاقبال على اللّه تعالى و الوصيّه و التوبه ما لم يعاين و الاستحلال و ذكر اللّه سبحانه فتخرج روحه و ذكر اللّه على لسانه فيرجى بذلک حسن خاتمته.

و ههنا مباحث:

الاول كما فى المجلى و غيره ان التعلق بالجسمانيات موجب لبعد النفس عن المعقولات و اشتغالها بالمجردات لشده تعلقها و عظم انغماسها فى عالم الطبيعه فيحصل البعد الموجب للحرمان عن الوصول إلى الكمال.

و فى الكافى للكلينى «ره» فى غوائل الذنوب و تبعاتها: عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال كان أبى يقول ما من شىء افسد للقلب من خطيئه إن القلب ليواقع الخطيئه فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله.

و قال الفيض «ره» فى الوافى فى بيانه: يعنى فما تزال تفعل تلک الخطيئه بالقلب و تؤثر فيه بحلاوتها حتّى يجعل وجهه الّذى إلى جانب الحقّ و الآخره إلى جانب الباطل و الدّنيا فحقيقه التوبه الاقلاع عن ذلک التعلق و نفى العلاقه و جذب النفس عن عالم الاجسام حتّى يصير ذلک ملكه لها ليتعلق بعالم التطهير و الحصول مع القديسين و بذلک ينجو عن ورطه الحجاب و البعد بسبب الالتفات إلى

المعقولات و التعلق بالمجردات فان البعد عن احد الجانبين مقرب إلى الاخر و من هذا قوله صلّى اللّه عليه و آله الدنيا و الاخره ككفتى ميزان ايّهما رجحت نقصت الاخرى و قال بعض أهل الحكمه انهما كالضرّتين الانس بأحدهما يوجب الوحشه من الاخرى.

و بالجمله الامور الدّنيويه و التعلق بها توجب الحرمان و منع التعلق بالامور الاخرويه و بقدر ما يبعد عن احدهما يقرب من الاخرى و عبر صلّى اللّه عليه و آله عن هذه الجمله بقوله: الدنيا رأس كلّ خطيئه فلا يتحقق التوبه المعتبره عند أهل اللّه إلاّ بالاعراض عن الاحوال الدّنيويه بالكلّيه بحيث لا يلتفت اليها و يبعدها عن مطمح نظره كما جاء فى الحديث: الدّنيا محرمه على أهل الاخره و الاخره محرّمه على أهل الدّنيا و هما معا محرّمتان على أهل اللّه و لهذا قيل إن التوبه على ثلاثه أنواع عام للعبيد كلّهم و هى التوبه عن ترك الطاعه و فعل القبيح، و خاص بأهل الورع و هى التوبه عن فعل المكروه و ترك المندوب، و أخص من الخاص و هى التوبه عن الالتفات إلى غير اللّه و هى لأهل الولايه الّذين هم فى مرتبه الحضور فى اغلب الاوقات، و توبه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و اوليائه من هذا القبيل و منه قوله: صلّى اللّه عليه و آله إنّه ليغان على قلبى و إنّى لأستغفر اللّه فى اليوم سبعين مره، و أهل هذه الطبقه هم أهل المراقبه.

الثانى إن التوبه عن المعاصى واجبه على العباد و هو مبتن على مقدمه و هى:

إن الحسن و القبح امران عقليان و هذا حكم متفق عليه بين العدليه من الاماميه و المعتزله و ذهبت الاشاعره إلى أن الحسن و القبح إنّما يستفادان من الشرع فكلما أمر الشرع به فهو حسن و كلما نهى عنه فهو قبيح و لو لا الشرع لم يكن حسن و لا قبيح و لو أمر اللّه تعالى بما نهى عنه لانقلب القبيح إلى الحسن و القول بثبوت الحسن و القبح عقلا مما يدّعى فيه أهل التحقيق الضروره و مع ذلك نقول كما فى المجلى:

لا ريب إن الحسن و القبيح قد استعملا لما يلائم الطبع و لما ينافيه فيقال للأوّل حسن و للثانى قبيح و يقالان باعتبار النقص و الكمال فما هو كمال يقال له الحسن و ما هو نقص يقال له قبيح فمن الأوّل قولهم هذا طعم حسن و طعم قبيح و صوره حسنه و صوره قبيحه باعتبار ملائمه الطبع و منافرته، و من الثانى قولهم العلم

حسن و الجهل قبیح و مدرک هذا الحسن و القبیح فی الموضعین هو العقل عند الکل بلا مریه و ریب.

و أمّا باعتبار استحقاق المدح و الذم بان یقال الحسن ما یستحق فاعله المدح و القبیح ما استحق فاعله الذم فهل هو مدرک بالعقل ذلک موضع نزاع(۱) و أکثر العقلاء علی ثبوتهما به بذلک المعنی و خالف الأشاعره فیه و قالوا لا حکم للعقل فی ثبوتهما به بذلک المعنی بل انما الحاکم بذلک الشرع فما مدح فاعله الشرع فحسن و ما ذمّه فقبیح و هذا الأصل هو مبنی قواعد العدلیّه و مخالفوهم إذ مع تحقق ثبوت الحسن و القبح عقلا یمکن للعقل المجال فی البحث عن اثباتهما و نفیهما باعتبار حسن المدح و الذم عنده علی تقدیر وقوعهما من الفاعل المختار و لذا اسندوا القبائح إلی مباشرها القریب و نفوا جمیع القبائح عن الحکیم تعالی نظرا إلی حکمته باعتبار ان وقوع القبیح مستلزم للذم عند العقل المنزه جناب الحق تعالی عنه المقدس عن النقائص و اثبتوا بذلک جمیع الواجبات العقلیه علی اللّه تعالی و علی غیره نظرا

۱- (۱) و بعباره اخری الحسن و القبح یطلق علی ثلاثه معان: الاول علی صفه الکمال و النقص کما یقال العلم حسن و الجهل قبیح بمعنی ان العلم صفه توجب کمال صاحبه و ارتفاع شأنه و النقص سبب لنقص صاحبه و انخفاض شأنه. الثانی علی ما یلائم الطبع و المطلب الذی یرید ان یفعله فما وافقه فهو حسن فما خالفه فهو قبیح. الثالث استحقاق المدح و جزاء الخیر او استحقاق الذم و جزاء الشر سواء کان من جانب العقلاء او من جانب اللّه تعالی سواء کان فی الدنیا او فی الاخره و الحسن و القبح علی الاولین لا خلاف فیه و الکل متفق فی ان الافعال بعضها فی نفس الامر متصف بالحسن او القبح العقلیین و بعضها یوافق الغرض المطلوب و بعضها لا یوافق و انما الاختلاف فی الثالث فذهب العدلیه و جمهور الحکما الی ان افعال العباد فی نفس الامر متصفه بالحسن و القبح العقلیین و الاشاعره قالوا لا حکم للعقل فی ثبوتهما بذلک المعنی بل انما الحاکم بذلک هو الشرع فقط و بتعبیر اخصروا بین ان الاشاعره قائلون بان الحسن و القبح علی المعنیین الاولین عقلی و علی الثالث شرعی لا حکم للعقل فیه.

إلى انّ العقل يقسم الحسن عنده إلى ما ينتهى إلى الرجحان فى جانب العقل إلى أن ينتهى إلى المنع من الترک فقالوا بوجوب التكليف و جميع فروعه على اللّه تعالى و اوجبوا على العاقل شكر المنعم و النظر فى الامور العقليه و قالوا إنّه مكلّف بهما و إن لم يرد الشرع بذلک و لهذا سموهم العدليّه.

و أمّا الاشعرى فلما لم يقل بثبوتهما عقلا لم يثبت شيئا من ذلک عنده بل قالوا إن اللّه تعالى اخبر فى الشرع بجميع ذلک فكل قبيح و حسن انما يعلم باعلامه و لولاه لما كان للعقل علم بشىء منهما فلا يقبح من اللّه شىء و لا يجب عليه شىء و كل ما سواه صادر عنه بناء على ما اصلوه و هذا تحقيق أصل مذهب الفريقين فى باب الافعال و لكل من الفريقين دلائل مذكوره فى مواضعها.

و قال العلامه الحلى قدس سرّه فى شرحه على تجريد الاعتقاد: و قد شنّع أبو الحسين على الاشاعره باشياء رديّه و ما شنّع به فهو حقّ إذ لا تتمشى قواعد الاسلام بارتكاب ما ذهب إليه الاشعريه من تجويز القبائح عليه تعالى و تجويز اخلاله بالواجب و ما ادرى كيف يمكنهم الجمع بين المذهبين و اعلم انّه لا يشک عاقل إن الصدق المشتمل على النفع حسن فى نفسه و الكذب المشتمل على الضرر قبيح فى نفسه سواء لا حظ الشرع أو لا فان العاقل متى عرض ذلک على نفسه و فرض نفسه خاليا عن الشرع جزم به من غير أن يخالجه شک فيه و لا يعبأ بمن انكر الضروره إذ هو مكابر بمقتضى عقله فلا يلتفت إليه و لهذا إن العاقل متى خير بين الصدق و الكذب عند اختيار ما استوت منفعته و مضرّته باعتبار وقوع أيّهما منه يميل إلى الصدق و يختاره و ما ذلک إلّا لعلمه بما فيه من الحسن الذاتى و بما فى الكذب من القبح الذاتى و إنّما يتغيران بعوارض تعوق العقل عن اتباعهما لا عن العلم بهما فقد يختار الكذب و يترک الصدق إمّا لاشتمال الأوّل على مصلحه او منفعه عاجله و اشتمال الثانى على مضره عاجله او حصول منفعه فيميل بحسب الطبيعه إلى مخالفه العقل طلبا لتلک الفائده و ترجيحا لها لا لتغير فى الصدق و الكذب عن الحسن و القبح الذاتيين لهما و ذلک بيّن تشهد به العقول السليمه عن آفه الالفه و المحبّه و التقليد.

ص:١٧٥

و بوجه آخر لو كـان مـدرك الحسن و القبـح هو الشـرع وحـده لزم أن لاـ يتحققـا بـدونه لكن اللاـزم باطـل فـالملزوم مثله بيـان الملازمه إنّه على ذلك التقدير يكون الشرع عله فى ثبوتهما او شـرطا فى تحققهما و يستحيل وجود المعلول بدون وجود العله و ثبوت المشروط بدون الشـرط فعلى تقدير أنهما شرعيان يجب أن لا يحصلا الابه و بيان بطلان اللازم أن من لا يعتقد الشرع من اصـناف الكفار كاهل الهنـد و البراهمه و الملاحده يجزمون بحسن الصدق و قبح الكذب و وجوب شـكر المنعم و يذمّون فاعل الكذب و تارك الشكر و يمدحون فاعله و فاعل الحسن من غير ان يتوقفون فى ذلك على الشرع لانهم لا يعتقدون به.

فان قلت جاز ان يكون المدرك لذلك طباعهم.

قلت الطباع مختلفه فلو كان المدرك لذلك طباعهم لما تحقق اتفاقهم فيه لكن الأمر ليس كذلك فلا يكون إلا عقليا.

إن قلت جاز ان يكون ذلك ثابتا عندهم بشريعه سابقه نسختها هذه الشريعه.

قلت إنما تجـد هـذا الحكم عند من ينفى الشـرائع البته بل و يقبح النبوات فلا يكون ذلك الوهم حاصـلا بالنسبه إليه مع أن هذا المعتقد فى هذا الوقت لا يعرف تلك الشريعه و لا النّبىّ الّذى جاءها حتّى يكون حكمه باعتبار الشرع.

فان قلت إن اللّه تعالى اجرى عادته بخلق هذه العلوم عند تصوراتهم.

قلت لا يجدى ذلك نفعا إذ لا يسمى ذلك شرعا اتفاقا فلا يكون إلّا حكما عقليا.

ثمّ نقول إن كلّ ما حكم به العقل حكم به الشـرع و يعاضد العقل فيما حكم به كوحده الصانع و حسن الاحسان و شكر المنعم و وفاء العهد و اداء الامانه و قبح الكذب و الظلم و نقض العهد و الخيانه و كفر النعمه و غيرها من الامور المدركه عند العقل و أمّا كـلّ مـا حكم به الشـرع من الأحكـام الخمسه المتعلقه على افعـال العبـاد فيحكم به العقل إن وصل إليه و ادركه. مثلا إن الشارع تعالى احلّ اكل الغنم بشرط أن يذبح على شرائط الذبح و إن مات هذا الغنم حتف انفه او لم يراع بعض تلك الشروط

للذبح فهو میته فحرّمها لمفسده کامنه فیها فان ادرک العقل ما فی المیته من المفسده یقضی علی وجوب اجتنابها و یذمّ آکلها و یقبح عمله و کذا إن الشارع تعالی اوجب صوم شهر رمضان و لا ریب إنّه حسن فی نفس الأمر و حرم صیام یوم الفطر و هو قبیح فی نفس الأمر فلو ادرکها العقل حقّ الإدراک لحکم بحسن الأوّل و وجوبه و قبح الثانی و حرمته.

و لذا قال المتکلمون إن البعثه حسنه لاشتمالها علی فوائد و عدّوا من تلک الفوائد هذین: معاضده العقل فیما یدلّ علیه، و استفاده الحکم فیما لا یدلّ.

و الاحکام الخمسه مبتنیه علی مصالح و مفاسد کامنه فی الافعال و الاشیاء خلافا للاشاعره قائلین بأن الحسن و القبح یستفادان من الشرع فکلما امر الشرع به فهو حسن و کلما نهی عنه فهو قبیح و لو لا الشرع لم یکن حسن و لا قبیح کما دریت.

و بالجمله العدلیّه أعنی الامامیه و المعتزله و جمهور الحکماء ذهبوا إلی أن الأحکام معلله بالمصالح و المفاسد الذاتیه الکامنه فی الأشیاء و ان أفعال العباد متصفه فی نفس الأمر بالحسن و القبح أدرکهما العقل أم لا لأنّه لو کان جمیع الأفعال فی الحسن و القبح و النفع و الضرّ علی السواء و مع ذلک کان بعضها مأمورا به و فعله مطلوبا و بعضها الاخر منهیا عنه و ترکه مطلوبا للزم الترجیح بلا مرجح و التخصیص بلا مخصص و هو فی نفسه محال و صدوره من الحکیم العلیم القدیر قبیح و ممتنع و للحکماء و المتکلمین من العدلیه فی إبرام هذا المعنی ورد أدله الاشاعره ادلّه اخر أعرضنا عنها خوفا للاطاله.

و قد حصرت علی سبیل الاجمال فی الضروریات الخمس الکلیّه الّتی علّلت بها الأحکام الشرعیّه الکلیّه فان کلّ واحد منها حرم لحفظ شیء من تلک الکلیّات الّتی هی الضروریات الّتی لا یستقیم النوع إلّا بحفظها ففی من لا یحضره الفقیه لرئیس المحدثین الصدوق رضوان اللّه علیه و فی باب علل تحریم الکبائر من الوافی للفیض قدس سرّه نقلا عنه:

کتب علیّ بن موسی الرضا علیه السّلام إلی محمّد بن سنان فیما کتب من جواب مسائله:

حرّم اللّه قتل النفس لعله فساد الخلق فی تحليله لو احلّ و فنائهم و فساد التدبير.

و حرّم اللّه تعالی عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوقير للّه تعالی و التوقير للوالدين و كفر النعمه و إبطال الشكر و ما يدعو من ذلک إلی قله النسل و انقطاعه لما فی العقوق من قله توقير الوالدين و العرفان بحقهما و قطع الأرحام و الزهد من الوالدين فی الولد و ترک التربيه لعلّه ترک الولد برّهما.

و حرّم اللّه الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس و ذهاب الأنساب و ترک التربيه للأطفال و فساد المواريث و ما أشبه ذلک من وجوه الفساد.

و حرّم اللّه عزّ و جلّ قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب و نفی الولد و إبطال المواريث و ترک التّربيه و ذهاب المعارف و ما فيه من الكبائر و العلل الّتی تؤدی إلی فساد الخلق.

و حرّم اللّه أكل مال اليتيم ظلما لعلل كثيره من وجوه الفساد: أوّل ذلک إذا أكل الانسان مال اليتيم ظلما فقد اعان علی قتله إذا ليتيم غير مستغن و لا متحمّل لنفسه و لا قائم بشأنه و لا له من يقوم عليه و يكفيه كقيام والديه فاذا أكل ماله فكانه قد قتله و صيّره إلی الفقر و الفاقه مع ما حرّم اللّه عليه و جعل له من العقوبه فی قوله تعالی «وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً » و لقول أبی جعفر عليه السّلام إن اللّه تعالی اوعد فی أكل مال اليتيم عقوبتين عقوبه فی الدّنيا و عقوبه فی الاخره ففی تحريم مال اليتيم استبقاء اليتيم و استقلاله لنفسه و السلامه للعقب أن يصيبهم ما أصابه لما أوعد اللّه عزّ و جلّ فيه من العقوبه مع ما فی ذلک من طلب اليتيم بثاره إذا ادرک وقوع الشحناء و العداوه و البغضاء حتّی يتفانوا.

و حرّم اللّه الفرار من الزحف لما فيه من الوهن فی الدّين و الاستخفاف بالرسل صلوات اللّه و سلامه عليهم و الائمه العادله عليهم السّلام و ترک نصرتهم علی الاعداء و العقوبه لهم علی إنكار ما دعوا إليه من الاقرار بالربوبيه و اظهار العدل و ترک الجور

و اماتته و الفساد و لما فى ذلك من جرأه العدوّ على المسلمين و ما يكون فى ذلك من السى و القتل و إبطال حق اللّه تعالى و غيره من الفساد.

و حرّم اللّه تعالى التعرّب بعد الهجره للرجوع عن الدّين و ترك الموازره للأنبياء و الحجج عليهم أفضل الصلوات و ما فى ذلك من الفساد و إبطال حقّ كلّ ذى حقّ حقّه لا لعله سكنى البدو و لذلك لو عرف الرجل الدّين كاملا لم يجز له مساكنه أهل الجهل و الخوف عليه لانه لا يؤمن إن وقع منه ترك العلم و الدخول مع أهل الجهل و التمادى فى ذلك.

و عله تحريم الربا لما نهى اللّه تعالى و لما فيه من فساد الأموال لان الانسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهما و ثمن الاخر باطلا فبيع الربا و شراؤه و كس على كلّ حال على المشترى و على البائع فحظر اللّه تعالى على العباد الربا لعله فساد الأموال كما حظر على السفيه أن يدفع إليه ماله لما يتخوف عليه من إفساده حتّى يو؟؟ منه رشده فلهذه العله حرّم اللّه تعالى الربا و بيع الربا بيع الدرهم بالدرهمين.

و عله تحريم الربا بعد البيّنه لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم و هى كبيره بعد البيان و تحريم اللّه تعالى لها لم يكن ذلك منه إلّا استخفافا بالمحرّم الحرام و الاستخفاف بذلك دخول فى الكفر.

و عله تحريم الربا بالنّسيه لعلّه ذهاب المعروف و تلف الأموال و رغبه النّاس فى الربح و تركهم للقرض و القرض صنائع المعروف و لما فى ذلك من الفساد و الظلم و فناء الأموال.

و فى الفقيه أيضا عن جابر عن زينب بنت علىّ عليه السّلام قالت قالت فاطمه عليها السلام فى خطبتها فى معنى فدك: للّه بينكم عهد قدّمه اليكم و بقيه استخلفها عليكم كتاب اللّه بيّنه بصائره و آى منكشفه سرائره و برهان منجليه ظواهره مديم للبريه استماعه و قائد إلى الرضوان اتّباعه مؤدّيا إلى النجاه أشياعه فيه تبيان حجج اللّه المنوره و محارمه المحذوره و فضائله المندوبه و جمله الكافيه و رخصه الموهوبه و شرائعه المكتوبه و بيناته الجاليه ففرض اللّه الايمان تطهيرا من الشرك و الصلاه

تنزيها عن الكبر و الزكاه زياده فى الرزق و الصيام تبيينا للاخلاص و الحجّ تسنيه للدّين و العدل تسكينا للقلوب و الطاعه نظاما للملّه و الامامه لمّا من الفرقه و الجهاد عزّ الاسلام و الصبر معونه على الاستيجاب و الأمر بالمعروف مصلحه للعامه و برّ الوالدين وقايه عن السخط و صله الاحارم منماه للعدد و القصاص حقنا للدماء و الوفاء بالنذر تعريضا للمغفره و توفيه المكاييل و الموازين تعبيرا للحنيفيّه «تعييرا للبخسه ظ» و قذف المحصنات حجبا عن اللعنه و السرقه ايجابا للعفّه و أكل أموال اليتامى إجاره من الظلم و العدل فى الأحكام ايناسا للرعيّه و حرّم اللّه الشرك إخلاصا له بالرّبوبيه فاتقوا اللّه حقّ تقاته فيما أمركم اللّه به و انتهوا عما نهاكم.

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّما حرّم الربا كيلا يمتنعوا من صنائع المعروف.

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام إنّما حرّم اللّه عزّ و جلّ الربا لئلا يذهب المعروف.

و فيه أيضا: سأل هشام بن الحكم أبا عبد اللّه عليه السّلام عن علّه تحريم الربا فقال إنّه لو كان الربا حلالا لترك النّاس التجارات و ما يحتاجون إليه فحرّم اللّه الربا ليفرّ النّاس من الحرام إلى الحلال و التجارات و إلى البيع و الشرى فيبقى ذلك بينهم فى القرض.

و قال الفيض قدس سرّه فى الوافى: و لتحريم الربا علّه اخرى ذكرها بعض أهل المعرفه حيث قال آكل الربا اسوء حالا من جميع مرتكبى الكبائر فان كل مكتسب له توكل ما فى كسبه قليلا كان أو كثيرا كالتاجر و الزارع و المحترف لم يعيّنوا أرزاقهم بعقولهم و لم يتعيّن لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم فى الحقيقه كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبى اللّه أن يرزق المؤمن إلّا من حيث لا يعلم و أمّا آكل الربا فقد عيّن مكسبه و رزقه و هو محجوب عن ربّه بنفسه و عن رزقه بتعيينه لا توكّل له اصلا فوكلّه اللّه تعالى إلى نفسه و عقله و أخرجه من حفظه و كلائته فاختطفته الجن و خبلته فيقوم يوم القيامه و لا رابطه بينه و بين اللّه عزّ و جلّ كسائر النّاس المرتبطين به بالتوكّل فيكون كالمصروع الّذى مسّه الشيطان فيخبطه لا يهتدى إلى مقصد.

فإذا دريت إن أفعال العباد متصفه فى نفس الأمر بالحسن و القبح العقليين فنقول إن الأحكام المتعلقه بها تكون على خمسه أقسام لان الحسن ينقسم إلى الأحكام الأربعه الواجب و المندوب و المباح و المكروه و القبيح حرام فتصير أحكام الحسنه مع القبيح خمسه و وجه الحصر كما فى المجلى و شرح التجريد للعلامه:

ان العقل عند حدوث الفعل إما أن يصفه بوصف زائد على حدوثه أولا يصفه بغير الحدوث و الثانى حركات غير القاصد كالساهى و النائم و الأوّل لا يخلو ذلك الوصف إمّا جزم العقل بالنفره منه و هو القبح و إلّا فهو الحسن ثمّ الحسن إن رجّح جانب الفعل إلى حدّ يمنع العقل من تركه فهو الواجب و الافندب و إن كان راجح الترك رجحانا لا يصل إلى المنع من فعله حتّى ينفر العقل منه فمكروه و إن تساوى طرفى الفعل و الترك فمباح فالقبيح ما كان على حدّ ينفر العقل منه بحيث يذم فاعله و الحسن ما ليس كذلك.

فالواجب منه ما يحكم العقل بوجوب المدح لفاعله و الذمّ لتاركه و المكروه ما لا يستحق الذمّ بفعله و يستحق المدح بتركه و الندب ما يستحق المدح بفعله و لا ذم فى تركه و المباح ما لا يستحق بفعله و لا بتركه مدحا و لا ذما.

و ليعلم أن هذا التقسيم منطبق على تقسيم القضايا الثلاث العقليه أعنى الوجوب و الامكان و الامتناع فان الواجب لمّا كان راجح الفعل ممنوع من تركه كان نظير الواجب لذاته الّذى هو راجح الوجود غير جائز العدم.

و الحرام لما كان راجح الترك غير جائز فعله كان كالممتنع الّذى هو راجح العدم و لا يصحّ وجوده.

و المندوب لما كان راجح الفعل مع جواز الترك كان كالممكن الواجب بعلته مع جواز العدم عليه باعتبار ذاته.

و المكروه لما كان راجح الترك مع جواز الفعل كان كالممتنع بغيره فانه راجح العدم مع جواز الوجود باعتبار ذاته.

و المباح لما كان متساوى طرفى الفعل و الترك من غير ترجيح لاحدهما كان كالممكن الصرف الّذى لم يلاحظ معه علّه الوجود و لا علّه العدم.

ص:۱۸۱

فاذا علمت فى هـذه المقـدمه أن الاحكام الخمسه مبتنيه على المصالـح و المفاسـد الكائنه فى الأشـياء و أفعال العباد و حرّم هـذه لمفسـده و ضـرر و أحلّ ذلك لمصـلحه و نفع و ما حرّم فهو قبيـح فى نفس الأمر و أن ارتكاب القبائح و المعاصـى يبعد الانسان عن اللّه تعـالى و يوجب الحرمان و عن كماله اللائق له و كـذا الاخلال بالواجب و لا ريب ان إزاله المضار واجبه فى العقول لان الذنوب سـموم مهلكه فيجب عليه عقلا و شـرعا أن يتوب إلى اللّه أى يندم على ترك الواجب و فى القبيح فى الماضـى لقبحه و أن يعزم على ترك المعاوده إليه فالتوبه واجبه لدفعها الضـرر و لوجوب الندم على كلّ قبيح لقبحه او اخلال بالواجب و على هذا التحقيق يستفاد فوريه وجوب التوبه أيضا كما لا يخفى.

و إنّما قلنا و لوجوب الندم على كلّ قبيح ليشمل الدليل الصغائر لو اعترض معترض أن قولنا لدفعها الضرر لا يشمل الصغائر.

و قال العلامه الشّيخ البهائى قدس سره كما فى رياض السالكين لا ريب فى وجوب التوبه على الفور فان الذنوب بمنزله السموم المضـرّه بالبـدن و كمـا يجب على شـارب السمّ المبـادره إلى الاسـتفراغ تلافيا لبـدنه المشـرف على الهلاك كـذلك يجب على صاحب الذنوب المبادره إلى تركها و التوبه منها تلافيا لدينه المشـرف على الاضـمحلال قال و لا خلاف فى أصل وجوبها سمعا للامر الصريح بها فى القرآن و الوعيد و الحتم على تركها فيه قال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً » و قال «وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ » و انما الخلاف فى وجوبها عقلا فأثبته المعتزله لدفعها ضرر العقاب.

و هـذا كمـا لاـ يخفى لا يـدلّ على وجوب التوبه عن الصـغائر ممن يجتنب الكبائر لانها تكفره حينئـذ و لـذا ذهب البهشـميه إلى وجوبها عن الصغائر سمعا لا عقلا نعم الاستدلال بأن الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعم القسمين.

و أمّـا فوريه الوجوب فقـد صـرّح به المعتزله و قالوا يلزم بتأخيرها ساعه اثم آخر تجب التوبه منه أيضا حتى أن من أخّر التوبه عن الكبيره ساعه واحده فقد

فعل كبيرتين و ساعتين أربع كبائر الأوليان و ترك التوبه عن كل منهما و ثلاث ساعات ثمان كبائر و هكذا و أصحابنا يوافقونهم على وجوب الفوريه لكنهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّه.

ثمّ ان التوبه عن الذنوب تكون على صور تختلف بحسب اختلاف المعاصى و ذلك كما فى شرح التجريد للعلامه و المجلى لابن أبى جمهور الاحسائى و احياء العلوم للغزالى و غيرها من الكتب الكلاميه و غيرها: انّ التوبه اما ان تكون من ذنب يتعلق به حقه تعالى خاصّه أو يتعلق به حق الادمى، و الأوّل إما أن تكون من فعل قبيح كشرب الخمر و الزنا، أو اخلال بواجب كترك الزكاه و لصلاه فالأول يكفى فى التوبه منه الندم عليه و العزم على ترك العود إليه.

و اما الثانى فيختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعيّه فان الذنب إذا لم يكن مستتبعا لأمر آخر يلزم الاتيان به شرعا كلبس الحرير و شرب الخمر و سماع الغناء كفى الندم عليه و العزم على عدم العود إليه و لا يجب سوى ذلك و ان كان مستتبعا لأمر آخر من حقوق اللّه أو من حقوق النّاس ماليا أو غير مالى وجب مع التوبه الاتيان به فمنه ما لا بدّ مع التوبه منه أداءه كالزكاه و منه ما يجب معه القضاء كالصلاه و منه ما يسقطان عنه كالعيدين و هذا الأخير يكفى فيه الندم و العزم على ترك المعاوده كما فى فعل القبيح و إما يتعلق به حق الادمى فيجب فيه الخروج إليهم منه فان كان أخذ مال وجب ردّه على مالكه أو على ورثته إن مات، و لو لم يتمكن من ذلك وجب العزم عليه و كذا إن كان حد قذف و إن كان قصاصا وجب الخروج إليهم منه بأن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول فإما أن يقتلوه أو يعفوا عنه بالديه أو بدونها و إن كان فى بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتص منه فى ذلك العضو إلى المستحق من المجنى عليه أو الورثه.

بل فى حقوق النّاس غير الماليه ان كانت غير حدّ كقضاء الفوات و صوم الكفاره و نحوهما يجب الاتيان بها مع القدره كالماليه و إن كان حدّا فالمكلف مخيّر بين الاتيان بذلك الأمر و بين الاكتفاء بالتوبه من الذنب المستتبع له، فالمكلف مخيّر فى الحدود إن شاء اقرّ بالذنوب عند الحاكم ليقام عليه و ان شاء

ستره و اكتفى بالتوبه فلا حدّ حينئذ عليه ان تاب قبل قيام البينه به عند الحاكم.

و ان جنى عليه فى دينه بان يكون قد أضلّه بشبهه استنزله بها وجب إرشاده من الضلال و ارجاعه عما اعتقده بسببه من الباطل ان امكن ذلك فان مات قبل التمكن أو تمكن منه و اجتهد فى حلّ الشبهه فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلا عقاب عليه لانه قد استفرغ جهده.

و ان اغتاب أحدا فان بلغ المغتاب اغتيابه يلزم عليه الاعتذار عنه إليه و الاستحلال منه لانه أوصل إليه مضره الغم فوجب عليه ازاله ذلك بالاعتذار منه و الندم عليه و ان لم يبلغه لا يلزم عليه الاعتذار و لا الاستحلال منه لأنه لم يفعل به ألما و فى كلا القسمين يجب الندم للّه تعالى لمخالفته النهى و العزم على ترك المعاوده. و كذلك الكلام ان يسمع غيبته، كذا قال غير واحد من الاماميه و غيرهم فى الغيبه.

و قال ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى: و روى وجوب الاستغفار له، يعنى يجب على المغتاب «على الفاعل» الاستغفار للمغتاب «على المفعول».

و فى الكافى و الفقيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال سئل النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله ما كفاره الاغتياب قال تستغفر اللّه لمن اغتبته كلّما ذكره.

و فى مجمع البيان فى سوره الحجرات فى قوله تعالى «وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً » و عن جابر قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اياكم و الغيبه فان الغيبه اشد من الزنا ثم قال ان الرجل يزنى ثمّ يتوب فيتوب اللّه عليه و ان صاحب الغيبه لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه و سيأتى الكلام فى الغيبه فى محلّه إنشاء اللّه تعالى على التفصيل و البسط و نقل الأقوال و الأخبار و جمعها.

و ليعلم أن الاتيان بما يستتبعه الذنوب من قضاء الفوائت و اداء حقوق اللّه و الناس و غيرها ليس شرطا و شطرا فى صحه التوبه.

و لذا قال المحقق الطوسى فى التجريد بعد ذكر أداء الحقوق مطلقا: و ليس ذلك اجزاء، يعنى ليس تلك الامور اجزاء التوبه حتّى لا يصح التوبه بدونها لانتفاء الكل بدون الجزء.

و هـذا ردّ على المعتزله لانهم ذهبوا كما فى رياض السالكين فى شـرح صحيفه سـيد الساجدين عليه السّلام إلى أن ردّ المظالم شرط فى صحه التوبه فقالوا لا تصح التوبه عن مظلمه دون الخروج عن تلك المظلمه كردّ المال و الاستبراء منه أو الاعتذار إلى المغتاب و استرضائه ان بلغه الغيبه و نحو ذلك.

و ذهب أصحابنا الاماميه و وافقهم الاشعريه إلى أن ذلك واجب برأسه لا مدخل له فى الندم على ذنب آخر.

قال الامدى: إذا أتى بالمظلمه كالقتل و الضرب مثلا وجب عليه أمران:

التوبه و الخروج عن المظلمه، و هو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه و من أتى بالتوبه فقد أتى بأحد الواجبين و من أتى بأحد الواجبين فلا تكون صحه ما أتى به متوقفه على الاتيان بالواجب الاخر كما لو وجب عليه صلاتان فأتى باحديهما دون الاخرى.

و قال شيخنا البهائى قدس سرّه: و اعلم أن الاتيان بما يستتبعه الذنوب من قضاء الفوائت و أداء الحقوق و التمكين من القصاص و الحدّ و نحو ذلك ليس شرطا فى صحه التوبه بل هذه واجبات برأسها و التوبه صحيحه بدونها و بها تصير أكمل و أتم.

قال بعض العلماء: التوبه تنتظم من امور ثلاثه: علم و حال و عمل أما العلم فهو اليقين بان الذنوب سموم مهلكه و حجاب بين العبد و محبوبه و هذا اليقين يثمر حاله ثانيه هى التألم لفوات المطلوب و التأسف عن فعل الذنوب و يعبر عن هذه الحاله بالندم و هى تثمر حاله ثالثه هى ترك الذنوب فى الحال و العزم على عدم العود إليها فى الاستقبال و تدارك فى الماضى من حقوق اللّه تعالى و حقوق الناس و لو لم يمكنه ذلك أى تدارك حقوق النّاس كان عليه أن يكثر من العباده ليبقى له قدر الكفايه فى القيامه بعد أخذ حقوقهم منها.

و هذه الامور مرتبه فى الحصول و يطلق اسم التوبه تاره على مجموعها و تاره على الندم وحده و يجعل العلم كالمقدمه و الترك كالثمره فيكون الندم محفوفا

بالطرفين الطرف الأول مثمر الندم و الطرف الاخر ثمرته كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام إن الندم على الشرّ يدعو الى تركه.

و ترتب هذه الامور غير مختص بالتوبه بل انتظام الصبر و الشكر و التوكل و الرضا و غير ذلك من المقامات الدينيّه ينتظم من علم و حال و عمل.

و هذه الامور الثلاثه إذا قيس بعضها إلى بعض لاح للنّاظرين إلى الظواهر ان العلوم مطلقا انما تراد للأحوال و الاحوال انما تراد للأعمال و أما أهل البصائر و اولوالالباب فالأمر عندهم بالعكس فان الاعمال عندهم تراد للأحوال و الأحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثمّ الاحوال ثمّ الأعمال لأن كل مراد لغيره يكون ذلك الغير لا محاله أفضل منه.

الثالث اختلفوا فى أن التوبه المبعّضه أى التوبه من قبيح دون قبيح تصحّ أم لا ـ فذهب أبو هاشم المعتزلى و جماعه إلى عدم صحّتها و ذهب أبو على و جماعه إلى جواز ذلك و صحتها.

و احتج القائلون بعدم الجواز على أن التوبه و الندم عن القبيح إنما هو لقبحه و إلا لم يكن توبه حقيقه و القبح عام متحقق فى الكلّ و حاصل فى الجميع فلو تاب من بعضها دون بعض كشف ذلك عن كونه غير تائب عن القبيح لعله القبح لان الاشتراك فى العلّه يوجب الاشتراك فى المعلول و عند التبعيض تنتفى التوبه لانها لم تحصل لعله القبح بل لامر آخر يوجد فى هذا دون ذاك كمن يتوب من المعصيه حفظا لسلامه بدنه أو لعرضه بحيث لا ـ ينثلم عند الناس أو لأمر آخر فان مثل هذا لا يعدّ توبه لانتفاء الندم على القبيح لقبحه فلو كان لكان عامّا فى الجميع حتى قالوا ان تاب خوفا من النّار فان كان الخوف هو الغايه فى توبته بحيث لولا خوفها لم يتب من الذنوب فلا تصح توبته لانه لم يتب منها و لم يندم عنها لقبحها و إن لم يكن خوف النّار هو الغايه للتوبه بل يندم و يتوب لانها قبيح و مع ذلك فيها عذاب النار بحيث لو لم يكن القبح لما ندم عليها و إن كان فيها عذاب النّار صحّت توبته.

ص:۱۸۶

و كذلك الحكم فى الاخلال بالواجب بمعنى انه إن ندم عليه لانه اخل بالواجب و اجمع على فعل الواجب فالتوبه صحيحه و إن تاب خوفا من النار أو من فوات الجنه فان كان ذلك الخوف هو الغايه لم تصحّ توبته أيضا و إلا لكانت صحيحه و لذا لو اعتذر المسىء إلى المظلوم لا لاجل إساءته بل لخوفه من عقوبه لم يقبل العقلاء عذره كما فى شرح التجريد للعلامه (ره) و المجلى و غيرهما.

و احتج المثبتون على جوازه قياسا على جواز الاتيان بواجب دون واجب يعنون بذلك أنه لو لم يصحّ التوبه عن قبيح دون قبيح لم يصحّ الاتيان بواجب دون واجب و التالى باطل فالمقدم مثله بيان الشرطيّه إذ كما يجب على التائب ترك القبيح لقبحه كذا يجب عليه فعل الواجب لوجوبه فلو لزم من اشتراك القبائح فى القبح عدم صحّه التوبه من بعضها دون بعض لزم من اشتراك الواجبات فى الوجوب عدم صحّه الاتيان بواجب دون واجب آخر و أما بطلان التالى فبالاجماع إذ لا خلاف فى صحّه صلاه من أخل بالصّوم.

و أجابهم القائلون بعدم الجواز بالفرق بين ترك القبيح لقبحه و فعل الواجب لوجوبه بان التعميم فى الترك واجب دون الفعل فان من قال لا آكل الرمان لحموضته يجب عليه الامتناع من مجموعه لعلّه الحموضه التى هى سبب لجهه الاتحاد فى الترك و المنع بخلاف من قال أنا آكله لحموضته فانه لا يجب ان يأكل جميعه بل يحصل الفعل بأكل رمانه واحده فافترقا.

قال فى المجلى مع أن القياس لا يكون حجّه فى أمثال هذه المباحث فقال:

أقول تحقيق حصول الفرق فى هذا القياس أن التعليل المذكور كان قياسا لترك القبيح على فعل الواجب لاشتراكهما فى العلّه و هى وجوب فعل الواجب لوجوبه و وجوب ترك القبيح لقبحه و هذا القياس لا- يتمّ لحصول الفرق بين الاصل و الفرع فيه لأن أحدهما فى باب الفعل و الاخر فى باب الترك فلا يتحدان فى العله لان الاختلاف فى الاصل و الفرع موجب لاختلافهما فى العله فيوجب الاختلاف فى الحكم فلا يتم القياس مع وجود الفارق فلا يتمّ التعليل به.

أقول و الصواب صحه التوبه المبعّضه كما ذهب إليه المحقق الطوسى و العلامه الحلى و الشّيخ البهائى فى شرح الأربعين و الجمهور من الفريقين، و ذلك لأنّ الافعال تقع بحسب الدواعى و تنتفى بحسب الصوارف فاذا ترجّح الداعى وقع الفعل فجاز أن يرجّح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم عليها و ذلك بأن يقترن بعض القبائح بامر زائد كعظم الذنب و كثره الزواجر عنه أو الشناعه عند العقلاء فعله فان الافعال الكثيره قد تشترك فى الدواعى ثمّ يؤثر صاحب الدواعى بعض تلك الافعال على بعض بأن يرجح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترن به من زياده الدواعى فلا استبعاد فى كون قبح الفعل داعيا إلى الندم على ذلك البعض و لو اشتركت القبائح فى قوه الدواعى اشتركت فى وقوع الندم و لم يصح الندم على بعض دون آخر.

و قال العلامه الشيخ البهائى فى شرح الاربعين: و الاصحّ صحّه المبعّضه و الا لما صحّت عن الكفر مع الاصرار على صغيره و قال العلامه الحلّى و لان اليهودى لو سرق درهما ثمّ تاب عن اليهوديه دون السرقه فانه يكون مسلما بالاجماع.

و المحقق الطوسى (ره) فى التجريد بعد ما اختار هذا المذهب اعنى صحّه التوبه المبعّضه قال: و به يتأول كلام أمير المؤمنين و أولاده عليهم السّلام و هو أن التوبه لا تصحّ عن بعض دون بعض و إلاّ لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه المقيم على صغيره.

و قال العلامه فى شرحه بعد تفسير مختاره: و على هذا ينبغى أن يحمل كلام أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و كلام أولاده كالرضا و غيره عليهم السّلام حيث نقل عنهم نفى تصحيح التوبه عن بعض القبائح دون بعض لانه لو لا ذلك لزم خرق الاجماع و التالى باطل فالمقدم مثله بيان الملازمه أن الكافر إذا تاب عن كفره و اسلم و هو مقيم على الكذب فاما أن يحكم باسلامه و يقبل توبته عن الكفر أولا و الثانى خرق للاجماع لاتفاق المسلمين على اجراء أحكام المسلمين عليه فالأول هو المطلوب، و قد التزم أبو هاشم استحقاقه عقاب الكفر و عدم قبول توبته و اسلامه لكن لا يمتنع إطلاق اسم الاسلام عليه.

ص:۱۸۸

نقل ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى عن بعض المشايخ ان القبيحين إذا اشتركا فى عله القبيح لم يصحّ التوبه من أحدهما دون الاخر و لو اختلفا فى العلّه بان يكون عله القبح فى أحدهما غير علّه قبح الاخر صحّ التوبه من أحدهما دون الاخر مثال الاوّل الزنا و اللواط فان العله فى قبحهما لحفظ النسب فاتحدا فى عله القبح و مثال الثانى الزنا و الشرب فان العله فى الثانى لحفظ العقل و الاول لحفظ النسب و لا تعلق لاحدهما بالاخر.

ثم قال ابن أبى جمهور و هذا القول عن ذلك البعض قريب من الصواب بل هو التحقيق و حمل كلام أئمه الهدى عليهم السّلام على هذا الوجه انسب مما ذكر فى الاوّل يعنى على ما ذهب إليه المحقق الطوسى و غيره فى حمل كلامهم عليهم السّلام عليه فتأمل.

فان قلت يأتى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حكمه و مواعظه: قال عليه السّلام لقائل قال بحضرته «أستغفر اللّه»: ثكلتك امّک أ تدرى ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجه العليين و هو اسم واقع على سته معان: أوّلها الندم على ما مضى، و الثانى العزم على ترك العود إليه أبدا، و الثالث ان تؤدّى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّه املس ليس عليک تبعه، و الرابع ان تعمد إلى كلّ فريضه عليك ضيّعتها فتؤدّى حقّها، و الخامس ان تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد، و السادس ان تذيق الجسم ألم الطّاعه كما اذقته حلاوه المعصيه فعند ذلك تقول أستغفر اللّه.

و كلامه عليه السّلام هذا دليل على عدم جواز التوبه عن قبيح دون قبيح و ان تلك الشرائط السته كلها شروط فى حصول حقيقه التوبه و الانتفاع بالاستغفار و أنّه بدون اجتماعها غير نافع فكيف التوفيق؟ قلت هذا اشاره إلى حقيقه التوبه الكامله لا مطلق التّوبه كما دريت اجماع المسلمين على قبول توبه يهودى لو سرق درهما حيث تاب عن اليهوديّه دون السرقه و نظائرها.

الرابع اختلف فى التوبه الموقّته مثل ان لا يذنب إلى سنه فذهب بعضهم إلى بطلانها

لأنها إذا نـدم على ذنب فى وقت و لم يندم عليه فى وقت آخر ظهر أنه لم يندم عليه لقبحه و إلا ندم عليه فى جميع الاوقات و إذ لم يكن ندمه لقبحه لم يكن توبه، و ذهب آخرون إلى صـحّتها كما فى الواجبات فانه قد يأتى المأمور ببعضها فى بعض الاوقات دون بعضـها و يكون المأتى به صحيحا فى نفسه بلا توقف على غيره مع ان العله المقتضيه للاتيان بالواجب هى كون الفعل حسنا واجبا غايته أنه إذا عصى بعد ذلك جدّد ذلك الذنب وجوب توبه اخرى عليه.

و تحقيق الحق فى ذلـك يبتنى على تمهيـد مقـدمه و هى ان الاماميه و المعتزله و بالجمله العـدليه اشترطوا فى صـحه التوبه ترك المعـاوده لـذلك الـذنب الـذى تاب منه أىّ ذنب كان و منعه الاشاعره لان الشـخص قـد ينـدم على الامر زمانا ثمّ يبـدو له و اللّه مقلب القلوب قال الامدى التوبه مأمور بها فتكون عباده و ليس من شرط صحه العباده المأتى بها فى وقت عدم المعصيه فى وقت آخر بل غايته إذا ارتكب ذلك الذنب مره ثانيه وجب عليه توبه اخرى و إذا دريت هذه المقدمه فنقول:

الحق فى ذلك عنـد أصـحابنا الاماميّه رضـى اللّه عنهم و المعتزله: الاوّل أى بطلان التوبه الموقته لانهم قالوا التوبه هى الندم على المعصـيه لكونهـا معصـيه و العزم على ترك المعـاوده فى المسـتقبل كمـا علمت فهم اشترطوا العزم على عـدم العود أبـدا و هـذا الشـرط يقتضـى بطلانها و اما الاشاعره فحيث لم يشترطوا ذلك قالوا بالصـحه لكن صـرّح بعضهم ان الادم على المعصيه لا يخلو من ذلك العزم البته على تقدير الخطور و الاقتدار.

فى الكـافى للكلينى (قـده) عن الكنـانى قال سألت أبا عبـد اللّه عليه السّـلام عن قول اللّه تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحاً » قال يتوب العبد من الذنب ثمّ لا يعود فيه.

قـال محمّـد بن الفضـيل سـألت عنهـا أبـا الحسن عليه السّـلام فقـال يتوب من الـذنب ثم لا يعود فيه و احب العباد إلى اللّه تعالى المنيبون التوابون.

و فيه أبو بصير سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام عنها فقال هو الذنب الذى لا يعود إليه أبدا قال

ص:١٩٠

قلت و اینا لم یعد؟ فقال یا با محمّد ان اللّه تعالی یحب من عباده المفتن التواب. «المفتن» من الافتنان أو التفتين بمعنى الايقاع فی الفتنه أی الذنب. فتأمل.

الخامس ذهب جماعه من المعتزله إلی أن التوبه إنما تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر و المظنون فيها ذلك و لا تجب من الصغائر المعلوم كونها صغائر لأن التوبه انما تجب رفعا للضرر و هو غير حاصل فی الصغيره. و قال آخرون إنها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل.

و الحقّ عندنا الاماميه أنها تجب من جميع الكبائر و الصغائر و الاخلال بالواجب سواء تاب عنها قبل أو لم يتب لان ترک التوبه من المعصيه صغيره كانت أو كبيره إصرار عليها و هو قبيح لاخلاص منه إلاّ بالتوبه فهی واجبه فی جميع المعاصی، و لأن التوبه عن القبيح إنما تجب لكونه قبيحا و هو عام، و لأن وجه الوجوب هو اشتمال الصغيره على القبح سواء اشتمل على ضرر أم لا.

السادس ذهب قاضی القضاه المعتزلی إلی أن التائب إن كان عالما بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبه عن كلّ واحد منها مفصلا و ان علم بعضها مفصلا و بعضها مجملا وجب عليه التفصيل فيما علم مفصلا و الاجمال فيما علم مجملا.

و قال العلامه البهائی قدس سره أمّا التوبه المجمله كان يتوب عن الذنوب على الاجمال من دون تفصيلها و هو ذاكر للتفصيل فقد توقف فيها المحقق الطوسی و القول بصحتها غير بعيد إذ لا دليل على اشتراط التفصيل.

أقول: و لعله قدس سره استفاد توقف المحقق الطوسی فيها من قوله فی التجريد: و فی إيجاب التفصيل مع الذكر اشكال، حيث إنه لم ينجّز فی ذلک بل عبّر بلفظه اشكال، و قال العلامه الحلّی فی شرحه بعد ما نقل مذهب قاضی القضاه على ما مرّ آنفا: و استشكل المصنّف - يعنی به المحقق الطوسی - ايجاب التفصيل مع الذكر لامكان الاجراء بالندم على كلّ قبيح وقع منه و إن لم يذكره مفصّلا. انتهى.

و الصواب صحه التوبه المجمله و القول باشتراط التفصيل موهون جدّا نظير قصد الصوم إذ يكفى فيه نيه الكف عن المفطرات و ان لم يحضرها بباله على التفصيل على أنه لا دليل على اشتراط التفصيل و انى لذلك البعض المعتزلى اثبات ذلك.

السابع اختلف فى أن المكلف إذا تاب عن معصيه ثمّ ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبه أم لا؟ قال المحقق الطوسى و فى وجوب التجديد أيضا اشكال. و قال العلامه (ره) فى الشرح، قال أبو على نعم - أى يشترط تجديد التوبه عند تذكر الذنب - بناء على أن المكلف القادر بقدره لا ينفك عن الضدين إما الفعل أو الترك فعند ذكر المعصيه إمّا أن يكون نادما عليها أو مصرّا عليها و الثّانى قبيح فيجب الأوّل.

و قال أبو هاشم لا يجب لجواز خلوّ القادر بقدره عنهما فجاز أنه إذا ذكرها لم يندم عليها و لا يشتهى إليها و لا يتبهج بها.

و قال فى رياض السالكين فى الرّوضه الحاديه و الثلاثين عند قوله عليه السّلام «فاجعل توبتى هذه توبه لا احتاج بعدها إلى توبه»: قد يستفاد من قوله عليه السّلام فاجعل توبتى «إلخ» عدم وجوب تجديد التوبه عند تذكر الذنب خلافا لمن ذهب إلى أن المتذكر للذنب كالمقارف له فيجب عليه تجديد التوبه.

قال الامدى يدل على بطلان ذلك أنا نعلم بالضروره ان الصحابه و من اسلم بعد كفره كانوا يتذكرون ما كانوا عليه فى الجاهليه من الكفر و لم يجب عليهم تجديد الاسلام و لا امروا بذلك و كذلك فى كل ذنب وقعت التوبه عنه.

أقول: و لا كلام ان التوبه انما تكون عن ذنب فمن عمل ذنبا فتاب عنه ثمّ تذكر ذلك الذنب لا يكون صرف تذكره ذنبا بالاتفاق فلم يفعل عملا قبيحا و لم يرتكب ذنبا حتّى يتوب عنه فما قال أبو على كان بمعزل عن التحقيق و ما توسل به الامدى مؤيد سديد لما اخترناه و حققناه.

الثامن قال فى رياض السالكين: قال شيخنا البهائى فى شرح الاربعين

العزم على عدم العود إلى الذنب فيما بقى من الامر لا بد منه فى التوبه و هل امكان صدوره منه فى بقيّه العمر شرط حتى لو زنا ثمّ جبّ و عزم على أن لا يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصح توبته أم ليس بشرط فتصح؟ الأكثر على الثانى بل نقل بعض المتكلمين اجماع السلف عليه، و أولى من هذا بصحّه التوبه من تاب فى مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه.

أما التوبه عند حضور الموت و تيقن الفوت و هو المعبّر عنه بالمعاينه فقد انعقد الاجماع على عدم صحّتها و نطق بذلك القرآن العزيز قال سبحانه «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً ».

و فى الحديث عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إن اللّه يقبل توبه العبد ما لم يغرغر، و الغرغره تردد الماء و غيره من الأجسام المائعه فى الحلق، و المراد تردد الروح وقت النزع و قد روى محدثوا الاماميّه عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام أحاديث كثيره فى أنه لا تقبل التوبه عند حضور الموت و ظهور علاماته و مشاهده أهواله.

و كذا قوله تعالى فى سوره يونس فى غرق فرعون و توبته: «وَ جاوَزْنا بِبَنِى إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » صريح فى أن التوبه حين الايقان بالهلاك و الموت و اليأس من الحياه ليست بمقبوله، لأنه يكون العبد هناك ملجئا إلى فعل الحسنات و ترك القبائح فيكون خارجا عن حدّ التكليف إذا لا يستحق على فعله المدح و لا الذم و إذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبه، فعند ظهور علامات الموت و مشاهده أهواله تصير الأمر عيانا فيسقط التكليف كما أن أهل الاخره لما صارت معارفهم ضروريه سقطت التكليف عنهم.

و فى الفقيه سئل الصّادق عليه السّلام عن قول اللّه تعالى «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ » قال ذلك إذا

عاين أمر الاخره.

و فى الحديث: من تاب قبل أن يعاين قبل اللّه توبته، و فسّر قوله عليه السّلام قبل أن يعاين بمعاينه ملك الموت و هو المروى عن ابن عباس.

و يمكن أن يراد بالمعاينه علمه بحلول الموت و قطعه الطمع من الحياه و تيقنه ذلك كانه يعاينه، و أن يراد معاينه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الوصى عليه السّلام فقد روى أنهما يحضران عند كل محتضر و يبشر انه بما يؤل إليه من خير و شرّ، و معاينه منزلته فى الاخره كما روى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: لن يخرج أحدكم من الدّنيا حتّى يعلم اين مصيره و حتى يرى مقعده من الجنّه أو النّار.

و بالجمله تصريح الايات و الاخبار و برهان العقل و الاجماع على أنّ التوبه عند المعاينه ليست بمقبوله، و لو كان فى ذلك خبر ظاهره يوهم خلافه فمأوّل إلى ذلك المعنى المبرهن الصحيح على العقل و النقل.

ثمّ الظاهر أن المرض المهلك ليس من باب المعاينه لأن الموت منه ليس بمتحقق قطعا فيمكن انصراف بعض الأخبار المخالف ظاهرها الكتاب و العقل و الاجماع على تلك الحال.

و ما فى الكافى عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إذا بلغت النفس هذه - و أومى بيده إلى حلقه - لم يكن للعالم توبه و كانت للجاهل توبه، فتشديد للعالم دون الجاهل للفرق البيّن بينهما.

التاسع المراد بقبول التوبه إسقاط العقاب المترتب على الذنب الّذى تاب منه و سقوط العقاب بالتوبه ممّا أجمع عليه أهل الاسلام و لكن اختلفوا فى أن التوبه تسقط العقاب بذاتها لا على معنى أنها لذاتها تؤثر فى اسقاط العقاب بل على معنى أنّها إذا وقعت على شروطها و الصفه الّتى بها تؤثر فى اسقاط العقاب من غير اعتبار امر زائد و قال آخرون إنّها تسقط العقاب لكثره ثوابها و ذهب المحقق الطوسى إلى الأول و استدلّ عليه كما فى التجريد و شرحه للعلامه بوجوه:

الأوّل ان التوبه قد تقع محبطه بغير ثواب كتوبه الخارجى من الزنا فانّه يسقط

بها عقابه من الزنا و لا ثواب لها.

الثانى انّه لو اسقطت العقاب بكثره ثوابها لم يبق فرق بين تقدم التوبه على المعصيه و تأخرها عنها كغيرها من الطاعات الّتى يسقط العقاب بكثره ثوابها و لو صح ذلك لكان التائب عن المعاصى إذا كفر أو فسق اسقط عنه العقاب.

الثالث لو اسقطت العقاب لعظم ثوابها لما اختص بها بعض الذنوب عن بعض فلم يكن اسقاطها لما هى توبه عنه بأولى من غيره لأن الثواب لا اختصاص له ببعض العقاب دون بعض.

و المحقق الطوسى أجاب عن حجه المخالف و تقرير تلك الحجه أن التوبه لو اسقطت العقاب لذاتها لأسقطته فى حال المعاينه و فى الدار الاخره. و الجواب عنها أنها تؤثر فى الاسقاط إذا وقعت على وجهها و هى ان تقع ندما على القبيح لقبحه و فى الاخره يقع الالجاء فلا يكون الندم للقبيح.

و بالجمله لا خلاف فى سقوط العقاب بالتوبه و إنّما الخلاف فى انّه هل يجب على اللّه تعالى حتّى لو عاقب بعد التوبه كان ظلما او هو تفضل يفعله سبحانه كرما منه و رحمه بعباده؟ المعتزله على الأوّل و الاشاعره على الثانى، و اليه ذهب الشيخ أبو جعفر الطوسى قدس اللّه روحه فى كتاب الاقتصاد، و العلامه فى بعض كتب الكلاميه، و توقف المحقق الطوسى فى التجريد و مختار الشيخين هو الظاهر و دليل الوجوب مدخول.

قال ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى: و المعتزله بنوه على أصلهم من منع العفو عن الفاسق فلو لم يجب سقوط العقاب بها قبح تكليف العاصى فان حسنه للتوصل به إلى حصول الثواب و هو لا يجتمع مع استحقاق العقاب عندهم فلا خلاص من العقاب حينئذ فيقبح التكليف هذا خلف.

و أيضا فان سقوط الذنب عقيب التوبه واجب فكذا العقاب لأنّهما معلولا عله واحده هو فعل القبيح و سقوط أحد المعلولين يستلزم سقوط المعلول الاخر لارتفاع العله بارتفاع أحدهما فيرتفع الاخر بارتفاعها و لهذا أنّه متى اعتذر إلى من اساء اليه و عرف صحه نيته و خلوص اعتذاره و ندمه وجب ان يسقط ذمه على تلك الاساءه و لهذا ان العقلاء يذمّون من يذمّه عقيب ذلك.

و الاعتراض علیه أمّا أوّلا فلابتنائه علی منع العفو و هو ممنوع مع جوازان بعض القبائح یقتضی الذّم و لا یقتضی العقاب کما فی حقه تعالی مع العفو. و علم من هذا أن الذّم و العقاب لا تلازم بینهما فی الوقوع و مع عدم التلازم جاز ارتفاع أحدهما دون الاخر نعم هما ملازمان فی الاستحقاق فیتم الکلام علی تقدیره. و قریب من ما فی المجلی فی کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد.

فان قلت لو لم یجب قبولها وجب قبول الاسلام من الکافر فلا یصحّ تکلیفه و ذلک مخالف للاجماع؟ قلت الفرق ثابت فانه لما ثبت دوام عقاب الکافر و عدم جواز انقطاعه بالأدله النقلیه لم یکن ثمّ طریق إلی حسن تکلیفه إلاّ بوجوب قبول اسلامه و لا کذلک العاصی لوجوب انقطاع عقابه بل و جواز العفو عنه فلا یقبح تکلیفه حینئذ لثبوت استحقاق الثواب له و ان لم تجب قبول توبته فمع هذا الفرق لا یتحقق الایراد.

و الحقّ عندنا أن سقوط العقاب بالتوبه تفضّل من اللّه تعالی فانه لو وجب لکان:

إما لوجوب قبولها و القول بالوجوب ممنوع فان من عصی أمر غیره و اساء الیه بأعظم الاساءات ثمّ اعتذر الیه لا یجب عقلا علی ذلک الغیر قبول عذره و الاغماض عنه و إن لم یعف عنه لا یذمه العقلاء بل قد یرون حسن رده المسیء و عدم العفو عنه.

او لکثره ثوابها فهو أیضا ممنوع لابتنائه علی التحابط و هو باطل کما حقق فی محلّه.

العاشر قال فی ریاض السالکین: صرّح أکثر علمائنا باستحباب الغسل للتوبه بعدها سواء کان عن کفر او فسق و سواء کان الفسق عن صغیره او کبیره، بل صرّح الشهید الثانی رحمه اللّه فی شرح اللمعه باستحبابه للتوبه عن مطلق الذنب و إن لم یوجب الفسق کالصغیره النادره و خصّه المفید بالتوبه عن الکبائر قیل و لعل ملحوظه إن الذنوب کلّها کبائر لاشتراکها فی الخروج عن طاعه اللّه و إنّما یطلق الکبر و الصغر علی الذنب بالاضافه إلی ما تحته و ما فوقه، فالقبله صغیره بالنسبه إلی الزنا و کبیره بالنسبه إلی النظر، و قد نسب الشیخ أبو علی الطبرسی رضوان اللّه علیه القول بذلک إلی أصحابنا رضی اللّه عنهم.

ص:۱۹۶

الحادی عشر فی ریاض السالکین أیضا: قال بعض الناصحین إذا أردت توبه فبرّیء نفسک من التبعات و قلبک من الذنوب و وجّه وجهک إلی علام الغیوب بعزم صادق و رجاء واثق و عدّ انک عبد آبق من مولی کریم رحیم حلیم یجب عودک إلی بابه و استجارتک به من عذابه و قد طلب منک العود مرارا عدیده و أنت معرض عن الرجوع الیه مده مدیده مع أنّه وعدک إن رجعت الیه و أقلعت عمّا أنت علیه بالعفو عن جمیع ما صدر عنک و الصفح عن کلّ ما وقع منک، و قم و اغتسل احتیاطا و طهر ثوبک و صلّ بعض الفرائض و اتبعها بشیء من النوافل و لتکن تلک الصلاه علی الأرض بخشوع و خضوع و استحیاء و انکسار و بکاء و فاقه و افتقار فی مکان لا یراک فیه و لا یسمع صوتک إلّا اللّه سبحانه، فاذا سلمت فعقب صلاتک و انت حزین مستحی رجل راج ثمّ اقرء الدعاء المأثور عن زین العابدین علیه السّلام الّذی اوله «یا من برحمته یستغیث المذنبون».

ثمّ ضع وجهک علی الأرض و اجعل التراب علی رأسک و مرغ وجهک الّذی هو اکرم أعضائک فی التراب بدمع جار و قلب حزین و صوت عال و أنت تقول:

عظم الذنب من عبدک فلیحسن العفو من عندک، تکرر ذلک و تعدد ما تذکره من ذنوبک لائما نفسک موبّخا لها نائحا علیها نادما علی ما صدر منها، و ابق علی ذلک ساعه طویله ثمّ قم و ارفع یدیک إلی التواب الرحیم و قل الهی عبدک الابق رجع إلی بابک عبدک العاصی رجع إلی الصلح عبدک المذنب أتاک بالعذر و أنت أکرم الأکرمین و أرحم الراحمین، ثمّ تدعو و دموعک تنهمل بالدعاء المأثور عن زین العابدین علیه السّلام و هو الّذی أوّله «اللّهم یا من لا یصفه نعت الواصفین».

و اجهد فی توجه قلبک الیه و اقبالک بکلّیتک علیه مشعرا نفسک سعه الجود و الرحمه، ثمّ اسجد سجده تکثر فیها البکاء و العویل و الانتحات بصوت عال لا یسمعه إلا اللّه تعالی، ثمّ ارفع رأسک واثقا بالقبول فرحا ببلوغ المأمول و اللّه ولیّ التوفیق.

الثانی عشر و فیه أیضا: قال بعض أرباب القلوب: النّاس فی التوبه علی أحوال: رجل مسوّف بالتوبه مدافع بها اغترّ بطول الامل و نسی هجوم الأجل،

فهذا متى ادركه الموت ادركه على الإصرار فهو هالك، و آخر تائب ما لم يجد شهوه فإذا وجد ركب هواه و أضاع المحاسبه لنفسه، فهذا مستوجب للعقوبه من اللّه، و رجل تائب بقلبه إلاّ أن نفسه تدعوه إلى الشيء مما يكره، فهذا يحتاج إلى الأدب لنفسه، و فائدته على قدر مجاهدته، و رجل مديم للحساب قد قام على ساق مقام الخصم فهذا مستوجب للعصمه من اللّه، و رجل قد هام به خوفه من ذنوبه و لم تبق فيه باقيه فهذا المتوحّد بولايه اللّه.

و قال العلامه الشيخ البهائی قدس سرّه: من أهمل المبادره إلى التوبه و سوّفها من وقت إلى وقت فهو بين خطرين عظيمين إن سلم من واحد فلعله لا يسلم من الاخر:

أحدهما أن يعاجله الأجل فلا يتنبّه من غفلته إلاّ و قد حضره الموت وفات وقت التدارك و انسدّت أبواب التلافی و جاء الوقت الّذی أشار اليه سبحانه بقوله «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ » و صار يطلب المهله يوما أو ساعه فلا يجاب اليها كما قال تعالى «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ ».

قال بعض المفسرين فی تفسيره هذه الايه: إن المحتضر يقول عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخّرنی يوما اعتذر فيه إلى ربّی و اتوب اليه و أتزوّد صالحا، فيقول فنيت الأيام فيقول أخرنی ساعه، فيقول: فنيت الساعات، فيغلق عنه باب التوبه و يغرغر بروحه إلى النار و يتجرع غصّه اليأس و حسره الندامه على تضييع العمر و ربما اضطرب أصل إيمانه فی صدمات تلك الاهوال.

و ثانيهما أن يتراكم ظلم المعاصی على قلبه إلى أن تصير رينا و طبعا فلا يقبل المحو، فان كلّ معصيه يفعلها الانسان تحصل منها ظلمه فی قلبه كما تحصل من نفس الانسان ظلمه فی المرآه، فاذا تراكمت ظلمه الذنوب صارت رينا كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآه صدءا، و إذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآه إذا تراكم بعضه فوق بعض و طال مكثه و غاض

فی جرمها و أفسدها، فصارت لا تقبل الصیقل أبدا.

و قد یعبر عن هذا بالقلب المنکوس و القلب الاسود کما روی عن الباقر علیه السّلام:

ما من شیء أفسد للقلب من خطیئه إن القلب لیواقع الخطیئه فلا تزال به حتّی تغلب علیه فیصیر أعلاه أسفله.

و عنه علیه السّلام ما من عبد الاوفی قلبه نکته بیضاء فاذا أذنب ذنبا خرج فی النکته نکته سوداء فان تاب ذهب ذلک السواد و ان تمادی فی الذنوب زاد ذلک السواد حتّی یغطی البیاض فاذا غطی البیاض لم یرجع صاحبه إلی خیر ابدا و هو قول اللّه عزّ و جلّ «کَلّا بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ ».

فقوله علیه السّلام لم یرجع صاحبه إلی خیر ابدا یدل علی أن صاحب هذا القلب لا یرجع عن المعاصی و لا یتوب منها أبدا و لو قال بلسانه تبت إلی اللّه یکون هذا القول منه مجرد تحریک اللسان من دون موافقه القلب فلا أثر له أصلا کما أن قول الغسال غسلت الثوب لا یصیر الثوب نقیّا من الأوساخ.

و ربما یؤل صاحب هذا القلب إلی عدم المبالاه بأوامر الشریعه و نواهیها فیسهل أمر الدین فی نظره و یزول وقع الأحکام الالهیه من قلبه و ینفر عن قبولها طبعه و ینجر ذلک إلی اختلال عقیدته و زوال ایمانه فیموت علی غیر الملّه و هو المعبر عنه بسوء الخاتمه، نعوذ باللّه من شرور أنفسنا و سیئات أعمالنا.

و من کلام بعضهم: اغتنموا التوبه قبل أن یصیر القریب تائبا و المقیم ماضیا و قبل أن یکون المحصول ندما و الموجود عدما و قبل ان یضرب الادبار علی المصرین سرادق الخسار فلا اقاله عثار و لا توفیق انابه و اعتذار.

و فی آخر کشکول الشیخ البهائی قدس سرّه: فی الحدیث إذا تاب الشیخ الهرم قالت الملائکه الان و قد خمدت حواسک و بردت أنفاسک.

ذکر العطبی أنّه قیل لرجل عند الوفاه: قل لا إله إلا اللّه، فقال آه و یلی علی الشباب و فی أی زمان فقدت شرخ الشباب حین مات الغیور و ارتخص المهر و غاب الحجاب عن کل باب.

و قیل لاخر و قد قرب خروج نفسه و انقطاع نفسه قل: لا إله إلا اللّه، فقال لهف نفسی علی الزمان و فی أی زمان دهتنی الأزمان حین ولّی الشتاء و استقبل الصیف و طاب المدام و الریحان.

و احتضر آخر فقیل له قل: لا إله إلا اللّه، فقال برد اللیل و طاب الماء و التذ الشراب و مضی عنا حزیران و تموز و آب ثمّ قضی لوقته.

و قالت امرأه لرجل کان منزله قریبا من حمام منجاب ببغداد: یا رجل أین الطریق إلی حمام منجاب؟ فأومی الیها و أرشدها إلی طریق غیره فی سکّه خراب لا منفذ لها و تبعها الیها ففجر بها فلما حضرته الوفاه قیل له قل: لا إله إلا اللّه فقال:

یا ربّ قائله یوما و قد لقیت أین الطریق إلی حمّام منجاب

و مات لوقته. هکذا یدرک سوء الخاتمه و تهوی بالمخذولین مدرجه العاقبه نعوذ باللّه من ذلک.

قال بعض أرباب القلوب: التائبون المنیبون علی أنواع: تائب یتوب من الذنوب و السیئات، و تائب یتوب من الزلل و الغفلات، و تائب یتوب من رؤیه الحسنات و مشاهده الطاعات و علی هذا سئل بعضهم أی الاعمال أرفع ثوابا فأنشد:

إذا محاسنی اللاتی أدلّ بها کانت ذنوبی فقل لی کیف اعتذر

قوله: أدلّ بها، من الدلال أی التغنج و بالفارسیه ناز کردن و کأنه یشیر الی الحدیث المشهور حسنات الابرار سیئات المقربین.

الثالث عشر فی ذکر بعض الایات و الاخبار فی الحث علی التوبه.

قال عزّ من قائل (سوره الزمر الایه ۵۴) «قُلْ یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ ».

و قال جل جلاله (البقره الایه ۲۲۲) «إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ التَّوّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ ».

و قال تعالی شانه (التوبه الایه ۱۰۵) «أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ هُوَ یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ یَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَ أَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ ».

و قوله تعالی «اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ »

«بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

فی الکافی عن ابن وهب قال سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول إذا تاب العبد توبه نصوحا أحبه اللّه تعالی فستر علیه فقلت و کیف یستر علیه قال ینسی ملکیه ما کانا یکتبان علیه ثمّ یوحی اللّه إلی جوارحه و إلی بقاع الأرض أن اکتمی علیه ذنوبه فیلقی اللّه تعالی حین یلقاه و لیس شیء یشهد علیه بشیء من الذنوب.

و فیه عن محمّد بن مسلم عن أبی جعفر علیه السّلام قال: یا محمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفوره له فلیعمل المؤمن لما یستأنف بعد التوبه و المغفره أما و اللّه انها لیست إلا لأهل الایمان، قلت فان عاد بعد التوبه و الاستغفار فی الذنوب و عاد فی التوبه، فقال: یا محمّد بن مسلم أ تری العبد المؤمن یندم علی ذنبه و یستغفر اللّه تعالی منه و یتوب ثمّ لا یقبل اللّه تعالی توبته؟ قلت: فانّه فعل ذلک مرارا یذنب ثمّ یتوب و یستغفر فقال: کلّما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبه عاد اللّه تعالی علیه بالمغفره و إن اللّه غفور رحیم یقبل التوبه و یعفو عن السیئات قال: فایاک ان تقنط المؤمنین من رحمه اللّه تعالی.

و فیه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: التائب من الذنب کمن لا ذنب له و المقیم علی الذنب و هو یستغفر منه کالمستهزیء. إلی غیر ذلک من الایات و الأخبار و فیما ذکرناه کفایه انشاء اللّه تعالی.

قوله علیه السّلام (و المدبر یدعی) أی من أسرف علی نفسه فادبر عن طاعه اللّه و أعرض عن جانب جنابه یدعی إلیه و ینادی یا فلان أقبل إلی طاعه اللّه و ارجع إلی رحمه اللّه و إلی ما یصلحک من الکمالات اللائقه لک و خلّص نفسک من سجن الدّنیا و قید الهوی.

بال بگشا و صفیر از شجر طوبی زن حیف باشد چو تو مرغی که اسیر قفسی

قوله عليه السّلام (و المسىء يرجى) أى من اساء يرجى عوده عن الاسائه و اقلاعه عن المعصيه فانه جلّ جلاله أرحم الرّاحمين و يحبّ التوابين، هذا إن أخذ يرجى من رجو و إن كان من الارجاء بمعنى التأخير و الامهال كما مرّ بيانه فى اللّغه فمعناه ان من عصى فأساء يؤخّر عقابه فلعله يتوب كما هو مضمون عده الاخبار فى ذلك و مضى بعضها من قبل و هذا كلّه تحضيض و حثّ على الرجوع عن المعصيه و التوبه إليه تعالى و اللّه برحمته الواسعه يعفو عن السيئات و سبقت رحمته غضبه و يقبل التوبه عن عباده و هو أرأف من الوالد بولده و نعم ما نظمه العارف السعدى:

خداوند بخشندۀ دستگير كريم خطا بخش پوزش پذير

نه گردنكشان را بگيرد بفور نه عذر آوران را براند بجور

و گر خشم گيرد ز كردار زشت چو باز آمدى ما جرى در نوشت

و گر با پدر جنگ جويد كسى پدر بيگمان خشم گيرد بسى

و گر خويش راضى نباشد ز خويش چو بيگانگانش براند ز پيش

و گر بنده چابك نيايد بكار عزيزش ندارد خداوندگار

و گر بر رفيقان نباشى شفيق بفرسنگ بگريزد از تو رفيق

و گر ترك خدمت كند لشكرى شود شاه لشكر كش از وى برى

و ليكن خداوند بالا و پست بعصيان در رزق بر كس نبست

و فى مجمع البيان للطبرسى رضوان اللّه عليه فى ضمن قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ اكْتُبْ لَنا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِى الْآخِرَةِ إِنّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » الايه (سوره الاعراف الايه ۱۵۷) قال:

و فى الحديث انّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قام فى الصّلاه فقال أعرابى و هو فى الصلاه: اللهمّ ارحمنى و محمّدا و لا ترحم معنا أحدا، فلما سلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال للأعرابى:

لقد تحجّرت واسعا يريد رحمه اللّه عزّ و جلّ أورده البخارى فى الصحيح انتهى.

و جاء فى بعض الأخبار - كما فى باب العقل و الجهل من الوافى -: لو لا أنكم تذنبون لذهب اللّه بكم و جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر اللّه لهم.

أقول: و ذلك لأن أسماء اللّه الحسنى و صفاته العليا يقتضى مظاهر حتّى تظهر

آثارها و بعض تلك الصفات العفوّ و الغفور و التّواب و نعم ما قاله الشيخ العارف فريد الدين العطّار فى هذا المعنى:

بود عين عفو تو عاصى طلب عرصهٔ عصيان گرفتم را نسبب

چون بستّاريت ديدم پرده ساز هم بدست خود دريدم پرده باز

رحمتت را تشنه ديدم آبخواه آبروى خويش بردم از گناه

و فى المقام كلام لا يدركه إلّا أهل الشهود العارفين بأسرار الأخبار، و الأولى أن نعرض عن بيانه و نطويه طيّا خوفا من أن يزّل بعض الأقدام و ما مرت من الاشاره إليه ايجازا كفايه لمن أخذت الفطانه بيده.

قوله عليه السّلام (قبل أن يخمد العمل) الظرف متعلق بقوله عليه السّلام فاعملوا أى فاعملوا قبل ان يخمد العمل أى فاغتنموا العمل و بادروا إليه قبل أن يطفأ مصباح العمل و يأتى الاجل فانكم تنتقلون إلى دار ليست بدار العمل بل دار الجزاء.

و فى ماده ولد من سفينه البحار عن الصّادق عليه السّلام قال ليس يتبع الرجل بعد موته من الاجر الاثلاث خصال: صدقه اجراها فى حياته فهى تجرى بعد موته، و سنه هدى سنّها فهى تعمل بها بعد موته، و ولد صالح يستغفر له.

و فى أمالى الصّدوق عن أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام قال: ست خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، و مصحف يقرأ منه، و قليب يحفره، و غرس يغرسه، و صدقه ماء يجريه، و سنه حسنه يؤخذ بها بعده.

و لعل ما فى الروايه الاولى من قوله عليه السّلام صدقه أجراها يشمل بعض ما فى الرّوايه الثانيه كانّ الاولى اجمال و الثانى تفصيل له فتأمل.

و يتنبّه النبيه من قوله عليه السّلام قبل أن يخمد العمل بأنّ الدنيا متجر أولياء اللّه و مكسب أولى الالباب فطوبى لمن أخذها متجره و اغتنم حياته قبل موته و خسرت صفقه من باع حظّه بالارذل الادنى و شرى آخرته بالثمن الاوكس.

و الشارح المعتزلى قرأ يحمد بالحاء المهمله و علمه أولى من المعجمه و قال:

قبل أن يحمد العمل استعاره مليحه لأن الميّت يحمد عمله و يقف، و يروى يخمد بالخاء من خمدت النار و الأوّل أحسن. و مضى الكلام منّا ان المعجمه اولى من المهمله بقرينه ينقطع.

قوله عليه السّلام(و ينقطع المهل)أى قبل ان ينقطع عمركم الّذى امهلتم فيه كانما شبه عليه السّلام العمر بالسبب أى قبل ان ينقطع سبب عمركمقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأبى ذر:

كن على عمرك أشحّ منك على درهمك و دينارك.

قوله عليه السّلام (و ينقضى الأجل) أى اعملوا قبل ان يفنى و ينصرم أجلكم المضروب و إذا انصرم لا يستأخرون ساعه.

قوله عليه السّلام (و يسدّ باب التوبه) أى اعملوا قبل أن يسدّ باب التوبه و ذلك لما مرّ من أن التوبه حين المعاينه و اشراف الموت ليست بمقبوله قال اللّه تعالى:

«حَتّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها » الايه (المؤمنون يه (١٠١).

قوله عليه السّلام (و تصعد الملائكه) أى اعملوا قبل ان يصعد الملائكه الّذين هم حفظه اعمالكم من الطاعات و المعاصى إلى السماء لانه إذا مات الانسان لم يبق لكتبه أفعاله و اقواله فى الأرض شغل.

أقول: لا ريب إن الانسان لم يترك سدى و وكل بكل فرد منه ملائكه يكتبون أعماله و هم موكلون لذلك الأمر نطق بذلك الفرقان العظيم و الاخبار من الرسول الكريم و آله الطاهرين عليهم السّلام قال عزّ من قائل «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » (الانفطار) و قال جل جلاله: «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (ق).

و فى مجمع البيان فى التفسير للطبرسى ره فى ضمن هذه الايه: عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إن اللّه تعالى وكّل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يا ربّ قد قبضت عبدك فلانا فالى أين قال سمائى مملوءه بملائكتى يعبدوننى

و ارصی مملوءه من خلقی یطیعوننی اذهبا إلی قبر عبدی فسبّحانی و کبرانی و هلّلانی فاکتبا ذلک فی حسنات عبدی إلی یوم القیامه.

و فیه عن أبی أمامه عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله قال ان صاحب الشمال لیرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسیء فان ندم و استغفر اللّه منها القاها و إلا کتب واحده. و فی روایه اخری قال صاحب الیمین أمیر علی صاحب الشمال فإذا عمل حسنه کتبها له صاحب الیمین بعشر امثالها و إذا عمل سیئه فاراد صاحب الشمال ان یکتبها قال له صاحب الیمین امسک فیمسک عنه سبع ساعات فان استغفر اللّه منها لم یکتب علیه شیء و إن لم یستغفر اللّه کتب له سیئه واحده.

و فی الکافی عن زراره عن احدهما علیهما السّلام قال إن اللّه تعالی جعل لادم فی ذریته من هم بحسنه و لم یعملها کتبت له حسنه و من هم بحسنه و عملها کتبت له عشرا و من همّ بسیّئه و لم یعملها لم تکتب علیه و من عمل بها کتبت علیه سیّئه.

و قال فی الوافی فی بیان کون الحسنه بعشر امثالها و السیئه بمثلها – و للّه درّ قائله –: و لعل السرّ فی کون الحسنه بعشر امثالها و السیئه بمثلها ان الجوهر الانسانی بطبعه مائل إلی العالم العلوی لانه مقتبس منه و هبوطه إلی القالب الجسمانی غریب من طبیعته و الحسنه إنما یرتقی إلی ما یوافق طبیعه ذلک الجوهر لأنها من جنسه و القوه الّتی تحرک الحجر مثلا إلی ما فوق ذراعا واحدا هی بعینها ان استعملت فی تحریکه إلی اسفل حرکته عشره اذرع و زیاده فلذلک کانت الحسنه بعشر امثالها إلی سبعمائه ضعف و منها ما یوفی اجرها بغیر حساب و الحسنه الّتی لا یدفع تأثیرها سمعه او ریاء او عجب کالحجر الّذی یدحرج من شاهق لا یصادفه دافع فانه لا یتقدر مقدار هویه بحساب حتّی یبلغ الغایه.

و فی الکافی عن عبد اللّه بن موسی بن جعفر عن أبیه علیهما السّلام قال و سألته عن الملکین هل یعلمان بالذنب إذا أراد العبد ان یعمله او الحسنه؟ فقال ریح الکنیف و ریح الطیب سواء فقلت لا قال ان العبد إذا همّ بالحسنه خرج نفسه طیب الریح فقال صاحب الیمین لصاحب الشمال قف فانّه قد همّ بالحسنه فاذا هو عملها کان لسانه قلمه

و ریقه مداده فأثبتها له و إذا هم بالسیّئه خرج نفسه منتن الریح فیقول صاحب الشمال لصاحب الیمین قف فانّه قدهمّ بالسیئه فاذا هو عملها کان ریقه مداده و لسانه قلمه فاثبتها علیه.

و فی الوافی فی بیانه: انما جعل الریق و اللسان آله لاثبات الحسنه و السیّئه لأن بناء الاعمال انما هو علی ما عقد فی القلب من التکلم بها و الیه الاشاره بقوله سبحانه: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ » و هذا الریق و اللسان الظاهر صوره لذلک المعنی کما قیل:

إن الکلام لفی الفؤاد و إنّما جعل اللسان علی الفؤاد دلیلا

و فی الکافی أیضا عن الفضیل بن عثمان المرادی قال سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أربع من کنّ فیه لم یهلک علی اللّه عزّ و جلّ بعد هنّ إلاّ هالک:

یهمّ العبد بالحسنه فیعملها فان هو لم یعملها کتب اللّه له حسنه بحسن نیّته و ان هو عملها کتب اللّه عزّ و جل له عشرا، و یهمّ بالسیّئه ان یعملها فان لم یعملها لم یکتب علیه و إن هو عملها اجّل سبع ساعات و قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات و هو صاحب الشمال لا تعجل عسی ان یتبعها بحسنه تمحوها فان اللّه یقول «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ » او الاستغفار فان هو قال: استغفر اللّه الّذی لا إله هو عالم الغیب و الشهاده العزیز الحکیم الغفور الرحیم ذو الجلال و الاکرام و اتوب الیه لم یکتب علیه شیء و إن مضت سبع ساعات و لم یتبعها بحسنه و استغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات اکتب علی الشقی المحروم.

و فیه أیضا عن أبی النعمان قال: قال أبو جعفر علیه السّلام یا أبا النعمان لا یغرنک النّاس من نفسک فان الأمر یصل الیک دونهم و لا تقطع نهارک بکذا و کذا فان معک من یحفظ علیک عملک فاحسن فانی لم ار شیئا احسن درکا و لا اسرع طلبا من حسنه محدثه لذنب قدیم.

قوله علیه السّلام (فاخذ امرؤمن نفسه لنفسه) هذا تحضیض منه علیه السّلام إلی طاعه اللّه و التوجه إلی جناب الرّب و التزوّد للدار الاخره. أی إذا کان کذلک فلیأخذ

امرؤ من نفسه لنفسه أى يتعب نفسه فى الطاعات و ترک الشهوات و عمل الخيرات و المبرّات و ينفق ماله فى سبيل اللّه لانه بمنزله نفسه ذخيره لنفسه يوم المعاد قال اللّه عزّ و جلّ «فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ قُطُوفُها دانِيَةٌ كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيّامِ الْخالِيَةِ».

و لما كان الانسان فى عباداته و رياضاته يأخذ من قوى نفسه اى ينقص و يضعف تلک القوى حيث انفقها فى سبيل اللّه ذخره له يوم المعاد فحقّ انّه اخذ من نفسه لنفسه و لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام و حسن افادته لفظا و معنى.

فى الكافى (فى الوافى ص ۶۳ م ۳) عن الشحام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

خذ لنفسک من نفسک خذ منها فى الصحه قبل السقم و فى القوه قبل الضعف و فى الحياه قبل الممات.

و فيه أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام احمل نفسک لنفسک فان لم تفعل لم يحمل غيرک.

قوله عليه السّلام (و اخذ من حىّ لميّت) المراد بالحى و الميّت هو المرء نفسه اى يأخذ فى حال حياته لحال مماته كما مر الحديث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام و فى الحياه قبل الممات و كقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأبى ذر رضى اللّه عنه اغتنم خمسا قبل خمس إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله حياتک قبل موتک.

قوله عليه السّلام (و من فان لباق و من ذاهب لدائم) المراد بالفانى و الذاهب هذه الدار الدنيا و بالاخيرين الاخره و للدنيا و الاخره أسام عديده باعتبارات شتى اى فليأخذ من دنياه لاخرته. فالدنيا ممدوحه من حيث انها متجر و مكسب لمن اخذها كذلک و سيأتى البحث فى الدنيا المذمومه و الممدوحه إن شاء اللّه تعالى فى قوله عليه السّلام: و قد سمع رجلا يذم الدنيا: أيّها الذام للدنيا المغترّ بغرورها اه او المراد من الفانى و الذاهب البدن و من الاخيرين الروح فيكون إشاره إلى بقاء الروح و تجرّده.

قوله عليه السّلام (امرؤ خاف اللّه و هو معمّر إلى اجله و منظور إلى عمله) بدل امرؤ

فی قوله علیه السّلام فأخذ امرؤ ای فلیأخذ امرؤ خاف اللّه اه ای یأخذ من نفسه لنفسه و من دنیاه لاخرته رجل یخاف اللّه و هو امهل إلی اجله و فی الغد ینظر إلی عمله لأن کلّ نفس بما کسبت رهینه فان خاف مقام ربّه و نهی النفس عن الهوی فان الجنّه هی المأوی، و ان طغی و آثر الحیوه الدنیا فان الجحیم هی المأوی.

قوله علیه السّلام:(امرؤ الجم نفسه)إلی آخره شبّه علیه السّلام النفس بالدّابه الحرون فان الجمتها و امسکتها عن معاصی اللّه و قدتها إلی طاعته و إلاّ فهی تذهب بک إلی حیث شاءتو لنعم ما نظم العارف الرومی فی المثنوی حیث شبه الروح بعیسی روح اللّه علیه السّلام و النفس بالحمار الحرون فقال:

ترک عیسی کرده خر پروردۀ لا جرم چون خر برون پردۀ

طالع عیسی است علم و معرفت طالع خر نیست ای تو خر صفت

نالۀ خر بشنوی رحم آیدت پس ندانی خر خری فرمایدت

رحم بر عیسی کن و بر خر مکن طبع را بر عقل خود سرور مکن

طبع را هل تا بگرید زار زار تو از و بستان و وام جان گذار

سالها خر بنده بودی بس بود ز آن که خر بنده ز خر واپس بود

هم مزاج خر شدت این عقل پست فکرش این که چون علف آرد بدست

گردن خر گیر و سوی راه کش سوی رهبانان و رهدانان خوش

هین مهل خر را و دست از وی مدار ز آن که عشق او است سوی سبزه زار

گر یکی دم تو بغفلت و اهلیش او رود فرسنگها سوی حشیش

دشمن راهست خر مست علف ای بسا خر بنده کز وی شد تلف

گر ندانی ره هر آنچه خر بخواست عکس آنرا کن که هست آن راه راست

نقل نفیس بن عوض الطبیب فی شرح الاسباب فی الطب لعلاء الدین علیّ بن أبی الحزم القرشی المتطبب فی مبحث العشق، عن الحکماء: النفس ان لم تشتغلها شغلتک و ذلک لانّها لا یکاد تفتر ساعه من تدبیر فان شغلتها بالامور النافعه اشتغلت بها

و الا ـ اشـتغلت بالاـمور الفاسـده المهلكه. و النفس خصم ألـدّ و امّـاره بـالسوء و قطاع الطريق للسالك إلى اللّه فلو تركها الانسان بحالها و لم يمسـكها عن معاصـى اللّه و عن ما تشتهيه لذهبت به إلى المهالك فالحرىّ بالعاقل اليقظان أن يجاهد أولا هذا العدوّ الفظّ الّذى كان جاره فى داره.

تو با دشمن نفس همخانهٔ چه در بند پیکار بیگانهٔ

و روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى كتاب الأربعين للعلامه بهاء الدين العاملى (ره) إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعث سريّه فلمـا رجعوا قال مرحبا بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقى عليهم الجهاد الأكبر قيل يا رسول اللّه و ما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس ثمّ قال عليه السّلام افضل الجهاد من جاهد نفسه الّتى بين جنبيه.

و مما قلته فى ذم متابعه النفس على صنعه التعريب:

من كرّد نفسه پيرويّا فليقعدن فى الدّوزخ جثيّا

من افكند بدستها زمامه فما له الخوشىّ و السّلامه

لأنّها لحيّه لدغاء ان بگزد ليس لها دواء

إن جاوزت عن حدّها بموئى فانّها أمّاره بالسّوء

ربّ پنهت بك من هواها بدبخت من لا يترس عقباها

الترجمه

یکی از خطبهای آن حضـرت است: اکنون که در فراخی بقا هستید (کنایه از این که زنده اید) و نامهای أعمال گسترده است و پیچیده نشده، و توبه پهن است و در آن بسـته نشد (کنایه از این که هنوز اجل شما فرا نرسیده) و آنکه از حق تعالی و فرمان او پشت کرده خوانـده می شـود که برگرد و بسوی مـا بیـا، و آنکه بـد کرده است امیـدواری بـاو داده شـد که اگر دست از بـدی بردارد و بخوبی گرایـد و تدارک کند از او پذیرفته است و عاقبت بخیر خواهد بود پس کار کنید و تلافی گذشـته نمائید پیش از آنکه مرگ گریبان شـما را بگیرد و چراغ عمل خاموش گردد، و طناب عمر بریـده شود و وقت بسـر آید و فرصت از دست رود و در توبه بسته

ص:۲۰۹

شود، و فرشتگان اعمال دست از کار بکشند و باسمان برشوند (کنایه از این که تن بکار دهید پیش از آنکه عمر بسر آید و مرگ بدر آید). پس باید بگیرد هر کسی از خود برای خود (یعنی خویشتن را رنج دهد و کار کند تا در آخرت او را بکار آید)، و باید بگیرد از زنده برای مرده (یعنی تا زنده است کاری کند که چون بمیرد او را بکار آید). و از دنیای فانی برای سرای جاودانی یا از بدن فانی برای روح باقی، و از رونده و گذرنده برای دائم همیشگی (یعنی از دنیا برای عقبی یا از تن برای جان).

مردیکه از خدا بترسد و حال آنکه تا هنگام اجل فرصت دارد و عمل او مورد نظر است (یعنی تا زنده است بعمل کوشد و برای روز تنگدستی خویش کاری کند) مردیکه چارپای سرکش نفس را لگام زده و مهار کرده پس بلگامش وی را از معاصی باز می دارد و بمهارش بسوی طاعت خدا می کشاند.

الخطبه السادسه و الثلاثون و المأتان

اشاره

و من خطبه له علیه السّلام فی شأن الحکمین و ذم أهل الشام

:

جفاه طغام، عبید قزام، جمعوا من کلّ أوب، و تلقّطوا من کلّ شوب، ممّن ینبغی أن یفقّه و یؤدّب، و یعلّم و یدرّب، و یولّی علیه و یؤخذ علی یدیه، لیسوا من المهاجرین و الأنصار، و لا من الّذین تبوّأو الدّار، ألا و إنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا یحبّون، و إنّکم اخترتم لأنفسکم أقرب القوم ممّا تکرهون، و إنّما عهدکم بعبد اللّه بن قیس بالأمس یقول: «إنّها فتنه فقطّعوا أوتارکم و شیموا سیوفکم» فإن کان صادقا فقد أخطأ بمسیره غیر

مستكره، و إن كان كاذبا فقد لزمته التّهمه، فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن العبّاس، و خذوا مهل الأيّام، و حوطوا قواصى الإسلام، أ لا ترون إلى بلادكم تغزى، و إلى صفاتكم ترمى.

اللغه

(جفاه) جمع جاف كقضاه جمع قاض و طغاه جمع طاغ من قولك جفوت الرجل أجفوه جفاء و قيل أصله من جفا الثوب يجفو اذا غلظ فهو جاف و منه جفاء البدو و هو غلظتهم و فظاظتهم.

أقول: و يمكن أن يكون الجفاء مهموز اللام و هو ما يعلو السيل و يحتمله من سقط الارض قال اللّه تعالى «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً » و قال الشاعر (الحماسه ٧۵):

حميت على العهار أطهار امّه و بعض الرجال المدّعين جفاء

فيكون المراد أنّهم رذال الناس و سفلتهم.

(طغام) بالطاء المشاله المهمله المفتوحه كطعام، قال فى الصحاح الطغام أوغاد الناس «الاوغاد جمع الوغد بسكون الغين كوفد و أوفاد، و الوغد الرجل الدنى الذى يخدم بطعام بطنه» و انشد ابو العبّاس: فما فضل اللبيب على الطّغام الواحد و الجمع سواء، و الطغام أيضا رذال الطير الواحده طغامه للذكر و الانثى مثل نعامه و نعام و لا ينطق منه بفعل و لا يعرف له اشتقاق، فالطغام: أراذل الناس و دنيّهم و خسيسهم.

(عبيد) جمع العبد ككلب و كليب يقال: عبد و أعبد و عباد و عبيد و عبدى و عبدّاء و عبدان و عبدان و معبوداء و معبده و عبد، فبعض هذه الاسماء مما صيغ للجمع و بعضها جمع فى الحقيقه.

و العبد فى أصل اللغه خلاف الحرّ و هم يكنون كثيرا عن اللئام و إن كانوا احرارا بالعبيد و العبدان، و بالقزم و القزمان كما صرّح به المرزوقى فى شرح

ص:٢١١

الحماسه قال معدان بن عبید (الحماسه ۶۱۳).

عجبت لعبدان هجونی سفاهه أن اصطحبوا من شأنهم و تقیلوا

بجاد و ریسان و فهر و غالب و عون و هدم و ابن صفوه أخیل

فسمی هؤلاء الستّ عبدانا مع انهم احرار تخضیعا و تشنیعا لهم.

(قزام) فی الصحاح: القزم محرکه رذال الناس و سفلتهم قال زیاد بن منقذ(۱).

و هم إذا الخیل حالوا فی کواثبها فوارس الخیل لا میل و لا قزم

یقال رجل قزم و الذکر و الانثی و الواحد و الجمع فیه سواء لأنّه فی الاصل مصدر، و القزام: اللئام، و فی أکثر النسخ المتداوله «عبید اقزام» و لکن لم یذکر المعاجم المتداوله هذا الجمع و لذا اخترنا روایه قزام و رجحناه علی اقزام، لان القزام قد ذکرت فی المعاجم قال الشاعر:

احصنوا امهم من عبدهم تلک أفعال القزام الوکعه

علی ان فی الجمع بین الطغام و القزام موازنه بدیعه أولی من الطغام و الاقزام و ذکر المرزوقی فی شرحه علی الحماسه کما مر آنفا القزم و القزمان کسبحان علی هیئه الجمع، و قال بعض المحشین لم تذکر المعاجم المتداوله هذا الجمع و المعروف أقزام و قزامی و قزم بضمتین.

(أوب) یقال جاءوا من کل أوب أی من کل ناحیه.

(تلقّطوا) فی الصحاح تلقط فلان التمر أی التقطه من هاهنا و هاهنا.

(شوب) الشوب: الخلط، یقال شبت الشیء اشوبه فهو مشوب أی مخلوط، و فی المثل هو یشوب و یروب یضرب لمن یخلّط فی القول أو العمل.

(یدرّب) أی یؤدّب و یعوّد بالعادات الجمیله و یمرّن بمحاسن الافعال، یقال دربته الشدائد حتّی قوی و مرن علیها و درّبت البازی علی الصید أی ضرّیته

۱- (۱) - هذا البیت من ابیات الحماسه و نسب الی زیاد بن حمل ایضا و قد اضطرب أقوال الرواه فی نسب هذه الابیات.

و روی مکان یدرّب، یذرّب بالذال المعجمه من ذریت معدته إذا فسدت و التذریب (تبوئت) منزلا أی اتخذته و المبائه المنزل.

و (العهـد): اللقاء و المعرفه، و عهدته بمکان کذا أی لقیته، و عهدی به قریب أی لقائی و هو قریب العهد بکذا أی قریب العلم و الحال، و عهدت إلی فلان أی أوصیته.

(أوتار) جمع الوتر بالتحریک و هو شرعه القوس و یقال بالفارسی «زه» فالمراد من أوتارکم أوتار قسیّکم حذف المضاف و اقیم المضاف إلیه مقامه.

(شیموا سیوفکم) تقول شمت السیف کبعت إذا اغمدته و منه المشیمه أی الغرس و الشیام أی الکناس لا نشیامه فیه و دخوله و أیضا تقول شمت السیف إذا سللته و هو من الاضداد.

(مهل الایام) المهل بالتحریک: التوءده، و مهل الایام: فسحتها، یقال أمهله إذا انظره.

(قواصی) جمع قاصیه کنواحی جمع ناحیه لفظا و معنی یقال کنت منه فی قاصیته أی فی ناحیته.

(تغزی) من الغزو أی الحرب، تغزی بلادکم أی تقاتل لها و یمکن أن یکون بمعنی القصد یقال عرفت ما یغزی من هـذا الکلام أی یراد و مغزی الکلام مقصده فالمعنی تراد و تقصد بلادکم أی یطمع العدوّ فیها.

(صفاتکم) الصفاه: الصخره الملساء لا یؤثر فیها السهام و لا یرمیها الرامی الابعدان مهل غیرها یقال قد رمی فلان صفاه فلان إذا دهاه بداهیه قال الشاعر

و الدهر موتر قوسهیرمی صفاتک بالمعابل

الاعراب

(جفاه طغام عبید قزام) أخبار لمبتدأ محذوف أی هم جفاه و العرب یأتون لمبتدأ واحد باخبار کثیره قال ابن مالک:

و اخبروا باثنین أو باکثرا لواحد کهم سراه شعرا

جملتا جمعوا و تلقطوا فى محل رفع صفه لهم، و كلمه من فى ممّن ينبغى، للتبيين و من موصوله أى هم هؤلاء و الظرف مستقرّ صفه لهم و لا يجوز أن تكون حالا لهم لانها محفوفه بالجمل التى كلها صفات لهم اعنى جمل جمعوا و تلقّطوا و ليسوا من المهاجرين إلخ.

و قال المعربون الجمل بعد النكرات صفات و بعد المعارف أحوال فالجمل ههنا صفات فلو كان ذلك الظرف غير الوصف للزم خروج الكلام عن اسلوبه المنساق له.

و (يفقه) و الافعال الخمسه الاخر منصوبه بان الناصبه تأوّلها إلى مصادرها فاعلا لينبغى و من المهاجرين ظرف مستقر منصوب محله خبر ليس، و قوله عليه السّلام و لا من الذين عطف عليه و الجار للتبعيض لا مكان سدّ بعض مسدّه.

كلمه الجار فى مما يحبون و مما تكرهون متعلّقه بقرب لان صلته تكون من قال اللّه تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » و كلمه ما فى الموضعين موصوفه أو موصوله و العائد محذوف أى مما يحبونه و تكرهونه، و قوله عليه السّلام لانفسكم فى كلا الموضعين متعلق بيحبون و تكرهون أى يحبون لانفسكم و تكرهون لانفسكم قدم الظرف على عامله توسّعا للظروف و يمكن أن يكونا صله لاخترتم (بالامس) متعلق بقوله عليه السّلام عهدكم و الجار للظرف بمعنى فى، و الجار فى إلى بلادكم و صفاتكم متعلق بقوله ترون لا بقوله عليه السّلام تغزى و ترمى.

المعنى

الحكمان هما عمرو بن العاص و أبو موسى الأشعرى المسمى بعبد اللّه بن عباس و نذكر ترجمتهما بعد المعنى.

قال الطبرى فى تاريخه: بايع عمرو بن العاص معاويه فى سنه ست و ثلاثين و وافقه على محاربه علىّ.

و كان السّبب فى ذلك أنّه لمّا احيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينه متوجها نحو الشام و قال و اللّه يا أهل المدينه ما يقيم بها احد فيدركه قتل هذا الرجل

إلا ضربه اللّه عزّ و جلّ بذلّ و من لم يستطع نصره فليهرب، فسار و سار معه ابناه عبد اللّه و محمّد و خرج بعده حسّان بن ثابت و تتابع على ذلك ما شاء اللّه.

فبينا عمرو بن العاص جالس بعجلان و معه ابناه إذ مرّ بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينه فقال عمرو ما اسمك قال حصيره قال عمرو حصر الرجل(۱) قال فما الخبر قال تركت الرجل محصورا قال عمرو يقتل.

ثمّ مكثوا أيّاما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينه قال عمرو ما اسمك قال قتال قال عمرو قتل الرجل فما الخبر قال قتل الرجل ثمّ لم يكن الا ذلك إلى ان خرجت.

ثمّ مكثوا أيّاما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينه قال عمرو ما اسمك قال حرب قال عمرو يكون حرب فما الخبر قال قتل عثمان بن عفان و بويع لعليّ بن أبى طالب قال عمرو أنا أبو عبد اللّه يكون حرب من حكّ فيها قرحه نكأها رحم اللّه عثمان و رضى اللّه عنه و غفر له فقال سلامه بن زنباع الجذامى يا معشر قريش انّه و اللّه قد كان بينكم و بين العرب باب فاتخذوا بابا إذا كسرت الباب فقال عمرو و ذاك الّذى نريد و لا يصلح الباب إلاّ أشاف تخرج الحقّ من حافره البأس و يكون النّاس فى العدل سواء ثمّ تمثل عمرو فى بعض ذلك.

يا لهف نفسى على مالك و هل يصرف اللّهف حفظ القدر

أنزع من الحرّ أودى بهم فاعذرهم أم بقومى سكر

ثمّ ارتحل راجلا يبكى كما تبكى المرأه و يقول و اعثماناه أنعى الحياء و الدين حتّى قدم دمشق و قد كان سقط اليه من الّذى يكون علم فعمل عليه.

ثمّ نقل عن الواقدى: لما بلغ عمرا قتل عثمان قال أنا عبد اللّه (أنا أبو عبد اللّه ظ) قتلته و أنا بوادى السباع من يلى هذا الأمر من بعده إن يله طلحه فهو فتى العرب سيبا، و إن يله ابن أبى طالب فلا أراه إلاّ سيسينظف الحقّ و هو اكره من يليه الىّ.

قال فبلغه ان عليّا قد بويع له فاشتدّ عليه و تربص أياما ينظر ما يصنع النّاس

ص:۲۱۵

۱- (۱) - المراد بالرجل فى تلك المواضع هو عثمان بن عفان.

فبلغه مسیر طلحه و الزبیر و عائشه و قال استأنی و أنظر ما یصنعون فأتاه الخبر أن طلحه و الزبیر قد قتلا فارتج علیه أمره.

فقال له قائل ان معاویه بالشام لا یرید یبایع لعلیّ فلو قارنت معاویه فکانت معاویه احبّ الیه من علیّ بن أبی طالب و قیل له ان معاویه یعظّم شأن قتل عثمان بن عفان و یحرض علی الطلب بدمه فقال عمرو ادعوا لی محمّدا و عبد اللّه فدعیا له فقال قد کان ما قد بلغکما من قتل عثمان و بیعه النّاس لعلیّ و ما یرصد معاویه من مخالفه علیّ و قال ما تریان أمّا علیّ فلا خیر عنده و هو رجل یدل بسابقته و هو غیر مشرکی فی شیء من أمره.

فقال عبد اللّه بن عمرو توفی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و هو عنک راض و توفی أبو بکر و هو عنک راض و توفی عمر و هو عنک راض أری أن تکفّ یدک و تجلس فی بیتک حتّی یجتمع النّاس علی إمام فتبایعه. و قال محمّد بن عمرو أنت ناب من انیاب العرب فلا أری أن یجتمع هذا الأمر و لیس لک فیه صوت و لا ذکر.

قال عمرو أمّا أنت یا عبد اللّه فأمرتنی بالّذی هو خیر لی فی آخرتی و أسلم فی دینی. و أما انت یا محمّد فأمرتنی بالّذی أنبه لی فی دنیای و أشرّ لی فی آخرتی.

ثمّ خرج عمرو بن العاص و معه ابناه حتّی قدم علی معاویه فوجد أهل الشام یحضّون معاویه علی الطلب بدم عثمان فقال عمرو بن العاص أنتم علی الحقّ اطلبوا بدم الخلیفه المظلوم و معاویه لا یلتفت إلی قول عمرو فقال ابنا عمرو لعمرو الا تری إلی معاویه لا یلتفت إلی قولک انصرف إلی غیره فدخل عمرو علی معاویه فقال و اللّه لعجب لک إنی أرفدک بما أرفدک و أنت معرض عنی أما و اللّه إن قاتلنا معک نطلب بدم الخلیفه إن فی النفس من ذلک ما فیها حیث نقاتل من تعلم سابقته و فضله و قرابته و لکنّا إنّما أردنا هذه الدّنیا فصالحه معاویه و عطف علیه.

و یأتی فی ذلک کتاب أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام إلی عمرو بن العاص فی باب المختار من کتبه علیه السّلام و هو الکتاب التاسع و الثلاثون حیث یقول علیه السّلام:

فانک جعلت دینک تبعا لدنیا امرء ظاهر غیّه مهتوک ستره یشین الکریم بمجلسه و یسفّه الحلیم بخلطته فاتبعت اثره و طلبت فضله اتباع الکلب للضرغام یلوذ إلی

مخالبه و ينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته إلى آخر ما قال عليه السّلام.

«حكم الحكمين و اجتماعهما و ما جرى فى ذلك»

و اعلم ان التحكيم كان برأى عمرو بن العاص حين رأى ان دلائل الفتح و النصر لأهل العراق أعنى عسكر علىّ عليه السّلام ظهرت و دلائل الخذلان و الادبار على أهل الشام و هم عسكر معاويه قد وضحت و كان ذلك عقيب ليله الهرير و هى ليله عظيمه يضرب بها المثل فرفع أهل الشام برأى عمرو مصاحف اعتصاما من سيوف أهل العراق حين رأوا ان عسكر العراق غلبوا عليهم.

فلا بد لنا الا ان نذكر ما جرى بينهما فى الصفين لأن عدّه من كتبه عليه السّلام يأتى فى ذلك من بعد ما مضت عدّه من الخطب فى ذلك من قبل و سنشير إلى مواضعها و مداركها إنشاء اللّه تعالى و نحن نذكر ما اورده فى ذلك أبو جعفر الطبرى فى تاريخه و نصر بن مزاحم فى كتاب الصفين و المسعودى فى مروج الذهب حتى يتبيّن شأن الحكمين و خديعه عمرو بن العاص لابى موسى الأشعرى و غير ذلك مما تسمعه.

فى تاريخ أبى جعفر محمّد بن الجرير الطبرى: و فى هذه السنه يعنى السنه السادسه و الثلاثين وجّه علىّ عليه السّلام عند منصرفه من البصره إلى الكوفه و فراغه من الجمل جرير بن عبد اللّه البجلى إلى معاويه يدعوه إلى بيعته، و كان جرير حين خرج علىّ إلى البصره لقتال من قاتله بها بهمدان عاملا عليها كان عثمان استعمله عليها فلما قدم علىّ الكوفه منصرفا اليها من البصره كتب اليهما يأمرهما بأخذ البيعه له على من قبلهما من النّاس و الانصراف اليه ففعلا ذلك و انصرفا اليه.

فلما أراد علىّ توجيه الرسول إلى معاويه قال جرير بن عبد اللّه ابعثنى اليه فانّه لى ودّ حتّى آتيه فأدعوه إلى الدخول فى طاعتك فقال الاشتر لعلىّ لا تبعثه فو اللّه إنى لأظن هواه معه فقال علىّ دعه حتّى ننظر ما الّذى يرجع به الينا فبعثه اليه و كتب معه كتابا يعلمه اجتماع المهاجرين و الانصار على بيعته و نكث طلحه و الزبير و ما كان من حربه اياهما و يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون و الانصار من طاعته.

فشخص اليه جرير فلما قدم عليه ماطله و استنظره و دعا عمرا(۱) فاستشاره فيما كتب به اليه فأشار عليه أن يرسل إلی وجوه الشام و يلزم عليا دم عثمان و يقاتله بهم ففعل ذلک معاويه و كان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الّذی قتل فيه مخضبا بدمه و باصابع نائله زوجته(۲) مقطوعه بالبراجم اصبعان منها و شیء من الكف و اصبعان مقطوعتان من اصولهما و نصف الابهام، وضع معاويه القميص علی المنبر و كتب بالخبر إلی الاجناد و ثاب اليه الناس و بكوا سنه و هو علی المنبر و الاصابع معلقه فيه.

و آلی الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء و لا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام و لا يناموا علی الفرش حتّی يقتلوا قتله عثمان و من عرض دونهم بشیء او تفنی ارواحهم فمكثوا حول القميص سنه و القميص يوضع كل يوم علی المنبر و يجلّله احيانا فيلبسه و علق فی اردانه اصابع نائله.

فلما قدم جرير بن عبد اللّه علی علیّ فاخبره خبر معاويه و اجتماع أهل الشام معه علی قتاله و انهم يبكون علی عثمان و يقولون ان عليا قتله و آوی قتلته و انهم لا ينتهون عنه حتّی يقتلهم او يقتلوه.

فقال الاشتر لعلیّ قد كنت نهيتک ان تبعث جريرا و اخبرتک بعداوته و غشه و لو كنت بعثتنی كان خيرا من هذا الّذی اقام عنده حتی لم يدع بابا يرجو فتحه الافتحه و لا بابا يخاف منه إلا اغلقه.

فقال جرير لو كنت ثمّ لقتلوک لقد ذكروا انک من قتله عثمان. فقال الاشتر لو أتيتهم و اللّه يا جرير لم يعينی جوابهم و لحملت معاويه علی خطه اعجله فيها عن الفكر و لو اطاعنی فيک أمير المؤمنين لحبسک و اشباهک فی محبس لا تخرجون منه حتّی

۱- (۱) و هو عمرو بن العاص.

۲- (۲) يعنی ان نائله كانت زوجه عثمان و هی احدی زوجاته و نسبها كما قاله الطبری فی تاريخه: هی نائله ابنه الفرافصه بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبه بن الحارث بن حصن بن ضمضم ابن عدی بن جناب بن كلب. و لذا يقال لها نائله الكلبيه.

تستقیم هذه الامور فخرج جریر بن عبد اللّه إلی قرقیساء و کتب إلی معاویه فکتب الیه یأمره بالقدوم علیه و خرج أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فعسکر بالنخیله و قدم علیه عبد اللّه بن عبّاس بمن نهض معه من أهل البصره.

و استخلف عبد اللّه بن عباس علی البصره ثمّ سار منها إلی الکوفه فتهیأ فیها إلی صفین فاستشار النّاس فی ذلک فاشار علیه قوم ان یبعث الجنود و یقیم و اشار آخرون بالمسیر فأبی إلاّ المباشره فجهّز الناس.

و قال المسعودی فی مروج الذهب و کان سیر علی علیه السّلام من الکوفه الی صفین لخمس خلون من شوال سنه ست و ثلاثین و استخلف علی الکوفه أبا مسعود عقبه بن عامر الانصاری.

فبلغ ذلک معاویه فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال أمّا إذ بلغک انّه یسیر فسر بنفسک و لا تغب عنه برأیک و مکیدتک. قال أمّا إذا یا أبا عبد اللّه فجهز النّاس فجاء عمرو فحضّض النّاس و ضعف علیّا و أصحابه و قال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم و اوهنوا شوکتهم و فلّوا احدهم ثمّ إن أهل البصره مخالفون لعلیّ قد وترهم و قللهم و قد تفانت صنادیدهم و صنادید أهل الکوفه یوم الجمل و إنّما سار فی شرذمه قلیله منهم من قد قتل خلیفتکم فاللّه اللّه فی حقّکم ان تضیّعوه و فی دمکم ان تبطلوه و کتب فی اجناد أهل الشام و عقد لواءه لعمرو فعقد لوردان غلامه فیمن عقد و لابنیه عبد اللّه و محمّد و عقد علیّ لغلامه قنبر ثمّ قال عمرو:

هل یغنین وردان عنی قنبرا و تغنی السکون عنی حمیرا

إذا الکماه لبسوا السّنوّرا

فبلغ ذلک علیّا علیه السّلام فقال:

لأصبحنّ العاصی بن العاصی سبعین ألفا عاقدی النواصی

مجنّنین الخیل بالقلاص مستحقین حلق الدّلاص

فلمّا سمع ذلک معاویه قال ما أری ابن أبی طالب إلاّ قد وفی لک فجاء معاویه یتأنی فی مسیره و کتب إلی کلّ من کان یری أنه یخاف علیّا او طعن علیه و من

اعظم دم عثمان و استعواهم اليه.

فبعث علىّ زياد بن النضر الحارثى طليعه فى ثمانيه آلاف و بعث معه شريح ابن هانى فى أربعه آلاف و خرج علىّ من النخيله بمن معه فلما دخل المدائن شخص معه من فيها من المقاتله و ولى على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد و وجه علىّ من المدائن معقل بن قيس فى ثلاثه آلاف و أمره أن يأخذ على الموصل حتّى يوافيه.

قال المسعودى فى مروج الذهب و قد تنوزع فى مقدار ما كان مع على عليه السّلام من الجيش فمكثّر و مقلّل و المتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا و قال رجل من أصحاب على عليه السّلام لما استقروا مما يلى الشام من ابيات كتب بها إلى معاويه.

اثبت معاوى قد اتاك الحافل تسعون ألفا كلّهم مقاتل

عما قليل يضمحلّ الباطل

و سار معاويه من الشام و قد تنوزع فى مقدار من كان معه فمكثّر و مقلّل و المتفق عليه من قول الجميع خمس و ثمانون ألفا.

«ما أمر به على بن أبى طالب من عمل الجسر على الفرات»

فلمّا انتهى علىّ عليه السّلام إلى الرقه قال لأهل الرّقه اجسروا لى جسرا حتّى اعبر من هذا المكان إلى الشام فابوا و قد كانوا ضموا اليهم السفن فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج و خلف عليهم الأشتر و ذهب ليمضى بالنّاس كيما يعبر بهم على جسر منبج فنادى هم الأشتر فقال يا أهل هذا الحصن ألا انّى اقسم لكم باللّه عزّ و جل لئن مضى أمير المؤمنين و لم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتّى يعبر لأجرّدن فيكم السيف ثمّ لأقتلن الرجال و لأخربن الأرض و لاخذن الأموال فلقى بعضهم بعضا فقالوا البس الاشتر يفى بما حلف عليه او يأتى بشرّ منه قالوا نعم فبعثوا اليه انا ناصبون لكم جسرا فاقبلوا و جاء علىّ فنصبوا له الجسر فعبر عليه بالاثقال و الرجال ثمّ أمر علىّ الأشتر فوقف فى ثلاثه آلاف فارس حتّى لم يبق من النّاس احد إلا عبر ثمّ انه عبر آخر النّاس رجلا قال أبو جعفر الطبرى: قال أبو مخنف فحدّثنى خالد بن قطن الحارثى ان:

عليّا لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر و شريح بن هانى فسرحهما امامه نحو معاويه على حالهما الّتى كانا خرجا عليه من الكوفه قال و قد كانا حيث سرحهما من الكوفه أخذا على شاطىء الفرات من قبل البر مما يلى الكوفه حتّى بلغا عانات فبلغهما اخذ علىّ على طريق الجزيره و بلغهما ان معاويه قد اقبل من دمشق فى جنود أهل الشام لاستقبال علىّ عليه السّلام فقالا لا و اللّه ما هذا لنا برأى ان نسير و بيننا و بين المسلمين و أمير المؤمنين هذا البحر و ما لنا خير فى ان نلقى جنود أهل الشام بقله من معنا منقطعين من العدد و المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات و حبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتّى عبروا من هيت ثمّ لحقوا عليّا بقريه دون قرقيسياء و قد ارادوا أهل عانات فتحصنوا و فروا و لما لحقت المقدمه عليّا قال مقدمتى تأتينى من ورائى.

فتقدم اليه زياد بن النضر الحارثى و شريح بن هانى فأخبراه بالّذى رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما فقال سددتما.

ثمّ مضى علىّ عليه السّلام فلما عبر الفرات قدمهما امامه نحو معاويه فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمى عمرو بن سفيان فى جند من أهل الشام فأرسلا إلى علىّ عليه السّلام أنا قد لقينا أبا الاعور السلمى فى جند من أهل الشام و قد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد فمرنا بامرک.

فارسل علىّ عليه السّلام إلى الاشتر فقال يا مالک ان زيادا و شريحا ارسلا إلىّ يعلمانى انهما لقيا أبا الاعور السلمى فى جمع من أهل الشام و انبأنى الرسول انه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابک النجاء فاذا قدمت عليهم فأنت عليهم و إياک ان تبدء القوم بقتال إلّا أن يبدءوک حتى تلقاهم فتدعوهم و تسمع و لا يجرمنكم شنانهم على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم مره بعد مره، و اجعل على ميمنتک زيادا و على ميسرتک شريحا وقف من أصحابک وسطا و لا تدنو منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم بعد من يهاب الناس حتّى اقدم عليک فانى حثيث السير فى اثرک إن شاء اللّه.

قال و كان الرسول الحارث بن جمهان الجعفى فكتب علىّ عليه السّلام إلى زياد و شريح

أما بعد فانى قد أمّرت عليكما مالكا فاسمعا له و اطيعا فانه مما لا يخاف رهقه و لا سقاطه و لا بطؤه عما الاسراع إليه احزم و لا الاسراع إلى ما البطاء عنه امثل و قد امرته بمثل الّذى كنت امرتكما به ألاّ يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم و يعذر إليهم.

أقول: قال نصر فى كتاب صفين باسناده عن عبد اللّه بن جندب عن أبيه، و كذا الطبرى فى تاريخه باسناده عن عبد الرحمن بن جندب الازدى عن أبيه: أن عليّا عليه السّلام كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول:

لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤكم فانكم بحمد اللّه على حجّه و ترككم إياهم حتى يبدؤكم حجه اخرى لكم عليهم فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عوره و لا تمثلوا بقتيل فاذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا و لا تدخلوا دارا إلا باذن و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم و لا تهيجوا امرأه بأذى و إن شتمن أعراضكم و تناولن امراءكم و صلحاءكم فانهن ضعاف القوى و الانفس و لقد كنا و انا لنؤمر بالكف عنهنّ و انهن لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأه فى الجاهليه بالهراوه أو الحديد فيعير بها عقبه من بعده.

أقول: يأتى شرح كلامه عليه السّلام هذا فى باب المختار من كتبه و رسائله بعون الملك الوهاب. و قال الرضى رضى اللّه عنه قال عليه السّلام لعسكره قبل العدو بصفين.

قال نصر باسناده عن الحضرمى قال سمعت عليا عليه السّلام عرض فى النّاس فى ثلاثه مواطن: فى يوم الجمل و يوم صفين و يوم النهروان فقال: عباد اللّه اتقوا اللّه عزّ و جلّ و غضّوا الأبصار و اخفضوا الاصوات و اقلّوا الكلام و وطّنوا أنفسكم على المنازله و المجاوله و المبارزه و المعانقه و المكارمه و اثبتوا و اذكروا اللّه كثيرا لعلّكم تفلحون و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إنّ اللّه مع الصابرين اللّهمّ ألهمهم الصبر و أنزل عليهم النصر و أعظم لهم الأجر. و لنعد إلى قول الطبرى:

و خرج الاشتر حتّى قدم على القوم فاتبع ما أمره علىّ عليه السّلام و كف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمى

فثبتوا له و اضطربوا ساعه ثم إن أهل الشام انصرفوا ثم خرج إليهم من الغد هاشم ابن عتبه الزّهرى فى خيل و رجال حسن عددها و عدتها و خرج إليه أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل و الرجال على الرجال و صبر القوم بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا و حمل عليهم الاشتر فقتل عبد اللّه بن المنذر التنوخى قتله يومئذ ظبيان بن عمّار التميمى و ما هو إلا فتى حدث و إن كان التنوخى لفارس أهل الشام.

و أخذ الاشتر يقول و يحكم أرونى أبا الاعور. ثمّ انّ أبا الاعور دعا لناس فرجوا نحوه.

فوقف من وراء المكان الّذى كان فيه أول مرّه و جاء الاشتر حتّى صف أصحابه فى المكان الّذى كان فيه أبو الاعور فقال الاشتر لسنان بن مالك النخعى انطلق إلى أبى الاعور فادعه إلى المبارزه فقال إلى مبارزتى أو مبارزتك فقال له الاشتر لو امرتك بمبارزته فعلت قال نعم و اللّه لو امرتنى ان اعترض صفهم بسيفى ما رجعت أبدا حتى اضرب بسيفى فى صفهم قال له الاشتر يا ابن اخى اطال اللّه بقاءك قد و اللّه ازددت رغبه فيك لا أمرتك بمبارزته انما امرتك ان تدعوه إلى مبارزتى انه لا يبرز ان كان ذلك من شأنه إلّا لذوى الاسنان و الكفاءه و الشرف و أنت لربك الحمد من أهل الكفاءه و الشرف غير أنك فتى حدث السن فليس بمبارز الاحداث و لكن ادعه إلى مبارزتى، فأتاه فنادى آمنونى فانى رسول فاومن فجاء حتى انتهى إلى أبى الأعور قال أبو مخنف فحدثنى النضر بن صالح أبو زهير العبسى قال حدثنى سنان قال فدنوت منه فقلت ان الاشتر يدعوك إلى مبارزته قال فسكت عنى طويلا ثمّ قال إن خفه الاشتر و سوء رأيه هو حمله على اجلاء عمال ابن عفان من العراق و انتزائه عليه بقبح محاسنه، و من خفه الاشتر و سوء رأيه أن سار إلى ابن عفان فى داره و قراره حتى قتله فيمن قتله فاصبح متبعا بدمه ألا لا حاجه لى فى مبارزته.

قال قلت انك قد تكلمت فاسمع حتّى اجيبك فقال لا حاجه لى فى الاستماع منك و لا فى جوابك اذهب عنى فصاح بى أصحابه فانصرفت عنه و لو سمع إلىّ لأخبرته بعذر صاحبى و لحجته.

ص:۲۲۳

فرجعت إلى الاشتر فأخبرته انه قد أبى المبارزه فقال لنفسه نظر. فوافقناهم حتّى حجز الليل بيننا و بينهم و بتنا متحارسين فلما اصبحنا نظرنا فاذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم و يصبحنا عليّ بن أبى طالب غدوه فقدم الاشتر فيمن كان معه فى تلك المقدمه حتى انتهى إلى معاويه فوافقه و جاء عليّ فى اثره فلحق بالأشتر سريعا فوقف و تواقفوا طويلا.

ثمّ ان عليّا عليه السّلام طلب موضعا لعسكره فلما وجده امر الناس فوضعوا الأثقال فلما فعلوا ذهب شباب الناس و غلمتهم يستقون فمنعهم أهل الشام فاقتتل النّاس على الماء و قد كان الاشتر قال له قبل ذلك إن القوم قد سبقوا إلى الشريعه و إلى سهوله الارض و سعه المنزل فان رأيت سرنا نجوزهم إلى القريه التى خرجوا منها فانهم يشخصون فى اثرنا فاذاهم لحقونا نزلنا فكنا نحن و هم على السواء فكره ذلك عليّ عليه السّلام و قال ليس كل الناس يقوى على المسير فنزل بهم.

«القتال على الماء»

قال الطبرى قال أبو مخنف و حدثنى تميم بن الحارث الأزدى عن جندب بن عبد اللّه قال إنا لما انتهينا إلى معاويه وجدناه قد عسكر فى موضع سهل افيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعه فى الفرات ليس فى ذلك الصقع شريعه غيرها و جعلها فى حيزه و بعث عليها أبا الاعور يمنعها و يحميها فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعه غيرها نستغنى بها عن شريعتهم فلم نجدها فأتينا عليّا عليه السّلام فاخبرناه بعطش النّاس و أنا لا نجد غير شريعه القوم قال فقاتلوهم عليها فجاءه الاشعث بن قيس الكندى فقال أنا اسير إليهم فقال له عليّ عليه السّلام فسر إليهم فسار و سرنا معه حتى إذا دنونا من الماء ثاروا فى وجوهنا ينضحوننا بالنبل و رشقناهم و اللّه بالنبل ساعه ثمّ اطعنّا و اللّه بالرماح طويلا. ثمّ صرنا آخر ذلك نحن و القوم إلى السيوف فاجتلدنا بها ساعه.

ثمّ ان القوم اتاهم يزيد بن أسد البجلى ممدا فى الخيل و الرجال فأقبلوا نحونا فقلت فى نفسى فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغنى عنّا هؤلاء فذهبت و التفت فاذا

عده القوم أو اكثر قد سرحهم إلينا ليغنوا عنا يزيد بن اسد و أصحابه عليهم شبث بن ربعی الرياحی فو اللّه ما ازداد القتال الاشده و خرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاويه فی جند كثير فاخذ يمدّ أبا الاعور و يزيد بن اسد و خرج الاشتر من قبل علیّ عليه السّلام فی جمع عظيم فلما رأى الأشتر عمرو بن العاص يمدّ أبا الاعور و يزيد بن أسد امدّ الاشعث ابن قيس و شبث بن ربعی فاشتدّ قتالنا و قتالهم فما أنسی قول عبد اللّه بن عوف بن الأحمر الأزدی:

خلّوا لنا ماء الفرات الجاری أو اثبتوا لجحفل جرّار

لكلّ قرم مستميت شاری مطاعن برمحه كرار

ضرّاب ها مات العدی مغوار

قال أبو مخنف و حدثنی رجل من آل خارجه بن التميمی أن ظبيان بن عماره جعل يومئذ يقاتل و هو يقول:

هل لک يا ظبيان من بقاء فی ساكن الأرض بغير ماء

لا و إله الأرض و السماء فاضرب وجوه الغدر الأعداء

بالسيف عند حمس الوغاء حتّی يجيبوک إلی السّواء

قال ظبيان فضربناهم و اللّه حتّی خلونا و اياه و قال محمّد بن مخنف بن سليم فقاتلناهم فما أمسينا حتی رأينا سقاتنا و سقاتهم يزدحمون علی الشريعه و ما يؤذی انسان انسانا، و قال أبو الحسن علیّ بن الحسين بن علیّ المسعودی فی مروج الذهب: و علیّ عليه السّلام يدور فی عسكره بالليل فسمع قائلا و هو يقول:

أ يمنعنا القوم ماء الفرات و فينا الرماح و فينا الحجف

و فينا علیّ عليه السّلام له صوله إذا خوّفوه الردی لم يخف

و نحن غداه لقينا الزبير و طلحه خضنا غمار التلف

فما بالنا الامس اسد العرين و ما بالنا اليوم شاء النجف

قال أبو مخنف و حدثنی يوسف بن يزيد عن عبد اللّه بن عوف بن الأحمر قال لما قدمنا علی معاويه و أهل الشّام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا

بساطا واسعا أخذوا الشريعه فهى فى أيديهم.

و قال المسعودى فى مروج الذهب و عسكر معاويه فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم علىّ عليه السّلام على شريعه لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع اسهل منها للوارد إلى الماء و ما عداها اخراق عاليه و مواضع إلى الماء وعره و وكل أبا الاعور السلمى بالشريعه مع أربعين ألفا و كان على مقدمته.

و قال أبو مخنف و قد صفّ أبو الاعور السلمى عليها الخيل و الرجال و قد قدّم المراميه امام من معه و صف صفا معهم من الرّماح و الدرق و على رؤوسهم البيض و قد اجمعوا على أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى امير المؤمنين فخبرناه بذلك فدعا صعصعه ابن صوحان فقال له ائت معاويه و قل له انا سرنا مسيرنا هذا إليكم و نحن نكره قتالكم قبل الاعذار إليكم و إنك قدمت إلينا خيلك و رجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك و بدأتنا بالقتال و نحن من رأينا الكف عنك حتّى ندعوك و نحتج عليك و هذه اخرى قد فعلتموها قد حلتم بين النّاس و بين الماء و الناس غير منتهين أو يشربوا فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين النّاس و بين الماء و يكفوا حتّى ننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له و قدمتم له و إن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له و نترك النّاس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاويه لأصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبه امنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفان حصروه أربعين صباحا يمنعونه برد الماء و لين الطعام، اقتلهم عطشا قتلهم اللّه عطشا، فقال له عمرو بن العاص خلّ بينهم و بين الماء فان القوم لن يعطشوا و أنت ريّان و لكن بغير الماء فانظر ما بينك و بينهم فاعاد الوليد بن عقبه مقالته.

و قال المسعودى: و وكل معاويه أبا الاعور السلمى بالشريعه مع أربعين ألفا و كان على مقدمته و بات علىّ عليه السّلام و جيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم و بين الورود إلى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاويه ان عليا لا يموت عطشا هو و تسعون الفا من أهل العراق و سيوفهم على عواتقهم و لكن دعهم يشربون و نشرب فقال معاويه لا و اللّه

أو يموتوا عطشا كما مات عثمان.

و قال عبد اللّه بن أبى سرح امنعهم الماء إلى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا و لو قد رجعوا كان رجوعهم فلا امنعهم الماء منعهم اللّه يوم القيامه.

فقال صعصعه انما يمنعه اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه الكفره الفسقه و شربه الخمر ضربك و ضرب هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبه قال فتواثبوا اليه يشتمونه و يتهدّدونه فقال معاويه كفوا عن الرجل فانّه رسول.

قال أبو مخنف و حدّثنى يوسف بن يزيد عن عبد اللّه بن عوف بن الأحمر أن صعصعه رجع الينا فحدثنا عما قال لمعاويه و ما كان منه و ما ردّ فقلنا فما رد عليك فقال لما اردت الانصراف من عنده قلت ما ترد على؟ قال معاويه سيأتيكم رأيى فو اللّه ما راعنا إلاّ تسريته الخيل إلى أبى الاعور ليكفهم عن الماء قال فأبرزنا علىّ عليه السّلام إليهم فارتمينا ثمّ اطّعنا ثمّ اضطربنا بالسّيوف فنصرنا عليهم فصار الماء فى ايدينا فقلنا لا ـ و اللّه لا ـ نسقيهموه فأرسل إلينا علىّ أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى عسكركم و خلّوا عنهم فان اللّه عزّ و جلّ قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيهم.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: قال معاويه لعمرو بن العاص يا أبا عبد اللّه ما ظنك بالرجل (يعنى بالرجل عليّا عليه السّلام) أ تراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه و قد انحاز بأهل الشام إلى ناحيه فى البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا و انه لا يرضى حتّى تدخل فى طاعته او يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاويه يستأذنه فى وروده مشرعته و استقاء الناس من طريقه و دخل رسله عسكره فأباحه على كلّ ما سأل و طلب منه.

أقول انظر إلى سيره ولى اللّه الأعظم أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام مع النّاس حتّى مع الاعداء بعين المعرفه و البصيره و إلى دأب معاويه أيضا حتّى يتبين لك الفرق بين رجل الهى و بين الّذى استحوذ عليه الشيطان و تردّى فى هواه، حيث ترى ان معاويه قدم أوّلا و اختار منزلا مستويا بساطا واسعا و اخذ الشريعه و منع عليّا عليه السّلام و أصحابه الماء مع أن النّبى صلّى اللّه عليه و آله جعل النّاس فى الماء و الكلاء و النار شرعا سواء

و لما غلب علىّ عليه السّلام و عسكره عليهم خلوا بينهم و بين الماء ثمّ وعظ علىّ عسكره بان الظالم و الباغى منكوب و مغلوب لا محاله و إن كان له جولان فى برهه من الزمان حيث قال عليه السّلام فان اللّه عزّ و جل قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيهم.

و أمّا منع النّاس عثمان من الطعام و الشراب و حصرهم اياه أربعين صباحا او أكثر فيأتى كلامنا فيه فى المباحث الاتيه مع أن أمير المؤمنين على عليه السّلام قد انكر منع الماء و الطعام على عثمان و أنفذ من مكن من حمل ذلك لانه كان فى الدار من الحرم و النسوان و الصبيان من لا يحل منعه من الطعام و الشراب.

و قال ابن قتيبه الدينورى فى كتابه الامامه و السياسه المعروف بتاريخ الخلفاء:

و بعث عثمان إلى علىّ عليه السّلام يخبره انه منع الماء و يستغيث به فبعث اليه على عليه السّلام ثلاث قرب مملوءه ماء فما كادت تصل اليه، فقال طلحه ما أنت و هذا؟.

و العجب من هؤلاء الطغام كيف تمسكوا بالاباطيل و الاضاليل فخدعوا أتباعهم و من تتبع فى الاثار و الأخبار يرى بعين اليقين أن معاويه لم يلف شيئا يستضل و يستغوى به النّاس إلاّ أن يتمسك بتلك الأقوال كما استمسك بها سخلته يزيد لما اراد أن يحرض النّاس فى قتل حسين بن على عليهما السّلام و العجب أن معاويه منع أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام و أصحابه من الماء و لما استولى عليه السّلام عليهم خلى بينهم و بين الماء و يزيد بن معاويه منع حسين بن على و اشياعه من الماء و هم سقوا قومه و ارووهم من الماء حتّى رشفوا خيلهم حذو النعل بالنعل.

قال الطبرى فى حديث اقبال الحسين بن على عليهما السّلام إلى كربلاء و مجىء الحرّ مع قومه اليه فى أثناء الطريق باسناده عن عبد اللّه بن سليم و المذرى المشمعل الأسديين قالا اقبل الحسين عليه السّلام حتّى نزل شراف فلما كان فى السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا ثمّ ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتّى انتصف النهار ثمّ إن رجلا قال اللّه اكبر فقال الحسين عليه السّلام اللّه أكبر ما كبرت؟ قال رأيت النخل فقال له الاسديان إن هذا المكان ما رأينا به نخله قط قالا فقال لنا الحسين عليه السّلام فما تريانه رأى؟ قلنا نراه رأى هوادى الخيل فقال و أنا و اللّه أرى ذلك. فقال الحسين عليه السّلام

أمالنـا ملجـأ نلجـأ اليه نجعله فى ظهورنـا و نسـتقبل القـوم من وجه واحـد؟ فقلنـا له بلى هـذا ذو حسم إلى جنبـك تميـل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد.

قال فأخـذ إليه ذات اليسار قال و ملنا معه فما كان بأسـرع من أن طلعت علينا هوادى الخيل فتبيّناها و عـدلنا فلمّا رأونا و قـد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسـنتهم اليعاسيب و كان راياتهم أجنحه الطير. قال فاستبقنا إلى ذى حسم فسبقناهم إليه فنزل الحسين عليه السّـلام فـأمر بـأبنيته فضـربت و جاء القوم و هم ألف فارس مع الحرّ بن يزيـد التميمى اليربوعى حتّى وقف هو و خيله مقابل الحسـين عليه السّلام فى حرّ الظهيره و الحسين و أصحابه معتمون متقلّدوا أسيافهم. فقال الحسين عليه السّلام لفتيانه اسقوا القوم و ارووهم من الماء و رشـفوا الخيل نر شـيفا فقام فتيانه فرشـفوا الخيل ترشـيفا فقام فتيه و سقوا القوم من الماء حتّى أرووهم و اقبلوا يملئون القصـاع و الأـتوار و الطّساس من الماء ثمّ يـدنونها من الفرس فاذا عبّ فيه ثلاثا أو أربعا او خمسا عزلت عنه و سـقوا آخر حتّى سقوا الخيل كلها.

ثمّ قال: قال عليّ بن الطعّان المحاربى كنت مع الحرّ بن يزيد فجئت فى آخر من جاء من أصـحابه فلمّا رأى الحسـين عليه السّـلام ما بى و بفرسى من العطش قال أنخ الراويه و الراويه عندى السقاء ثم قال يا ابن أخى أنخ الجمل فأنخته فقال اشرب فجعلت كلما شربت سال الماء من السـقاء فقال الحسـين عليه السّلام اخنث السقاء اى اعطفه قال فجعلت لا أدرى كيـف أفعل قال فقام الحسين عليه السّلام فخنثه فشربت و سقيت فرسى.

إلى أن قال الطبرى باسناده عن حميد بن مسلم الازدى قال:

جاء من عبيـد اللّه بن زياد كتاب إلى عمر بن سـعد: أمّا بعـد فحل بين الحسـين و أصـحابه و بين الماء و لا يـذوقوا منه قطره كما صنع بالتقى الزكى المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. قال فبعث عمر بن سـعد عمرو بن الحجاج على خمسـمائه فارس فنزلوا على الشـريعه و حالوا بين حسـين و أصـحابه و بين الماء أن يسـقوا منه قطره و ذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال و نازله عبد اللّه بن أبى حصـين الأزدى و عداده فى بجيله فقال يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء و اللّه لا تذوق منه قطره حتّى تموت عطشا، فقال حسـين عليه السّـلام اللّهم اقتله عطشا و لا تغفر له أبـدا. قال حميـد بن مسـلم و اللّه لعدته بعد ذلك فى مرضه فو اللّه الّذى لا إله إلّا هو لقد رأيته يشرب حتّى بغر ثمّ

يقىء ثمّ يعود فيشرب حتّى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتّى لفظ غصّته يعنى نفسه.

و أقول لا يخفى على الباحث فى السير و الاثار أن دأب بنى هاشم كان على تأليف قلوب النّاس و الاخذ بايديهم و ايصال الخير اليهم و افشاء المعروف فيهم و كانوا من بيت علم و حلم و كرم و سخاوه بحيث يؤثرون النّاس فى شدائد الاحوال على انفسهم و خصال صفاتهم لا يحصى و أن شيمه بنى اميّه كانت على ضدّ ما كان فى بنى هاشم و كانوا عبيد الدنيا و اسره الهوى. و لنعد إلى القصه.

«دعاء على عليه السّلام معاويه الى الطاعه و الجماعه»

قال الطبرى: قال أبو مخنف حدّثنى عبد الملك بن أبى حره الحنفى أن عليّا قال هذا يوم نصرتم فيه بالحميه و جاء الناس حتّى أتوا عسكرهم فمكث على عليه السّلام يومين لا يرسل إلى معاويه أحدا و لا يرسل اليه معاويه.

ثمّ إنّ عليّا عليه السّلام دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى و سعيد بن قيس الهمدانى و شبث بن ربعى التميمى فقال ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى اللّه و إلى الطاعه و الجماعه فقال له شبث بن ربعى يا أمير المؤمنين ألا تطمعه فى سلطان توليه إياه و منزله يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟ فقال علىّ عليه السّلام ائتوه فالقوه و احتجوا عليه و انظروا ما رأيه و هذا فى أوّل ذى الحجه فأتوه و دخلوا عليه فحمد اللّه و اثنى عليه أبو عمره بشير ابن عمرو و قال يا معاويه إنّ الدّنيا عنك زائله و إنّك راجع إلى الاخره و إنّ اللّه عزّ و جلّ محاسبك بعملك و جازيك بما قدّمت يداك و إنّى انشدك اللّه عزّ و جل أن تفرّق جماعه هذه الامه و أن تسفك دماءها بينها فقطع عليه الكلام و قال هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمره إن صاحبى ليس مثلك إن صاحبى احق البريه كلّها بهذا الأمر فى الفضل و الدين و السابقه فى الإسلام و القرابه من الرسول صلّى اللّه عليه و آله قال:

فيقول ما ذا؟ قال يأمرك بتقوى اللّه عزّ و جلّ و إجابه ابن عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ فانّه اسلم لك فى دنياك و خير لك فى عاقبه أمرك.

قال معاويه: و نطل دم عثمان لا و اللّه لا أفعل ذلك أبدا. فذهب سعيد بن قيس

يتكلم فبادره شبث بن ربعى فتكلم فحمد اللّه و اثنى عليه و قال يا معاويه إنّى قد فهمت ما رددت على ابن محصن انه و اللّه لا يخفى علينا ما تغزو و ما تطلب إنّك لم تجد شيئا تستغوى به النّاس و تستميل به أهوائهم و تستخلص به طاعتهم إلّا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام و قد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر و احببت له القتل لهذه المنزله الّتى أصبحت تطلب و ربّ متمنى أمر و طالبه، اللّه عزّ و جلّ يحول دونه بقدرته و ربّما اوتى المتمنى امنيته و فوق امنيّته و واللّه مالك فى واحده منهما خير لئن أخطات ما ترجو انك لشر العرب حالا فى ذلك و لئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتّى تستحق من ربّك صلىّ النّار فاتق اللّه يا معاويه ودع ما أنت عليه و لا تنازع الأمر أهله.

فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال أمّا بعد فان أوّل ما عرفت فيه سفهك و خفه حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه ثمّ عنيت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت و لومت أيّها الأعرابى الجلف الجافى فى كلّ ما ذكرت و وصفت انصرفوا من عندى فانّه ليس بينى و بينكم إلّا السيف و غضب.

و خرج القوم و شبث يقول أفعلينا تهول بالسيف اقسم باللّه ليعجلن بها إليك فأتوا عليّا و أخبروه بالّذى كان من قوله و ذلك فى ذى الحجه.

فاخذ علىّ عليه السّلام يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعه و يخرج إليه من أصحاب معاويه آخر معه جماعه فيقتلان فى خيلهما و رجالهما ثمّ ينصرفان و أخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون فى ذلك من الاستئصال و الهلاك فكان على عليه السّلام يخرج مره الأشتر و مرّه حجر بن عدى الكندى و مرّه شبث بن ربعى و مره خالد بن المعمر و مره زياد بن النضر الحارثى و مره زياد بن خصفه التيمى و مره سعيد بن قيس و مره معقل بن قيس الرياحىّ و مره قيس بن سعد و كان أكثر القوم خروجا اليهم الأشتر.

و كان معاويه يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد المخزومى و أبا الاعور السلمى و مره حبيب بن مسلمه الفهرى و مره ابن ذى الكلاع الحميرى و مره عبيد اللّه بن

عمر بن الخطاب و مره شرحبيل بن السمط الكندى و مره حمزه بن مالك الهمدانى فاقتتلوا من ذى الحجه كلّها و ربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين اوله و آخره.

قال أبو مخنف: حدّثنى عبد اللّه بن عامر الفائشى قال حدّثنى رجل من قومى أن الأشتر خرج يوما يقاتل بصفين فى رجال من القراء و رجال من فرسان العرب فاشتدّ قتالهم فخرج علينا رجل و اللّه لقلّ ما رأيت رجلا قط هو اطول و لا أعظم منه فدعا إلى المبارزه فلم يخرج اليه احد إلا الأشتر فاختلفا ضربتين فضربه الأشتر فقتله و ايم اللّه لقد كنا اشفقنا عليه و سألناه ألا يخرج اليه فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه.

يا سهم سهم ابن أبى العيزار يا خير من نعلمه من زار

و زاره حى من الازد و قال اقسم باللّه لأقتلن قاتلك او ليقتلنى فخرج فحمل على الأشتر و عطف عليه الأشتر فضربه فاذا هو بين يدى فرسه و حمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحا فقال أبو رفيقه الفهمى هذا كان نارا فصادف إعصارا و اقتتل النّاس ذا الحجه كلّها فلما انقضى ذو الحجه تداعى النّاس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم لعل اللّه أن يجرى صلحا او اجتماعا فكف بعضهم عن بعض. و حج بالنّاس فى هذه السنه عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب بأمر على عليه السّلام اياه بذلك.

ثمّ دخلت سنه سبع و ثلاثين فكان فى أوّل شهر منها و هو المحرم موادعه الحرب بين على عليه السّلام و معاويه قدتوا دعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعا فى الصلح.

قال المسعودى فى مروج الذهب: و لما كان أوّل يوم من ذى الحجه بعد نزول على عليه السّلام هذا الموضع بيومين بعث إلى معاويه يدعوه إلى اتحاد الكلمه و الدخول فى جماعه المسلمين و طالت المراسله بينهما فاتفقوا على الموادعه إلى آخر المحرم فى سنه سبع و ثلاثين و امتنع المسلمون عن الغزو فى البحر و البرّ لشغلهم بالحروب و قد كان معاويه صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلى عليه السّلام و لم يتم بين علىّ و معاويه صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعه فى المحرم و عزم القوم على الحرب

بعد انقضاء المحرم ففى ذلک یقول حابس بن سعد الطائی صاحب رایه معاویه:

فما دون المنایا غیر سبع بقین من المحرم او ثمان

و قال أبو جعفر الطبری: فذکر هشام بن محمّد عن أبی مخنف الازدی قال حدثنی سعد ابو المجاهد الطائی عن المحل بن خلیفه الطائی قال لما توادع علیّ علیه السّلام و معاویه یوم صفّین اختلف فیما بینهما الرسل رجاء الصلح فبعث علی علیه السّلام عدیّ بن حاتم و یزید بن قیس الارحبی و شبث بن ربعی و زیاد بن خصفه إلی معاویه فلما دخلوا حمد اللّه عدیّ بن حاتم ثمّ قال أمّا بعد فإنا أتیناک ندعوک إلی أمر یجمع اللّه عزّ و جل به کلمتنا و امتنا و یحقن به الدماء و یأمن به السبل و یصلح به ذات البین إن ابن عمک سید المسلمین أفضلها سابقه و أحسنها فی الأسلام أثرا و قد استجمع له النّاس و قد أرشدهم اللّه عزّ و جل بالّذی رأوا فلم یبق احد غیرک و غیر من معک فانته یا معاویه لا یصبک اللّه و أصحابک بیوم مثل یوم الجمل.

فقال معاویه کأنک إنّما جئت متهدّدا لم تأت مصلحا هیهات یا عدیّ کلا و اللّه إنّی لابن حرب ما یقعقع لی بالشنان أما و اللّه إنّک لمن المجلبین علی ابن عفان و إنّک لمن قتلته و إنّی لأرجو أن تکون ممن یقتل اللّه عزّ و جل به هیهات یا عدی ابن حاتم قد حلبت بالسّاعد الاشد.

فقال له شبث بن ربعی و زیاد بن خصفه و تنازعا جوابا واحدا أتیناک فیما یصلحنا و إیاک فأقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ینتفع به من القول و الفعل واجبنا فیما یعمنا و إیاک نفعه.

و تکلم یزید بن قیس فقال إنا لم نأتک إلا لنبلغک ما بعثنا به إلیک و لنؤدی عنک ما سمعنا منک و نحن علی ذلک لم ندع أن ننصح لک و أن نذکر ما ظننا أن لنا علیک حجه و أنک راجع به إلی الالفه و الجماعه إن صاحبنا من قد عرفت و عرف المسلمون فضله و لا أظنه یخفی علیک إن أهل الدین و الفضل لن یعدلوا بعلیّ علیه السّلام و لن یمیلوا بینک و بینه فاتّق اللّه یا معاویه و لا تخالف علیّا علیه السّلام فانا و اللّه ما رأینا رجلا قط اعمل بالتقوی و لا ازهد فی الدنیا و لا اجمع لخصال الخیر کلها منه.

فحمـد اللّه معاويه و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعـد فانكم دعوتم إلى الطاعه و الجماعه فأمّا الجماعه الّتى دعوتم إليها فمعنا هى و أمّا الطـاعه لصـاحبكم فانا لا نراها إن صاحبكم قتل خليفتنا و فرق جماعتنا و آوى ثأرنا و قتلتنا و صاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه أرايتم قتله صاحبنا ألستم تعلمون انهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم الينا فلنقتلهم به ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعه و الجماعه.

فقال له شبث أيسرّك يا معاويه أنك أمكنت من عمار تقتله؟ فقال معاويه و ما يمنعنى من ذلك و اللّه لو أمكنت من ابن سميّه ما قتلته بعثمان و لكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان.

أقول: عمار هذا هو أبو اليقظان عمار بن ياسر رضـى اللّه عنه و هو من خيار أصحاب النّبى صلّى اللّه عليه و آله الّذى قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيه: ان عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه و اختلط الايمان بلحمه و دمه. و جلاله قدره و كثره ثباته و استقامته فى الدين مما لا يخفى على احد.

و سـميه «على التصغير» رضى اللّه عنها كانت امه و هى ممن عذب فى اللّه بل ذكر بقله الاثار إن أول شهيد استشهد فى الاسلام ام عمـار سـميه طعنها أبو جهل بطعنه فى قبلها او قلبها. و إنّما قال شبث لمعاويه أيسرك أنك امكنت من عمار تقتله، لأن النّبى صلّى اللّه عليه و آله قـال فيه إنّمـا تقتلـك الفئه البـاغيه. و هـذا هو المنقول عن الفريقين بلا كلام فكانما شبث قال لمعاويه أنت تعلم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال فيه كذا أ فترضى أن تكون أنت و قومك الفئه الباغيه و تحب ان تكونوا منهم و قاتل عمار بنصّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الفئه الباغيه.

فاجابه معاويه بقوله لو امكنت من ابن سـميه يعنى عمارا ما قتلته بـدل عثمان بل كنت قاتله بـدل ناتل مولى عثمان يعنى ان عمارا لا يليق ان يقتل بدل عثمان بل بدل مولاه.

فانظر ايها البصير فى الامور فى قساوه معاويه و تجرّيه و هتكه و فظاظته كيف يعترف ببغيه و عناده على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مع ذلك ينسبه إلى الدّين و يعرّفه خليفه المسلمين و أمير المؤمنين.

و البصير فى السير يعلم أن عليّا عليه السّلام لم يكن فى قتل عثمان شريكا بل كان ناهيا عن ذلك و قال غير واحد من نقله الاثار من الفريقين إنّه عليه السّلام كان ينهى النّاس عن قتله و سيجىء الكلام فيه فى محله و إنّما معاويه لم يجد شيئا يستغوى به النّاس و يستميل به اهوائهم و تستخلص به طاعتهم إلّا قوله: قتل إمامكم عثمان مظلوما فنحن نطلب بدمه.

و سيأتى من عمار رحمه اللّه كما فى تاريخ الطبرى حيث يقول عمار لقوم معاويه فى صفين: و لم يكن للقوم سابقه فى الاسلام يستحقون بها طاعه النّاس و الولايه عليهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابره ملوكا و تلك مكيده بلغوا بها ما ترون و لو لا هى ما تبعهم من النّاس رجلان.

و يأتى ترجمه عمار و أبوه ياسر و امّه سميه و نسبه و قتله فى سبيل اللّه عن قريب فلنعد إلى القصه.

فقال له شبث و إله الأرض و إله السماء اما عدلت معتدلا لا و الّذى لا إله إلا هو لا تصل إلى عمار حتّى تندر الهام عن كواهل الأقوام و تضيق الأرض الفضاء عليك برحبها.

فقال له معاويه انه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك اضيق. و تفرق القوم عن معاويه فلما انصرفوا بعث معاويه إلى زياد بن خصفه التيمى فخلا به فحمد اللّه و اثنى عليه و قال أمّا بعد يا أخا ربيعه فإن عليّا قطع ارحامنا و آوى قتله صاحبنا «يعنى بالصاحب عثمان» و إنى أسألك النصر عليه باسرتك و عشيرتك ثمّ لك عهد اللّه جل و عزّ و ميثاقه أن اوليك إذا ظهرت «اى غلبت» اى المصرين احببت.

قال الطبرى قال أبو مخنف فحدثنى سعد أبو المجاهد عن المحل بن خليفه قال سمعت زياد بن خصفه يحدّث بهذا الحديث قال فلما قضى معاويه كلامه حمدت اللّه عزّ و جل و اثنيت عليه ثمّ قلت: أما بعد فانى على بينه من ربّى و بما انعم علىّ فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثمّ قمت.

فقال معاويه لعمرو بن العاص و كان إلى جنبه جالسا يكلم رجل منا رجلا

منهم فيجيب إلى خير مالهم عضبهم اللّه بشر ما قلوبهم إلاّ كقلب رجل واحد.

قال الطبرى قال أبو مخنف فحدّثنى سليمان بن راشد الأزدى عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكنود أن معاويه بعث إلى علىّ عليه السّلام حبيب بن مسلمه الفهرى و شرحبيل ابن السمط و معن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه و أنا عنده فحمد اللّه حبيب و أثنى عليه ثمّ قال أما بعد فان عثمان بن عفان كان خليفه مهديا يعمل بكتاب اللّه عزّ و جل و ينيب إلى أمر اللّه تعالى فاستثقلتم حياته و استبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتله عثمان إن زعمت أنّك لم تقتله نقتلهم به ثمّ اعتزل أمر النّاس فيكون امرهم شورى بينهم يولى الناس امرهم من اجمع عليه رأيهم.

فقال له علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و ما أنت لا ام لك و العزل و هذا الأمر اسكت فإنك لست هناك و لا بأهل له.

فقام و قال له و اللّه لترينى بحيث تكره.

فقال علىّ عليه السّلام و ما أنت و لو اجلبت بخيلك و رجلك لا أبقى اللّه عليك إن أبقيت علىّ أحقره و سوءا اذهب فصوّب و صعّد ما بدا لك.

و قال شرحبيل بن السمط إنّى إن كلمتك فلعمرى ما كلامى إلا مثل كلام صاحبى قبل فهل عندك جواب غير الّذى أجبته به؟.

فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فان اللّه جلّ ثناؤه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بالحق فانقذ به من الضلاله و انتاش به من الهلكه و جمع به من الفرقه ثمّ قبضه اللّه اليه و قد أدّى ما عليه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ استخلف النّاس أبا بكر و استخلف أبو بكر عمر فأحسنا السيره و عدلا فى الامه و قد وجدنا عليهما أن توليا علينا و نحن آل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فغفرنا ذلك لهما و ولى عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فساروا اليه فقتلوه ثمّ أتانى الناس و أنا معتزل امورهم فقالوا لى بايع فأبيت عليهم فقالوا لى بايع فان الامه لا ترضى إلا بك و إنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق النّاس فبايعتهم فلم يرعنى إلا شقاق رجلين قد بايعانى و خلاف معاويه الّذى لم يجعل اللّه عزّ و جل له سابقه فى الدّين و لا سلف صدق فى الاسلام طليق ابن طليق حزب من هذه الاحزاب لم يزل للّه عزّ و جل

ص:۲۳۶

و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و للمسلمين عدو هو و ابوه حتّى دخلا فى الاسلام كارهين فلا غرو إلا خلافكم معه و انقيادكم له و تدعون آل نبيكم صلّى اللّه عليه و آله الّذين لا ينبغى لكم شقاقهم و لا خلافهم و لا أن تعدلوا بهم من النّاس أحدا ألا أنى أدعوكم إلى كتاب اللّه عز و جل و سنه نبيه صلّى اللّه عليه و آله و إماته الباطل و إحياء معالم الدين أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم و لكل مؤمن و مؤمنه و مسلم و مسلمه.

أقول كلامه عليه السّلام هذا ليس فى نهج البلاغه و كم له عليه السّلام من كلام لم يأت به الرضىّ رضوان اللّه عليه فى النهج و لم يعثر عليه و هو (ره) معترف بذلك حيث يقول فى مقدمته على النهج: مفضّلا فيه اوراقا لتكون مقدمه لاستدراك ما عساه يشذّ عنّى عاجلا و يقع إلىّ آجلا. و لنعد إلى القصّه:

فقال شرحبيل أ تشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال عليه السّلام لهما لا اقول انّه قتل مظلوما و لا انّه قتل ظالما قالا فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء ثمّ قاما فانصرفا فقال علىّ عليه السّلام: «إنّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصم الدعاء إذا و لوا مدبرين. و ما أنت بهادى العمى عن ضلالهم إن تسمع إلاّ من يؤمن باياتنا فهم مسلمون».

ثمّ أقبل علىّ عليه السّلام على أصحابه فقال لا يكون هؤلاء أولى بالجد فى ضلالهم منكم بالجد فى حقكم و طاعه ربّكم.

«تكتيب الكتائب و تعبيه الناس للقتال»

و مكث النّاس حتّى إذا دنا انسلاخ المحرم أمر على عليه السّلام مرثد بن الحارث الجشمى فنادى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم إنّى قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ و تنيبوا اليه و احتججت عليكم بكتاب اللّه عزّ و جل فدعوتكم إليه فلم تناهوا عن طغيان و لم تجيبوا إلى حقّ و إنّى قد نبذت إليكم على سواء إن اللّه لا يحب الخائنين.

ففزع أهل الشام إلى امرائهم و رؤسائهم و خرج معاويه و عمرو بن العاص فى

النّاس يكتّبان الكتائب و يعبّيان النّاس و اوقدوا النيران و بات على عليه السّلام ليلته كلها يعبّى النّاس و يكتب الكتائب و يدور فى الناس يحرضهم.

قال الطبرى قال أبو مخنف و حدثنى إسماعيل بن يزيد عن أبى صادق عن الحضرمى قال سمعت عليّا يحرض النّاس فى ثلاثه مواطن يحرض النّاس يوم صفين و يوم الجمل و يوم النهر، يقول: عباد اللّه اتقوا اللّه و غضوا الابصار و اخفضوا الأصوات و اقلوا الكلام و وطّنوا أنفسكم على المنازله و المجاوله و المبارزه و المناضله و المبالده و المعانقه و المكارمه الملازمه فاثبتوا و اذكروا اللّه كثيرا لعلكم تفلحون و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إن اللّه مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر و انزل عليهم النصر و أعظم لهم الأجر فاصبح علىّ عليه السّلام من الغد فبعث على الميمنه و الميسره و الرجاله و الخيل.

قال أبو مخنف فحدثنى فضيل بن خديج الكندى أن عليا بعث على خيل أهل الكوفه الأشتر و على خيل أهل البصره سهل بن حنيف و على رجاله أهل الكوفه عمار بن ياسر و على رجاله أهل البصره قيس بن سعد و هاشم بن عتبه معه رايته و مسعر ابن فدكى التميمى على قرّاء أهل البصره و صار أهل الكوفه إلى عبد اللّه بن بديل و عمار بن ياسر.

قال أبو مخنف و حدثنى عبد اللّه بن يزيد بن جابر الازدى عن القاسم مولى يزيد ابن معاويه أنّ معاويه بعث على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى، و على ميسرته حبيب بن مسلمه الفهرى، و على مقدمته يوم اقبل من دمشق أبا الاعور السلمى و كان على خيل أهل دمشق، و عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلّها، و مسلم بن عقبه المرىّ على رجاله أهل دمشق، و الضحاك بن قيس على رجاله النّاس كلها و بايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم فكان المعقلون خمسه صفوف و كانوا يخرجون و يصفون عشره صفوف و يخرج أهل العراق أحد عشر صفا

ص:٢٣٨

فخرجوا أول يوم من صفر(١) فاقتتلوا و على من خرج يومئذ من أهل الكوفه الاشتر و على أهل الشام حبيب بن مسلمه الفهرى و ذلك يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ثم تراجعوا و قد انتصف بعضهم من بعض.

«اليوم الثانى»

فلما كان يوم الخميس و هو اليوم الثانى من صفر، أخرج علىّ عليه السّلام هاشم بن عتبه بن أبى وقاص الزهرى المرقال فى خيل و رجال حسن عددها و عدتها و هو ابن أخى سد بن أبى وقاص و انما سمى المر قال لانه كان يرقل فى الحرب و كان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك و كان من شيعه علىّ عليه السّلام، فاخرج إليه معاويه أبا الاعور السلمى و هو سفيان بن عوف و كان من شيعه معاويه و المنحرفين عن علىّ عليه السّلام و كان بينهم الحرب سجالا يحمل الخيل على الخيل و الرّجال على الرّجال و انصرفوا فى آخر يومهم عن قتلى كثير.

«اليوم الثالث»

و أخرج علىّ عليه السّلام فى اليوم الثالث من صفر و هو يوم الجمعه أبا اليقظان عمار بن ياسر رضوان اللّه عليه فى عدّه من البدريين و غيرهم من المهاجرين و الأنصار فيمن شرع معهم من الناس، و أخرج إليه معاويه عمرو بن العاص فى تنوخ و نهر و غيرهما من أهل الشام فاقتتل الناس كأشد القتال و أخذ عمار يقول: يا أهل العراق أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى اللّه و رسوله و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما رأى اللّه عزّ و جلّ يعزّ دينه و يظهر رسوله أتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فاسلم و هو فيما نرى راهب غير راغب ثمّ قبض اللّه عزّ و جل رسوله صلّى اللّه عليه و آله فو اللّه إن زال بعده معروفا بعداوه المسلم و هواده المجرم فأثبتوا له و قاتلوه فإنه يطفىء نور اللّه و يظاهر اعداء اللّه عزّ و جل.

١- (١) فى تاريخ الطبرى: فخرجوا أول يوم من صفين. و الظاهر انه صحف من النساخ صفر بصفين و فى مروج الذهب و كتاب نصر بن مزاحم و تاريخ الطبرى و غيرها ما زبر فى المتن.

أقول: الظاهر ان كلمه إن فى قوله إن زال نافيه اى ما زال، ثم نقول قد مضى الكلام منا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى حق عمار انه ملىء ايمانا من قرنه إلى قدمه الحديث فهو صادق مصدق فى قوله ان معاويه كان كذا و كذا و ان اسلامه لم يكن عن رغبه بل عن رهبه لانه لما رأى اللّه عزّ و جلّ يعز دينه و يظهر رسوله اتى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأسلم و لما آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين نفر من أصحابه من المهاجرين آخى بين معاويه بن أبى سفيان و الحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاويه فى جلافته فأخذ معاويه ما ترك وارثه بهذه الاخوه فقال الفرزدق لمعاويه.

أبوك و عمّى يا معاوى أورثا تراثا فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته و ميراث حرب جامد لك ذائبه

و كذا كان اسلام أبيه أبى سفيان عن رهبه من المسلمين و لم يؤمن واقعا و ما نقلنا من عمار فى معاويه نقله أبو جعفر الطبرى فى تاريخه و غير واحد من حمله الاخبار و نقله الاثار.

فالعجب من شرذمه من المسلمين قائلين بانا نتوقف فى معاويه و لا نقول فيه شيئا بل نرى عن قوم بله فى تصانيفهم يترحمون له و يذكرونه بالخير و الرحمه، نعم من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور، و سيأتى من عمّار رحمه اللّه فى هؤلاء السفهاء كلام آخر، فلنعد إلى القصه.

فكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فامره أن يحمل فى الخيل فحمل و قاتله النّاس و صبروا له و شد عمار فى الرجال فازال عمرو بن العاص عن موقفه و بارز يومئذ زياد بن النضر أخا له لامه يقال له عمرو بن معاويه المنتفق بن عامر بن عقيل و كانت امهما امرأه من بنى يزيد فلما التقيا تعارفا فتوافقا ثمّ انصرف كل واحد منهما عن صاحبه و تراجع الناس.

«اليوم الرابع»

اشاره

و أخرج على عليه السّلام فى اليوم الرابع من صفر و هو يوم السبت، ابنه محمّد ابن

الحنفيه فى همدان و غيرها ممن خف معه من الناس فأخرج إليه معاويه عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى حمير و لخم و جذام فاقتتلوا كأشد القتال.

أقول: انما اشتهر محمّد بن علىّ عليه السّلام بابن الحنفيه لان امّه كانت خوله الحنفيه و حنيفه كان جدّها الاعلى و هى خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلمه بن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن ثعلبه بن الدؤل بن حنيفه بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ابن وائل.

و قال الشارح المعتزلى فى الجزء الأوّل من شرحه: و اختلف فى امر خوله فقال قوم انها سبيه من سبايا الردّه قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد فى أيام أبى بكر لما منع كثير من العرب الزكاه و ارتدت بنو حنيفه و ادعت نبوه مسيلمه و ان أبا بكر دفعها إلى علىّ عليه السّلام من سهمه فى المغنم.

و قال قوم منهم أبو الحسن علىّ بن محمّد بن سيف المدائنى هى سبيه فى أيام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قالوا بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السّلام إلى اليمن فاصاب خوله فى بنى زبيد و قد ارتدوا مع عمر بن معدى كرب و كانت زبيد سبّتها من بنى حنيفه فى غاره لهم عليهم فصارت فى سهم علىّ عليه السّلام فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان ولدت منك غلاما فسمّه باسمى و كنّه بكنيتى فولدت له بعد موت فاطمه عليها السلام محمّدا فكنّاه أبا القاسم.

و قال قوم و هم المحققون و قولهم الاظهر ان بنى اسد أغارت على بنى حنيفه فى خلافه أبى بكر فسبوا خوله بنت جعفر و قدموا بها المدينه فباعوها من على عليه السّلام و بلغ قومها خبرها فقدموا المدينه على علىّ عليه السّلام فعرفوها و اخبروه بموضعها منهم فاعتقها و مهرها و تزوّجها فولدت له محمّد فكنّاه أبا القاسم و هذا القول هو اختيار أحمد ابن يحيى البلاذرى فى كتابه المعروف بتاريخ الأشراف.

دفع أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الجمل رايته إلى ابنه محمّد ابن الحنفيه و قد استوت الصفوف و قال له احمل فتوقف قليلا فقال له احمل فقال يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كانها شابيب المطر فدفع فى صدره فقال ادركك عرق من امّك ثمّ أخذ الرايه فهزّها ثمّ قال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير فی الحرب إذا کم توقد

بالمشر فی و القنا المسدّد

و فی ماده «حنف» من سفینه البحار: و قریب منه ما فی المجلی لابن أبی جمهور الاحسائی لما حضرت السبی و قد ادخلت الحنفیه فیمن ادخل عدلت إلی تربه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فرنّت رنه و زفرت زفره و اعلنت بالبکاء و النحیب تشکو الیها ذلّ الاسر.

و قالت یا رسول اللّه نشکو الیک افعال هؤلاء القوم سبونا من غیر ذنب و نحن مسلمون.

ثمّ قالت أیها النّاس لم سبیتمونا و نحن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمّدا رسول اللّه؟ فقال أبو بکر منعتم الزکاه فقال لیس الأمر علی ما زعمت وهب الرجال منعوکم الزکاه فما بال النساء المسلمات تسبین.

ثمّ ذهب الیها طلحه و خالد یرمیان بالتزویج إلیها ثوبین فقالت لست بعریانه فتکسونی قیل انهما یریدان ان یتزایدا علیک فایّهما زاد علی صاحبه اخذک من السبی قالت هیهات و اللّه لا یکون ذلک ابدا و لا یملکنی و لا یکون لی ببعل إلاّ من یخبرنی بالکلام الّذی قتله ساعه خرجت من بطن امّی فسکت النّاس ینظر بعضهم إلی بعض و أخذ طلحه و خالد ثوبیهما و جلست الحنفیّه ناحیه من القوم فدخل علیّ ابن أبی طالب علیه السّلام فذکروا له حالها فقال هی صادقه فیما قالت و کان حالها و قصّتها کیت و کیت فی حال ولادتها و کلّ ذلک مکتوب علی لوح معها فرمت باللوح الیهم لما سمعت کلامه علیه السّلام فقراوها علی ما حکی أمیر المؤمنین علیه السّلام لا یزید حرفا و لا ینقص فقال أبو بکر خذها یا أبا الحسن بارک اللّه لک فیها فبعث علیّ علیه السّلام خوله إلی أسما بنت عمیس قال لها خذی هذه المرأه و اکرمی مثواها فلم تزل خوله عندها إلی ان قدم اخوها فتزوّجها أمیر المؤمنین علیه السّلام. انتهی و القصه بالتفصیل مذکوره فی المجلی فراجع(۱).

و لا یخفی ان فی صحه هذا النقل الاخیر کلاما و لو سلمنا و لا یبعدان یقال ان فیه بعض

۱- (۱) ص ۴۲۵ طبع طهران عاصمه ایران سنه ۱۳۲۹ ه ق.

زیادات کتکلّمها حین ولادتها و یمکن أن یکون فیها علامات ذکرها علیّ علیه السّلام فحرّف إلی هذه الصوره و اللّه تعالی اعلم.

فائده ادبیه

: تکتب الف الوصل من «ابن» خطّا فی سبعه مواضع الأوّل إذا اضیف إلی مضمر کقولک هذا ابنک. الثانی إذا نسب الی الاب الأعلی کقولک محمّد ابن شهاب التابعی فشهاب جدّ جدّه. الثالث إذا اضیف إلی غیر أبیه کقولک المقداد ابن الاسود، أبوه الحقیقی عمرو و الاسود جدّه و کقولک محمّد ابن الحنفیه فعلی علیه السّلام أبوه و الحنفیه امّه علی البیان الّذی دریت الرابع إذا عدل به عن الصفه إلی الخبر کقولک اظن زیدا ابن عمرو. الخامس إذا عدل به عن الصفه إلی نحو الاستفهام کقولک هل تمیم ابن عمرو. السادس إذ اثنی کقولک زید و عمرو ابنا محمّد. السابع إذا ذکرته دون اسم قبله کقولک جائنی ابن عبد اللّه.

و فی ما عداها تسقط الالف بین العلمین خطّا کما تسقط لفظا مطلقا إلّا ما اصطلح فی المطابع من انّه إذا وقعت کلمه ابن أوّل السطر تکتب الفها مطلقا، فلنعد إلی القصه.

ثمّ ان عبید اللّه بن عمر أرسل إلی ابن الحنفیه أن اخرج إلیّ فقال نعم ثمّ خرج یمشی فبصر به أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال من هذان المبارزان؟ فقیل ابن الحنفیه و عبید اللّه بن عمر فحرّک دابته ثمّ نادی محمّدا فوقف له فقال أمسک دابتی فامسکها ثمّ مشی الیه علیّ علیه السّلام فقال أبرز لک هلم الیّ فقال لیست لی فی مبارزتک حاجه فقال بلی فقال لا فرجع ابن عمر فاخذ ابن الحنفیّه یقول لأبیه یا أبت لم منعتنی من مبارزته فو اللّه لو ترکتنی لرجوت أن أقتله فقال لو بارزته لرجوت أن تقتله و ما کنت آمن أن یقتلک فقال یا أبت أو تبرز لهذا الفاسق و اللّه لو أبوه سألک المبارزه لرغبت بک عنه فقال علیّ علیه السّلام یا بنی لا تقل فیه إلّا خیرا.

ثمّ إن الناس تجاجزوا و تراجعوا قال المسعودی: فاقتتلوا فی ذلک الیوم و کانت علی أهل الشام و نجا ابن عمر فی آخر النهار هربا.

ص:۲۴۳

أقول إنّما لحق عبيد اللّه بن عمر بمعاويه خوفا من علىّ عليه السّلام أن يقيده بالهرمزان و ذلک أن ابا لؤلؤه غلام المغيره بن شعبه قاتـل عمر کـان فی أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شـد عبيـد اللّه على الهرمزان فقتله و کـذلک قتل جفينه و ابنه أبی لؤلؤه و قـال لا أترک بالمـدينه فارسـيا و لا فی غيرهـا إلاّ قتلته و کان الهرمزان عليلا فی الوقت الّذی قتل فيه عمر فلما صارت الخلافه إلى علىّ عليه السّلام اراد قتل عبيد اللّه ابن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ إلى معاويه.

و فی تاريـخ الطبرى لمـا بويع لعثمـان بالخلافه دعا عبيـد اللّه بن عمرو کان محبوسا فی دار سـعد بن أبی وقاص و هو الّذی نزع السـيف مـن يـده بعـد قتلـه جفينه و الهرمزان و ابنه أبی لؤلـؤه و کـان يقـول و اللّه لأقتلن رجالا ممّن شـرک فی دم أبی يعرض بالمهاجرين و الأنصار فقام اليه سـعد فنزع السيف من يده و جذب شعره حتّى أضجعه إلى الأرض و حبسه فی داره حتّى أخرجه عثمان اليه فقال عثمان لجماعه من المهاجرين و الأنصار أشـيروا علىّ فی هـذا الّذی فتق فی الأسـلام ما فتق «يعنى به عبيد اللّه بن عمر» فقـال على عليه السّلام أرى أن تقتله فقـال بعض المهـاجرين قتـل عمر امس و يقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن اللّه قد أعفاک أن يکون هذا الحدث کان و لک على المسـلمين سلطان انما کان هذا الحدث و لا سلطان لک. قال عثمان أنا وليهم و قد جعلتها ديه و احتملتها فی مالى.

و قال الطبرى باسـناده إن عبد الرحمن بن أبی بکر قال غداه طعن عمر مررت على أبی لؤلؤه عشى أمس و معه جفينه و الهرمزان و هم نجى فلما رهقتهم ثاروا و سـقط منهم خنجر له رأسان نصابه فی وسـطه فانظروا بأى شـىء قتل و قـد تخلل أهل المسـجد و خرج فی طلبه رجل من بنى تميم فرجع إليهم التميمى و قد کان ألظ بأبی لؤلؤه منصرفه عن عمر حتّى أخذه فقتله و جاء بالخنجر الّذی وصف عبـد الرحمن بن أبی بکر فسـمع بـذلک عبيـد اللّه بن عمر فأمسـک حتّى مـات عمر ثمّ اشـتمل على السـيف فـأتى الهرمزان فقتله فلمّا عضّه السـيف قال لا إله إلا اللّه ثمّ مضـى حتّى أتى جفينه و کان نصـرانيا من أهل الحيره ظئرا لسعد بن مالک أقدمه إلى المدينه للصلح الّذی بينه و بينهم و ليعلّم بالمدينه الکتابه فلمّا علاه بالسيف صلب بين عينيه و بلغ ذلک صهيبا فبعث

إليه عمرو بن العاص فلم يزل به و عنه و يقول السيف بأبى و امى حتّى ناوله إياه و ثاوره سعد فأخذ بشعره و جاءوا إلى صهيب.

و قال كتب إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن أبى منصور قال سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه الهرمزان قال كانت العجم بالمدينه يستروح بعضها إلى بعض فمرّ فيروز «و هو أبو لؤلؤه» بأبى و معه خنجر له رأسان فتناوله منه و قال ما تصنع بهذا فى هذه البلاد فقال أبس به فرآه رجل فلما اصيب عمر قال رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيد اللّه فقتله فلمّا ولّى عثمان دعانى فأمكننى منه ثمّ قال يا بنى هذا قاتل أبيك و أنت اولى به منا فاذهب فاقتله فخرجت به و ما فى الأرض أحد إلّا معى إلّا أنّهم يطلبون إلى فيه فقلت لهم ألى قتله؟ قالوا نعم و سبوا عبيد اللّه فقلت أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا لا و سبوه فتركته للّه و لهم فاحتملونى فو اللّه ما بلغت المنزل إلا على رءوس الرجال و أكفهم.

و فى البحار كما فى السفينه: عبيد اللّه بن عمر قتل هرمزان مولى على عليه السّلام فأراد على عليه السّلام قتله فامتنع عثمان من تسليمه فلمّا صارت الخلافه لعلى عليه السّلام لحق عبيد اللّه بمعاويه و قتل بصفين.

و فيه أيضا قال ابن الأثير فى الكامل و ابن عبد البر فى الاستيعاب و صاحب روضه الأحباب و كثير من أرباب السير: قتل عبيد اللّه بن عمر بأبيه ابنه أبى لؤلؤه و قتل جفينه و الهرمزان و اشار علىّ على عثمان بقتله بهم فأبى.

و قال ابن أبى جمهور الاحسائى فى المجلى: و من قوادح عثمان قصه قتل الهرمزان و ذلك ان الهرمزان كان من عظماء فارس و كان قد اسر فى بعض الغزوات و جىء به إلى المدينه فأخذه على عليه السّلام فاسلم على يديه فاعتقه على عليه السّلام و كان عمر قد منعه من قسمه الفىء فلم يعطه منه شىء بسبب ميله الى على عليه السّلام فلمّا ضرب عمر فى غلس الصبح و اشتبه الأمر فى ضاربه سمع ابنه عبيد اللّه قوم يقولون قتله العلج فظن أنّهم يعنون الهرمزان فبادر عبيد اللّه اليه فقتله قبل أن يموت عمر فسمع عمر بما فعله ابنه فقال قد أخطأ عبيد اللّه إن الّذى ضربنى أبو لؤلؤه و ان عشت لأقيدنه به فان عليا عليه السّلام لا يقبل منه الديه و هو موليه.

ص:۲۴۵

فلمّا مات عمر و تولى عثمان طالبه على عليه السّلام بقود عبيد اللّه و قال انّه قتل مولاى ظلما و أنا وليه فقال عثمان قتل بالأمس عمرو اليوم تقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى علىّ عليه السّلام و منع عليّا حقه ظلما و عدوانا و لهذا قال على عليه السّلام لئن أمكننى الدهر منه يوما لأقتلنه به.

فلما ولى علىّ عليه السّلام هرب عبيد اللّه منه إلى الشام و التجأ إلى معاويه و خرج معه إلى حرب صفين فقتله علىّ عليه السّلام فى حرب صفين.

فانظر إلى عثمان كيف عطل حق علىّ عليه السّلام و خالف الكتاب و السنه برأيه و اللّه تعالى يقول «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً » انتهى كلامه.

و لا يخفى على البصير فى احكام خاتم النبيين و العارف بشريعه سيد المرسلين ان القصاص يجب أن يكون بمثل ما عمل من الجنس و المقدار و الصفه لانه دين عدل ليقوم الناس بالقسط فلا يجوز معاقبه أحد على وجه المجازاه بأكثر ما جنى. قال عزّ من قائل «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ » (البقره الايه ١٩٢).

و قال عزّ من قائل: «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ » (النحل الايه ١٢٨).

قال ابن هشام فى السيره فى قتلى احد و تمثيل هند بنت عتبه زوج أبى سفيان بحمزه بن عبد المطلب اسد اللّه و اسد رسوله رضوان اللّه عليه:

إن هندا و النسوه اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجدّ عن الاذان و الانف حتّى اتخذت هند من آذان الرّجال و انفهم خدما و قلائد و اعطت خدمها و قلائدها و قرطها وحشيّا غلام جبير بن مطعم قاتل حمزه رضوان اللّه عليه و بقرت عن كبد حمزه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، إلى أن قال:

و خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يلتمس حمزه بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثّل به فجدع أنفه و اذناه، إلى أن قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين رأى ما رأى و لئن أظهرنى اللّه على قريش فى موطن من المواطن لامثلنّ بثلاثين رجلا منهم فلمّا رأى المسلمون حزن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غيظه على من فعل بعمّه ما فعل قالوا و اللّه لئن أظفرنا اللّه بهم يوما من الدهر لنمثّلن

بهم مثله لم يمثّلها احد من العرب، إلى أن قال:

إنّ اللّه عزّ و جل أنزل فى ذلك من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قول أصحابه «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاّ بِاللّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ » فعفا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صبر و نهى عن المثله.

و فى مجمع البيان: قال المسلمون لئن أمكننا اللّه منهم لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الايه. و قيل إن الايه عامه فى كلّ ظلم كغصب أو نحوه فانما يجازى بمثل ما عمل.

و فى تفسير الصافى للفيض (ره) و عن النبى صلّى اللّه عليه و آله انّه قال يوم احد من له علم بعمّى حمزه فقال الحرث الصمت أنا أعرف موضعه فجاء حتّى وقف على حمزه فكره أن يرجع إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيخبره فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السّلام يا على اطلب عمّك فجاء على عليه السّلام فوقف على حمزه فكره أن يرجع إليه فجاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى وقف عليه فلما رأى ما فعل به بكى ثمّ قال ما وقفت موقفا قط اغيظ علىّ من هذا المكان لئن أمكننى اللّه من قريش لامثّلن سبعين رجلا منهم فنزل عليه جبرئيل عليه السّلام فقال و ان عاقبتم الايه.

و العياشى عن الصادق عليه السّلام لما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما صنع بحمزه بن عبد المطلب قال اللّهم لك الحمد و اليك المشتكى و انك المستعان على ما نرى ثمّ قال لئن ظفرت لامثلن و امثلن قال فانزل اللّه و إن عاقبتم الايه.

و بالجمله و عبيد اللّه بن عمر لم يكن فى قتل الهرمزان و جفينه و ابنه أبى لؤلؤه بمصاب و ما عمله إلاّ التجاوز عن النهج القويم و المخالف عن الكتاب الكريم و عليه أن يعاقب أبا لؤلؤه بمثل ما عوقب به فقط مع أن فيروز أبا لؤلؤه لما طعن عمر نحر نفسه وقتئذ أيضا كما قال المسعودى فى مروج الذهب: أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثمّ قعد لعمر فى زاويه من زوايا المسجد فى الغلس و كان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس فمرّ به فثار إليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهنّ تحت سرّته و هى

الّتى قتلته و طعن إثنى عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم سته و بقى سته و نحر نفسه بخنجره فمات فأنى لابن عمر أن يقتل غير واحد من الناس.

قال الطبرى: و كان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد اللّه بن عمر قال:

الا يا عبيد اللّه مالك مهرب و لا ملجأ من ابن أروى و لا خفر

اصبت دما و اللّه فى غير حلّه حراما و قتل الهرمزان له خطر

على غير شىء غير أن قال قائل أ تتهمون الهرمزان على عمر

فقال سفيه و الحوادث جمه نعم أتّهمه قد أشار و قد أمر

و كان سلاح العبد فى جوب بيته يقلّبها و الأمر بالأمر يعتبر

فشكا عبيد اللّه بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد و شعره فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه فأنشأ زياد يقول فى عثمان:

أبا عمرو عبيد اللّه رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان

فانك إن غفرت الجرم عنه و أسباب الخطا فرسا رهان

أ تعفو إذ عفوت بغير حقّ فمالك بالّذى تحكى يدان

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه و شذبه.

ثمّ إن الهرمزان كان ملك فارس و فى تاريخ الطبرى كان الهرمزان أحد البيوتات السبعه فى أهل فارس و كانت أمته مهر جان قذق و كور الأهواز فهولاء بيوتات دون سائر أهل فارس، و الهرمزان انهزم فى خلافه عمر من المسلمين غير مره و نقض العهد كلّ مره و حارب المسلمين إلى أن حاصره و جنده المسلمون فى قلعه بتستر فأخذوه و شدوه وثاقا على التفصيل الّذى ذكر فى السير و التواريخ فاتوا به فى المدينه عند عمر و قال له عمر ما عذرك و حجتك فى انتقاضك مره بعد مره فقال أخاف أن تقتلنى قبل أن اخبرك. قال: لا تخف ذلك و استسقى ماء فاتى به فى قدح غليظ فقال لومت عطشا لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا فاتى به فى إناء يرضاه فجعلت يده ترجف و قال إنى أخاف أن اقتل و أنا أشرب الماء. فقال عمر لا بأس عليك حتّى تشربه فأكفاه

فقـال عمر أعيـدوا عليه و لاـ تجمعوا عليه القتـل و العطش فقـال لا حاجه لى فى الماء إنّما اردت أن أستأمن به فقال له عمر إنى قاتلك قد آمنتنى. قال خدعتنى إن للمخدوع فى الحرب حكمه لا و اللّه لا او منك حتى تسلم فايقن أنّه القتل أو الاسلام فأسلم ففرض له على الفين و أنزله المدينه.

و فى البحار نقلا عن المناقب كما فى سفينه البحار: أن عمر اراد قتل الهرمزان فاستسقى فاتى بقـدح فجعل ترعديده فقال له فى ذلك فقال إنّى خائف أن تقتلنى قبل أن أشربه فقال اشرب و لا بأس عليك فرمى القدح من يده فكسره فقال ما كنت لأشربه أبدا و قد أمنتنى فقال قاتلك اللّه لقد أخذت أمانا و لم اشعر به.

ثمّ قال و فى روايتنا أنه شكى ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فدعا اللّه تعالى فصار القدح صحيحا مملوّا من الماء فلمّا رأى الهرمزان المعجز أسلم.

و أبو لؤلؤه كان اسمه فيروز و لقبه بابا شجاع الدين و كان النهاوندى الأصل و المولد و تنوزع فى مذهبه.

قـال المسعودى فى مروج الـذهب: و كان عمر لا يترك احدا من العجم يـدخل المـدينه فكتب اليه المغيره بن شعبه أن عنـدى غلاما نقاشا نجارا حـدّادا فيه منافع لأهل المـدينه فان رأيت أن تأذن لى فى الارسال به فعلت فأذن له و قد كان المغيره جعل عليه كلّ يوم درهمين و كان يدعى أبا لؤلؤه و كان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ما شاء اللّه ثمّ أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه فقال له عمر و ما تحسن من الاعمال؟ قال نقاش نجار حـداد فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الأعمال فمضـى عنه و هو مـدبر قال ثمّ مرّ بعمر يوما آخر و هو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت؟ فقال أبو لؤلؤه لأصـنعن لك رحا يتحدّث الناس بها و مضـى أبو لؤلؤه. فقال أمّا العلج فقد توعدنى آنفا فلمّا أزمع بالّذى أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثمّ قعد لعمر فى زاويه من زوايا المسجد إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا.

و فى سفينه البحار: الّذى رأيت فى بعض الكتب أن أبا لؤلؤه كان غلام المغيره

ص:۲۴۹

ابن شعبه اسمه الفیروز الفارسی اصله من نهاوند فأسرته الروم و اسره المسلمون من الروم و لذلک لما قدم سبی نهاوند إلی المدینه فی السنه الحادیه و العشرین کان أبو لؤلؤه لا یلقی منهم صغیرا إلا مسح رأسه و بکی و قال له اکل رمع کبدی و ذلک لأن الرجل «یعنی به عمر» وضع علیه من الخراج کلّ یوم درهمین فثقل علیه الامر فأتی إلیه فقال له الرجل «ای عمر» لیس بکثیر فی حقک فانّی سمعت عنک أنک لواردت أن تدیر الرحی بالریح لقدرت علی ذلک فقال أبو لؤلؤه لادیرن لک رحی لا تسکن إلی یوم القیامه، فقال إن العبد قد أوعد و لو کنت اقتل أحدا بالتهمه لقتلته و فی خبر آخر قال له أبو لؤلؤه لأعملن لک رحی یتحدّث بها من بالمشرق و المغرب ثمّ انّه قتله بعد ذلک.

ثمّ نقل عن بعض الاعلام: أن فیروز هذا قد کان من أکابر المسلمین و المجاهدین بل من خلّص اتباع أمیر المؤمنین علیه السّلام و کان أخا لذکوان و هو أبو أبی الزناد عبد اللّه ابن ذکوان عالم أهل المدینه بالحساب و الفرائض و النحو و الشعر و الحدیث و الفقه فراجع الاستیعاب.

و قال الذهبی فی کتابه المختصر فی الرجال: عبد اللّه بن ذکوان أبو عبد الرحمن هو الامام أبو الزناد المدنی مولی بنی امیه و ذکوان هو أخو أبی لؤلؤه قاتل عمر ثقه ثبت روی عنه مالک و السفیانان مات فجأه فی شهر رمضان فی السنه الحادیه و الثلاثین بعد المأه. ثم قال قال صاحب الریاض و هذا أجلی دلیل علی کون فیروز المذکور من الشیعه و حینئذ فلا اعتماد بما قاله الذهبی من أن أبا لؤلؤه کان عبدا نصرانیا لمغیره ابن شعبه و کذا لا اعتداد بما قاله السیوطی فی تاریخ الخلفاء من أن أبا لؤلؤه کان عبدا لمغیره و یصنع الأرحاء ثمّ روی عن ابن عباس أن أبا لؤلؤه کان مجوسیّا.

ثمّ إن فی المقام کلام آخر و هو أن النّبی صلّی اللّه علیه و آله قد أمر باخراج مطلق الکفار من مکه و المدینه فضلا عن مسجدهما و العامه قد نقلوا ذلک و أذعنوا بصحه الخبر الوارد فی ذلک الباب فاذا کان أبو لؤلؤه نصرانیا مجوسیا کیف رخّصه عمر فی أیام خلافته أن یدخل مدینه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من غیر مضایقه و لا نکیر فضلا عن مسجده

و هـذا منه إمّـا يـدلّ على عـدم مبالاـته فى الـدين او على عـدم صـحه ما نسـبوه اليه و لو تنزلنا عن ذلك نقول كان أوّل أمره من الكفار و من مجوس بلاد نهاوند ثمّ تشرف بعد بدين الاسلام انتهى ما أردنا نقله من السفينه.

و هذا جمله الأقوال فى قتل عبيد اللّه بن عمر الهرمزان و مذهب أبى لؤلؤه و سبب قتله عمرو عله لحوق عبيد اللّه بمعاويه.

و سيأتى ان عليّا عليه السّلام فى الصفين نادى عبيد اللّه بن عمر و قال له ويحك يا ابن عمر علام تقتلنى و اللّه لو كان أبوك حيا ما قاتلنى قال اطلب بدم عثمان، قال عليه السّلام أنت تطلب بدم عثمان و اللّه يطلب بدم الهرمزان، و لنعد إلى القصه.

اليوم الخامس

و اخرج علىّ عليه السّلام فى اليوم الخامس من صفر و هو يوم الاحد عبد اللّه بن عباس فاخرج إليه معاويه الوليد بن عقبه بن أبى معيط فاقتتلوا قتالا شديدا، و دنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبه فاخذ الوليد يسب بنى عبد المطلب و اخذ يقول يا ابن عبّاس قطعتم أرحامكم و قتلتم إمامكم «يعنى به عثمان بن عفان» فكيف رأيتم اللّه صنع بكم لم تعطوا ما طلبتم و لم تدركوا ما أملتم و اللّه إن شاء اللّه مهلككم و ناصـر عليكم، فأرسل إليه ابن عباس أن ابرز لى يا صـفوان و كان صـفوان لقب الوليد فأبى و قاتل ابن عباس يومئذ قتالا شديدا و غشى الناس بنفسه و كانت الغلبه لابن عباس و كان يوما صعبا.

اليوم السادس

و اخرج علىّ عليه السّـلام فى اليوم السادس من صـفر و هو يوم الاثنين سـعيد بن قيس الهمدانى و هو سـيد همدان يومئذ فاخرج إليه معاويه ذا الكلاع فاقتتلا قتالا شديدا و كانت بينهما إلى آخر النهار و اسفرت عن قتلى و انصرف الفريقان جميعا.

اليوم السابع

و أخرج علىّ عليه السّـلام فى اليوم السـابع و هو يوم الثلاثـاء الاشتر رضوان اللّه عليه فى النخع و غيرهم فاخرج إليه معاويه حبيب بن مسلمه الفهرى فكانت بينهم سجالا

و صبر كلا الفريقين و تكاثروا و توافقوا للحرب و اسفرت عن قتلى منهما و الجراح فى أهل الشام اعمّ و قال الطبرى انصرفا عند الظهر و كل غير غالب.

قال الطبرى قال أبو مخنف: حدثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب أن عليّا عليه السّلام قال حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا فقام فى الناس عشيه الثلاثاء ليله الاربعاء بعد العصر فقال: الحمد للّه الذى لا يبرم ما نقض و ما أبرم لا ينقضه الناقضون لو شاء ما اختلف إثنان من خلقه و لا تنازعت الامه فى شيء من أمره و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله و قد ساقتنا و هؤلاء القوم الاقدار فلفت بيننا فى هذا المكان فنحن من ربنا بمرأى و مسمع و لو شاء عجل النقمه و كان منه التغيير حتّى يكذب اللّه الظالم و يعلم الحق أين مصيره و لكنه جعل الدنيا دار الاعمال و جعل الاخره عنده هى دار القرار ليجزى الّذين أساؤا بما عملوا و يجزى الّذين أحسنوا بالحسنى ألا إنّكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليله القيام و أكثروا تلاوه القرآن و سلوا اللّه عزّ و جلّ النصر و الصبر و القوهم بالجد و الحزم و كونوا صادقين.

ثمّ انصرف و وثب الناس إلى سيوفهم و رماحهم و نبالهم يصلحونها و مرّ بهم كعب بن جعيل التغلبى و هو يقول:

أصبحت الامّه فى أمر عجب و الملك مجموع غدا لمن غلب

فقلت قولا صادقا غير كذب إن غدا تهلك أعلام العرب

أقول: لما بلغت إلى قول ولى اللّه الأعظم و مظهره الاكمل الاتم أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام روحى له الفداء و نفسى له الوقاء: «فاطيلوا القيام و اكثروا تلاوه القرآن» اذكرنى قول من ربى فى حجره و نشأ من عنده و الولد سرّ أبيه مولانا أبى عبد اللّه الحسين بن علىّ سلام اللّه عليه و على اعوانه و انصاره و الارواح التى حلّت بفنائه: و هو كما ذكره أبو جعفر الطبرى فى تاريخه و الشيخ الجليل محمّد بن محمّد بن النعمان الملقب بالمفيد رحمه اللّه فى إرشاده و غيرهما من علماء الفريقين فى كتبهم مع اختلاف يسير فى بعض الالفاظ:

انّ عشيه الخميس لتسع مضين من المحرم ۶۱ من الهجره نادى عمر بن

عمر بن سعد یا خیل اللّه ارکبی و أبشری فرکب فی الناس ثمّ زحف نحوهم بعد صلاه العصر و حسین جالس أمام بیته محتبیا بسیفه إذ خفق برأسه علی رکبتیه و سمعت اخته زینب الصیحه فدنت من أخیها فقالت یا أخی أما تسمع الاصوات قد اقتربت فرفع الحسین علیه السّلام رأسه فقال إنی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الساعه فی المنام فقال لی إنک تروح إلینا قال فلطمت اخته وجهها و قالت یا ویلتا فقال لیس لک الویل یا اخیّتی اسکنی رحمک الرحمن، ثمّ قال له العبّاس بن علیّ علیه السّلام یا أخی أتاک القوم فنهض ثمّ قال یا عباس ارکب بنفسی أنت یا أخی حتی تلقاهم فتقول لهم مالکم و ما بدا لکم و تسألهم عما جاء بهم فاتاهم العباس فاستقبلهم فی نحو من عشرین فارسا فیهم زهیر بن القین و حبیب بن مظاهر فقال لهم العباس ما بدا لکم و ما تریدون قالوا قد جاء أمر الامیر بأن نعرض علیکم أن تنزلوا علی حکمه أو ننازلکم قال فلا تعجلوا حتی أرجع إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام فأعرض علیه ما ذکرتم فوقفوا ثمّ قالوا ألقه فأعلمه ذلک ثم القنا بما یقول فانصرف العباس راجعا یرکض إلی الحسین علیه السّلام یخبره بالخبر و وقف أصحابه یخاطبون القوم و یعظونهم و یکفونهم عن قتال الحسین علیه السّلام فجاء العباس إلی الحسین علیه السّلام فأخبره بما قال القوم، فقال علیه السّلام ارجع إلیهم فان استطعت أن تؤخرهم إلی غدوه و تدفعهم عنّا العشیه لعلّنا نصلّی لربّنا اللیله و ندعوه و نستغفره فهو یعلم أنی قد کنت احبّ الصلاه له و تلاوه کتابه و کثره الدعاء و الاستغفار.

و انظر ایها الاخ الکریم إلی سیره اولیاء اللّه کیف یلجئون إلی اللّه و یفزعون إلیه و یدعونه و یسجدون له و یعبدونه و یستغفرونه حتّی فی هزائز الامور و شدائد الاحوال، ألا بذکر اللّه تطمئن القلوب فهؤلاء الموحدون المتألهون الفانون فی اللّه شأنهم اجلّ و قدرهم أعظم عن أن یقاتلوا فی غیر اللّه او ان یعملوا عملا لغیر رضا اللّه و بذلک فلیعمل العاملون و یبقظ النائمون و لنعد إلی القصه:

فلما کان من اللیل خرج علیّ علیه السّلام فعبّی الناس لیلته کلها حتی إذا أصبح زحف بالنّاس و خرج إلیه معاویه فی أهل الشام فاخذ علیّ علیه السّلام یقول من هذه

ص:۲۵۳

القبيله و من هذه القبيله؟ فنسبت له قبائل أهل الشام حتى إذا عرفهم و رأى مراكزهم قال للازد اكفونى الازد و قال لخثعم اكفونى خثعم و أمر كل قبيله من أهل العراق أن تكفيه اختها من أهل الشام إلا ان تكون قبيله ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيله اخرى تكون بالشام ليس منهم بالعراق واحد مثل بجيله لم يكن منهم بالشام الاعدد قليل فصرفهم إلى لخم ثم تناهض الناس يوم الاربعاء و هو اليوم الثامن من صفر فاقتتلوا قتالا شديدا نهارهم كلّه ثمّ انصرفوا عند المساء و كلّ غير غالب.

اليوم الثامن

فى مروج الذهب للمسعودى: و خرج فى اليوم الثامن و هو يوم الأربعاء علىّ عليه السّلام بنفسه فى الصحابه من البدريين و غيرهم من المهاجرين و الانصار و ربيعه و همدان، و قال ابن عباس رأيت فى هذا اليوم عليّا و عليه عمامه بيضاء و كان عينيه سراجا سليط و هو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم و يحرضهم حتى انتهى الىّ و أنا فى كثيف من الناس فقال عليه السّلام يا معشر المسلمين عموا الاصوات و اكملوا اللامه و استشعروا الخشيه و اقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السله و الحظوا الشزر و اطعنوا الهبر و نافحوا الصبا و صلوا السيف بالخطاء و النبال بالرماح و طيبوا عن أنفسكم أنفسنا فانكم بعين اللّه و مع ابن عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عاودوا الكرّ و استقبحوا الفرّ فانه عار فى الاحقاب و نار يوم الحساب و دونكم هذا السواد الأعظم و الرواق المطنب فاضربوا نهجه فان الشيطان راكب صعيده معترض ذراعيه قد قدّم للوثبه يدا و اخّر للنكوص رجلا فصبرا جميلا- حتّى تنجلى عن وجه الحق و أنتم الأعلون و اللّه معكم و لن يتركم اعمالكم، و تقدم علىّ عليه السّلام للحرب على بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الشهباء و خرج معاويه فى عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء و كلّ غير ظافر.

أقول كلامه عليه السّلام هذا مذكور فى نهج البلاغه فى باب الخطب مع اختلاف فى بعض العبارات و الجمل و أوله فى نهج البلاغه: معاشر المسلمين استشعروا الخشيه و تجلببوا السكينه و عضّوا على النواجذ إلى آخره و لنعد إلى القصه:

و فی تاریخ الطبری قال أبو مخنف حدثنی مالک بن أعین عن زید بن وهب الجهنی أن علیّا علیه السّلام خرج إلیهم غداه الاربعاء فاستقبلهم فقال:

اللهم رب السقف المرفوع المحفوظ المکفوف الّذی جعلته مغیضا للّیل و النهار و جعلت فیه مجری الشمس و القمر و منازل النجوم و جعلت سکانه سبطا من الملائکه لا یسأمون العباده و ربّ هذه الأرض التی جعلتها قرارا للأنام و الهوام و الانعام و ما لا یحصی مما لا یری و مما یری من خلقک العظیم و ربّ الفلک التی تجری فی البحر بما ینفع الناس و ربّ السحاب المسخر بین السماء و الأرض و ربّ البحر المسجور المحیط بالعالم و ربّ الجبال الرواسی التی جعلتها للأرض أوتادا و للخلق متاعا إن أظهرتنا علی عدوّنا فجنّبنا البغی و سددنا للحق و إن أظهرتهم علینا فارزقنی الشهاده و اعصم بقیه أصحابی من الفتنه.

و ازدلف الناس یوم الاربعاء فاقتتلوا کأشد القتال یومهم حتی اللیل لا ینصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاه و کثرت القتلی بینهم و تحاجزوا عند اللیل و کل غیر غالب.

أقول: کلامه علیه السّلام هذا مذکور أیضا فی نهج البلاغه فی باب الخطب مع تفاوت یسیر أوله: اللهم رب السقف المرفوع و الجو المکفوف الّذی جعلته مغیضا للّیل و النهار و مجری للشمس و القمر إلی آخره، و لنعد إلی القصه:

الیوم التاسع

اشاره

قال الطبری فاصبحوا من الغد غداه الخمیس و هو الیوم التاسع فصلّی بهم علیّ علیه السّلام غداه الخمیس فغلس بالصلاه اشدّ التغلیس، و قال أبو مخنف حدثنی عبد الرحمن ابن جندب الازدی عن أبیه قال ما رأیت علیّا علیه السّلام غلّس بالصلاه أشدّ من تغلیسه یومئذ.

أقول: الغلس محرکه کفرس: ظلمه آخر اللیل إذا اختلطت بضوء الصباح و فی النهایه الاثیریه انه صلّی اللّه علیه و آله کان یصلی الصبح بغلس و التغلیس: السیر بغلس یقال غلسنا الماء أی وردناه بغلس و منه حدیث الافاضه کنا نغلس من جمع

إلى منى أى نسير إليها ذلك الوقت كما فى النهايه و غلسنا الصلاه إذا فعلناها بغلس فالمراد أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام صلى بهم صلاه الصبح فى ذلك اليوم فى وقت كان اقدم من سائر أيامه الماضيه، فلنعد إلى القصه.

ثمّ بدأ أهل الشام بالخروج فلمّا رأى علىّ عليه السّلام و جنوده انهم اقبلوا اليهم، خرجوا اليهم بوجوههم و على ميمنتهم عبد اللّه بن بديل و على ميسرتهم عبد اللّه بن عبّاس و قراء أهل العراق مع ثلاثه نفر مع عمار بن ياسر و مع قيس بن سعد و مع عبد اللّه بن بديل و الناس على راياتهم و مراكزهم و على عليه السّلام فى القلب فى أهل المدينه بين أهل الكوفه و أهل البصره و عظم من معه من أهل المدينه الانصار و معه من خزاعه عدد حسن و من كنانه و غيرهم من أهل المدينه ثمّ زحف اليهم بالناس.

و رفع معاويه قبه عظيمه قد ألقى عليها الكرابيس و بايعه عظم الناس من أهل الشام على الموت و بعث خيل أهل دمشق فاحتاطت بقبته و زحف عبد اللّه بن بديل فى الميمنه نحو حبيب بن مسلمه فلم يزل يحوزه و يكشف خيله من الميسره حتّى اضطرّهم إلى قبه معاويه عند الظهر.

قال أبو مخنف حدثنى مالك بن اعين عن زيد بن وهب الجهنى أن ابن بديل قام فى أصحابه فقال: ألا إن معاويه ادعى ما ليس أهله و نازع هذا الأمر من ليس مثله و جادل بالباطل ليدحض به الحقّ وصال عليكم بالاعراب و الأحزاب قد زين لهم الضلاله و زرع فى قلوبهم حبّ الفتنه و لبّس عليهم الأمر و زادهم رجسا إلى رجسهم و أنتم على نور من ربكم و برهان مبين فقاتلوا الطغاه الجفاه و لا تخشوهم فكيف تخشونهم و فى أيديكم كتاب اللّه عزّ و جلّ طاهرا مبرورا «أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ » و قد قاتلناهم مع النّبى صلّى اللّه عليه و آله مره و هذه ثانيه و اللّه ما هم فى هذه بأتقى و لا ازكى و لا أرشد قوموا إلى عدوّكم بارك اللّه عليكم فقاتل قتالا شديدا هو و أصحابه.

ص:۲۵۶

قال أبو مخنف حدّثنی عبد الرحمن بن أبی عمره الأنصاری عن أبيه و مولی له أن عليّا عليه السّلام حرض النّاس يوم صفين فقال إن اللّه عزّ و جل قد دلكم علی تجاره تنجيكم من عذاب اليم تشفی بكم علی الخير الايمان باللّه عزّ و جلّ و برسوله صلّی اللّه عليه و آله و الجهاد فی سبيل اللّه تعالی ذكره و جعل ثوابه مغفره الذنب و مساكن طيبه فی جنات عدن ثمّ أخبركم أنه يحبّ الّذين يقاتلون فی سبيله صفّا كأنهم بنيان مرصوص فسوّوا صفوفكم كالبيان المرصوص و قدموا الدارع و أخر و الحاسر و عضوا علی الأضراس فانّه أبنا للسيوف عن الهام و التووا فی اطراف الرماح فانه اصون للأسنه و غضوا الابصار فانه اربط للجاش و اسكن للقلوب و اميتوا الأصوات فانه اطرد للفشل و اولی بالوقار، راياتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلا بايدی شجعانكم فان المانع للذمار و الصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الّذين يحفون براياتهم و يكنفونها يضربون حفافيها خلفها و امامها و لا يضعونها اجزأ امرؤ و قد قرنه رحمكم اللّه و آسی أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلی أخيه فيكسب بذلك لائمه و يأتی به دناءه و أنی لا يكون هذا هكذا و هذا يقاتل اثنين و هذا ممسك بيده يدخل قرنه علی اخيه هاربا منه او قائما ينظر اليه من يفعل هذا يمقته اللّه عزّ و جل فلا تعرّضوا لمقت اللّه سبحانه فانما مردّكم الی اللّه قال اللّه عزّ من قائل لقوم «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت او القتل و إذا لا تمتعون إلّا قليلا» و ايم اللّه لئن سئلتم «سلمتم ظ» من سيف العاجله لا تسلمون من سيف الاخره استعينوا بالصدق و الصبر فان بعد الصبر ينزل اللّه النصر.

أقول كلامه عليه السّلام هذا مذكور فی نهج البلاغه فی باب الخطب مع اختلاف فی الكم و بعض الالفاظ و الجمل و اوّله: فقدّموا الدارع و أخروا الحاسر و عضّوا علی الاضراس فانه ابنا للسيوف إلی آخره و لنعد إلی القصه:

قال المسعودی فی مروج الذهب: و خرج فی اليوم التاسع عليّ و هوم يوم الخميس و خرج معاويه فاقتتلوا إلی ضحوه من النهار و برز أمام الناس عبيد اللّه بن عمر ابن الخطاب فی أربعه آلاف من الحضريه معمّمين بشق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان و ابن عمر يقدمهم و هو يقول:

أنا عبيد اللّه ينمينى عمر خير قريش من مضى و من غبر

غير نبى اللّه و الشيخ الأغر قد أبطأت فى نصر عثمان مضر

و الربعيون فلا أسقوا المطر

فناداه علىّ ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى و اللّه لو كان أبوك حيا ما قاتلنى.

قال: أطلب بدم عثمان. قال عليه السّلام أنت تطلب بدم عثمان و اللّه يطلبك بدم الهرمزان.

و أمر علىّ عليه السّلام الأشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه و هو يقول:

إنّى أنا الأشتر معروف السير إنّى أنا الأفعى العراقى الذكر

لست من الحى ربيع او مضر لكننى من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد اللّه و لم يبارزه و كثرت القتلى يومئذ قال الطبرى: قال أبو مخنف حدّثنى أبو روق الهمدانى أن يزيد بن قيس الأرحبى حرّض الناس فقال إن المسلم السليم من سلم دينه و رأيه و إن هولاء القوم و اللّه إن يقاتلوننا على إقامه دين رأونا ضيّعناه و إحياء حقّ رأونا أمتناه و إن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبابره فيها ملوكا فلو ظهروا عليكم لا أراهم اللّه ظهورا و لا سرورا لزموكم بمثل سعيد و الوليد و عبد اللّه بن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم فى مجلسه بمثل ديته و ديه ابيه و جدّه يقول هذا لى و لا إثم علىّ كأنما اعطى تراثه عن أبيه و امّه و إنما هو مال اللّه عز و جل أفاءه علينا بأسيافنا و أرماحنا فقاتلوا عباد اللّه القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل اللّه و لا يأخذكم فى جهادهم لوم لائم فانهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم و دنياكم و هم من قد عرفتم و خبرتم و أيم اللّه ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شرا.

و قاتلهم عبد اللّه بن بديل فى الميمنه قتالا شديدا حتّى انتهى إلى قبه معاويه.

ثمّ إن الّذين تبايعوا معاويه على الموت اقبلوا إلى معاويه فامرهم أن يصمدوا لابن بديل فى الميمنه و بعث معاويه إلى حبيب بن مسلمه الفهرى فى الميسره فحمل بهم و بمن كان معه على ميمنه الناس فهزمهم و انكشف أهل العراق من قبل الميمنه حتّى لم يبق منهم إلاّ ابن بديل فى مأتين أو ثلاثمأه من القراء قد أسند بعضهم ظهره إلى

بعض و انجفل الناس فأمر على عليه السّلام سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينه فاستقبلهم جموع لأهل الشام عظيمه فاحتملتهم حتّى ألحقتهم بالميمنه و كان فى الميمنه إلى موقف على عليه السّلام فى القلب أهل اليمن فلما كشفوا انتهت الهزيمه إلى على عليه السّلام فانصرف يتمشى نحو الميسره فانكشفت عنه مضر من الميسره و ثبتت ربيعه.

قال أبو مخنف حدّثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب الجهنى قال مرّ على عليه السّلام معه بنوه نحو الميسره و إنّى لأرى النبل يمرّ بين عاتقه و منكبه و ما من بنيه أحد إلاّ يقيه بنفسه فيتقدم فيحول بين أهل الشام و بينه فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه او من ورائه فبصر به أحمر مولى أبى سفيان او عثمان أو بعض بنى اميه فقال و رب الكعبه قتلنى اللّه إن لم أقتلك أو تقتلنى فأقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى على عليه السّلام فاختلفا ضربتين فقتله مولى بنى اميه، و ينتهزه علىّ عليه السّلام فيقع بيده فى جيب درعه فيجذبه ثمّ حمله على عاتقه فكأنى أنظر إلى رجليته تختلفان على عنق على عليه السّلام ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضديه و شدا ابنا علىّ عليه السّلام عليه حسين عليه السّلام و محمّد فضرباه بأسيافهما فكأنى أنظر إلى على عليه السّلام قائما و إلى شبيله يضربان الرجل حتّى إذا قتلاه و اقبلا إلى أبيهما و الحسن عليه السّلام قائما، قال له يا بنىّ ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال كفيانى يا أمير المؤمنين.

ثمّ إن أهل الشام دنوا منه و واللّه ما يزيده قربهم منه سرعه فى مشيه فقال له الحسن عليه السّلام ما ضرك لو سعيت حتّى تنتهى إلى هؤلاء الّذين قد صبروا لعدوك من أصحابك؟ فقال يا بنىّ إن لأبيك يوما لن يعدوه و لا يبطىء به عنه السعى و لا يعجل به إليه المشى إنّ أباك و اللّه ما يبالى أوقع على الموت أو وقع الموت عليه.

قال أبو مخنف حدّثنى فضيل بن خديج السكندى عن مولى للأشتر قال لما انهزمت ميمنه العراق و أقبل علىّ عليه السّلام نحو الميسره مرّ به الأشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنه. فقال له علىّ عليه السّلام يا مالك قال لبيك قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الّذى لن تعجزوه إلى الحياه الّتى لن تبقى لكم فمضى فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم هذه الكلمات الّتى قالها له علىّ عليه السّلام.

و قال إلىّ أيّها النّاس أنا مالك بن الحارث أنا مالك بن الحارث، ثمّ ظن أنّه بالأشتر أعرف فى الناس فقال أنا الأشتر إلىّ أيّها الناس فأقبلت إليه طائفه و ذهبت عنه طائفه فنادى أيّها الناس عضضتم بهن آباءكم ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم أيّها الناس أخلصوا إلىّ مذحجا فاقبلت إليه مذحج فقال عضضتم بصم الجندل ما أرضيتم ربّكم و لا نصحتم له فى عدوكم و كيف بذلك و أنتم أبناء الحروب و أصحاب الغارات و فتيان الصباح و فرسان الطراد و حتوف الاقران و مذحج الطعان الّذين لم يكونوا يسبقون بثارهم و لا تطل دماؤهم و لا يعرفون فى موطن بخسف و أنتم حد أهل مصركم و أعد حىّ فى قومكم و ما تفعلوا فى هذا اليوم فانّه مأثور بعد اليوم فاتقوا مأثور بعد اليوم فاتقوا مأثور الأحاديث فى غد و اصدقوا عدوكم اللقاء فإن اللّه مع الصادقين و الّذى نفس مالك بيده ما من هؤلاء - و أشار بيده إلى أهل الشام - رجل على مثال جناح بعوضه من محمّد صلّى اللّه عليه و آله أنتم ما أحسنتم القراع اجلوا سواد وجهى يرجع فى وجهى دمى عليكم بهذا السواد الاعظم فإن اللّه عزّ و جل لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه قالوا خذ بنا حيث احببت و صمد نحو عظمهم فيما يلى الميمنه فأخذ يزحف إليهم و يردهم و يستقبله شباب من همدان و كانوا ثمانمائه مقاتل يومئذ و قد انهزموا آخر الناس و كانوا قد صبروا فى الميمنه حتّى اصيب منهم ثمانون و مأئه رجل و قتل منهم أحد عشر رئيسا كلّما قتل منهم رجل أخذ الرايه آخر فكان الأوّل كريب بن شريح ثمّ شرحبيل ابن شريح ثمّ مرثد بن شريح ثمّ هبيره بن شريح ثمّ يريم بن شريح ثمّ سمير بن شريح فقتل هؤلاء الاخوه السته جميعا ثمّ أخذ الرايه سفيان بن زيد ثمّ عبد بن زيد ثمّ كريم بن زيد فقتل هؤلاء الاخوه الثلاثه جميعا ثمّ أخذ الرايه عمير بن بشير ثمّ الحارث بن بشير فقتلا ثمّ أخذ الرايه وهب بن كريب أخو القلوص فأراد أن يستقبل فقال له رجل من قومه انصرف بهذه الرايه رحمك اللّه فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك و لا من بقى من قومك فانصرفوا و هم يقولون ليت لنا عدّتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثمّ نستقدم نحن و هم فلا ننصرف حتّى نقتل أو نظفر فمرّوا بالأشتر و هم يقولون هذا القول فقال لهم الأشتر إلىّ أنا احالفكم و اعاقدكم

على أن لا نرجع أبدا حتى نظفر أو نهلك فأتوه فوقفوا معه.

و زحف الأشتر نحو الميمنه و ثاب اليه ناس تراجعوا من أهل الصبر و الحياء و الوفاء فأخذ لا يصمد لكتيبه إلا كشفها و لا لجمع الاحازه و ردّه فانّه لذلك إذ مرّ بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر فقال من هذا فقيل زياد بن النضر استلحم عبد اللّه ابن بديل و أصحابه فى الميمنه فتقدم زياد فرفع لأهل الميمنه رايته فصبروا و قاتل حتّى صرع ثمّ لم يمكثوا إلاّ كلا شىء حتّى مرّ بيزيد بن قيس الأرحبى محمولا نحو العسكر فقال الأشتر من هذا فقالوا يزيد بن قيس لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنه رايته فقاتل حتّى صرع فقال الأشتر هذا و اللّه الصبر الجميل و الفعل الكريم ألا يستحى الرجل أن ينصرف لا يقتل و لا يقتل او يشفى به على القتل.

قال أبو مخنف حدّثنى أبو جناب الكلبى عن الحرّ بن الصياح النخعى أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له فى يده صفيحه يمانيه إذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا و إذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها و جعل يضرب بسيفه و يقول: الغمرات ثمّ ينجلينا. قال فبصر به الحارث بن جمهان الجعفى و الأشتر متقنع فى الحديد فلم يعرفه فدنا منه فقال له جزاك اللّه خيرا منذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعه المسلمين فعرفه الأشتر فقال ابن جمهان فعرفه فكان من اعظم الرجال و أطوله و كان فى لحيته حفّها قليلا فقال جعلت فداك لا و اللّه ما علمت بمكانك إلا الساعه و لا افارقك حتّى اموت. قال و رآه منقذ و حمير ابنا قيس الناعطيان فقال منقذ لحمير ما فى العرب مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله فقال له حمير و هل النيّه إلاّ ما تراه يصنع قال إنّى اخاف أن يكون يحاول ملكا.

قال أبو مخنف حدّثنى فضيل بن خديج عن مولى للأشتر أنه لمّا اجتمع اليه عظم من كان انهزم عن الميمنه حرضهم ثمّ قال عضوا على النواجذ من الأضراس و استقبلوا القوم بهامكم و شدوا شده قوم موتورين ثأرا بابائهم و إخوانهم حناقا على عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا بوتر و لا يلحقوا فى الدنيا عارا و أيم اللّه ما وتر قوم قط بشىء أشدّ عليهم من أن يوتروا دينهم و إن هؤلاء القوم لا يقاتلونكم

إلّا عن دينكم ليميتوا السنه و يحيوا البدعه و يعيدوكم فى ضلاله قد أخرجكم اللّه عزّ و جل منها بحسن البصيره فطيبوا عباد اللّه أنفسا بدمائكم دون دينكم فإن ثوابكم على اللّه و اللّه عنده جنات النعيم و إن الفرار من الزحف فيه السلب للعز و الغلبه على الفيء و ذل المحيا و الممات و عار الدنيا و الاخره و حمل عليهم حتّى كشفهم فألحقهم بصفوف معاويه بين صلاه العصر و المغرب و انتهى إلى عبد اللّه بن بديل و هو فى عصبه من القراء بين المأتين و الثلاثمأه و قد لصقوا بالأرض كأنّهم جثا فكشف عنهم أهل الشام فأبصروا إخوانهم قد دنوا منهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قالوا حى صالح فى الميسره يقاتل الناس أمامه، فقالوا الحمد للّه قد كنا ظننا أن قد هلك و هلكتم.

و قال عبد اللّه بن بديل لأصحابه استقدموا بنا فأرسل الأشتر اليه أن لا تفعل اثبت مع الناس فقاتل فانه خير لهم و أبقى لك و لاصحابك فأبى فمضى كما هو نحو معاويه و حوله كأمثال الجبال و فى يده سيفان و قد خرج فهو امام أصحابه فأخذ كلّما دنا منه رجل ضربه فقتله حتّى قتل سبعه و دنا من معاويه فنهض اليه الناس من كلّ جانب و احيط به و بطائفه من أصحابه فقاتل حتّى قتل و قتل ناس من أصحابه و رجعت طائفه قد خرجوا منهزمين فبعث الأشتر ابن جمهان الجعفى فحمل على أهل الشام الّذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل حتّى نفسوا عنهم و انتهوا إلى الأشتر فقال لهم ألم يكن رأيى لكم خير من رأيكم لأنفسكم ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس و كان معاويه قال لابن بديل و هو يضرب قدما أ ترونه كبش القوم فلمّا قتل أرسل اليه فقال انظروا من هو فنظر اليه ناس من أهل الشام فقالوا لا نعرفه فأقبل اليه حتّى وقف عليه فقال بلى هذا عبد اللّه بن بديل و اللّه لو استطاعت نساء خزاعه أن تقاتلنا فضلا على رجالها لفعلت مدّوه فمدّوه فقال هذا و اللّه كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها و إن شمّرت يوما به الحرب شمّرا

و البيت لحاتم طيىء، و أن الأشتر زحف اليهم فاستقبله معاويه بعكّ و الأشعرين فقال الأشتر لمذجح اكفونا عكّا و وقف فى همدان و قال لكنده اكفونا الأشعرين فاقتتلوا قتالا شديدا و أخذ يخرج إلى قومه فيقول إنّما هم عكّ فاحملوا عليهم فيجثون

على الركّب و يرتجزون:

يا ويل امّ مذحج من عكّ هاتيك امّ مذحج تبكيّ

فقاتلوهم حتّى المساء ثمّ إنّه قاتلهم فى همدان و ناس من طوائف الناس فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتّى ألحقهم بالصفوف الخمسه المعقله بالعمائم حول معاويه ثمّ شد عليهم شده اخرى فصرع الصفوف الأربعه و كانوا معقلين بالعمائم حتّى انتهوا إلى الخامس الّذى حول معاويه و دعا معاويه بفرس فركب و كان يقول أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الأطنابه من الأنصار كان جاهليا و الأطنابه امرأه من بلقين.

أبت لى عفّتى و حياء نفسى و إقدامى على البطل المشيح

و إعطائى على المكروه مالى و أخذى الحمد بالثمن الربيح

و قولى كلما جشأت و جاشت مكانك تحمدى او تستريحى

فمنعنى هذا القول من الفرار.

قال أبو مخنف حدّثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب أن عليّا عليه السّلام لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقفهم و مراكزهم أقبل حتّى انتهى إليهم. فقال إنّى قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم يحوزكم الطغاه الجفاه و أعراب أهل الشام و أنتم لها ميم العرب و السنام الاعظم و عمار الليل بتلاوه القرآن و أهل دعوه الحقّ إذ ضلّ الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم و كرّكم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولّى يوم الزحف دبره و كنتم من الهالكين، و لكن هون وجدى و شفى بعض أحاح نفسى أنى رأيتكم بأخره حزتموهم كما حازوكم و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحسونهم بالسيوف تركب اولاهم اخراهم كالابل المطرده فالان فاصبروا نزلت عليكم السكينه و ثبتكم اللّه عزّ و جلّ باليقين ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه و موبق نفسه إن فى الفرار موجده اللّه عزّ و جلّ عليه و الذل اللازم و العار الباقى و اعتصار الفىء من يده و فساد العيش عليه و أن الفارّ منه لا يزيد فى عمره و لا يرضى ربّه فموت المرء محقا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتأنيس لها و الاقرار عليها.

قال الطبرى: قال أبو مخنف حدّثنا عبد السلام بن عبد اللّه بن جابر الأحمسى

ص:۲۶۳

أن رايه بجيله بصفين كانت فى أحمس بن الغوث بن أنما رمع أبى شداد و هو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علىّ بن اسلم بن احمس بن الغوث و قال له بجيله خذ رايتنا فقال غيرى لكم منى قالوا ما نريد غيرك قال و اللّه لئن أعطيتمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب قالوا اصنع ما شئت فاخذها ثمّ زحف حتّى انتهى بهم إلى صاحب الترس المذهب و كان فى جماعه عظيمه من أصحاب معاويه و ذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى فاقتتل الناس هنالك قتالا شديدا فشد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرض له رومى مولى لمعاويه فيضرب قدم أبى شداد فيقطها و يضربه أبو شداد فيقتله و اشرعت اليه الأسنه فقتل و أخذ الرايه عبد اللّه بن قلع الاحمسى و هو يقول:

لا يبعد اللّه أبا شدّاد حيث أجاب دعوه المنادى

و شدّ بالسيف على الأعادى نعم الفتى كان لدى الطراد

و فى طعان الرّجل و الجلاد

فقاتل حتّى قتل فأخذ الرايه أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذها عفيف بن إياس فلم تزل فى يده حتّى تحاجز الناس و قتل حازم بن أبى حازم الأحمسى أخو قيس بن أبى حازم يومئذ و قتل نعيم بن صهيب بن العليه البجلى يومئذ فأتى ابن عمه و سميّه نعيم بن الحارث ابن العليه معاويه و كان معه فقال إن هذا القتيل ابن عمى فهبه لى أدفنه فقال لا تدفنه فليسوا لذلك أهلا- و اللّه ما قدرنا على دفن ابن عفان إلا سرا. قال و اللّه لتأذنن فى دفنه أولا لحقن بهم و لا دعنك. قال معاويه أ ترى أشياخ العرب قد أحالتهم امورهم فأنت تسألنى فى دفن ابن عمّك ادفنه إن شئت او دع فدفنه.

قال أبو مخنف حدّثنى الحارث بن حصيره الأزدى عن أشياخ من النمر من الأزد أن مخنف بن سليم لما ندبت الازد للأزد حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال ان من الخطأ الجليل و البلاء العظيم أنا صرفنا إلى قومنا و صرفوا إلينا و اللّه ما هى إلا أيدينا نقطعها بأيدينا و ما هى إلاّ- اجنحتنا نجدّها باسيافنا فان نحن لم نواس جماعتنا و لم نناصح صاحبنا كفرنا و إن نحن فعلنا فعزنا أبحنا و نارنا أخمدنا فقال له جندب بن

زهير و اللّه لو كنـا آبـاءهم و ولـدناهم أو كنـا أبنـاءهم و ولـدونا ثمّ خرجوا من جماعتنـا و طعنوا على إمامنا و إذا هم الحاكمون بـالجور على أهـل ملّتنـا و ذمّتنـا ما افترقنا بعـد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عماهم عليه و يـدخلوا فيما نـدعوهم او تكثر القتلى بيننا و بينهم.

فقال له مخنف و كان ابن خالته عزّ اللّه بك التيّه أما و اللّه ما علمت صـغيرا و كبيرا إلاّ مشئوما و اللّه ما ميلنا الرأى قط أيهما نأتى أو أيّهما نـدع فى الجاهليه و لا بعد أن أسـلمنا إلاّ اخترت أعسـرهما و أنكدهما اللّهم إن تعافى أحبّ الينا من أن تبتلى فاعط كلّ امرىء منا ما يسألك و قال أبو بريده بن عوف اللّهم احكم بيننا بما هو أرضى لك يا قوم إنكم تبصرون بما يصنع الناس و إن لنا الاسوه بما عليه الجماعه إن كنا على حقّ و إن يكونوا صادقين فان اسوه فى الشر و اللّه ما علمنا ضرر فى المحيا و الممات.

و تقـدّم جنـدب بن زهير فبـارز رأس أزد الشـام فقتله الشـامى و قتل من رهطه عجل و سـعد ابنا عبـد اللّه من بنى ثعلبه و قتل مع مخنف من رهطه عبـد اللّه و خالـد ابنا ثاجـد و عمرو و عامر ابنا عويف و عبـد اللّه بن الحجاج و جندب بن زهير و أبو زينب بن عوف بن الحارث و خرج عبد اللّه بن أبى الحصين الأزدى فى القراء الذين مع عمار بن ياسر فاصيب معه.

قال أبو مخنف و حدّثنى الحارث بن حصيره عن أشياخ النمر أن عقبه بن حديد النمرى قال يوم صفين ألا إن مرعى الدنيا أصبح هشـيما و أصـبح شـجرها خضـيدا و جديدها سـملا و حلوها مرّ المذاق ألا و إنّى انبئكم نبأ امرىء صادق إنّى قد سـئمت الدنيا و عزفت نفسـى عنها و قد كنت أتمنى الشهاده و أتعرض لها فى كلّ جيش و غاره فأبى اللّه عزّ و جل إلاّ أن يبلغنى هذا اليوم ألا و إنّى متعرض لها من ساعتى هـذه قـد طمعت ألا احرمها فما تنتظرون عباد اللّه بجهاد من عادى اللّه خوفا من الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محاله أو من ضربه كف بالسيف تستبدلون الدنيا بالنظر فى وجه اللّه عزّ و جل و موافقه النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين فى دار القرار ما هذا بالرأى السديد.

ثمّ مضـى فقال يا إخوتى قـد بعت هـذه الدار بالّتى أمامها و هذا وجهى إليها لا تبرح وجوهكم و لا يقطع اللّه عزّ و جل رجاءكم فتبعه إخوته عبيـد اللّه و عوف و مالـك و قـالوا لا ـ نطلب رزق الـدنيا بعـدك فقبـح اللّه العيش بعـدك اللّهم إنـا نحتسب أنفسنا عندك

فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا.

قال أبو مخنف حدثنى مله بن زهير النهدى عن أبى مسلم بن عبد اللّه الضبابى قال شهدت صفين مع الحىّ و معنا شمر بن ذى الجوشن الضبابى فبارزه أدهم بن محرز الباهلى فضرب أدهم وجه الشمر بالسيف و ضربه شمر ضربه لم تضرره فرجع شمر إلى رحله فشرب شربه و كان قد ظمئ ثمّ أخذ الرمح فأقبل و هو يقول:

إنى زعيم لأخى بأهله بطعنه إن لم أصب عاجله

أو ضربه تحت القنا و الوغى شبيهه بالقتل أو قاتله

ثمّ حمل على أدهم فصرعه ثمّ قال هذه بتلك.

قال أبو مخنف حدّثنى عمرو بن عوف بن مالك الجشمى أن بشر بن عصمه المزنى كان لحق بمعاويه فلمّا اقتتل الناس بصفين بصر بشر بن عصمه بمالك العقديه و هو مالك بن الجلاح الجشمى و لكن العقديه غلبت عليه فرآه بشر و هو يفرى فى أهل الشام فريا عجيبا و كان رجلا مسلما شجاعا فغاظ بشر ما رأى منه فحمل عليه فطعنه فصرعه ثمّ انصرف فندم لطعنته إياه جبارا فقال:

و إنى لأرجو من مليكى تجاوزا و من صاحب الموسوم فى الصدر هاجس

دلفت له تحت الغبار بطعنه على ساعه فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقديه فقال:

ألا أبلغا بشر بن عصمه أنّنى شغلت و ألهانى الّذين امارس

فصادفت منّى غرّه و أصبتها كذلك و الأبطال ماض و خالس

ثمّ حمل عبد اللّه بن الطفيل البكائى على جمع لأهل الشام فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن قره ممن لحق بمعاويه من أهل العراق فيضع الرمح بين كتفى عبد اللّه بن الطفيل و يعترضه يزيد بن معاويه ابن عمّ عبد اللّه ابن الطفيل فيضع الرمح بين كتفى التميمى فقال و اللّه لئن طعنته لأطعننك فقال عليك عهد اللّه و ميثاقه لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى فقال له نعم لك بذلك عهد اللّه فرفع السنان عن ابن الطفيل و رفع يزيد السنان عن التميمى

فقـال ممّن أنت قـال من بنى عـامر فقال له جعلنى اللّه فـداكم أبتما إلفكم الفكم كراما و إنى لحادى عشـر رجلا من أهل بيتى و رهطى قتلتموهم اليوم و أنـا كنت آخرهم فلمـا رجع النـاس إلى الكوفه عتب على يزيـد بن الطفيـل فى بعض ما يعتب فيه الرجلّ على ابن عمّه فقال:

ألم ترنى حاميت عنك مناصحا بصفّين إذ خلاك كلّ حميم

و نهنهت عنك الحنظلىّ و قد أتى على سابح ذى ميعه و هزيم

قـال أبو مخنف حـدثنى فضـيل بن خديـج قـال خرج رجـل من أهل الشام يـدعو إلى المبارزه فخرج إليه عبـد الرّحمن بن محرز الكندى ثمّ الطحمى فتجا و لا ساعه ثمّ إن عبد الرحمن حمل على الشامى فطعنه فى ثغره نحره فصـرعه ثمّ نزل إليه فسلبه درعه و سلاـحه فـإذا هو حبشـى فقـال إنـا للّه لمن اخطرت نفسـى لعبـد أسود و خرج رجـل من عـكّ يسأل المبارزه فخرج إليه قيس بن فهدان الكنانى ثمّ البدنى فحمل عليه العكىّ فضربه و احتمله أصحابه فقال قيس بن فهدان:

لقد علمت عكّ بصفين أنّنا إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

و نحمل رايات الطعان بحقها فنوردها بيضا و نصدرها حمرا

قال أبو مخنف و حدّثنى فضـيل بن خديج أن قيس بن فهدان كان يحرض أصحابه فيقول شدوا إذا شددتم جميعا و إذا انصرفتم فـاقبلوا معـا و غضـوا الأبصـار و أقلـوا اللفـظ و اعتوروا الاـقران و لاـ يؤتين من قبلكم العرب، قـال و قتـل نهيـك بن عزيز من بنى الحارث بن عـدى و عمرو بن يزيـد من بنى ذهل و سـعيد بن عمرو و خرج قيس بن يزيد و هو ممّن فرّ إلى معاويه من على فدعا إلى المبارزه فخرج إليه أخوه أبو العمرصه بن يزيد فتعارفا فتواقفا و انصرفا إلى الناس فأخبر كلّ واحد منهما أنّه لقى أخاه.

قال أبو مخنف حـدثنى جعفر بن حـذيفه من آل عامر بن جوين الطائى أن طيئا يوم صـفين قاتلت قتالا شديـدا فعبّيت لهم جموع كثيره فجاءهم حمزه بن مالك الهمدانى فقال ممن أنتم للّه أنتم؟ فقال عبد اللّه بن خليفه البولانى و كان شيعيا شاعرا

خطيبا نحن طيىء السهل و طيىء الرمل و طيىء الجبل الممنوع ذى النخل نحن حماه الجبلين إلى ما بين العذيب و العين نحن طيىء الرماح و طيىء النطاح و فرسان الصباح.

فقال حمزه بن مالک بخ بخ إنک لحسن الثناء على قومک فقال:

إن كنت لم تشعر بنجده معشر فاقدم علينا و يب غيرک تشعر

ثمّ اقتتل الناس أشد القتال فأخذ يناديهم و يقول يا معشر طيى فدى لکم طار فى و تالدى قاتلوا على الأحساب و أخذ يقول

أنا الذى كنت إذ الداعى دعامصمّما بالسيف ندبا أروعا

فأنزل المستلئم المقنّعاو أقتل المبالط السّميدعا

و قال بشر بن العسوس الطائى ثمّ الملقطى:

يا طيىء السهول و الأجبال

ألا انهدوا بالبيض و الموالى و بالكماه منكم الابطال

فقارعوا أئمه الجهّال السالكين سبل الضلال

ففقئت يومئذ عين أبى العسوس فقال فى ذلک:

ألا ليت عينى هذه مثل هذه فلم أمش فى الأناس إلّا بقائد

و يا ليتنى لم أبق بعد مطرف و سعد و بعد المستنيرين خالد

فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم إذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

و يا ليت رجلى ثمّ طنّت بنصفها و يا ليت كفىّ ثم طاحت بساعدى

قال أبو مخنف حدثنى أبو الصلت التيمى قال حدثنى أشياخ محارب أنه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيده بن خالد و كان من اشجع الناس فلما اقتتل الناس يوم صفين جعل يرى أصحابه منهزمين فأخذ ينادى يا معشر قيس إطاعه الشيطان آثر عندكم من طاعه الرحمن الفرار فيه معصيه اللّه سبحانه و سخطه و الصبر فيه طاعه اللّه عز و جل و رضوانه فتختارون سخط اللّه تعالى على رضوانه و معصيته على طاعته فانّما الراحه بعد الموت لمن مات محاسبا لنفسه و قال:

لا و ألت نفس امرىء ولّى الدّبر انا الّذى لا ينثنى و لا يفرّ

و لا يرى مع المعازيل الغدر

فقاتل حتّى ارتث ثم إنّه خرج مع الخمسمائه الذين كانوا اعتزلوا مع فروه ابن نوفل الأشجعى فنزلوا بالدسكره و البندنيجين فقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فاصيب منهم يومئذ بكر بن هوذه و حيان بن هوذه و شعيب بن نعيم من بنى بكر النخع و ربيعه بن مالك بن و هبيل و أبى بن قيس أخو علقمه بن قيس الفقيه و قطعت رجل علقمه يومئذ فكان يقول ما احب أن رجلى أصح ما كانت و إنها لمما أرجو به حسن الثواب من ربى عزّ و جلّ و قال لقد كنت احب أن أرى فى نومى أخى أو بعض إخوانى فرأيت أخى فى النوم فقلت يا أخى ما ذا قدمتم عليه؟ فقال لى إنا التقينا نحن و القوم فاحتججنا عند اللّه عزّ و جلّ فحججناهم فما سررت منذ عقلت سرورى بتلك الرؤيا.

قال أبو مخنف حدثنى سويد بن حيه الأسدى عن الحضين بن المنذر أن اناسا كانوا اتوا عليّا عليه السّلام قبل الوقعه فقالوا له إنا لا نرى خالد بن المعمر إلاّ قد كاتب معاويه و قد خشينا أن يتابعه فبعث إليه علىّ عليه السّلام و إلى رجال من أشرافنا، فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أما بعد يا معشر ربيعه فأنتم أنصارى و مجيبو دعوتى و من أوثق حى فى العرب فى نفسى و قد بلغنى أن معاويه قد كاتب صاحبكم خالد بن المعمر و قد أتيت به و جمعتكم لأشهدكم عليه و لتسمعوا أيضا ما أقوله.

ثمّ أقبل عليه فقال عليه السّلام يا خالد بن المعمر إن كان ما بلغنى حقا فإنّى اشهد اللّه و من حضرنى من المسلمين انك آمن حتى تلحق بأرض العراق أو الحجاز أو أرض لا سلطان لمعاويه فيها و إن كنت مكذوبا عليك فان صدورنا تطمئن إليك فحلف باللّه ما فعل و قال رجال منا كثير لو كنّا نعلم أنه فعل أمثلناه.

فقال شقيق بن ثور السدوسى ما وفق خالد بن المعمر إن نصر معاويه و أهل الشام على علىّ عليه السّلام و ربيعه فقال زياد بن خصفه التيمى يا أمير المؤمنين استوثق من ابن المعمر بالأيمان لا يغدرنك فاستوثق منه ثمّ انصرفنا.

فلما كان يوم الخميس «و هو اليوم التاسع من صفر» انهزم الناس من قبل الميمنه فجاءنا علىّ عليه السّلام حتى انتهى إلينا و معه بنوه فنادى بصوت عال جهير كغير المكترث لما فيه الناس: لمن هـذه الرايات؟ قلنا رايات ربيعه فقال بل هى رايات اللّه عزّ و جلّ عصم اللّه اهلها فصبرهم و ثبت اقدامهم، ثمّ قال لى يافتى ألا تدنى رايتك هذه ذراعا؟ قلت: نعم و اللّه و عشر أذرع، فقمت بها فأدنيتها حتى قال إن حسبك مكانك فثبت حيث أمرنى و اجتمع أصحابى.

قال أبو مخنف حدثنا أبو الصلت التيمى قال سمعت أشياخ الحىّ من تيم اللّه ابن ثعلبه يقولون إن رايه ربيعه أهل كوفتها و بصرتها كانت مع خالد بن المعمر من أهل البصره قال و سمعتهم يقولون إن خالد بن المعمر و سفيان بن ثور اصطلحا على أن وليا رايه بكر بن وائل من أهل البصره الحضين بن المنذر الذهلى و تنافسا فى الرايه و قالا هذا فتى مناله حسب نجعلها له حتى نرى من رأينا.

ثمّ إنّ عليا ولى خالد بن المعمر بعد رايه ربيعه كلها و ضرب معاويه لحمير بسهمهم على ثلاث قبائل لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عددا منها يومئذ على ربيعه و همدان و مذحج فوقع سهم حمير على ربيعه فقال ذو الكلاع قبحك اللّه من سهم كرهت الضراب فاقبل ذو الكلاع فى حمير و من تعلقها و معهم عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى أربعه آلاف من قراء أهل الشام و على ميمنتهم ذو الكلاع فحملوا على ربيعه و هم ميسره أهل العراق و فيهم ابن عبّاس و هو على الميسره فحمل عليهم ذو الكلاع و عبيد اللّه بن عمر حمله شديده بخيلهم و رجلهم فتضعضعت رايات ربيعه الا قليلا من الأخيار و الأبدال.

ثمّ إن أهل الشام انصرفوا فلم يمكثوا الا قليلا حتى كرّوا و عبيد اللّه بن عمر يقول يا أهل الشام إن هذا الحى من أهل العراق قتله عثمان بن عفان و انصار علىّ بن أبى طالب و إن هزمتم هـذه القبيله أدركتم ثاركم فى عثمان و هلك علىّ بن أبى طالب و أهل العراق فشدوا على الناس شده فثبتت لهم ربيعه و صبروا صبرا حسنا إلاّ قليلا من الضعفاء و الفشله و ثبت أهل الرايات و أهل الصبر منهم و الحفاظ فلم

ص:۲۷۰

يزولوا و قاتلوا قتالا شديدا.

فلما رأى خالد بن المعمر ناسا من قومه انصرفوا انصرف فلما رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا و رأى قومه قد صبروا رجع و صاح بمن انهزم و أمرهم بالرجوع فقال من أراد من قومه أن يتهمه اراد الانصراف فلما رآنا قد ثبتنا رجع إلينا و قال هو لما رأيت رجالا منا انهزموا رأيت أن أستقبلهم و أردهم إليكم و اقبلت إليكم فيمن أطاعنى منهم فجاء بأمر مشبه.

قال أبو مخنف حدثنى رجل من بكر بن وائل عن محرز بن عبد الرّحمن العجلى أن خالدا قال يومئذ يا معشر ربيعه إنّ اللّه عزّ و جلّ قد أتى بكل رجل منكم من منبته و مسقط رأسه فجمعكم فى هذا المكان جمعا لم يجمعكم مثله منذ نشركم فى الأرض فإن تمسكوا بايديكم و تنكلوا عن عدوكم و تزولوا عن مصافكم لا يرضى اللّه فعلكم و لا تقدموا من الناس صغيرا أو كبيرا الا يقول فضحت ربيعه الذمار و حاصت عن القتال و اتيت من قبلها العرب فإياكم أن تتشأم بكم العرب و المسلمون اليوم و انكم إن تمضوا مقبلين مقدمين و تصيروا محتسبين فإن الاقدام لكم عاده و الصبر منكم سجيه و اصبروا و نيتكم أن توجروا فإن ثواب من نوى ما عند اللّه شرف الدنيا و كرامه الاخره و لن يضيع اللّه أجر من أحسن عملا.

فقام رجل فقال ضاع و اللّه أمر ربيعه حين جعلت إليك امورها تأمرنا ألا نزول و لا نحول حتّى تقتل أنفسنا و تسفك دماءنا ألا ترى الناس قد انصرف جلّهم.

فقام إليه رجال من قومه فنهروه و تناولوه بألسنتهم فقال لهم خالد أخرجوا هذا من بينكم فان هذا إن بقى فيكم ضرّكم و إن خرج منكم لم ينقصكم هذا الذى لا ينقص العدد و لا يملا البلد برحك اللّه من خطيب قوم كرام كيف جنبت السداد.

و اشتد قتال ربيعه و حمير و عبيد اللّه بن عمر حتّى كثرت بينهم القتلى فقتل سمير ابن الريان بن الحارث العجلى و كان من أشد الناس بأسا.

قال أبو مخنف حدثنى جعفر بن أبى القاسم العبدى عن يزيد بن علقمه عن زيد بن بدر

العبدی أن زیاد بن خصفه أتی عبد القیس یوم صفین و قد عبیت قبائل حمیر مع ذی الکلاع و فیهم عبید اللّه بن عمر بن الخطاب لبکر بن وائل فقوتلوا قتالا شدیدا خافوا فیه الهلاک فقال زیاد بن خصفه یا عبد القیس لا بکر بعد الیوم فرکبنا الخیول ثمّ مضینا فواقفنا.

فما لبثنا إلا قلیلا حتّی اصیب ذو الکلاع و قتل عبید اللّه بن عمر فقالت همدان قتله هانیء بن خطاب الارحبی و قالت حضر موت قتله مالک بن عمرو التنعی و قالت بکر بن وائل قتله محرز بن الصحصح من بنی عائش بن مالک بن تیم اللّه بن ثعلبه و أخذ سیفه ذا الوشاح فأخذ به معاویه بالکوفه بکر بن وائل فقالوا إنما قتله رجل منا من أهل البصره یقال له محرز بن الصحصح فبعث إلیه بالبصره فأخذ منه السیف و کان رأس النمر بن قاسط عبد اللّه بن عمرو من بنی تمیم.

قال هشام بن محمّد الذی قتل عبید اللّه بن عمر محرز بن الصحصح و أخذ سیفه ذا الوشاح سیف عمرو فی ذلک قول کعب بن جعیل التغلبی:

ألا إنما تبکی العیون لفارس بصفین أجلت خیله و هو واقف

یبدل من اسماء أسیاف وائل و کان فتی لو أخطأته المتالف

ترکن عبید اللّه بالقاع مسندا تمجّ دم الخرق العروق الذّوارف

أقول: ان اسماء فی البیت الثانی هی زوجه عبید اللّه بن عمر کما سیأتی عنقریب و لنعد إلی القصه.

و قتل منهم یومئذ بشر بن مره بن شرحبیل و الحارث بن شرحبیل و کانت اسماء ابنه عطارد بن حاجب التمیمی تحت عبید اللّه بن عمر ثمّ خلف علیها الحسن بن علیّ علیهما السّلام.

قال أبو مخنف حدثنی ابن أخی غیاث بن لفیط البکری أن علیّا علیه السّلام حیث انتهی إلی ربیعه تبارت ربیعه بینها فقالوا إن اصیب علیّ فیکم و قد لجأ إلی رایتکم افتضحتم و قال لهم شقیق بن ثور یا معشر ربیعه لا عذر لکم فی العرب إن وصل إلی علیّ علیه السّلام فیکم و فیکم رجل حیّ و إن منعتموه فمجد الحیاه اکتسبتموه فقاتلوا قتالا

ص:۲۷۲

شديدا حين جاءهم علىّ عليه السّلام لم يكونوا قاتلوا مثله ففى ذلك قال علىّ عليه السّلام.

لمن رايه سوداء يخفق ظلّها إذا قيل قدمها حضين تقدما

يقدّمها فى الموت حتّى يزيرها حياض المنايا تقطر الموت و الدّما

أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا بأسيافنا حتى تولى و أحجما

جزى اللّه قوما صابروا فى لقائهم لدا الموت قوما ما أعف و اكرما

و اطيب أحبارا و أكرم شيمه إذا كان أصوات الرّجال تغمغما

ربيعه اعنى انهم أهل نجده و بأس إذا لاقوا جشيما عرمرما

مقتل أبى اليقظان عمار بن ياسر رضوان الله عليه و نسبه و اسلامه و طائفه

ما جاء فيه من الاخبار و الاحوال

هو (ره) من كبار الفقهاء و عظام العلماء، صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخذ منه و من علىّ عليه السّلام معالم الدين و معارف اليقين و كان من شيعه أمير المؤمنين و قتله الفئه الباغيه فى صفّين مجاهدا فى سبيل اللّه ناصرا لوليه خير خلقه بعد رسوله علىّ عليه السّلام و سيتّضح لك جلاله شأنه و علوّ مقامه و ثبات قدمه فى الدين و خلوصه فى حبّ علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام بما نذكر من الأخبار المأثوره عن الفريقين، و فى الدر المنثور: و كان أبو هريره يقول إن عمار بن ياسر أجاره اللّه من الشيطان على لسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله.

و قال ابن هشام فى السيره اسلم قبل الهجره فى مكّه بدعوه أبى بكر و قال فى موضعين من كتابه السيره النبويه(۱): عمار بن ياسر عنسى من مذحج، حليف بنى مخزوم بن يقظه.

و قال المسعودى فى مروج الذهب و قد تنوزع فى نسبه فمن الناس من الحقه ببنى مخزوم و منهم من رأى أنه من حلفائهم و منهم من رأى غير ذلك.

و عمار و الحويرث «مصغر حارث» و عبود: بنو ياسر، و من ولد عمار عبد اللّه

۱- (۱) - ص ۲۶۱ ج ۱ و ص ۶۸۳ ج ۱ طبع ۱۳۵۷ ه.

ابن سعد و هو المقتول بالاندلس قتله عبد الرّحمن بن معاويه، و يکنی عمار (ره) بأبی اليقظان.

قال الواقدی و ابن الاثير فی اسد الغابه و طائفه من أهل العلم بالنسب و الخبر إنّ ياسرا والد عمار عرنی قحطانی مذحجی من عنس فی مذحج إلاـ أن ابنه عمارا مولی لبنی مخزوم لأـن أباه ياسرا تزوج امه لبعض بنی مخزوم فولدت له عمارا و ذلک أن ياسرا والد عمار قدم مکه مع أخوين له، أحدهما يقال له الحارث و الثانی مالک فرجع الحارث و مالک إلی اليمن و أقام ياسر بمکه فحالف أبا حذيفه ابن المغيره بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم فزوجه أبو حذيفه أمه له يقال لها سميه «علی التصغير» بنت خياط فولدت له عمار فاعتقه أبو حذيفه فمن هذا هو عمار مولی لبنی مخزوم، و للحلف و الولاء الذی بين بنی مخزوم و ابن عمار و أبيه ياسر کان اجتماع بنی مخزوم إلی عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتی انفتق له فتق فی بطنه فاجتمعت بنو مخزوم و قالوا و اللّه لئن مات ما قتلنا به أحدا غير عثمان.

و کان اسم أبی حذيفه مولی سميه: مهشم، و هو عم أبی جهل و قال بعض أهل التحقيق: قد غلط ابن قتيبه فيها فزعم ان الازرق مولی الحارث بن کلده خلف عليها بعد ياسر فولدت له سلمه بن الازرق، و الصحيح أن ام سلمه بن الأزرق سميه اخری و هی ام زياد بن أبی سفيان لا ام عمار.

قال أبو جعفر الطبری فی تاريخه (ص ۴۲۸ ج ۳ طبع ۱۳۵۷ ه): کتب إلی السریّ عن شعيب عن سيف عن عبد اللّه بن سعيد بن ثابت و يحيی بن سعيد قالا سأل سائل سعيد بن المسيب عن عمار بن ياسر ما دعاه إلی الخروج علی عثمان؟ قال کان بينه و بين عبّاس بن عتبه ابن أبی لهب کلام فضربهما عثمان فأورث ذاک بين آل عمار و آل عتبه شرا حتی اليوم و کنا عما ضربا عليه و فيه.

و قال الشارح المعتزلی فی الجزء الثانی من شرحه: فضربهما عثمان فاورث ذلک تعاديا بين عمار و عثمان و قد کانا تقاذفا قبل ذلک

أقول: و فى كثير من أسفار الفريقين أن عثمان بن عفان ضربه حتى غشى عليه و أنه أمر غلمانه فمدّوا بيديه و رجليه ثمّ ضربه برجليه و هما فى الخفين على مذاكيره فاصابه الفتق و كسر ضلعا من اضلاعه، و هذا هو غير مختلف فيه بين رواه الفريقين و انما اختلفوا فى سببه و لعلنا نأتى بها فى مباحثنا الاتيه إن شاء اللّه تعالى و هذا احد المطاعن الوارده على عثمان بلا كلام و من اعذره فيه فقد تعصب فيه و تعسف و ما له فى قوله بسلطان.

و قال غير واحد من المفسرين و منهم الطبرسى فى مجمع البيان ان قوله تعالى «مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ » (الايه ۱۰۶ من النحل) نزل فى جماعه اكرهوا و هم عمار و ياسر أبوه و امه سميه و صهيب و بلال و خباب عذبوا و قتل أبو عمّار ياسر و امّه سميّه و اعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر سبحانه بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال قوم كفر عمار فقال صلّى اللّه عليه و آله كلاّ إنّ عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه و اختلط الايمان بحلمه و دمه و جاء عمّار إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يبكى فقال صلّى اللّه عليه و آله و ما ورائك فقال شرّ يا رسول اللّه ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يمسح عينيه و يقول إن عادوا لك فعدلهم بما قلت فنزلت الايه عن ابن عبّاس و قتاده، و كذا فى اسد الغابه باسناده إلى علىّ بن أحمد بن متويه.

و فى كتاب نصر بن مزاحم باسناده عن محمّد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عبّاس فى قول اللّه عزّ و جل «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » قال نزلت فى رجل و هو صهيب بن سنان مولى عبد اللّه بن جذعان أخذه المشركون فى رهط من المسلمين فيهم خير مولى قريش لبنى الحضرمى و خبّاب بن الارتّ مولى ثابت بن ام انمار و بلال مولى أبى بكر و عايش مولى حويطب بن عبد العزى و عمار بن ياسر و ابى عمار و سميه امّ عمار فقتل أبو عمار و امّ عمار و هما اوّل قتيلين قتلا من المسلمين و عذب الاخرون بعد ما خرج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مكه إلى المدينه فأرادوهم على الكفر.

ص:۲۷۵

فاما صهيب فكان شيخا كبيرا ذا متاع فقال للمشركين هل لكم إلى خير؟ فقالوا ما هو؟ قال: أنا شيخ كبير ضعيف لا يضركم منكم كنت او من عدوّكم و قد تكلمت بكلام أكره أن انزل عنه فهل لكم أن تأخذوا مالى و تذرونى و دينى ففعلوا فنزلت هذه الايه، فلقاه أبو بكر حين دخل المدينه فقال: ربح البيع يا صهيب، و قال: و بيعك لا يخسر و قرأ هذه الايه ففرح بها.

و أما بلال و خبّاب و عايش و عمّار و أصحابهم فعذّبوا حتى قالوا بعض ما أراد المشركون ثمّ ارسلوا ففيهم نزلت هذه الايه «وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ».

أقول: اكثر المفسرين ذهبوا إلى أن الايه الاولى نزلت فى علىّ عليه السّلام ليله المبيت و ان ما نزل فى عمار و أصحابه آيه النحل الماضيه و لا بعد أن يقال أن الراوى سهى فى ذلك و اخذ آيه «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى » مكان آيه «مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ » و اللّه تعالى يعلم.

و فى السيره الهشاميه (ص ۳۱۹ ج ۱ طبع مصر ۱۳۷۵ ه) فى تعذيب قريش لعمار بن ياسر و تصبير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله له: قال ابن اسحاق و كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بأبيه و امه و كانوا أهل بيت اسلام إذا حميت الظهيره يعذبونهم برمضاء مكّه فيمرّ بهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيقول فيما بلغنى: صبرا آل ياسر، موعدكم الجنه فأمّا امّه فقتلوها و هى تابى إلّا الاسلام.

و روى غيره أن عمارا قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: صبرا أبا اليقطان، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار.

و روى الفريقان أن ياسرا و سميه أبوى عمار رضوان اللّه عليهم أول شهيدين فى الاسلام بل قيل أوّل شهيد استشهد فى الاسلام امّ عمّار سميه طعنها أبو جهل بطعنه فى قبلها أو فى قلبها على اختلاف النسخ.

و فى اسد الغابه و كان اسلام عمار بعد بضعه و ثلاثين رجلا و هو و أبوه و امّه من السابقين و اسلم عمار و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى دار الارقم هو و صهيب بن سنان فى وقت واحد.

و فيه: قال عمار لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأقم و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

فيها فقلت ما تريد؟ فقال و ما تريد أنت؟ فقلت اردت أن ادخل على محمّد و أسمع كلامه فقال و أنا اريد ذلك فدخلنا عليه فعرض علينا الاسلام فأسلمنا.

أقول: أرقم هذا هو أرقم بن أبى الأرقم و اسم أبى الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى كان من السابقين الاولين إلى الاسلام قيل كان ثانى عشر.

و فى مجالس المؤمنين للقاضى نور اللّه الشهيد (ره) نقلا عن الاستيعاب اسلم أرقم بعد سبعه أو عشره.

و كان من المهاجرين الأولين و هو الّذى استخفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى داره و هى فى أصل الصفا و المسلمون معه بمكه لما خافوا المشركين فلم يزالوا بها حتّى كملوا أربعين رجلا و كان آخرهم اسلاما عمر بن الخطاب فلما كملوا به أربعين خرجوا و توفى الارقم سنه ثلاث و خمسين و هو ابن ثلاث و ثمانين سنه، و لنعد إلى القصه:

و فى اسد الغابه باسناده إلى علقمه عن خالد بن الوليد قال كان بينى و بين عمار كلام فاغلظت له فى القول فانطلق عمّار يشكونى إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فجاء خالد و هو يشكوه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال فجعل يغلظ له و لا يزيده إلّا غلظه و النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ساكت لا يتكلم فبكى عمار و قال يا رسول اللّه ألا تراه فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رأسه و قال من عادى عمارا عاداه اللّه و من أبغض عمارا أبغضه اللّه، قال خالد فخرجت فما كان شىء احب إلىّ من رضى عمار فلقيته فرضى.

و فيه باسناده عن عطاء بن يسار عن عائشه قالت قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما خير عمار بين أمرين الا اختار أرشدهما.

و فى كتاب نصر بن مزاحم باسناده عن هانى بن هانى عن علىّ عليه السّلام قال:

جاء عمار بن ياسر يستأذن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال ائذنوا له مرحبا بالطيب ابن الطيب.

و فى اسد الغابه: مرحبا بالطيب المطيب.

و فى كتاب نصر: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لقد ملى عمار ايمانا إلى مشاشه

و قال صلّى اللّه عليه و آله ان الجنه لتشتاق إلى ثلاثه: علىّ و عمار و سلمان.

شهد عمار قتال مسيلمه الكذاب و اصيبت اذنه يوم اليمامه فقطعت و تدلّت على كتفه ففى مجالس المؤمنين للقاضى نور اللّه و فى اسد الغابه لابن الاثير باسناده عن ابن عمر قال رأيت عمّار بن ياسر يوم اليمامه على صخره قد اشرف يصيح يا معشر المسلمين - و كانوا قد هربوا من الحرب - أمن الجنه تفرّون إلىّ إلىّ أنا عمّار ابن ياسر هلموا إلىّ قال و أنا أنظر إلى اذنه قد قطعت فهى تذبذب و هو يقاتل أشد القتال.

أقول: اما أن ما عنون فى الكتب الرجاليه فى كنيته رضوان اللّه عليه بأبى اليقظان فما وجدت فى كتاب أن يكون له ولد كان اسمه يقظان حتّى يكنى بأبى اليقظان و جاء فى كتب الادب و اللغه أن أبا اليقظان يكون كنيه للدّيك و ظنى أن عمار رضوان اللّه عليه لما كان رجلا نبيها يقظان عارفا بدين اللّه كنّى به و كان أيضا فى الحروب بطلا فحلا و شجاعا يهابه النّاس و كمّيا لم ير فى معسكر علىّ عليه السّلام بعد الأشتر مثله بل هو ممن قاتل فى سبيل اللّه من بدء ظهور الاسلام إلى يوم صفين فى المشاهد ممّا يتحيّر فيه العقول فى ثباته فى الدين و خلوصه و كان يتقيه و يحذره الابطال فى المعارك و المهالك، كنى بأبى اليقظان كما نقول نحن فى الفارسيّه بالرجل الشجاع المصارع، خروس جنگى، و هذا ممّا تفردت به و لم اجده فى كتاب و ما سمعت من أحد و اللّه هو العالم.

و هاجر عمار إلى أرض الحبشه و قال ابن هشام فى السيره: فلمّا رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما يصيب أصحابه من البلاء و ما هو فيه من العافيه بمكانه من اللّه و من عمه أبى طالب و أنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشه فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد و هى أرض صدق حتّى يجعل اللّه لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أرض الحبشه مخافه الفتنه و فرارا إلى اللّه بدينهم فكانت أوّل هجره كانت فى الاسلام «إلى أن قال» فى (ص ۳۳۰ ج ۱ طبع ۱۳۷۵ ه) بعد عدّ من هاجر من المسلمين إلى الحبشه: فكان

جمیع من لحق بأرض الحبشه و هاجر إلیها من المسلمین سوی ابنائهم الّذین خرجوا بهمم معهم صغارا و ولدوا بها ثلاثه و ثمانین رجلا، إن کان عمار بن یاسر فیهم و هو یشکک فیه.

و کذا قال فی ذکر من عاد من أرض الحبشه لما بلغهم اسلام أهل مکه، بعد عد عدّه منهم: و من حلفاء بنی مخزوم: عمار بن یاسر، یشکّ فیه أ کان خرج إلی الحبشه أم لا؟ و لقد شهد عمار رحمه اللّه تعالی بدرا و المشاهد کلها و أبلی ببدر بلاء حسنا و قتل فی بدر کما فی السیره الهشامیه عامر ابن الحضرمیّ و رجلا شجاعا آخر أحد بنی عمرو بن تمیم و علیّ بن امیّه بن خلف.

قال ابن هشام: و یقال إن زید بن حارثه و عمار بن یاسر قتلا معاویه بن المغیره بعد حمراء الأسد، کان لجأ إلی عثمان بن عفان فاستأمن له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أنه إن وجد بعد ثلاث قتل فأقام بعد ثلاث و تواری فبعثهما النّبی صلّی اللّه علیه و آله و قال إنکما ستجد انه بموضع کذا و کذا فوجداه فقتلاه.

و فی غزوه ذات الرقاع کان عمار بن یاسر و عبّاد بن بشر(۱) قاما علی حراسه جیش الرسول صلّی اللّه علیه و آله و اصیبا فی ذلک من الالم و الاذی.

فی السیره الهشامیه: قال ابن إسحاق و حدثنی عمّی صدقه بن یسار عن عقیل بن جابر عن جابر بن عبد اللّه الانصاری قال:

خرجنا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی غزوه ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأه رجل من المشرکین فلما انصرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قافلا أتی زوجها و کان غائبا فلما اخبر الخبر حلف لا ینتهی حتّی یهریق فی أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله دما فخرج

۱- (۱) قال ابن حجر فی التقریب: عباد بن بشر بن وقش (بفتح الواو و القاف و بمعجمه) الانصاری من قدماء الصحابه اسلم قبل الهجره و شهد بدرا و ابلی یوم الیمامه (یعنی یوم قتال المسلمین مع مسیلمه بن حبیب المتنبی الکذاب فی الیمامه بعد رحله رسول اللّه «صلّی اللّه علیه و آله») فاستشهد بها.

يتبع أثر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ قال فانتدب رجل من المهاجرين و رجل آخر من الانصار فقالا نحن يا رسول اللّه، قال فكونا فى فم الشعب، قال و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد نزلوا إلى شعب من الوادى و هما عمار بن ياسر و عباد بن بشر فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الانصارى للمهاجرى «يعنى قال عباد بن بشر لعمار بن ياسر» أى الليل تحب أن أكفيكه: أوّله أم آخره؟ قال بل اكفنى أوله قال فاضطجع المهاجرى فنام و قام الأنصارى يصلّى قال: و أتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف انه ربيئه القوم «اى الطليعه الذى يحرس القوم» قال فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه و وضعه، فثبت قائما، قال: ثمّ رماه بسهم آخر فوضعه فيه، قال فنزعه فوضعه، و ثبت قائما، ثمّ عادله بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثمّ ركع و سجد، ثمّ أهبّ صاحبه «يعنى أيقظ عمارا» فقال اجلس فقد أثبتّ «يعنى جرحت جرحا لا يمكن التحرك معه» قال: فوثب فلمّا رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به «أى علما به» فهرب.

و لما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان اللّه أفلا أهببتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سوره أقرؤها فلم احب أن أقطعها حتى أنفدها فلما تابع على الرمى ركعت فاذنتك و ايم اللّه لو لا أن اضيع ثغرا أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها.

و فى السيره الهشاميه ايضا فى تكنيه الرسول صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام بأبى تراب فى غزوه العشيره:

قال ابن إسحاق فحدثنى يزيد بن محمّد بن خيثم المحاربى عن محمّد بن كعب القرظى عن محمّد بن خيثم أبى يزيد عن عمار بن ياسر، قال:

كنت أنا و علىّ بن أبى طالب رفيقين فى غزوه العشيره فلما نزلها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أقام بها رأينا اناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم و فى نخل فقال لى علىّ بن أبى طالب يا أبا اليقظان هل لك فى أن تأتى هؤلاء القوم فنظر كيف يعملون قال؟

قلت إن شئت، قال فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعه ثمّ غشينا النوم فانطلقت أنا و عليّ حتّى اضطجعنا فى صور من النخل و فى دقعاء من التراب فنمنا فو اللّه ما أهبّنا إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحركنا برجله و قد تترّبنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها فيومئذ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعليّ بن أبى طالب مالك يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ثمّ قال ألا احدّثكما بأشقى النّاس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: احيمر ثمود الذى عقر النّاقه و الذى يضر بك يا على على هذه و وضع يده على قرنه حتّى يبلّ منها هذه و أخذ بلحيته. «احيمر ثمود هو الذى عقر ناقه صالح و اسمه قدار بن سالف».

و فى السيره الهشاميه (ص ۳۹۲ ج ۱ طبع ۱۳۷۵ ه) قال ابن إسحاق و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا جلس فى المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خبّاب و عمّار، و أبو فكيهه يسار مولى صفوان بن اميّه بن محرّث، و صهيب و أشباههم من المسلمين هزئت بهم قريش و قال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهولاء منّ اللّه عليهم من بيننا بالهدى و الحق! لو كان ما جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و آله خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه و ما خصّهم اللّه به دوننا فأنزل اللّه تعالى فيهم: «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » إلى قوله تعالى «فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (سوره الانعام من الايه ۵۳ إلى ۵۵).

و لما آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار كان عمار ابن ياسر و حذيفه بن اليمان اخوين، و يقال عمار و ثابت بن قيس كانا اخوين، و فى الدر المنثور كما فى مادّه «عمر» من سفينه البحار: و كان أبو هريره يقول إن عمار بن ياسر أجاره اللّه من الشيطان على لسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لما هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينه أمر صلّى اللّه عليه و آله أن يبنى فى المدينه مسجدا و فى السيره الهشاميه (ص ۴۹۶ ج ۱) و نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أبى أيّوب حتى بنى مسجده و مساكنه فعمل فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليرغّب المسلمين فى العمل فيه فعمل فيه المهاجرون و الأنصار و دأبوا فيه، «إلى أن قال:» فدخل عمار بن ياسر و قد

أثقلوه باللّبن، فقال: يا رسول اللّه قتلونى، يحملون علىّ ما لا يحملون. قالت امّ سلمه زوج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ينفض و فرته بيده و كان رجلا جعدا و هو صلّى اللّه عليه و آله يقول: ويح ابن سميه، ليسوا بالّذين يقتلونك انما تقتلك الفئه الباغيه.

و فى تاريخ الطبرى: الناس ينقلون حجرا حجرا و لبنه لبنه و عمار ينقل حجرين حجرين و لبنتين لبنتين رغبه فى الأجر و سيأتى تفصيله ثمّ قال ابن هشام و ارتجز علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يومئذ:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيه قائما و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّما يعرّض به، فقال له الرجل سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سميّه و اللّه إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لانفك، و فى يده عصا، فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال: ما لهم و لعمّار يدعوهم إلى الجنه و يدعونه إلى النار، و إن عمارا جلده ما بين عينىّ و أنفى فاذا بلغ ذلك من الرّجل فلم يستبق فاجتنبوه.

أقول: ذلك الرجل هو عثمان بن عفان كما صرّح به غير واحد من الفريقين و قال السهيلى و قد سمى ابن إسحاق الرّجل و كره ابن هشام أن يسمّيه كى لا يذكر أحدا من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكروه، و قال أبو ذر: و قد سمى ابن إسحاق الرجل فقال إن هذا الرجل هو عثمان بن عفان. و فى المواهب اللدنيه ان الرجل هو عثمان ابن مظعون و هو خطأ جدا و ظن محض لا يساعده خبر و لا أثر و عدل إليه لبعض شأنه.

قال ابن هشام فى السيره: و ذكر سفيان بن عيينه عن زكريا عن الشّعبى قال: إن أوّل من بنى مسجدا عمار بن ياسر.

أقول: يعنى بهذا الحديث مسجد قبا لأن عمارا هو الذى أشار على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ببنيانه و هو جمع الحجاره له فلما أسّسه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله استتم بنيانه عمار، كما

فی روض الأنف، و قال فی اسد الغابه: و من مناقبه أنه أوّل من بنی مسجدا فی الاسلام، و قال باسناده عن الحکم بن عیینه قال قدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینه أوّل ما قدمها ضحی فقال عمار ما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بدّ من أن نجعل له مکانا إذا استظل من قائلته لیستظلّ فیه و یصلی فیه فجمع حجاره فبنی مسجد قبا فهو أوّل مسجد بنی و عمار بناه.

و فی ماده «عمر» من سفینه البحار: عن أبی عبیده بن محمّد بن عمار عن أبیه عن جدّه عمار قال کنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بعض غزواته و قتل علیّ علیه السّلام أصحاب الألویه و فرّق جمعهم و قتل عمرو بن عبد اللّه الجمحی و قتل شیبه بن نافع اتیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقلت یا رسول اللّه إنّ علیّا علیه السّلام قد جاهد فی اللّه حق جهاده فقال صلّی اللّه علیه و آله لانه منی و أنا منه وارث علمی و قاضی دینی و منجز وعدی و الخلیفه بعدی و لولاه لم یعرف المؤمن المحض بعدی، حربه حربی و حربی حرب اللّه و سلمه سلمی و سلمی سلم اللّه الا انه أبو سبطی و الأئمه بعدی من صلبه یخرج اللّه تعالی الأئمه الراشدین و منهم مهدیّ هذه الامّه.

فقلت بأبی أنت و امی یا رسول اللّه ما هذا المهدی؟ قال صلّی اللّه علیه و آله یا عمّار إنّ اللّه تبارک و تعالی عهد إلیّ انّه یخرج من صلب الحسین علیه السّلام أئمه تسعه و التاسع من ولده یغیب عنهم و ذلک قوله عزّ و جلّ «قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُکُمْ غَوْراً فَمَنْ یَأْتِیکُمْ بِماءٍ مَعِینٍ» یکون له غیبه طویله یرجع عنها قوم و یثبت علیها آخرون فاذا کان فی آخر الزمان یخرج فیملا الدنیا قسطا و عدلا و یقاتل علی التاویل کما قاتلت علی التنزیل و هو سمیّی و أشبه الناس بی یا عمار ستکون بعدی فتنه فاذا کان کذلک فاتّبع علیا و حزبه فانه مع الحق و الحق معه یا عمّار إنک ستقاتل مع علیّ علیه السّلام صنفین: الناکثین و القاسطین، ثمّ تقتلک الفئه الباغیه قلت یا رسول اللّه ألیس ذلک علی رضا اللّه و رضاک؟ قال نعم علی رضا اللّه و رضای و یکون آخر زادک شربه من لبن تشربه.

فلمّا کان یوم صفین خرج عمار بن یاسر إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له یا أخا

رسول اللّه أ تأذن لی فی القتال قال مهلاـ رحمک اللّه فلمّا کان بعد ساعه اعاد علیه الکلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثا فبکی أمیر المؤمنین علیه السّلام فنظر إلیه عمّار فقال یا أمیر المؤمنین انه الیوم الّذی وصف لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فنزل أمیر المؤمنین علی بغلته و عانق عمّارا و ودّعه ثمّ قال یا أبا الیقظان جزاک اللّه عن اللّه و عن نبیّک خیرا فنعم الاخ کنت و نعم الصاحب کنت ثمّ بکی علیه السّلام و بکی عمار ثمّ برز إلی القتال و ذکر قتاله إلی أن قتل رضی اللّه عنه فلما کان اللیل طاف أمیر المؤمنین علیه السّلام فی القتلی فوجد عمّارا ملقی فجعل رأسه علی فخذه ثمّ بکی و أنشأ:

أیا موت کم هذا التفرق عنوه فلست تبقی لی خلیل خلیل

الا یا أیها الموت الذی لیس تارکی ارحنی فقد افنیت کلّ خلیل

اراک بصیرا بالذین احبهم کانک تمضی نحوهم بدلیل

و فی روایه ابن أعثم فأتاه علیّ علیه السّلام و قال إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون إن امرأ لم یدخل علیه مصیبه من قتل عمار فما هو فی الاسلام من شیء ثمّ صلّی علیه و قرء هاتین البیتین.

و نقل انه لما قتل یوم صفین احتمله أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی خیمته و جعل یمسح الدم عن وجهه و یقول:

و ما ظبیه تسبی الظباء بطرفها إذا نبعثت خلنا باجفانها سحرا

بأحسن ممّن خضّب السیف وجهه دما فی سبیل اللّه حتّی قضی صبرا

و قتل (ره) فی صفین فی الیوم التاسع من صفر عند المساء سنه سبع و ثلاثین و سنّه إذ ذاک تزید علی التسعین فقال بعض و هو یومئذ ابن أربع و تسعین سنه و قال آخر و له ثلاث و تسعون سنه و الظاهر أن الثانی أخذ السنین تامّه دون الاوّل و نقل ابن الاثیر فی اسد الغابه قولا آخر بعد القولین: و قیل احدی و تسعون.

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه: قال أبو مخنف حدثنی عبد الملک بن أبی حر الحنفی أن عمّار بن یاسر خرج إلی النّاس فقال اللهمّ إنک تعلم أنی لو أعلم أن

رضاک فی أن أقذف بنفسی فی هذا البحر لفعلته، اللهم إنّک تعلم أنی لو أعلم أن رضاک فی أن أضع ظبه سیفی فی صدری ثمّ انحنی علیها حتی تخرج من ظهری لفعلت و إنی لا ـ أعلم الیوم عملا هو أرضی لک من جهاد هؤلاء الفاسقین و لو أعلم أن عملا من الأعمال هو أرضی لک منه لفعلته.

ثمّ قال: قال أبو مخنف و حدّثنی الصقعب بن زهیر الأزدی قال سمعت عمارا یقول و اللّه إنّی لأری قوما لیضربنکم ضربا یرتاب منه المبطلون و ایم اللّه لو ضربونا حتی یبلغوا بناسعفات هجر لعلمنا أنا علی الحق و أنهم علی الباطل.

و فی مروج الذهب قال عمّار بن یاسر إنّی لأری وجوه قوم لا یزالون یقاتلون حتّی یرتاب المبطلون و اللّه لو هزمونا حتی یبلغوا بناسعفات هجر لکنا علی الحق و کانوا علی الباطل.

أقول: هرج محرکه بلد بالیمن مذکر مصروف و قد یؤنث و یمنع من الصرف و هجر هذه معروفه بکثره التمر و النخیل و منه المثل المعروف: کناقل التمر إلی هجر، و فی النهایه الاثیریه هجر اسم بلد معروف بالبحرین و هو مذکر مصروف، و الظاهر انما صحف من النساخ الیمن بالبحرین و لا بعد فیه و کم له من نظیر، و هجر أیضا قریه من قری المدینه تنسب الیها القلال، و المراد هنا هجر الاولی بقرینه السعفات کما هو ظاهر کلام ابن الانیر فی ماده «سعف» من النهایه قال: و فی حدیث عمار لو ضربونا حتّی یبلغوا بنا سعفات هجر، السعفات جمع سعفه بالتحریک و هی أغصان النخیل و قیل إذا یبست سمیت سعفه و إذا کانت رطبه فهی شطبه و إنما خصّ هجر للمباعده فی المسافه و لانها موصوفه بکثره النخیل.

و فی اسد الغابه: «حتی یبلغوا بناشعاب هجر» و لکن فی کتاب نصر بن مزاحم و نهایه ابن الأثیر و تاریخ الطبری و بحار المجلسی و غیرها «سعفات هجر» و هذه اولی من الاولی لمکان النخیل و یشبه ان تکون الاولی مصحفه و یؤید قولنا ترجمه القاضی نور اللّه الشهید الحدیث بالفارسیه حیث قال فی مجالس المؤمنین: و اللّه اگر شما بر ما چنان غالب می شدید که تا نخلستان هجر ما را می گریزانید بیقین خواهیم

ص:۲۸۵

دانست که ما بر حقیم و شما بر باطل.

و معنی قوله رضوان اللّه علیه «حتّی یرتاب المبطلون» أن هؤلاء الفئه الباغیه اعنی جنود معاویه لما ضربوا و قتلوا من کان ناصرا و ممدا لأهل الحق اعنی احزاب علیّ علیه السّلام فعند ذلک یقول من لم یکن علی النهج القویم و الصراط المستقیم لو لم یکن معاویه و اتباعه علی حق لما ظهروا علی علیّ علیه السّلام و أشیاعه و هذا ریب یعتریه کما نری کثیرا من رذله الناس و سفلتهم عند منازعه أهل الحق و الباطل فی أمر لو منع أهل الحق من عمله و انفاذ أمره یقولون لو کانوا علی حق لما ظهر هؤلاء علیهم و أما من کان علی بصیره فی دینه فیقول: و اللّه لو هزمونا حتّی یبلغوا بنا سعفات هجر لکنا علی الحق و کانوا علی الباطل. و لنعد إلی القصه:

قال الطبری باسناده عن زید بن وهب الجهنی: أن عمار بن یاسر رحمه اللّه قال یومئذ أین من یبتغی رضوان اللّه علیه و لا یؤب إلی مال و لا ولد؟ فاتته عصابه من الناس فقال أیها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الّذین یبغون دم ابن عفان و یزعمون انه قتل مظلوما و اللّه ما طلبتم بدمه و لکن القوم ذاقوا الدنیا فاستحبوها و استمرءوها و علموا أن الحق إذا لزمهم حال بینهم و بین ما یتمرغون فیه من دنیاهم و لم یکن للقوم سابقه فی الاسلام یستحقون بها طاعه الناس و الولایه علیهم فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل مظلوما لیکونوا بذلک جبابره ملوکا و تلک مکیده بلغوا بها ما ترون و لو لا هی ما تبعهم من النّاس رجلان، اللهم إن تنصرنا فطال ما نصرت و إن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا فی عبادک العذاب الألیم، ثمّ مضی و مضت تلک العصابه التی أجابته حتی دنا من عمرو فقال یا عمرو بعت دینک بمصر تبّا لک تبّا طالما بغیت فی الاسلام عوجا.

و قال الطبری و نصر بن مزاحم: ثمّ قال عمار لعبید اللّه بن عمر بن الخطاب صرعک اللّه بعت دینک من عدو الأسلام و ابن عدوّه.

قال کلا و لکن أطلب بدم عثمان بن عفان الشهید المظلوم قال له أشهد علی علمی فیک أنک أصبحت لا تطلب بشیء من فعلک وجه اللّه عزّ و جلّ و أنک ان لم تقتل

ص:۲۸۶

اليوم فستموت غدا فانظر إذا أعطى اللّه العباد على قدر نيّاتهم ما نيّتك.

و قال الطبرى فى تاريخه باسناده عن أبى عبد الرّحمن السلمى قال سمعت عمار بن ياسر بصفين و هو يقول لعمرو بن العاص لقد قاتلت صاحب هذه الرايه ثلاثا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هذه الرابعه ما هى بأبرّ و لا أتقى.

أقول: كان عمرو بن العاص عامل عمر بن الخطاب على مصر إلى السنه التى قتل فيها فلما ولى عثمان اقره سنتين من إمارته ثمّ عزل عمرا و استعمل عبد اللّه بن سعد بن أبى السرح و كان عثمان لا يعزل أحدا إلّا عن شكاه أو استعفاء من غير شكاه و لم يكن عزله عمرا عن استعفائه، و كتب عبد اللّه بن سعد إلى عثمان يقول إن عمرا كسر الخراج فكتب عثمان إلى عمرو انصرف و ولى عبد اللّه بن السعد الخراج و الجند فقدم عمرو مغضبا فدخل عمرو على عثمان و عليه جبه يمانيه محشوه قطنا فقال له عثمان: ما حشوجبتك؟ قال عمرو. قال عثمان: قد علمت أن حشوها عمرو و لم ارد هذا إنما سألت أقطن هو أم غيره. قال الطبرى فى تاريخه بعث عبد اللّه بن سعد إلى عثمان بمال من مصر قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان فقال عثمان يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك؟ فقال عمرو إن فصالها هلكت.

ثمّ شايع عمر و معاويه فى حرب علىّ عليه السّلام طمعا أن يجعل عاملا على مصر ثانيا و يتولى أمرها فمراد عمار (ره) من قوله «يا عمرو بعت دينك بمصر» أن عمرا باع دينه بازاء اماره مصر كقولك بعت هذا الثوب بهذا الدرهم و اصدق شاهد لنا على ذلك ما نص به نصر بن مزاحم فى كتابه صفين و النصر هذا من رجال أصحاب الحديث الاقدمين و كان من معاصرى محمّد بن علىّ بن الحسين عليهم السّلام باقر علوم الاولين و الاخرين و كتابه سند لمن جاء بعده من المورخين و تعرض لترجمته و توثيقه غير واحد من العلماء الشامخين كالشيخ الطوسى (ره) فى الفهرست و العلامه فى الخلاصه و النجاشىّ فى رجاله و ابن النديم فى الفهرست و قال ابن أبى الحديد فى شرحه على النهج: نصر بن مزاحم فى نفسه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا ادغال و هو من رجال أصحاب الحديث.

و بالجمله قال نصر فى ذلك الكتاب (ص ۲۲ الطبع الناصرى) بإسناده قال

قال معاويه لعمرو يا ابا عبـد اللّه إنى ادعوک إلى جهاد هذا الرّجل الّذى عصـى ربه و قتل الخليفه و اظهر الفتنه و فرق الجماعه و قطع الرحم، قـال عمرو: إلى من؟ قـال إلى جهـاد علىّ، قـال: فقـال عمرو و اللّه يـا معـاويه مـا أنت و علىّ بعكمى بعير(۱) مالک هجرته و لا سابقته و لا صـحبته و لا جهاده و لا فقهه و لا علمه و اللّه إن له مع ذلک حدا و حدودا و حظا و حظوه و بلاء من اللّه حسنا، فما تجعل لى إن شايعتک على حربه و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر و قال حلمک قال مصر طعمه فتلكا عليه معاويه.

و مضـى من تاريـخ الطبرى أيضا أن عمرا قال لمعاويه: ان فى النفس من ذلک ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته و قرابته و لکنّا انما اردنا هذه الدنيا فصالحه معاويه و عطف عليه.

و يـأتى فى ذلـک کتـابه عليه السّـلام إلى عمرو حيث يقول: فانـک جعلت دينـک تبعا لـدنيا امرء ظاهر غيه إلى آخر ما قال عليه السّـلام، نعوذ باللّه من الوساوس النفسانيه و التسويلات الشـيطانيه فانظر کيف اسـتحوذ الشـيطان على ابن العاصـى الـداهى المارد فباع حظه بالارذل الادنى و شرى آخرته بالثمن الاوکس و تغطرس و تردى فى هواه قال المسعودى فى مروج الذهب: و قد کان عمرو بن العـاص انحرف عن عثمـان لانحرافه و توليه مصـر غيره فنزل الشام فلمّا اتصل به امر عثمان و ما کان من بيعه على کتب إلى معاويه يهزه و يشير إليه بالمطالبه بدم عثمان و کان فيما کتب به إليه: ما کنت صانعا إذا قشرت من کل شـىء تملکه فاصنع مـا أنت صـانع، فبعث إليه معـاويه فسـار إليه فقـال له معاويه بايعنى قال و اللّه لا أعينک من دينى حتّى أنال من دنياک، قال سل، قال مصر طعمه فاجابه إلى ذلک و کتب له به کتابا و قال عمرو بن العاص فى ذلک.

معاوى لا أعطيک دينى و لم أنل به منک دنيا فانظرن کيف تصنع

فان تعطنى مصرا فاربح صفقه اخذت بها شيخا يضرّ و ينفع

ص:۲۸۸

۱- (۱) العکم بالکسـر وثـاق الجمـل و العکمان العـدلان و قوله: ما أنت و على عليه السـلام بعکمى بعير أى لست ممن تعادله و تساويه

و مراد عمّار (ره) من قوله «عدو الاسلام و ابن عدوه»: معاويه و أبوه أبو سفيان و مراده من قوله «لقد قاتلت صاحب هذه الرايه ثلاثا» المواطن الثلاثه: بدر واحد و حنين. كما فی كتاب نصر بن مزاحم حيث قال باسناده عن زيد بن أبی رجاء عن أسماء بن الحكم الفزاری قال كنّا بصفّين مع علیّ بن أبی طالب تحت رايه عمّار بن ياسر ارتفاع الضحی استظلنا ببرد أحمر إذ أقبل رجل يستقری الصف حتّی انتهی إلينا فقال أيكم عمّار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر هذا عمار، قال أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال: إن لی حاجه إليك فأنطق بها علانيه أو سرا؟ قال اختر لنفسك أیّ ذلك شئت قال لا بل علانيه قال فانطق، قال: إنی خرجت من أهلی مستبصرا فی الحق الّذی نحن عليه لا- أشك فی ضلاله هؤلاء القوم و إنهم علی الباطل فلم أزل علی ذلك مستبصرا حتی كان ليلتی هذه صباح يومنا هذا فتقدم منادينا فشهد ان لا إله إلا اللّه و أن محمّدا رسول اللّه و نادی بالصلاه فنادی مناديهم بمثل ذلك ثمّ اقيمت الصّلاه فصلّينا صلاه واحده و دعونا دعوه واحده و تلونا كتابا واحدا و رسولنا واحد فأدركنی الشك فی ليلتی فبت بليله لا- يعلمها إلا اللّه حتی أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال هل لقيت عمار بن ياسر قلت لا قال فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه فجئتك لذلك قال له عمّار هل تعرف صاحب الرايه السوداء لمقابلتی فانها رايه عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله ثلاث مرّات و هذه الرابعه ما هی بخيرهن و لا أبرهن بل هی شرهن و أفجرهن أشهدت بدرا واحدا و حنينا أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال: لا، قال فإن مراكزنا علی مراكز رايات رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله يوم بدر و يوم احد و يوم حنين و إن هؤلاء علی مراكز رايات المشركين من الاحزاب هل تری هذا العسكر و من فيه فو اللّه لوددت أن جميع من أقبل مع معاويه ممن يريد قتالنا مفارقا للّذی نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته و ذبحته و اللّه لدماؤهم جميعا أحلّ من دم عصفور أفتری دم عصفور حراما؟ قال لا بل حلال قال فانهم كذلك حلال دماؤهم، أ ترانی قد بيّنت لك؟ قال: قد بيّنت لی، قال: فاختر أی ذلك أحببت قال فانصرف الرجل ثمّ دعاه عمّار بن ياسر فقال

أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا و اللّه ما هم من الحق على ما يقذى عين ذباب و اللّه لو ضربونا بأسيافهم حتّى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق و هم على باطل و أيم اللّه لا يكون سلما سلما أبدا حتّى يبؤ أحد الفريقين (كذا) على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين و حتى يشهدوا على الفريق الاخر بأنهم على الحق و أن قتلا هم فى الجنه و موتاهم و لا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم و قتلاهم فى الجنه و أن موتى أعدائهم و قتلاهم فى النار و كان أحياؤهم على الباطل.

و قال نصر بن مزاحم باسناده عن عبد خير الهمدانى قال نظرت إلى عمار بن ياسر يوما من أيّام صفين رمى رميه فاغمى عليه و لم يصلّ الظهر و العصر و المغرب و لا العشاء و لا الفجر ثمّ أفاق فقضاهن جميعا يبدء باول شىء فاته ثم التى يليها.

أقول: انّ عمارا متى ضربه عثمان غشى عليه و ادركته هذه الحاله أيضا كما فى الشافى للشريف المرتضى علم الهدى كما نقله الشارح المعتزلى فى الجزء الثالث من شرح النهج فى مطاعن عثمان.

قال علم الهدى: و هذا الفعل اعنى ضرب عمار لم تختلف الرواه فيه و انّما اختلفوا فى سببه فروى عباس بن هشام الكلبى عن أبى مخنف فى إسناده أنه كان فى بيت المال بالمدينه سفط فيه حلى و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله فاظهر الناس الطعن عليه فى ذلك فكلموه فيه بكلّ كلام شديد حتى غضبوه فخطب فقال لناخذن حاجتنا من هذا الفىء و ان رغمت به انوف اقوام فقال له إذن تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار اشهد اللّه ان انفى أوّل راقم «غم ظ» من ذلك فقال عثمان أعلىّ يا ابن ياسر تجرى؟ خذوه فاخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشى عليه ثمّ اخرج فحمل حتى اتى به منزل ام سلمه فلم يصلّ الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضأ و صلّى و قال الحمد للّه ليس هذا أوّل يوم او ذينا، انتهى.

و فى البحار كما فى السفينه نقلا عن رجال الكشىّ عن قيس بن أبى حازم قال: قال عمار ادفنونى فى ثيابى فانى مخاصم و كذا فى اسد الغابه و عن أبى البخترى

قال: اتی عمّار یومئذ بلبن فضحک ثمّ قال قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آخر شراب تشربه من الدنیا مذقه من لبن حتی تموت.

و فیه و فی خبر آخر أنّه قال آخر زادک من الدنیا ضیاح لبن، و فی کشف الغمه عن حبه العرنی قال شهدته یوم قتل یقول إیتونی باخر رزق لی من الدنیا فاتی بضیاح من لبن فی قدح اروح بحلقه حمراء فقال الیوم القی الاحبه محمّدا و حزبه و قال و اللّه لو ضربونا حتی بلغونا سعفات هجر لعلمت انا علی الحق و أنهم علی الباطل ثمّ قتل رضی اللّه عنه قتله أبو العادیه و احتز رأسه أبو جوی السکسکی(۱).

و فیه و کان الّذی قتل عمارا أبو عادیه المری طعنه برمح فسقط و کان یومئذ یقاتل و هو ابن أربع و تسعین سنه فلما وقع أکبّ علیه رجل فاحترز رأسه فأقبلا یختصمان کلاهما یقول أنا قتلته فقال عمرو بن العاص و اللّه ان یختصمان إلاّ فی النار.

و فی تاریخ الطبری باسناده عن حبه بن جوین العرنی قال انطلقت أنا و أبو مسعود إلی حذیفه بالمدائن فدخلنا علیه فقال مرحبا بکما ما خلفتما من قبائل العرب أحدا أحبّ إلیّ منکما فاسندته إلی أبی مسعود فقلنا یا أبا عبد اللّه حدثنا فانا نحاف الفتن فقال علیکما بالفتنه التی فیها ابن سمیه انی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول تقتله الفئه الباغیه الناکبه عن الطریق و ان آخر رزقه ضیاح من لبن، قال حبه فشهدته یوم صفین و هو یقول: ائتونی باخر رزق لی من الدنیا فاتی بضیاح من لبن فی قدح أروح له حلقه حمراء فما أخطأ حذیفه مقیاس شعره فقال الیوم ألقی الأحبه محمّدا و حزبه و اللّه لو ضربونا حتی یبلغوا بناسعفات هجر لعلمنا أنا علی الحق و أنهم علی الباطل و جعل یقول الموت تحت الأسل و الجنه تحت البارقه.

۱- (۱) - اختلفت النسخ فی اسمهما لعنهما اللّه ففی مروج الذهب ابو الهادیه العاملی و ابو حواء السکسکی و فی کشف الغمه أبو العادیه و أبو جوی السکسکی و فی بعضها أبو عادیه المری و فی کتاب صفین لنصر بن مزاحم ابو العادیه الفزاری و ابن جون السکسکی و یشبه ان یکون ابو حواء اصح لمکان الشعر الاتی للحجاج بن عربه الانصاری و اما الاخر فما فی کتاب صفین.

و فيه باسناده عن الأعمش قال: قال أبو عبد الرّحمن السلمى كنا مع علىّ عليه السّلام بصفين فكنّا قد و كلنا بفرسه رجلين يحفظانه و يمنعانه من أن يحمل فكان إذا حانت منهما غفله يحمل فلا يرجع حتّى يخضب سيفه و إنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه إليهم و قال لو لا أنه انثنى ما رجعت فقال الاعمش هذا و اللّه ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيئا فأدوه و ما كانوا بكذا بين، قال:

و رأيت عمارا لا يأخذ واديا من أوديه صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و رأيته جاء إلى المر قال هاشم بن عتبه و هو صاحب رايه علىّ عليه السّلام فقال يا هاشم أعورا و جبنا لا خير فى أعور لا يغشى البأس فاذا رجل بين الصفين قال هذا و اللّه ليخلفن إمامه و ليخذلن جنده و ليصرنّ جهده اركب يا هاشم فركب و مضى هاشم يقول:

أعور يبغى أهله محلاّ قد عالج الحياه حتى ملاّ

لا بد أن يفلّ أو يفلاّ

و عمّار يقول تقدم يا هاشم الجنّه تحت ظلال السيوف و الموت فى أطراف الاسل و قد فتحت أبواب السماء و تزينت الحور العين اليوم ألقى الأحبه محمّدا و حزبه فلم يرجعا و قتلا يفيد لك عليهما من كان هناك من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنهما كانا علما فلما كان الليل قلت لأدخلن إليهم حتّى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا و كنّا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا و تحدثنا إليهم فركبت فرسى و قد هدأت الرجل ثم دخلت فإذا أنا بأربعه يتسايرون: معاويه و أبو الأعور السلمى و عمرو بن العاص و عبد اللّه بن عمرو هو خير الأربعه فأدخلت فرسى بينهم مخافه أن يفوتنى ما يقول أحد الشقين فقال عبد اللّه لأبيه يا أبت قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا و قد قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما قال، قال: و ما قال؟ قال أ لم تكن معنا و نحن نبنى المسجد و النّاس ينقلون حجرا حجرا و لبنه لبنه و عمار ينقل حجرين حجرين و لبنتين لبنتين فغشى عليه فأتاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فجعل يمسح التراب عن وجهه و يقول ويحك يا ابن سميه الناس ينقلون حجرا حجرا و لبنه لبنه و أنت تنقل حجرين حجرين و لبنتين لبنتين رغبه منك فى الأجر و أنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئه الباغيه فدفع عمرو صدر فرسه

ثمّ جذب معاویه إلیه فقال یا معاویه أما تسمع ما یقول عبد اللّه؟ قال و ما یقول؟ فأخبره الخبر، فقال معاویه إنک شیخ اخرق و لا تزال تحدث بالحدیث و أنت تدحض فی بولک أو نحن قتلنا عمارا إنما قتل عمارا من جاء به فخرج الناس من فساطیطهم و أخبیتهم یقولون إنما قتل عمارا من جاء به فلا أدری من کان أعجب هو أوهم.

و فی کتاب نصر بن مزاحم باسناده عن حبیب بن أبی ثابت قال لما بنی المسجد جعل عمار یحمل حجرین فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یا أبا الیقظان لا تشقق علی نفسک قال یا رسول اللّه انی احب أن أعمل فی هذا المسجد قال ثمّ مسح ظهره ثمّ قال انک من أهل الجنّه تقتلک الفئه الباغیه.

و قال نصر باسناده عن ابن أبی ملیکه قال: قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص لو لا أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر بطواعیتک ما سرت معک هذا المسیر أما سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لعمار: یقتلک الفئه الباغیه.

أقول: الطّواعیه مثل الثمانیه: الطاعه، یقال فلان حسن الطواعیه أی حسن الطاعه.

و روی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال له: أطع أباک کما فی أسد الغابه حیث قال:

و شهد عبد اللّه بن عمرو مع أبیه فتح الشام و کانت معه رأیه أبیه یوم الیرموک و شهد معه أیضا صفین و کان علی المیمنه، قال له أبوه: یا عبد اللّه اخرج فقاتل فقال یا أبتاه أ تأمرنی أن أخرج فاقاتل و قد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعهد إلیّ ما عهد؟ قال: انشدک باللّه یا عبد اللّه أ لم یکن آخر ما عهد الیک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن أخذ بیدک فوضعها فی یدی و قال: أطع أباک، قال: اللهم بلی قال فانی أعزم علیک أن تخرج فتقاتل فخرج فقاتل و تقلد بسیفین و ندم بعد ذلک فکان یقول مالی و لصفین مالی و لقتال المسلمین لوددت انی مت قبله بعشرین سنه.

و فیه أیضا بإسناده عن إسماعیل بن رجاء عن أبیه قال کنت فی مسجد الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی حلقه فیها أبو سعید الخدری و عبد اللّه بن عمرو فمرّ بنا حسین بن علیّ علیهما السّلام فسلّم فرد القوم السلام فسکت عبد اللّه حتّی فرغوا رفع صوته و قال و علیک السلام و رحمه اللّه و برکاته.

ثمّ أقبل على القوم فقال ألا اخبركم باحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء قالوا بلى قال هو هذا الماشى ما كلمنى كلمه منذ ليالى صفين و لأن يرضى عنى أحبّ إلىّ من أن يكون لى حمر النعم.

فقال أبو سعيد ألا تعتذر إليه؟ قال بلى قال فتواعدا أن يغدوا إليه قال فغدوت معهما فاستأذن أبو سعيد فأذن له فدخل ثمّ استأذن لعبد اللّه فلم يزل به حتّى أذن له فلما دخل قال أبو سعيد يا ابن رسول اللّه انك لما مررت بنا أمس - فأخبره بالذى كان من قول عبد اللّه بن عمرو - فقال حسين عليه السّلام أعلمت يا عبد اللّه أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال اى و ربّ الكعبه قال فما حملك على أن قاتلتنى و أبى يوم صفين فو اللّه لأبى كان خيرا منى قال أجل و لكن عمرو - يعنى أباه - شكانى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال يا رسول اللّه إن عبد اللّه يقوم الليل و يصوم النهار فقال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يا عبد اللّه صل و نم و صم و افطر و اطع عمرا، قال فلما كان يوم صفين أقسم علىّ فخرجت أما و اللّه ما اخترطت سيفا و لا طعنت برمح و لا رميت بسهم.

و لا يخفى سوء استدلاله و قبحه على ما ذهب إليه مع اعترافه بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لعمّار تقتلك الفئه الباغيه، و كيف يجوز عليه ان ينهض لقتل عمار اما علم هذا الرجيل أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين أمره بطواعيه أبيه لم يأمره بما يخالف الحق الصريح مع ان محاربى علىّ كفره لقوله صلّى اللّه عليه و آله يا علىّ حربك حربى و غيره من الاخبار التى سمعوها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى على عليه السّلام مما لا يعد و لا يحصى على ان اللّه تعالى كما اوجب اطاعه الابوين و قال «و اخفض لهما جناح الذل من الرّحمه» كذا حرام على الولد اطاعتهما فيما يخالف الدين و قال «و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما» و أما علم الرجيل انما أمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بطواعيه ابيه فيما يجب أو يجوز أو رأيت ان عمرا لو أمر عبد اللّه أن يقتله هل كان يقتل أباه لامتثال أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إياه بطواعيه أبيه و ليس هذا الا لما طبع اللّه على قلوبهم و على أبصارهم غشاوه و لهم عذاب اليم و من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور.

ثمّ إن قوله: «ما اخترطت سيفا و لا طعنت برمح و لا رميت بسهم» كذب

محض اختلقه ليخرج نفسه من الفئه الباغيه و من سبّ الناس و تعييرهم كيف و قـد نقل غير واحـد من حمله الاثار و نقله الأخبار ان معه سـيفين كان متقلـدا بأحدهما و يضـرب بالاخر و منهم نصـر بن مزاحم فى كتاب صـفين و هو الاصل فى ذلك و كفى به شهيدا، قال باسـناده عن عمرو بن شـمر عن جابر قال سـمعت الشـعبى يقول قال الاحنف ابن قيس و اللّه انى لإلى جانب عمار بن ياسـر بينى و بينه رجل من بنى السـفير فتقـدمنا حتّى إذا دنونا من هاشم بن عتبه قال له عمار احمل فداك أبى و امّى و نظر عمار إلى رقه فى الميمنه فقـال له هـاشم رحمـك اللّه يـا عمـار إنك رجل تأخـذك خفه فى الحرب و انى انما ازحف باللواء زحفا و أرجو أن أنـال بـذلك حاجتى و إنى إن خففت لم آمن الهلكه. و قـد كان قال معاويه لعمرو ويحك ان اللواء اليوم مع هاشم بن عتبه و قـد كـان من قبـل يرقـل به إرقالاـ و انه إن زحـف به اليـوم زحـف انه لليوم الأـطول لأهـل الشـام و إن زحف فى عنق من أصـحابه إنّى لاـ طمع أن تقتطع فلم يزل به عمّار حتّى حمل فبصـر به معاويه فوجه إليه حماه أصـحابه و من يزن بالناس منهم فى ناحيته و كان فى ذلك الجمع عبـد اللّه بن عمرو بن العاص و معه سـيفان قـد تقلـد واحـدا و هو يضـرب بالاخر و اطافت به خيل علىّ عليه السّلام فقال عمرو يا اللّه يا رحمن ابنى ابنى، قال و يقول معاويه اصبر اصبر فانه لا بأس عليه، قال عمرو لو كان يزيد بن معاويه إذا لصبرت و لم يزل حماه أهل الشام يذبون عنه حتى نجاها ربا على فرسه.

و قال نصـر حمل عمار بن ياسـر اليوم فضـربوا أهل الشّام حتّى اضـطروهم إلى الفرات و مشـى عبد اللّه بن سويد سيّد جرش إلى ذى الكلاع فقال له لم جمعت بين الرجلين؟ قال لحديث سمعته من عمرو ذكر انه سمعه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يقول لعمار بن ياسـر يقتلك الفئه الباغيه فخرج عبـد اللّه بن عمر العنسـى و كان من عبّاد أهل زمانه ليلا فاصـبح فى عسـكر علىّ عليه السّلام فحدث النّاس بقول عمرو فى عمّار فلما سمع معاويه بهذا القول بعث إلى عمرو فقال أفسدت علىّ أهل الشام أكلّ ما سمعت من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله تقوله فقـال عمرو قلتهـا و لست و اللّه اعلم الغيب و لا أدرى أن صـفين تكون قلتها و عمار يومئذ لك ولى و قد رويت أنت فيه مثل الّذى رويت فيه فاسأل أهل

الشام فغضب معاويه و تنمر لعمرو و منعه خيره فقال عمرو لا خير لى فى جوار معاويه ان تجلت هذه الحرب عنا.

ثمّ قال نصر بن مزاحم و قريب ممّا أتى به ذكره المسعودى فى مروج الذهب:

و خرج عمّار إلى القتال و صفت الخيول بعضها لبعض و زحف النّاس و على عمار درع و هو يقول أيّها الناس الرواح إلى الجنّه فاقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع النّاس بمثله و كثرت القتلى حتّى أن كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل أو برجله فقال الاشعث لقد رأيت أخبيه صفين و أروقتهم و ما منها خباء و لا رواق و لا بناء و لا فسطاط الامر بوطا بيد رجل أو رجله و جعل أبو سماك الاسدى يأخذ اداوه من ماء و نشره حديد فيطوف فى القتلى فاذا رأى رجلا جريحا و به رمق أقعده فيقول من أمير المؤمنين؟ فان قال علىّ عليه السّلام غسل عنه الدم و سقاه من الماء و ان سكت و جاه بسكين حتّى يموت فكان يسمى المخضخض.

و حين نظر عمار إلى رايه عمرو بن العاص قال: و اللّه إن هذه الرايه قد قاتلتها ثلاث عركات و ما هذه بأشدّهن ثمّ قال عمّار:

نحن ضربنا كم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

ثمّ استسقى و قد اشتد ظماه فأتته امرأه طويله اليدين قال الراوى ما أدرى عس معها أو اداوه فيها ضياح من لبن فقال حين شرب الجنه تحت الأسنه اليوم ألقى الاحبه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و حزبه و اللّه لو ضربونا حتّى يبلغوا بناسعفات هجر لعلمنا أنا على الحقّ و هم على الباطل ثمّ حمل عليه ابن جون (ابو حواء. ظ) السكسكى و أبو العاديه الفزارى فاما أبو العاديه فطعنه و اما ابن جون فانه اجتز راسه.

قال المسعودى: و اختلفا فى سلبه فاحتكما إلى عبد اللّه بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عنى فانى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول أو قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بغت قريش بعمّار: ما لهم و لعمار يدعوهم إلى الجنّه و يدعونه إلى النار و كان قتله عند المساء

و قبره بصفين و صلّى عليه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و لم يغسله و كان يغير شيبه، و قال القاضى نور اللّه و دفنه علىّ عليه السّلام بيده.

أقول يعنى بقوله: «و كان يغير شيبه» ان عمار رضوان اللّه عليه كان يخضب لما ورد فى فضيله الخضاب و روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غيّروا الشيب و لا تتشبّهوا باليهود. و لكن قال ابن الأثير فى اسد الغابه فى معرفه الصحابه: أن عمّار كان آدم طويلا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين و كان لا يغير شيبه و قيل كان اصلع فى مقدم رأسه شعرات. و اللّه أعلم.

قال القاضى نور اللّه الشهيد نوّر اللّه مرقده فى مجالس المؤمنين و من اللطائف المناسبه للمقام انه لما قتل عمار رحمه اللّه اقبل ابن عباس إلى عسكر معاويه حتّى قرب منهم و قرأ عليهم حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى عمّار ستقتلك الفئه الباغيه و أنذرهم و خوفهم من بغيهم و لما كان هذا الحديث فى غايه الشهره بل من الأحاديث المتواتره و لم يمكن للمعاويه انكاره فأجابه بمقتضى الغريق يتشبث بكل حشيش بأن من أتى بعمار فى هذه المعركه فهو قاتله «يعنى به أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام» فقال له ابن عبّاس فعلى هذا ترى ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قاتل حمزه رضى اللّه عنه لأنه أتى به فى احد لقتال الكفار حتى قتل، فبهت الّذى كفر و كانه التقم الحجر.

و فى كامل البهائى للحسن بن علىّ عماد الدين الطبرى نقلا عن كتاب المحيط للقاضى عبد الجبّار المعتزلى أن عليّا عليه السّلام لم يبدأ بقتال أهل البغى قطّ و لمّا قتل عمّار رضوان اللّه عليه كان يجرى حكم الكفار عليهم و يبتدأ بالقتال حتى قتل منهم فى ليله خمسمائه و ثلاثين رجلا و يكبر فى قتل كلّ واحد منهم كما يكبرون فى قتال الكفار و يقول من أصابه سيفى فهو فى النار.

قال المسعودى فى مروج الذهب و فى قتل عمّار يقول الحجاج بن عربه الأنصارى أبياتا رثاه بها:

يا للرجال لعين دمعها جارى قد هاج حزنى أبو اليقظان عمار

اهوى اليه أبو حوا فوارسه(۱) يدعو السكون و للجيشين إعصار

فاختل صدر أبى اليقظان معترضا للرمح قد وجبت فينا له نار

اللّه عن جمعهم لا شکّ کان عفا أتت بذلک آيات و آثار

من ينزع اللّه غلا من صدورهم على الأسره لم تمسسهم النار

قال النّبیّ له تقتلک شرذمه سيطت لحومهم بالبغى فجار

فاليوم يعرف أهل الشّام أنّهم أصحاب تلک و فيها النار و العار

و مناقب عمار المرويه کثيره اقتصرنا منها و لو نأتى بها لينجرّ إلى کتاب ضخم و يليق أن يؤلف کتاب بحياله فيه.

ثمّ نقول إن حديث تقتلک الفئه الباغيه ممّا لا ينال يد الانکار إليه و رواه البخارى و المسلم فى صحيحهما و غيرهما من أکابر نقله الأحاديث و قال الحافظ السيوطى انّه من الأخبار المتواتره و نقله أکثر من عشره من الصحابى و مع ذلک کله فى عمار فالعجب کلّ العجب من العامه يذکرون معاويه و اتباعه و أمثاله بالخير و يعتذرون عنهم فى مقاتلتهم أهل الحقّ و الرّشاد على انهم کانوا مجتهدين فى تلک الوقايع غايه ما فى الباب کانوا مخطين فى اجتهادهم و للمجتهد المصيب ثوابان و للمخطى ثواب واحد و لما لم يکن لاصحاب البصيره و الايقان و ارباب الخبره و العرفان و هن ما تمسکوا به مخفيا بل يعلمون ان مقاتلتهم کان من غايه المکابره و العناد و فرط المخاصمه و اللداد فالاعراض عن ما ذکره الغزالى فى الاحياء و الميبدى فى مقدمه شرح ديوان المولى عليه السّلام و امثالهما ممّن يسلک طريقه عمياء و يرى بعين حولاء أجدر و أولى و لنعد إلى القصه:

و قال المسعودى فى مروج الذهب: و لما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمدانى فى همدان و تقدم سعد بن عباده الانصارى فى الانصار و ربيعه و عدى ابن حاتم فى طى و سعيد بن قيس الهمدانى فى أوّل الناس فخلطوا الجمع بالجمع و اشتد القتال و حطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاويه و قد کان معاويه

۱- (۱) - و من هنا قلنا ص ۲۹۱ ان ابن جون و أبو جوى تصحيف.

صمد فیمن کان معه لسعید بن قیس و من معه من همدان و أمر علیّ علیه السّلام الاشتران یتقدم باللواء إلی أهل حمص و غیرهم من أهل قنسرین فاکثر القتل فی أهل حمص و قنسرین بمن معه من القراء و أتی المر قال یومئذ بمن معه فلا یقوم له شیء و جعل یرقل کما یرقل الفحل فی قیده و علیّ وراءه یقول یا اعور لا تکن جبانا تقدم و المرقال یقول:

قد أکثر القوم و ما أقلّا اعور یبغی أهله محلّا

قد عالج الحیاه حتی ملّا لا بد ان یفل أو یفلّا

اسلّهم بذی الکعوب سلّا

«کلام هاشم بن عتبه المرقال»

قال نصر بن مزاحم فی کتاب الصفین و أبو جعفر الطبری فی التاریخ: ان هاشم ابن عتبه دعا فی النّاس عند المساء «یعنی مساء الیوم التاسع» ألا من کان یرید اللّه و الدار الاخره فلیقبل، فاقبل إلیه ناس فشد فی عصابه من أصحابه علی أهل الشام مرارا فلیس من وجه یحمل علیهم الاصبروا له و قوتل فیه قتالا شدیدا فقال لأصحابه لا یهولنکم ما ترون من صبرهم فو اللّه ما ترون منهم الا حمیّه العرب و صبر ما تحت رایاتها و عند مراکزها و انهم لعلی الضلال و انکم لعلی الحق یا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلی عدوّنا علی تؤده رویدا ثمّ تاسوا و تصابروا و اذکروا اللّه و لا یسلم رجل اخاه و لا تکثروا الالتفات و اصمد و اصمدهم و جالدوهم محتسبین حتی یحکم اللّه بیننا و هو خیر الحاکمین ثمّ مضی فی عصابه معه من القراء فقاتل قتالا شدیدا هو و أصحابه حتی رأی بعض ما یسرون به إذ خرج علیهم فتی شاب یقول:

انا ابن أرباب الملوک غسّان و الدائن الیوم بدین عثمان

إنی أتانی خبر فأشجان ان علیا قتل ابن عفان

ثمّ شد فلا ینثنی یضرب بسیفه ثمّ یلعن و یشتم و یکثر الکلام، فقال له هاشم ابن عتبه ان هذا الکلام بعده الخصام و انّ هذا القتال بعده الحساب فاتق اللّه فانک

راجع إلی ربّک فسائلک عن هذا الموقف و ما اردت به.

قال فانی اقاتلکم لأنّ صاحبکم لا یصلّی کما ذکر لی و انّکم لا تصلّون و اقاتلکم أن صاحبکم قتل خلیفتنا و أنتم و ازرتموه علی قتله.

فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان انما قتله أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و قراء النّاس حین احدث احداثا و خالف حکم الکتاب و أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله هم أصحاب الدین و اولی بالنظر فی امور المسلمین و ما اظن ان أمر هذه الامه و لا أمر هذا الدین عناک طرفه عین قط.

قال الفتی اجل اجل و اللّه لا اکذب فان الکذب یضرّ و لا ینفع و یشین و لا یزین، فقال له هاشم ان هذا الامر لا علم لک به فخلّه و أهل العلم به، قال اظنّک و اللّه قد نصحتنی و قال له هاشم و أمّا قولک ان صاحبنا لا یصلّی فهو أوّل من صلّی اللّه مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أفقهه فی دین اللّه و أولاه برسول اللّه و أمّا من تری معه کلهم قاری الکتاب لا ینامون اللّیل تهجدا فلا یغررک عن دینک الاشقیاء المغرورون.

قال الفتی: یا عبد اللّه انی لاظنّک امرأ صالحا اخبرنی هل تجد لی من توبه؟ قال: نعم تب إلی اللّه یتب علیک فانه یقبل التوبه عن عباده و یعفو عن السیئات و یحب التوابین و یحبّ المتطهرین، فذهب الفتی بین النّاس راجعا فقال له رجل من أهل الشام: خدعک العراقی، قال لا و لکن نصحنی العراقی.

أقول: کان أهل الدنیا المغرورون بزخارفها الردّیه و الاشقیاء المسجونون بقیود الاهواء المردیه کمعاویه بن أبی سفیان و اشیاعه یغوون الناس عن الصراط السّوی بزیّ أهل اللّه المخلصین له الدین حیث یمیلون قلوب النّاس عن عنصر التوحید و هیکل الحق و کلمته التامّه بانّه و أصحابه لا یصلّون کما تفوّه به الفتی الشابّ بقوله: لأن صاحبکم لا یصلّی کما ذکر لی، و نبّهه هاشم بن عتبه بذلک حیث قال: فلا یغررک و فی تاریخ الطبری فلا یغویک عن دینک الاشقیاء المغرورون، و لعمری من لم یک شقیّا مغرورا مغویا لا یحرّض النّاس علی قتل من قال فیه خاتم الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله: الحق معه حیث دار.

و فی کتاب الصّفین لنصر بن مزاحم و کذا فی تاریخ الطبری ان علیّا مرّ علی جماعه من أهل الشام فیها الولید بن عقبه و هم یشتمونه فخبر بذلک فوقف فیمن یلیهم من أصحابه فقال انهدوا إلیهم علیکم السکینه و الوقار و قار الاسلام و سیما الصالحین فو اللّه لأقرب قوم من الجهل باللّه قائدهم و مؤدّبهم معاویه و ابن النابغه و أبو الأعور السلمی و ابن أبی معیط شارب الخمر المجلود حدّا فی الاسلام و هم أولی من یقومون فیقصبوننی و یشتموننی و قبل الیوم ما قاتلونی و شتمونی و أنا إذ ذاک أدعوهم إلی الاسلام و هم یدعوننی إلی عباده الاصنام الحمد للّه قدیما عادانی الفاسقون فعبّدهم اللّه ألم یفتحوا إن هذا الهو الخطب الجلیل ان فسّاقا کانوا عندنا غیر مرضیین و علی الاسلام و أهله متخوفین حتی خدعوا شطر هذه الامه و اشربوا قلوبهم حبّ الفتنه فاستمالوا أهوائهم بالافک و البهتان قد نصبوا لنا الحرب فی اطفاء نور اللّه عزّ و جلّ و اللّه متمّ نوره و لو کره الکافرون، اللهم فافضض جمعهم و شتت کلمتهم و ابسلهم بخطایاهم فانّه لا یذلّ من و الیت و لا یعزّ من عادیت.

و کذلک نری یزید بن معاویه و اتباعه لقنوا النّاس فی ابن علیّ أمیر المؤمنین أبی عبد اللّه الحسین علیهما السّلام ما لقنهم معاویه و اتباعه فی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام و اصحابه قال غیر واحد من حمله الاثار منهم الطبری فی تاریخه انه لما دخل وقت صلاه الظهر من یوم العاشوراء قال أبو ثمامه الصیداوی رضی اللّه عنه للحسین علیه السّلام یا أبا عبد اللّه نفسی لنفسک الفداء هؤلاء اقتربوا منک لا و اللّه لا تقتل حتی اقتل دونک و احبّ أن القی اللّه ربّی و قد صلیت هذه الصلاه، فرفع الحسین علیه السّلام رأسه إلی السماء و قال ذکرت الصلاه جعلک اللّه من المصلین الذاکرین نعم هذا أوّل وقتها ثم قال سلوهم ان یکفوا عنّا حتی نصلّی فقال الحصین بن نمیر انها لا تقبل فقال له حبیب بن مظاهر زعمت الصلاه من ابن رسول اللّه لا تقبل و تقبل منک یاختار. و فی تاریخ الطبری: یا حمار، مکان یاختار.

و الحصین هذا کان ممن انقاد إلی ملک یزید و اطاع و همه المردی و هواه

الضال المضلّ و یزید یری الناس بانه جلس مجلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یحذو حذوه.

و فی مروج الـذهب ان یزیـد کان صاحب طرب و جوارح و کلاب و قرود و فهود و منادمه علی الشـراب و جلس ذات یوم علی شرابه و عن یمینه ابن زیاد و ذلک بعد قتل الحسین علیه السّلام فاقبل علی ساقیه فقال:

اسقنی شربه تروی مشاشی ثمّ صل فاسق مثلها ابن زیاد

صاحب السر و الامانه عندی و لتسدید مغنمی و جهادی

ثـمّ امر المغنّین فغنـوا و غلب علی أصـحاب یزیـد و عمـاله مـا کـان یفعله من الفسـوق و فی أیـامه ظهر الغنـاء بمکه و المـدینه و استعملت الملاهی و اظهر الناس شرب الشراب و کان له قرد یکنی بأبی قیس یحضره مجلس منادمته و یطرح له متکأ و کان قردا خبیثا و کان یحمله علی اتان وحشـیه قد ریضت و ذللت لذلک بسرج و لجام و یسابق بها الخیل و علی أبی قیس قباء من الحریر الاـحمر و الاصـفر مشـهر و علی رأسه قلنسوه من الحریر ذات الوان بشـقائق و علی الاتـان سـرج من الحریر الاحمر منقوش ملمع بأنواع من ألوان فقال فی ذلک بعض شعراء الشام فی ذلک الیوم:

تمسک أبا قیس بفضل عنانها فلیس علیها ان سقطت ضمان

ألا من رأی القرد الذی سبقت به جیاد أمیر المؤمنین اتان

و کان أبوه معاویه فی الختل اروغ منه و لعب بالـدین بالنکراء و الشـیطنه و بلغ إلی الالحاد و الکفر و العناد إلی مبلغ لم یکن بینه و بین فرعون الا درجه و ما اسلم فی الحقیقه و لکن استسـلم و اسرّ الکفر حتی یجـد لاغراضه النفسانیه و اهوائه الشـیطانیه اعوانا کمـا هو دأب اشباهه و أمثـاله من الزعمـاء المرائین و الاـمراء المنـافقین و سیأتی اخبـار من الفریقین فی استسـلام معاویه و أبیه سنـذکرها فی محلهـا إنشـاء اللّه فلنعـد إلی القصّه فـان الرویغـات التی تمسـک بهـا الامراء الرّواغون قـدیما و حـدیثا أکثر من أن تحصـی و لیعلم ان مـا نقلنـا من کلامه علیه السّـلام من الطبری و نصـر: انهـدوا إلیهم علیکم السـکینه و الوقار - إلی آخره - غیر مذکور فی النهج و بین نسختی نصر و الطبری

یوجد اختلاف فی شرذمه من العبارات و الکلمات.

ثمّ قصد هاشم بن عتبه المرقال لذی الکلاع و هو من حمیر فحمل علیه صاحب لواء ذی الکلاع و کان رجلا من عذره و هو یقول:

اثبت فانی لست من فزعی مضر نحن الیمانیون ما فینا ضجر

کیف تری وقع غلام من عذر ینعی ابن عفان و یلحی من غدر

یا اعور العین رمی فیها العور سیان عندی من سعی و من أمر

فاختلفا طعنتین فطعنه هاشم المرقال فقتله و قتل بعده سبعه عشر رجلا و حمل هاشم المرقال و حمل ذو الکلاع و مع المرقال جماعه من أسلم قد آلوا أن لا یرجعوا أو یفتحوا أو یقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال و قتل ذو الکلاع جمیعا.

و قال نصر بن مزاحم فی کتاب الصفین و أبو جعفر الطبری فی تاریخه: و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالا شدیدا حتی اقبلت الیهم عند المغرب کتیبه لتنوخ فشدوا علی النّاس فقاتلهم حتی قتل تسعه نفرا و عشره و حمل علیه الحرث بن المنذر التنوخی فطعنه فسقط و بعث إلیه علیّ علیه السّلام ان قدّم لواءک فقال لرسوله انظر إلی بطنی فاذا هو قد انشق فاخذ الرایه رجل من بکر بن وائل و رفع هاشم رأسه فاذا هو بعبید اللّه بن عمر بن الخطاب قتیلا إلی جانبه فجثا حتی دنا منه فعض علی ثدیه حتی تبینت فیه انیابه ثمّ مات هاشم و هو علی صدر عبید اللّه بن عمر، و ضرب البکری فوقع فرفع رأسه فابصر عبید اللّه بن عمر قریبا منه فجثا إلیه حتّی عض علی ثدیه الاخر حتّی تبینت انیابه و مات أیضا فوجدا جمیعا علی صدر عبید اللّه بن عمر، هاشم و البکری قد ماتا جمیعا.

«تسلیم هاشم علی علیه السّلام بعد صرعه»

قال نصر بإسناده عن السّدی عن عبد الخیر الهمدانی قال: قال هاشم بن عتبه أیها النّاس انی رجل ضخم فلا یهولنّکم مسقطی ان أنا سقطت فانّه لا یفزع منی أقل من نحر جزور حتّی یفرغ الجزار من جزرها ثمّ حمل فصرع فمرّ علیه رجل و هو صریع بین القتلی فقال له اقرء أمیر المؤمنین السلام و رحمه اللّه و قل له:

انشدک باللّه الا اصبحت و قد ربطت مقاوذ خیلک بارجل القتلی فانّ الدبره تصبح عندک لمن غلب علی القتلی فأخبر الرّجل علیّا علیه السّلام بذلک فسار علیّ علیه السّلام فی بعض اللیل حتی جعل القتلی خلف ظهره و کانت الدبره له علیهم.

«قتل ذی الکلاع و حمل جثته»

و أمّا ذو الکلاع فقتله خندف البکری، و قال نصر: حدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: حمل ذو الکلاع ذلک الیوم بالفیلق العظیم من حمیر علی صفوف أهل العراق فناداهم أبو شجاع الحمیری و کان من ذوی البصائر مع علیّ علیه السّلام فقال یا معشر حمیر تبت أیدیکم اترون معاویه خیرا من علیّ علیه السّلام اضل اللّه سعیکم ثمّ أنت یا ذا الکلاع فو اللّه إنا کنّا نری ان لک نیّه فی الدین، فقال ذو الکلاع ایها یا باشجاع و اللّه لأعلم ما معاویه بأفضل من علیّ علیه السّلام و لکنّی اقاتل علی دم عثمان قال فاصیب ذو الکلاع حینئذ قتله خندف بن بکر البکری فی المعرکه.

قال نصر: فحدثنا عمرو، قال: حدثنا الحرث بن حصیره ان ابن ذی الکلاع ارسل إلی الاشعث بن قیس رسولا یسأله ان یسلم إلیه جثه أبیه فقال الاشعث انی أخاف أن یتهمنی أمیر المؤمنین فی أمره فاطلبه من سعید بن قیس فهو فی المیمنه فذهب إلی معاویه فاستأذنه ان یدخل إلی عسکر علیّ علیه السّلام یطلب أباه بین القتلی و قال له انّ علیّا علیه السّلام قد منع أن یدخل احد منا إلی معسکره یخاف ان یفسد علیه جنده فخرج ابن ذی الکلاع فارسل إلی سعید بن قیس الهمدانی یستأذنه علی ذلک فقال سعید انا لا نمنعک من دخول العسکر ان أمیر المؤمنین لا یبالی من دخل منکم إلی معسکر فادخل، فدخل من قبل المیمنه فطاف فی العسکر فلم یجده ثمّ أتی المیسره فطاف فی العسکر فوجده قد ربطت رجله بطنب من اطناب بعض فساطیط العسکر فوقف علی باب الفسطاط فقال: السّلام علیکم یا أهل البیت فقیل له:

و علیک السّلام فقال أ تأذنون لنا فی طنب من أطناب فسطاطکم و معه عبد له اسود لم

یکن معه غیره فقالوا قد آذنا لکم قالوا له معذره إلی اللّه و إلیکم اما انه لو لا بغیه علینا ما صنعنا به ما ترون فنزل ابنه إلیه فوجده قد انتفخ و کان من اعظم الناس خلقا فلم یستطیعا احتماله فقال ابنه هل من فتی معوان فخرج إلیه خندف البکری فقال تنحّوا عنه فقال له ابن ذی الکلاع و من یحمله إذا تنحینا؟ قال: یحمله قاتله، فاحتمله خندف حتی رمی به علی ظهر بغل ثمّ شدّه بالحبال فانطلقوا به.

قال نصر: و قال معاویه لما قتل ذو الکلاع لانا أشد فرحا بقتل ذی الکلاع منی بفتح مصر لو فتحتها قال لان ذا الکلاع کان یحجر علی معاویه فی أشیاء کان یأمر بها.

«اخذ ابن المرقال اللواء حین قتل ابوه رحمه الله و ما قال فی ذلک»:

قال نصر بن مزاحم: و لما قتل هاشم جزع الناس علیه جزعا شدیدا و اصیب معه عصابه من اسلم من القراء فمرّ علیهم علیّ علیه السّلام و هم قتلی حوله أصحابه الذین قتلوا معه فقال علیه السّلام:

جزی اللّه خیرا عصبه أسلمیّه صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

یزید و عبد اللّه بشر و معبد و سفیان و ابنا هاشم ذی المکارم

و عروه لا ینفد ثناه و ذکره إذا اخترطت یوما خفاف الصوارم

ثمّ قام عبد اللّه بن هاشم و اخذ الرایه فحمد اللّه و اثنی علیه ثمّ قال: یا أیها الناس ان هاشما کان عبدا من عباد اللّه الذین قدر ارزاقهم و کتب آثارهم و احصی أعمالهم و قضی آجالهم فدعاه اللّه ربه الذی لا یعصی فاجابه و سلم لامر اللّه و جاهد فی طاعه ابن عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أوّل من آمن به و افقههم فی دین اللّه المخالف لأعداء اللّه المستحلّین ما حرّم اللّه الذین عملوا فی البلاد بالجور و الفساد و استحوذ علیهم الشیطان فزیّن لهم الاثم و العدوان فحق علیکم جهاد من خالف سنّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عطّل حدود اللّه و خالف أولیاء اللّه فجودوا بمهج انفسکم فی طاعه اللّه فی هذه الدنیا تصیبوا الاخره و المنزل الاعلی و الملک الذی لا یبلی، فلو لم یکن ثواب و لا عقاب و لا جنّه و لا نار

لكان القتال مع علىّ أفضل من القتال مع معاويه ابن آكاله الاكباد فكيف و أنتم ترجون.

أقول جاءت الأبيات الثلاثه فى الديوان المنسوب إليه عليه السّلام على اختلاف فى بعض الالفاظ و زيد فى آخرها:

إذا اختلف الابطال و اشتبک القنا و کان حديث القوم ضرب الجماجم

و الابيات الثلاثه تكون هكذا:

جزى اللّه خير عصبه اى عصبه حسان وجوه صرّعوا حول هاشم

شقيق و عبد اللّه منهم و معبد و نبهان و ابنا هاشم ذى المكارم

و عروه لا يناى فقد كان فارسا إذا الحرب هاجت بالقنا و الصوارم

و قال الشارح الميبدى فى شرحها: هاشم بن عتبه بن أبى الوقاص المشهور بالمرقال. و شقيق بن ثور العبدى و عبد اللّه بن بديل الورقاء الخزاعى ثمّ نقل عن ابن اعثم ان عليّا عليه السّلام اعطى يوما فى الصفين الرايه هاشم بن عتبه بن أبى وقاص و قاتل قتالا شديدا و قتل حمزه بن مالك الهمدانى ثمّ قتل و بعده تناول الرايه شقيق بن ثور العبدى فقاتل حتى قتل و بعده أخذ الرايه عتبه بن هاشم فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذها بعده أبو الطفيل عامر بن واثله الكنانى فقاتل و رجع و بعده أخذها عبد اللّه بن بديل بن الورقاء الخزاعى فقاتل قتالا عظيما حتّى قتل و بعده اقبل عمرو بن حمق الخزاعى إلى المعركه و انشأ الأبيات الأبيات الأربعه انتهى ما ذكره مترجما.

فعلى ما ذكره الميبدى ليست الأبيات للمولى عليه السّلام.

و ليعلم ان الأبيات المجموعه فى الديوان يوجد كثيرا منسوبه إلى غيره عليه السّلام مثلا ان الأبيات المذكوره فى أول الديوان:

النّاس من جهه التمثال اكفاء أبوهم آدم و الامّ حوّاء

إلى آخر الأبيات منسوبه إلى على القيروانى.

و ان الأبيات الست:

ص:۳۰۶

ثلاث عصی صفّفت بعد خاتم علی رأسها مثل السنان المقوم

إلی آخرها، صرّح محمّد حسن النائینی فی کتابه المسمّی بگوهر شب چراغ: ان الأبیات من ابن عباس و اسند إلی المولی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام.

و ان الابیات السبع:

یا حار همدان من یمت یرنی من مؤمن أو منافق قبلا

إلی آخرها قالها الحمیری کما نص به الشیخ المفید (ره) فی المجلس الأوّل من أمالیه و هذه الأبیات تتضمن بعض ما جاء فیه الخبر من أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام قاله لحارث الهمدانی کما نقله المفید (ره) بطوله فی ذلک الکتاب و بعد نقل الخبر قال: قال جمیل بن صالح و انشدنی أبو هاشم السیّد الحمیری رحمه اللّه فیما تضمّنه هذا الخبر:

قول علیّ لحارث عجب کم ثم اعجوبه له حملا

یا حار همدان من یمت یرنی من مؤمن أو منافق قبلا

إلی آخرها و البیت الاوّل لیس فی الدیوان المنسوب إلیه علیه السّلام، و لما کان هذه الابیات متضمنه ما تضمنه هذا الخبر اسند الابیات إلیه علیه السّلام.

و ما فی ذلک الدیوان:

لا یستوی من یعمر المساجدا و من یبیت راکعا و ساجدا

یدأب فیها قائما و قاعدا و من یکرّ هکذا معاندا

و من یری عن الغبار حائدا

قال ابن هشام فی السیره (ص ۴۹۷ طبع مصر ۱۳۷۵ ه): سألت غیر واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان علیّ بن أبی طالب ارتجز به فلا یدری اهو قائله أم غیره.

و ما فی ذلک الدیوان المنسوب إلیه علیه السّلام:

إذا اشتملت علی الیأس القلوب و ضاق لما به الصدر الرحیب

إلی آخر الأبیات الخمس ففی کشکول الشیخ البهائی قدّس سره (ص ۲۷۹ طبع

نجم الدوله) و كذا فی خزائن النراقی (ره) انّها لابی تمام و فی نامۀ دانشوران فی ضمن ترجمه یعقوب بن إسحاق المعروف بابن السکّیت (ص ۲۵۷ ج ۲ طبع قم) انها لابن السکّیت.

و ما فی ذلک الدیوان المنسوب إلیه علیه السّلام:

لا تخضعن لمخلوق علی طمع فان ذلک و هن منک فی الدین

إلی آخر الابیات الستّ ففی مجانی الادب (الباب الاوّل من ج ۲ ص ۹ طبع بیروت) و ممّا أورده الاصبهانی عن أبی محمّد التیمی قوله:

لا تخضعن لمخلوق علی طمع فان ذاک مضر منک بالدین

و ارغب اللّه مما فی خزائنه فانّما هو بین الکاف و النون

أما تری کلّ من ترجو و تأمله من الخلائق مسکین بن مسکین

و هذه الأبیات الثلاثه الاتیه:

عطارد ایم اللّه طال ترقبی صباحا مساء کی اراک فاغنما

فها أنا فامنحنی قوی أبلغ المنی و درک العلوم الغامضات تکرّما

و ان تکفنی المحذور و الشر کلّه بامر ملیک خالق الأرض و السّماء

قال النراقی (ره) فی الخزائن (ص ۱۱۴ طبع طهران ۱۳۷۸ ه) انها منسوبه إلی أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام و کذا قال المولی المظفّر (ره) فی آخر التنبیهات: و قیل إنها من أشعاره علیه السّلام و لکن المیبدی شارح الدیوان المنسوب إلی المولی علیه السّلام (ص ۳۷۰ طبع ایران ۱۲۸۵ ه) فی ضمن هذه القطعه:

خوفنی منجم اخو خبل تراجع المریخ فی بیت الحمل

إلی آخرها، قال: و یعلم من هذه القطعه ان نسبه الابیات المذکوره (عطارد ایم...) إلیه علیه السّلام لیست بصحیحه علی ان هذه الابیات لیست فی الدیوان.

و ما فی الدیوان فی اختیارات أیام الاسبوع:

لنعم الیوم یوم السبت حقا لصید ان اردت بلا امتراء

إلی آخر الأبیات ففی بعض رسائل مؤلف لسان العرب انّها من منشئاته لا من

المولى عليه السّلام.

و المناجاه المنظومه:

لک الحمد يا ذا الجود و المجد و العلى تبارکت تعطى من تشاء و تمنع

إلى آخرها فممّا نسبت إلى الخاقانى و توجد فى ديوانه و هذا البيت منها:

الهى بحق المصطفى و ابن عمّه و حرمه ابرار هم لک خشّع

ظاهر فى انها ليست من اشعاره عليه السّلام.

و هذا البيت المعروف:

کلّ علم ليس فى القرطاس ضاع کل سرّ جاوز الاثنين شاع

مما اسند إليه عليه السّلام و فيه مع انه ليس فى ديوانه عليه السّلام قال المولى محمّد باقر الشريف (ره) فى کتابه الشريف المسمى بجامع الشواهد بعد ذکر البيت لم يسم قائله مع ان اهتمامه فيه ذکر القائل و هو (ره) متضلّع رحب الباع فى فنّه.

و ما فى ديوانه عليه السّلام:

فان تکن الدنيا تعدّ نفيسه فدار ثواب اللّه اعلى و انبل

إلى آخر الأبيات ففى شرح الشافيه لأبى فراس (ص ۱۴۶ طبع ايران ۱۲۹۶ ه) نقل عن مقتل الخوارزمى انّها ممّا انشأها أبو عبد اللّه الحسين بن علىّ عليهما السّلام و ليس لأحد مثلها.

و قال المجلسى (ره) فى المجلد العاشر من بحار الانوار (ص ۲۰۳ طبع کمپانى) قال محمّد بن أبى طالب و ذکر أبو على السلامى فى تاريخه ان هذه الأبيات للحسين عليه السّلام من انشائه و قال ليس لأحد مثلها، انتهى.

و مع ذلک قال بعض أهل الفضل و الادب فى بعض مکتوباته: قال العلامه النيسابورى فى کتاب خلق الانسان ان هذه الابيات ليس للحسين عليه السّلام و لکنه يتمثل بها کثيرا و لذا ظن انّها من منشئاته.

و ينسب إليه عليه السّلام هذا البيت:

و لقد أمرّ على اللئيم يسبّنى فمضيت ثمّه قلت لا يعنينى

ص:۳۰۹

و فيه مع انه ليس فى ديوانه عليه السّلام قال فى جامع الشواهد فى باب الواو مع اللام:

هو لرجل من بنى سلول و كان يتمثل به علىّ بن أبى طالب عليه السّلام كثيرا.

و ما فى ديوانه عليه السّلام:

إذ المرء لم يرض ما امكنه و لم يأت من أمره أزينه

إلى آخرها، فقال الميدانى فى مجمع الامثال فى ضمن مثال دع امرأ و ما اختار (ص ۲۳۵ طبع طهران): كما قيل إذا المرء لم يرض ما امكنه اه و بعيد من ان يكون الشعر منه عليه السّلام و يقول الميدانى كما قيل.

فى شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى (ج ۴ ص ۴۰۶ طبع مصر ۱۳۵۷ ه) قال أبو العباس ثعلب لم تختلف الرواه فى أن هذه الابيات:

انا الذى سمتنى امّى حيدره كليث غابات غليظ القصره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

لعلىّ بن أبى طالب رضوان اللّه عليه انتهى. و فيه مع أن فى البيتين اختلافا كثيرا لان نصر بن مزاحم نقل فى كتاب صفين (ص ۲۰۷ طبع طهران) هكذا:

أنا الذى سمتنى امى حيدره رئبال آجام كريه المنظره

عبل الذراعين شديد القسوره اكيلكم بالسيف كيل السندره

و فى ديوانه عليه السّلام نقل هكذا:

أنا الّذى سمتنى امّى حيدره ضرغام آجام و ليث قسوره

عبل الذراعين شديد القصره كليث غابات كريه المنظره

يناقض ما ذهب اليه المازنى و الزمخشرى، و ذلك لان عبد الرحيم بن عبد الكريم صفى بورى فى ماده و دق من منتهى الأرب فى لغه العرب قال: قال المازنى لم يصحّ اى عليّا عليه السّلام تكلم بشىء من الشعر غير هذين البيتين و صوّبه الزمخشرى و هما:

تلكم قريش تمنّانى لتقتلنى فلا و ربّك ما بزوا و لا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات و دقين لا يعفو لها أثر

مع أن هذا القول يناقض أيضا قول المسعودی فی مروج الذهب حيث قال صلّی اللّه عليه و آله (۴۵

ج ۲ طبع مصر ۱۳۴۶ ه) فی ذکر مقتل أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام ما هذا لفظه: و کان علی علیه السّلام کثیرا ما یتمثل: تلکم قریش تمنانی إلی آخر البیتین، فالمسعودی یری البیتین لغیره علیه السّلام کان یتمثل بهما.

و ما فی دیوانه علیه السّلام:

فان تسألینی کیف أنت فاننی صبور علی ریب الزمان صلیب

یعزّ علیّ أن تری بی کئابه فیشمت عاد اویساء حبیب

فهما مما نصّ علیه السّلام بانهما مما قال اخو بنی سلیم کما فی باب المختار من کتبه علیه السّلام و رسائله من النهج فی الکتاب السادس و العشرین المعنون بقول الرضی رضوان اللّه علیه: و من کتاب له علیه السّلام إلی عقیل بن أبی طالب فی ذکر جیش أنفذه إلی بعض الاعداء، و هو جواب کتاب کتبه الیه اخوه. و قال الفاضل الشارح المعتزلی:

و الشعر ینسب إلی العباس بن مرداس السلمی. و لا یخفی انّه علیه السّلام تمثل باشعار الشعراء فی عده مواضع من خطبه و کتبه.

و ما فی دیوانه علیه السّلام:

قال الحبیب و کیف لی بجوابکم و انا رهین جنادل و تراب

إلی آخر الابیات الثلاثه فقال المیبدی فی الشرح: و ذهب بعض إلی أن هذه الابیات کانت من هاتف غیبیّ.

و ما فی دیوانه علیه السّلام:

اضربکم و لا أری معاویه الاخزر العین العظیم الحاویه

هوت به فی النار ام هاویه جاوره فیها کلاب عاویه

فقال المسعودی فی مروج الذهب (ص ۲۵ ج ۲ طبع مصر ۱۳۴۶ ه): و قیل ان هذا الشعر لبدیل بن ورقاء قاله فی الیوم التاسع من حرب صفین.

و فی کتاب صفین لنصر اسند البیتین إلی محرز بن ثور و نقل الاوّل علی اختلاف حیث قال: قال محرز بن ثور:

اضربهم و لا أری معاویه الابرح العین العظیم الحاویه

و كـذا فى شـرح الشارح المعتزلى (ص ۲۷۹ ج ۱ طبع طهران). و فى شـرح الـديوان المنسوب اليه عليه السّـلام للميبدى: قال ابن اعثم انّ هـذين البيتين لعبـد اللّه بن بـديل بن ورقـاء قالهما فى يوم قتله ثمّ قال: قال معاويه فى شانه: للّه درّه و درّ أبيه أما و اللّه لو استطاعت نساء خزاعه ان يقاتلنا فضلا عن رجالها لفعلت.

و ما فى ديوانه عليه السّلام:

قال المنجم و الطبيب كلاهما لن يحشر الاجساد قلت اليكما

ان صحّ قولكما فلست بخاسر ان صحّ قولى فالخسار عليكما

فقـال الغزالى فى احيـاء العلوم كمـا فى شـرح الميبـدى أيضا انّهما منسوبان إلى أبى العلى المعرّى. و فى بعض الرسائل العصـريه انّهما للمغربى و لكنه تصحيف حرف المعرّى بالمغربى و فى بعض النسخ الحكيم مكان الطبيب.

و ما فى ديوانه عليه السّلام تعريضا بعبد الرحمن بن ملجم المرادى:

اريد حياته و يريد قتلى عذيرک من خليك من مراد

فقال الزمخشرى فى الاساس ان البيت منسوب إلى عمرو بن معديكرب و كذا فى شرح الديوان للميبدى.

و ما فى ديوانه عليه السّلام:

حياز يمک للموت فان الموت لاقيك

و لا تجزع من الموت إذا حلّ بواديک

فان الدرع و البيضه يوم الروع يكفيك

كما اضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك

فنصّ الشيخ المفيد رضوان اللّه عليه فى الارشاد فى اخباره عليه السّلام بشهادته: انّه عليه السّلام قالها متمثّلا.

ثمّ انّه جاء فى النسخ الكثيره الّتى رأيناها المصراع الاوّل هكذا:

اشدد حياز يمک للموت

و الصواب عدم كلمه اشدد لانه محذوف و لو كان مذكورا فى العباره لزاد المصرع الأوّل عن الثانى فتوجد فى العباره حزازه

ص:۳۱۲

كما نصّ به أيضا المرزوقى فى شرح الحماسه (ص ۳۳۱ ج ۱ طبع مصر) حيث قال:

روى عنه عليه السّلام حيازيمك للموت فان الموت لاقيك يريد اشدد حيازيمك. و هذه الزياده كانت من ناسخ فانتقل الحاشيه إلى المتن.

و ما فى ديوانه عليه السّلام:

و حيّ ذوى الاضغان تشف قلوبهم تحيّتك العظمى و قد يدبغ النغل

إلى آخر الأبيات الثلاثه ففى شرح الميبدى: قال الشيخ محيى الدين فى وصايا الفتوحات: اتى اعرابى مشرك من فصحاء العرب النبى صلّى اللّه عليه و آله و قال له: هل فيما انزل عليك ربّك مثل ما قلته؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما قلت؟ فقال الاعرابى هذه الابيات الثلاثه فانزل اللّه تعالى آيات «لا تَسْتَوِى الْحَسَنَهُ وَ لَا السَّيِّئَهُ » - إلى قوله - «ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » فقال الاعرابى هذا و اللّه هو السحر الحلال فاسلم.

و ما فى ديوانه عليه السّلام.

اسد على اسد يصول بصارم عضب يمان فى يمين يمان

فقال الشارح الميبدى: كلمه فى يمين يمان مشعر بان البيت ليس له عليه السّلام لانّه لم يكن يمنيّا ثمّ ذكر وجوها فى تصحيحه لا تخلو من تكلف فليرجع.

و هذه الابيات الثلاثه:

هوّن الامر تعش فى الراحه قلّ ما هوّنت الا سيهون

ليس امر المرء سهلا كله إنّما الامر سهول و حزون

تطلب الراحه فى دار العناء خاب من يطلب شيئا لا يكون

مما اسندها النراقى (ره) فى الخزائن (ص ۱۴۵ طبع طهران ۱۳۸۰ ه) اليه عليه السّلام و يوجد أيضا فى ديوانه و اتى به الشارح الميبدى إلّا أن البيت الاخير لا يوجد فى بعض النسخ من ديوانه و اسند إلى غيره عليه السّلام.

«الكلام فى جامع اشعار أمير المؤمنين على عليه السلام»

و لما انجرّ الكلام إلى هنا فلا بأس أن نذكر جامع اشعاره عليه السّلام لانّه لا يخلو من فائده فقال الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن العباس النّجاشى

تغمده اللّه برحمته فى رجاله: عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودى الأزدى البصرى أبو أحمد شيخ البصره و اخباريّها و جلود قريه فى البحر و قال قوم ان جلود بطن من الازد و لا يعرف النسابون ذلك و له كتب منها كتاب شعر على عليه السّلام:

و فى روضات الجنات فى احوال العلماء و السادات لمؤلفه محمّد باقر الموسوى الخوانسارى فى ذيل ترجمه حسين بن معين الدين الميبدى شارح ديوان أمير المؤمنين على عليه السّلام بالفارسى: و الظاهر أن الديوان المبارك من جمع الفاضل الامام أبى الحسن على بن أحمد بن محمّد الضجكردى الاديب النيسابورى و سمّاه كتاب تاج الاشعار و سلوه الشيعه و قد كان مقاربا لعصر سيدنا الرضى صاحب كتاب نهج البلاغه و له أيضا فى نعت الكتاب المذكور أبيات رائقه كما افيد.

و قال المجلسى فى مقدمات بحاره: و كتاب الديوان انتسابه اليه عليه السّلام مشهور و كثير من الاشعار المذكوره فيه مرويّه فى سائر الكتب و يشكل الحكم بصحه جميعها و يستفاد من معالم ابن شهر آشوب انّه تاليف على بن أحمد الأديب النيسابورى من علمائنا و النجاشى عدّ من كتب عبد العزيز بن يحيى الجلودى كتاب شعر على عليه السّلام انتهى.

و قال: الخوانسارى المذكور فى باب المحمدين من الروضات: أبو الحسن محمّد بن الحسين بن الحسن البيهقى النيسابورى المشتهر بقطب الدين الكيدرى له كتب منها كتاب جمع أشعار مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام سمّاه انوار العقول و لا يبعد كونه بعينه هو الديوان المرتضوى الموجود فى هذا الزمان المنسوب اليه عليه السّلام أقول: و لا يبعد صحه جمع الاشعار اليهم كلّهم كما أن جامع خطبه و كتبه و رسائله و مواعظه و حكمه يكون غير واحد من العلماء و الكل صحيح و المجموع المشتهر الان فى الايدى هو ما جمعها الشريف الرضى رضى اللّه عنه و سمّاه نهج البلاغه.

ثمّ لا يخفى ان ما قال عبد اللّه بن مرقال رضوان اللّه عليه: فلو لم يكن ثواب و لا عقاب و لا جنّه و لا نار لكان القتال مع علىّ أفضل من القتال مع معاويه، كلام خرج عن قلب يقظان و فطره سليمه و رجل نبيه و لعمرى من لم يكن عميان القلب ان

تدبّر فی ما صدر من أمیر المؤمنین علی علیه السّلام یجده علیه السّلام فی کلّ امر اماما و قدوه و خطبه و مواعظه و کتبه و رسائله و حکمه فی شئون المعاش و الاجتماع و تنظیم امور الملک و المملکه و تعلیم التدبیر و السیاسه و تعبیه العسکر و آداب المعاشره، قوام المدینه الفاضله و الدستور القویم فیها و البدّ اللازم لمن یطلب الدرجه العلیا و الحیاه الراقیه و لو فی هذه الحیاه الدنیا، فلو دار الامر بین القتال مع علی علیه السّلام و بینه مع معاویه لکان القتال مع علی علیه السّلام افضل و لنعد إلی القصه:

قال المسعودی فی مروج الذهب. و استشهد فی ذلک الیوم صفوان و سعد ابنا حذیفه بن الیمان و قد کان حذیفه علیلا بالکوفه فی سنه ست و ثلاثین فبلغه قتل عثمان و بیعه النّاس لعلی علیه السّلام فقال اخرجونی و ادعوا الصلاه جامعه فوضع علی المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و علی آله ثمّ قال: أیّها النّاس ان النّاس قد بایعوا علیّا فعلیکم بتقوی اللّه و انصروا علیا و وازروه فو اللّه انّه لعلی الحق آخرا و اوّلا و انّه لخیر من مضی بعد نبیّکم و من بقی الی یوم القیامه ثمّ أطبق یمینه علی یساره ثمّ قال: اللّهم اشهد أنی قد بایعت علیّا و قال: الحمد للّه الّذی أبقانی إلی هذا الیوم و قال لابنیه صفوان و سعد احملانی و کونا معه فسیکون له حروب کثیره فیهلک فیها خلق من النّاس فاجتهدا أن تستشهدا معه فانّه و اللّه علی الحقّ و من خالفه علی الباطل و مات حذیفه بعد هذا الیوم بسبعه ایام و قیل باربعین یوما. و استشهد فیه عبد اللّه بن الحرث النخعی اخو الأشتر. و استشهد فیه عبد اللّه و الرحمن ابنا بدیل بن ورقاء الخزاعی فی خلق من خزاعه و کان عبد اللّه فی میسره علی علیه السّلام و هو یرتجز و یقول:

لم یبق إلّا الصبر و التوکل و أخذک الترس و سیف مصقل

ثمّ التمشی فی الرعیل الأوّل

فقتل ثمّ قتل عبد الرحمن اخوه بعده.

قال نصر بعد قتل ذی الکلاع: ثمّ تمادی النّاس فی القتال فاضطربوا بالسیوف حتّی تقطّعت و صارت کالمناجل و تطاعنوا بالرماح حتّی تکسّرت ثمّ جثوا علی الرکبات

فتحاثوا بالتراب يحثّ بعضهم فى وجوه بعض التراب ثمّ تعانقوا و تكادموا و تراموا بالصخر و الحجاره ثمّ تحاجزوا فجعل الرجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشام فيقول من أين آخذ إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لا هداك اللّه، و يمرّ الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول كيف آخذ إلى رايات بنى فلان فيقولون ههنا لا حفظك اللّه و لا عافاك.

قال المسعودى: و لما قتل عمّار و من ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السّلام النّاس و قال لربيعه أنتم درعى و رمحى فانتدب له ما بين عشره آلاف إلى أكثر من ذلك من ربيعه و غيرهم قد جادوا بانفسهم للّه عزّ و جلّ و على عليه السّلام أمامهم على البغله الشهباء و هو يقول:

ایّ یومیّ من الموت افرّ يوم لم يقدر ام يوم قدر

و حمل و حملوا معه حمله رجل واحد فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ انتقض و اهمدوا كلّ ما أتوا عليه حتّى أتوا إلى قبه معاويه و علىّ عليه السّلام لا يمرّ بفارس إلا قده و هو يقول:

اضربهم و لا أرى معاويه الاخزر العين العظيم الهاويه

تهوى به فى النار ام هاويه

و قيل إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم.

ثمّ نادى على عليه السّلام يا معاويه علام يقتل الناس بين و بينك هلم احاكمك إلى اللّه فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، فقال له معاويه: ما أنصفت و انك لتعلم أنّه لم يبارزه رجل قط إلاّ قتله أو أسره فقال له عمرو و ما تجمل بك إلا مبارزته فقال له معاويه: طمعت فيها بعدى و حقدها عليه.

أقول: لا يخفى ان قوله عليه السّلام هذا ثمّ نادى على عليه السّلام يا معاويه علام يقتل النّاس اه غايه الكرم و الشجاعه و الانصاف و المروءه كما اعترف به الخصم العنود و يناسب المقام قول المتنبّى:

كلّ يريد رجاله لحياته يا من يريد حياته لرجاله

و قال عبد الرحمن البرقوقى فى شرح ديوان المتنبّى (ص ۲۳۴ ج ۳ طبع مصر ۱۳۵۷ ه)

و قد بنى المتنبّى هذا البيت على حكايه وقعت لسيف الدوله مع الاخشيد و ذلک انّه جمع جيشا و زحف به على بلاد سيف الدوله فبعث اليه سيف الدوله يقول: لا تقتل النّاس بينى و بينک و لكن ابرز إلىّ فأينا قتل صاحبه ملك البلاد فامتنع الاخشيد و وجه اليه يقول: ما رأيت أعجب منک أ أجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ثمّ ابارزک؟ و اللّه لا فعلت ذلک ابدا.

ثمّ قال المسعودى: و قد قيل فى بعض الروايات ان معاويه اقسم على عمرو لما اشار عليه بهذا ان يبرز إلى علىّ فلم يجد عمرو من ذلک بدّا فبرز فلما التقيا عرفه علىّ عليه السّلام و شال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته و قال مكره اخوک لا بطل فحوّل على عليه السّلام وجهه و قال قبحت و رجع عمرو إلى مصافه.

و قد ذكر نصر بن مزاحم فى كتاب الصفين: ثمّ ان معاويه لما اسرع أهل العراق فى أهل الشام قال هذا يوم تمحيص ان القوم قد اسرع فيهم كما اسرع فيكم اصبروا يومكم هذا و خلاكم ذم و حضّض على عليه السّلام أصحابه فقام اليه الاصبغ بن نباته التميمى فقال يا أمير المؤمنين انک جعلتنى على شرطه الخميس و قدمتنى فى الثقه دون النّاس و انک اليوم لا تفقد لى صبرا و لا نصرا أما أهل الشام فقد هدّهم ما اصبنا منهم و نحن ففينا بعض البقيه فاطلب بنا امرک و اذن لى فى التقدم فقال له على عليه السّلام تقدّم بسم اللّه.

و اقبل الاحنف بن قيس السعدى فقال يا أهل العراق و اللّه لا تصيبون هذا الامر اذل عنقا منه اليوم قد كشف القوم عنكم قناع الحيا و ما يقاتلون على دين و ما يصبرون الاحياء فتقدموا فقالوا انا ان تقدّمنا اليوم فقد تقدمنا أمس فما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقدموا فى موضع التقدم و تأخروا فى موضع التأخر تقدموا من قبل ان يتقدموا اليكم و حمل أهل العراق و تلقاهم أهل الشام فاجتلدوا و حمل عمرو بن العاص معلما و هو يقول:

شدّوا علىّ شكّتى لا تنكشف بعد طليح و الزّبير فاتلف

يوم لهمدان و يوم للصّدف و فى تميم نحوه لا تنحرف

ص:۳۱۷

أضربها بالسيف حتى تنصرف إذا مشيت مشيه العود الصلف

و مثلها لحمير او شنحرف و الرّبعيون لهم يوم عصف

فاعترضه على عليه السّلام و هو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل و الحصر و الانامل الطفول

انّى بنصل السيف خنشليل أحمى و أرمى أوّل الرعيل

بصارم ليس بذى فلول

ثمّ طعنه فصرعه و اتّقاه عمرو برجله فبدت عورته فصرف علىّ عليه السّلام وجهه عنه و ارتث فقال القوم افلت الرجل يا أمير المؤمنين قال و هل تدرون من هو؟ قالوا لا. قال:

فانه عمرو بن العاص تلقانى بعورته فصرفت وجهى عنه و رجع عمرو إلى معاويه فقال له ما صنعت يا عمرو قال لقانى علىّ فصر عنى قال احمد اللّه و عورتك أما و اللّه ان لو عرفته ما اقتحمت عليه و قال معاويه فى ذلك شعر:

ألا للّه من هفوات عمرو يعاتبنى على تركى برازى

فقد لاقى أبا حسن عليّا فاب الوائلى ماب خازى

فلو لم يبد عورته للاقى به ليثا يذلّل كلّ نازى

له كفّ كانّ براحتيها منايا القوم يخطف خطف بازى

فان تكن المنيّه أخطأته فقد غنّى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو و قال ما اشدّ تعظيمك عليّا فى كسرى هذا هل هو الارجل لقاه ابن عمه فصرعه افترى السماء فاطره لذلك دما قال و لكنها تعقّبك جبنا.

أقول: كان عمرو بن العاص فى المكر و الخديعه اروغ من الثعلب و به يضرب المثل فى الحيله و الشيطنه و لما رأى ان لا محيص له فى يد اسد اللّه احتال حيله شنيعه غير لائقه للابطال و الرجال و يليق ان يقال له:

اى روبهك چرا ننشستى بجاى خويش با شير پنجه دادى و ديدى سزاى خويش

قال أبو الفضل نصر بن مزاحم فى كتاب الصفين: ان عمرو بن العاص مرّ بالحرث ابن نصر الجشمى و كان عدوا لعمرو و كان عمرو قل ما يجلس مجلسا الا ذكر فيه الحرث

فقال الحرث فی ذلک.

لیس عمرو بتارک ذکره الحرب مدی الدّهر او یلاقی علیا

واضع السیف فوق منکبه الایمن لا یحسب الفوارس شیئا

لیس عمرو یلقاه فی حمس النقع و قد صارت السیوف عصیّا

حیث یدعو البراز حامیه القوم إذا کان بالبراز ملیّا

فوق شهب مثل السحوق من النخل ینادی المبارزین إلیّا

ثمّ یا عمرو تستریح من الفخر و تلقی به فتی هاشمیا

فالقه إن اردت مکرمه الدّهر او الموت کلّ ذاک علیّا

فلما سمع عمرو شعره قال و اللّه لو علمت انی اموت الف موته لبارزت علیّا فی اوّل ما القاه فلما بارزه طعنه علیّ علیه السّلام فصرعه و اتّقاه عمرو بعورته فانصرف علیّ علیه السّلام عنه و قال علیّ حین بدت له عوره عمرو فصرف وجهه عنه:

ضرب ثبا الابطال فی المشاغب ضرب الغلام البطل الملاعب

این الضراب فی العجاج الثائب حین احمرار الحدق الثواقب

بالسیف فی تهتهه الکتائب و الصبر فیه الحمد للعواقب

قال المسعودی: و قد ذکر هشام بن محمّد الکلبی عن الشرقی بن القطامی ان معاویه قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنی منذ نصحتنی؟ قال: لا، قال: بلی و اللّه یوم اشرت علیّ بمبارزه علیّ و أنت تعلم ما هو قال: دعاک الی المبارزه فکنت من مبارزته علی احدی الحسنیین إما ان تقتله فتکون قد قتلت قاتل الاقران و تزداد شرفا إلی شرفک و إما ان یقتلک فتکون قد استعجلت مرافقه الشهداء و الصالحین و حسن اولئک رفیقا. فقال معاویه یا عمرو الثانیه اشرّ من الاولی.

و بالجمله کان فی هذا الیوم من القتال ما لم یکن قبل. و لیعلم انه مضت منه علیه السّلام الخطبه التاسعه و الستین معنونا من الشریف الرضی رضوان اللّه علیه: و من کلام له علیه السّلام یقوله لاصحابه فی بعض أیام صفین: معاشر المسلمین استشعروا الخشیه و تجلببوا السکینه و عضّوا النواجذ اه و اجمل الرضی (ره) ذلک الیوم، و قال الشارح

المعتزلی: هذا الکلام خطب به أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الیوم الّذی کان عشیته لیله الهریر فی کثیر من الروایات. انتهی یعنی به الیوم التاسع. و مضی الکلام منا عن مروج الذهب و غیره خطب به علیه السّلام فی الیوم الثامن و هو یوم الاربعاء. و قال نصر فی کتاب صفین انّه علیه السّلام خطب به فی أوّل أیام اللقاء و الحرب بصفین و ذلک فی صفر من سنه سبع و ثلاثین و الاختلاف فی الفاظ الخطبه کثیر أیضا و اللّه أعلم.

«الیوم العاشر و لیلتها: لیله الهریر و یومها»

و هی اللیله العظیمه التی یضرب بها المثل و کانت لیله الجمعه و یومها و قال المسعودی فکان جمله من قتل علی علیه السّلام بکفّه فی یومه و لیلته خمسمائه و ثلاثه و عشرین رجلا أکثرهم فی الیوم و ذلک انه کان إذا قتل رجلا کبّر إذا ضرب و لم یکن یضرب إلاّ قتل ذکر ذلک عنه من کان یلیه فی حربه و لا یفارقه من ولده و غیرهم.

و قال الطبری: ثمّ اقتتل الناس بعد المغرب قتالا شدیدا فما صلّی أکثر النّاس إلا ایماء. و قال نصر حدثنا عمرو بن شمر قال حدّثنی أبو ضرار قال حدّثنی عمار بن ربیعه قال غلس علی علیه السّلام بالنّاس صلاه الغداه یوم الثلاثا عاشر شهر ربیع الأوّل سنه سبع و ثلاثین و قیل عاشر شهر صفر ثمّ زحف إلی أهل الشام بعسکر العراق و الناس علی رایاتهم و زحف الیهم أهل الشام و قد کانت الحرب اکلت الفریقین و لکنها فی أهل الشام اشد نکایه و اعظم وقعا فقد ملّوا الحرب و کرهوا القتال و تضعضعت ارکانهم.

قال: فخرج رجل من أهل العراق علی فرس کمیت ذنوب علیه السلاح لا یری منه الاعیناه و بیده الرمح فجعل یضرب رءوس أصحاب علیّ بالقناه و یقول: سوّوا صفوفکم حتّی إذا عدل الصفوف و الرایات استقبلهم بوجهه و ولی أهل الشام ظهره ثمّ حمد اللّه و اثنی علیه ثمّ قال: الحمد للّه الّذی جعل فیکم ابن عم نبیکم اقدمهم هجره و اوّلهم اسلاما سیف من سیوف اللّه صبّه اللّه علی اعدائه فانظروا إذا حمی الوطیس

ص:۳۲۰

و ثار القتام و تكسران المران و جالت الخيل بالابطال فلا أسمع الاغمغمه او همهمه قال ثمّ حمل على أهل الشام و كسر فيهم رمحه ثمّ رجع فاذا هو الاشتر.

أقول: شجاعه الأشتر رضوان اللّه عليه بلغ مبلغ التواتر و لا يتأتى لاحد انكاره و يسميه المورخون كبش العراق و ذكرنا شمه من شجاعته يوم اخذ الماء و قتله ابطال أهل الشام و فوارس قائد أهل الكفر و النفاق و شجعان رائد قوم البغى و الشقاق و كان هو «ره» شديد الباس فارسا شجاعا و من تتبع و بحث عن وقائع الجمل و الصفين و غيرهما علم ان الأشتر كان بعد أمير المؤمنين عليه السّلام اشجع النّاس فقد قال علىّ عليه السّلام بعد موته:

رحم اللّه مالكا فلقد كان لى كما كنت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و من هذا التشبيه و المقايسه يعلم جلاله شانه «ره» و علو قدره إلى حدّ فوق أن يحوم حوله العباره و قال الشارح المعتزلى ابن ابى الحديد فى شرح النهج: لو أن انسانا يقسم أن اللّه تعالى ما خلق فى العرب و لا فى العجم اشجع منه «يعنى من الأشتر» إلا استاذه عليه السّلام لما خشيت عليه الإثم.

و للّه در القائل و قد سئل عن الاشتر: ما أقول فى رجل هزمت حياته أهل الشام و هزم موته أهل العراق و بحقّ ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السّلام: كان الأشتر لى كما كنت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و هذا هو الأشتر مجاهدا فى اللّه قبال الفئه الباغيه و لينظر إلى تخلّقه باخلاق اللّه و اتّصافه باوصافه كيف ارتقى فى المدرسه الالهيه العلويه إلى الدرجات العلى و المراتب القصوى ففى مجموعه ورام(۱) حكى ان مالكا الأشتر رضى اللّه عنه كان مجتازا بسوق الكوفه و عليه قميص خام و عمامه منه فرآه بعض أهل السوق فازدرى بزيّه فرماه ببندقه تهاونا به فمضى و لم يلتفت فقيل له ويلك أ تدرى بمن رميت فقال لا فقيل له هذا مالک صاحب أمير المؤمنين عليه السّلام فارتعد الرجل و مضى اليه ليعتذر منه فرآه و قد دخل المسجد و قائم يصلّى فلمّا انفتل أكبّ الرجل على قدميه ليقبلهما فقال ما هذا الأمر؟ فقال اعتذر اليك مما صنعت فقال لا بأس عليك فو اللّه ما دخلت

۱- (۱) - ورام هذا من اولاد مالک الاشتر و هو: ورام بن أبى فراس ورام بن حمدان بن عيسى بن أبى نجم بن ورام بن حمدان بن خولان بن ابراهيم بن مالک الاشتر النخعى.

المسجد إلّا لأستغفرنّ لک. انتهی و سیأتی ترجمته مستوفاه انشاء اللّه تعالی فی محله و لنعد إلی القصّه:

قال نصر بإسناده السابق و خرج رجل من أهل الشام ینادی بین الصفین یا أبا حسن یا علی ابرز لی فخرج الیه علی علیه السّلام حتّی إذا اختلف اعناق دابتیهما بین الصفین فقال یا علی ان لک قدما فی الاسلام و هجره فهل لک فی الامر اعرضه علیک یکون فیه حقن هذه الدماء و تأخیر هذه الحروب حتّی تری من رأیک؟ فقال له علی علیه السّلام و ما ذاک؟ قال ترجع إلی عراقک فنخلی بینک و بین العراق و نرجع إلی شامنا فتخلی بیننا و بین شامنا، فقال له علی علیه السّلام لقد عرفت انما عرضت هذا نصیحه و شفقه و لقد أهمّنی هذا الامر و اسهرنی و ضربت أنفه و عینه فلم اجد إلا القتال او الکفر بما انزل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله إنّ اللّه تبارک و تعالی لم یرض من اولیائه ان یعصی فی الأرض و هم سکوت مذعنون لا یأمرون بالمعروف و لا ینهون عن المنکر فوجدت القتال اهون علیّ من معالجه الاغلال فی جهنم، فرجع الشامی و هو یسترجع.

اقول: فانظر أیّها القاری الکریم نظر التامل و التدبّر فی کلامه علیه السّلام: إن اللّه تبارک و تعالی لم یرض من اولیائه اه حتّی تقف علی سرّ بعثه الأنبیاء و اولیائه فهم بعثوا لینقذوا النّاس من الوسواس و الکفر و الشقاق و النفاق و لیعالجوا نفوسهم من داء الجهل و ینوّروا عقولهم بنور العلم و المعارف و الحکم و یهدوهم إلی الصراط المستقیم و یوصلوهم إلی النهج القویم لطفا من اللّه علی العباد لیفوزوا فوزا عظیما و لیهلک من هلک عن بینه و یحیی من حیّ عن بینه، و یتمّ الحجّه علیهم و لم یخلق اللّه النّاس عبثا و لم یترکهم سدی و لم یرض من اولیائه ان یعصی فی الأرض و هم سکوت و العلماء بعدهم قائمون مقامهم فلم یرض اللّه منهم أن یعصی فی الأرض و هم سکوت، لانهم حصون الاسلام کحصن سور المدینه لها فاذا ظهرت البدع فعلیهم أن یظهروا علمهم و یحثوا الناس إلی الطاعه و یزجروهم عن المعصیه و إذا ظهرت البدع کانت الظلمات غالبه.

و فی الکافی لثقه الاسلام الکلینی (ره) باسناده عن عبد الرحیم القصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلّ بدعه ضلاله و کلّ ضلاله فی النار.

و فیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إذا ظهرت البدع فی امّتی فلیظهر العالم علمه فمن

لم يفعل فعليه لعنه اللّه.

و فيه باسناده عن داود بن سرحان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا رأيتم أهل البدع و الريب من بعدى فأظهروا البراءه منهم و أكثروا من سبّهم و القول فيهم و الوقيعه و باهتوهم حتّى لا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام و يحذر الناس و لا يتعلمون من بدعهم يكتب اللّه لكم بذلك الحسنات و يرفع لكم به الدرجات.

و فى البحار عن أبى محمّد العسكرى عليه السّلام قال: قال جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام: علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الّذى يلى ابليس و عفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا مرابطون بالثغر الّذى يلى ابليس و عفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا و عن ان يتسلط عليهم ابليس و شيعته النواصب ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم و الترك و الخزر الف الف مرّه لانّه يدفع عن أديان محبينا و ذلك يدفع عن أبدانهم.

و سيأتى الكلام فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و البحث عنهما و شرائطهما انشاء اللّه تعالى و لنعد إلى القصه:

قال نصر: و زحف النّاس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل حتّى فنيت ثمّ تطاعنوا بالرماح حتّى تكسرت و اندقت ثمّ مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف و عمد الحديد فلم يسمع السامع الا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشدّ هو لا فى صدور الرجال من الصواعق و من جبال تهامه يدكّ بعضها بعضا و انكسفت الشمس و ثار القتام و ضلّت الالويه و الرايات و الأشتر يسير فيما بين الميمنه و الميسره فيأمر كلّ قبيله او كتيبه من القراء بالاقدام على الّتى تليها فاجتلدوا بالسيوف و عمد الحديد من صلاه الغداه إلى نصف الليل لم يصلّوا للّه صلاه فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتّى أصبح و المعركه خلف ظهره و افترقوا على سبعين الف قتيل فى ذلك اليوم و تلك الليله و هى ليله الهرير و الأشتر فى ميمنه النّاس و ابن عبّاس فى الميسره و علىّ فى القلب و النّاس يقتلون ثمّ استمر القتال من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضحى و الأشتر يقول لاصحابه و هو يزحف بهم نحو أهل الشام ازحفوا قيدر محى هذا و إذا فعلوا قال ازحفوا قاب هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتّى ملّ أكثر النّاس من الاقدام فلمّا

رأی ذلک قال اعیذکم باللّه أن ترضعوا الغنم سائر الیوم ثمّ دعا بفرسه و رکز رایته و کانت مع حیان بن هوده النخعی و خرج یسیر فی الکتائب و یقول: ألا من یشری نفسه للّه و یقاتل مع الاشتر حتی یظهر أو یلحق باللّه فلا یزال الرجل من النّاس یخرج الیه و یقاتل معه.

قال نصر باسناده عن عمّار بن ربیعه قال مرّ بی و اللّه الأشتر و اقبلت معه حتّی رجع إلی المکان الّذی کان به فقام فی أصحابه فقال شدّوا فدالکم عمّی و خالی شدّه ترضون بها اللّه و تعزون بها الدین فاذا شددت فشدّوا ثمّ نزل و ضرب وجه دابته ثمّ قال لصاحب رایته اقدم فاقدم بها ثمّ شدّ علی القوم و شدّ معه أصحابه یضرب أهل الشام حتّی انتهی بهم إلی معسکرهم ثمّ انّهم قاتلوا عند المعسکر قتالا شدیدا فقتل صاحب رایتهم و أخذ علی علیه السّلام لما رأی الظفر قد جاء من قبله یمدّه بالرجال و ان علیّا علیه السّلام قال خطیبا فحمد اللّه و اثنی علیهم ثمّ قال:

أیّها الناس قد بلغ بکم الامر و بعدوّکم ما قد رأیتم و لم یبق منهم إلّا آخر نفس و ان الامور إذا اقبلت اعتبر آخرها بأوّلها و قد صبر لکم القوم علی غیر دین حق بلغنا منهم ما بلغنا و أنا غار علیهم بالغداه احاکمهم إلی اللّه عزّ و جل.

«رأی عمرو بن العاص فی رجوع الناس الی کتاب الله لما ظهرت

هزیمه أهل الشام»

فبلغ ذلک معاویه فدعا عمرو بن العاص فقال یا عمرو انما هی اللیله حتّی یغدو علی علیه السّلام علینا بالفیصل فما تری؟ قال أری ان رجالک لا یقومون لرجاله و لست مثله هو یقاتلک علی امر و انت تقاتله علی غیره انت ترید البقاء و هو یرید الفناء و أهل العراق یخافون منک ان ظفرت بهم و أهل الشام لا یخافون علیّا ان ظفر بهم و لکن الق الیهم امرا ان قبلوه اختلوا و ان ردّوه اختلفوا ادعهم إلی کتاب اللّه حکما فیما بینک و بینهم فانک بالغ به حاجتک فی القوم فانی لم ازل اؤخر هذا الامر لحاجتک الیه فعرف ذلک معاویه فقال صدقت.

أقول: کلامه علیه السّلام المذکور آنفا: أیّها الناس قد بلغ بکم الامراء غیر مذکور

ص:۳۲۴

فی نهج البلاغه.

«حمله الجعفی علی أهل الشام»

قال نصـر: و فی حدیث عمر بن سـعد قال ثمّ إن علیّا صـلّی الغداه ثمّ زحف الیهم فلمّا ابصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالاـ شدیـدا ثمّ ان خیـل أهـل الشـام حملت علی خیـل أهـل العراق فـاقتطعوا من أصـحاب علیّ علیه السّـلام الف رجل او أکثر فاحاطوا بهم و حالوا بینهم و بین أصـحابه فلم یروهم فنادی علیّ علیه السّـلام یومئذ ألا رجل یشری نفسه للّه و یبیع دنیاه باخرته؟ فاتـاه رجـل من جعف یقـال له عبـد العزیز بن الحارث علی فرس أدهم کأنه غراب مقنعا فی الحدیـد لا یری منه الا عیناه فقال یا أمیر المؤمنین مرنی بأمرک فو اللّه ما ترانی بشیء الا صنعته فقال علی علیه السّلام:

سمحت بامر لا یطاق حفیظه و صدقا و اخوان الحفاظ قلیل

جزاک إلیه النّاس خیرا فقد وفت یداک بفضل ما هناک جزیل

أبا الحارث شدّ اللّه رکنک احمل علی أهل الشام حتّی تأتی أصحابک فتقول لهم: أمیر المؤمنین یقرأ علیکم السلام و یقول لکم هلّلوا و کبروا من نـاحیتکم و نهلـل نحن و نکبّر من ههنـا و احملوا من جـانبکم و نحمـل نحن من جانبنا علی أهل الشام فضـرب الجعفی فرسه حتّی إذا قـام علی السـنابک حمـل علی أهـل الشـام المحیطین باصـحاب علی علیه السّـلام فطاعنهم ساعه و قاتلهم فانفرجوا له حتی أتی أصحابه فلما رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا ما فعل أمیر المؤمنین؟ قال صالح یقرئکم السلام و یقول لکم هلّلوا و کبروا و هلّـل علیّ و أصـحابه من ذلـک الجانب و نهلل نحن من جانبنا و نکبر و نحمل من خلفکم فهلّلوا و کبّروا و هلل علیّ و أصـحابه من ذلـک الجـانب و حملوا علی أهـل الشـام من ثمّ و حمـل علیّ من ههنـا فی أصـحابه فانفرج أهل الشام عنهم فخرجوا و ما اصیب منهم رجل واحد و لقد قتل من فرسان أهل الشام یومئذ زهاء سبع مأئه رجل.

قال: و قال علیّ من أعظم الناس عناء؟ فقالوا أنت یا أمیر المؤمنین، قال: کلّا و لکنه الجعفی.

ص:۳۲۵

«ضرب علی علیه السّلام و قتله الناس فی یوم واحد»

قال نصر عن عمرو بن شمر عن جابر بن نمیر الأنصاری قال و اللّه لکأنی اسمع علیّا یوم الهریر حین سار أهل الشام و ذلک بعد ما طحنت رحی مذحج فیما بیننا و بین عک و لخم و جذام و الاشعریین بامر عظیم تشیب منه النواصی من حین استقبلت الشمس حتّی قام قائم الظهیره. ثمّ ان علیّا قال حتّی متی نخلی بین هذین الحیّین قد فنیا و أنتم وقوف تنظرون الیهم اما تخافون مقت اللّه ثمّ انفتل إلی القبله و رفع یدیه إلی اللّه ثم نادی:

یا اللّه یا رحمن یا واحد یا صمد یا اللّه یا اله محمّد اللّهم الیک ثقلت الاقدام و افضت القلوب و رفعت الایدی و امتدّت الاعناق و شخصت الابصار و طلبت الحوائج إنا نشکو الیک غیبه نبیّنا صلّی اللّه علیه و کثره عدوّنا و تشتت اهوائنا ربّنا افتح بیننا و بین قومنا بالحق و انت خیر الفاتحین سیروا علی برکه اللّه ثمّ نادی لا اله إلا اللّه و اللّه اکبر کلمه التقوی.

ثمّ قال: لا و اللّه الّذی بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله بالحق نبیا ما سمعنا برئیس قوم منذ خلق اللّه السماوات و الارض اصاب بیده فی یوم واحد ما اصاب انه قتل فیما ذکر العادّون زیاده علی خمسه مأئه من اعلام العرب یخرج بسیفه منحنیا فیقول معذره إلی اللّه عزّ و جل و الیکم من هذا لقد هممت أن أفلقه و لکن حجزنی عنه أنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول کثیرا: لا سیف إلا ذو الفقار و لا فتی إلا علی و أنا اقاتل به دونه. قال فکنا نأخذه ثمّ یتناوله من ایدینا فیقتحم به فی عرض الصف فلا و اللّه ما لیث بأشد نکایه فی عدوّه منه رحمه اللّه علیه رحمه واسعه.

أقول: اتی بکلامه علیه السّلام المذکور آنفا: یا اللّه یا رحمن اه فی باب الکتب و الرسائل من نهج البلاغه و هو الکلام الخامس عشر منه.

«رفع أهل الشام المصاحف علی الرماح و دعائهم الی الحکومه

لما ظهرت هزیمتهم و استبان ذلهم»

قال نصر عن عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت تمیم بن حذیم یقول: لما اصبحنا

من ليله الهرير نظرنا فاذا اشباه الرايات امام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاويه فلما ان اسفرنا فاذا هى المصاحف قد ربطت على اطراف الرماح و هى عظام مصاحف العسكر و قد شدوا ثلاثه رماح جميعا و قد ربطوا عليها مصحف المسجد الاعظم يمسكه عشره رهط و قال أبو جعفر و أبو الطفيل استقبلوا عليّا بمأه مصحف و وضعوا فى كلّ مجنبه مأتى مصحف و كان جميعها خمس مأئه مصحف قال أبو جعفر ثم قام الطفيل بن ادهم حيال علىّ و قام أبو شريح الجذامى من حيال الميمنه و قام ورقاء ابن المعمر حيال الميسره ثمّ نادوا: يا معشر العرب اللّه اللّه فى نسائكم و بناتكم فمن للروم و الاتراك و أهل فارس غدا إذا فنيتم اللّه اللّه فى دينكم هذا كتاب اللّه بيننا و بينكم فقال علىّ عليه السّلام اللهم انّك تعلم انّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا و بينهم انك انت الحكيم الحق المبين فاختلف أصحاب علىّ فى الرأى طائفه قالت القتال و طائفه قالت المحاكمه إلى الكتاب و لا يحلّ لنا الحرب و قد دعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحروب و وضعت أوزارها فقال محمّد بن علىّ فعند ذلك حكم الحكمان.

قال نصر: و فى حديث عمرو بن شمر باسناده قال فلمّا أن كان اليوم الاعظم قال أصحاب معاويه و اللّه ما نحن لنبرح اليوم العرصه حتّى يفتح اللّه لنا او نموت و قال أصحاب علىّ عليه السّلام و اللّه ما نحن بتاركى العرصه اليوم إن شاء اللّه حتّى يفتح لنا او نموت فباكروا القتال غدا يوما من أيام الشعرى طويلا شديد الحرّ فتراموا حتّى فنيت النبل ثمّ تطاعنوا حتّى تقصفت رماحهم ثمّ نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتّى كسرت جفونها و قامت الفرسان فى الركب ثمّ اضطربوا بالسيوف و بعمد الحديد فلم يسمع السامع إلّا تغمغم القوم و صليل الحديد فى الهام و تكادم الافواه و كسفت الشمس و ثار القتام و ضلّت الالويه فى الرايات و مرّت مواقيت أربع صلوات لم يسجد للّه فيهن إلّا تكبيرا و نادت المشيخه فى تلك الغمرات يا معشر العرب اللّه اللّه فى الحرمات من النساء و البنات.

قال جابر: فبكى أبو جعفر و هو يحدّثنى بهذا الحديث قال و اقبل الأشتر على فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج و هو يقول: اصبروا يا معشر

المؤمنين فقد حمى الوطيس و رجعت الشمس من الكسوف و اشتدّ القتال و اخذت السباع بعضها بعضا فانتم كما قال الشاعر:

مضت و استأخر الفرعاء عنها و خلّى بينهم إلاّ الوزيع

قال يقول واحد فى تلك الحال أى رجل هذا لو كانت له نيه فيقول له صاحبه و أىّ نيه أعظم من هذه ثكلتك امّك و هبلتك ان رجلا فيما قد ترى قد سبح فى الدماء و ما اضجرته الحرب و قد غلت هام الكماه من الحرّ و بلغت قلوب الحناجر و هو كما ترى جذعا يقول هذه المقاله اللّهم لا تبقنا بعد هذا.

أقول: قوله: يوما من ايام الشعرى طويلا شديد الحرّ. بيانه: ان الشعرى اسم لكوكبين إحداهما اكبر من الاخرى و هى الشعرى اليمانيه من كواكب الكلب الاكبر الواقعه عقيب الجبار و لذا يسمى الكلب الاكبر بكلب الجبّار أيضا كما ان الشعرى اليمانيه وحدها قد تسمّى بكلب الجبار. و هى من كواكب القدر الاوّل و احد كوكبى ذراع الاسد و فم المرزم و انّما وصف باليمانى لان مغيبها يكون إلى جانب اليمن و كواكب الكلب الاكبر ثمانيه عشر كوكبا و الشعرى واقعه فى فيها و هذا الكواكب هو الذى قال فيه عزّ من قائل فى سوره النجم الايه ۴۹: «وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى » و قال المفسّرون كانوا يعبدونها فى الجاهليّه و ان خزاعه كانت تعبدها و أوّل من عبدها أبو كبشه احد أجداد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من قبل امهاته و كان المشركون يسمّونه صلّى اللّه عليه و آله ابن أبى كبشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه غيره فى عباده الشعرى فانزل اللّه تعالى «وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى » أى خالق الشعرى و مخترعها و مالكها فلا تتخذوا المربوب المملوك إلها.

أقول: لا يبعد ان يكون القرآن الكريم ناظرا أيضا إلى عظمه قدرته عزّ و جل بانّه هو ربّ الشعرى، و ذلك لان الشعرى من اكبر الثوابت المرصوده و فى رصد معاصرينا أنّها أعظم من الشمس ۱۵۰۰ مره مع أن الشمس أعظم من الأرض بكثير فاخط جنابا تبهرك عجائبه و يناسب ما ذهبنا اليه اسلوب الاى الاخرى: «وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَهٍ إِذا تُمْنى وَ أَنَّ عَلَيْهِ »

ص:۳۲۸

«اَلنَّشْأَهَ الْأَخْرى وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى » و ظاهر أنها مسوقه لبيان لطائف صنعه و عظم قدرته فى خلقه.

و الاخرى هى الشعرى الشاميّه.

و هى من صوره كواكب الكلب الاصغر و يسمى الكلب المتقدّم أيضا و هى واقعه على جهه جنوب الجوزاء مشتمله على أربعه عشر كوكبا احدها من القدر الأوّل و هو الشعرى الشاميه لان مغيبها من جانب الشام و تسمى غميضا أيضا كما أنّ اليمانيه تسمّى عبورا أيضا لان من الاسمار المنقوله من العرب ان الشعريين كانتا اختين لسهيل و تزوج أخوهما سهيل جوزاء فوقع بين سهيل و زوجته جوزاء نزاع فضربها سهيل فكسّر ظهرها ففرّ من الشمال إلى الجنوب ثمّ ان اخته الشعرى اليمانيه ذهبت فى أثرها فعبرت من المجره حتّى قربت منه و لذا سميت عبورا و ان اخته الاخرى الشعرى الشاميّه بكت من فراقه حتّى عميت عينها و لذا سميت غميضا.

و المراد من الشعرى هو الأوّل و إنّما كان أيام الشعرى طويلا شديد الحرّ لانّ الشعرى اليمانيه واقعه فى اواخر برج الجوزاء فاذا بلغت الشمس اليها كان اليوم قريبا من أطول أيام السنه للافاق الشماليه لانّ الجوزاء من البروج الشماليه.

ثمّ انّ الكواكب الثابته تتحرك بحركتها الخاصّه نحو المغرب فاسرعها حركه كما فى ص ۵۶۵ من الزيج البهادرىّ فى ثمانيه أيام و ثمانيه أشهر واحدى و ستين سنه وسطيّه يقطع درجه واحده، و أبطأها فى سبعه عشر يوما و ثلاثه أشهر و اثنتين و ثمانين سنه يقطع درجه واحده و لذا تنتقل الصور عن مواضعها من البروج فيأتى الفرق بين البرج و الصوره و لم يحضرنى الان ذلك الزيج و لا سائر ازياجى احاسب تقويم الشعرى دقيقا فى سنه غزوه الصفين.

ثمّ ان تثنيه الشعرى شعريان فاذا ثنيت فالمراد بهما الشعرى اليمانيه و الشاميه و فى ديوان ان المنوچهرى الدامغانى:

چو پاسى از شب ديرنده بگذشت بر آمد شعريان از كوه موصل

فلنعد إلى القصه:

ص:۳۲۹

«خطبه اشعث بن قيس»

نصر عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى عن صعصعه قال: قام الاشعث بن قيس الكندى ليله الهرير فى أصحابه من كنده فقال:

الحمد للّه أحمده و استعينه و اومن به و اتوكل عليه و استنصره و استغفره و استخيره و استهديه فانّه من يهدى اللّه فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذا الماضى و ما قذفنى فيه من العرب فو اللّه لقد بلغت من السنّ ما شاء اللّه ان ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب إنا نحن توافقنا غدا أنه لفناء العرب وضيعه الحرمان أما و اللّه ما أقول هذه المقاله جزعا من الحنف و لكنى رجل مسن اخاف على النساء و على الذرارى غدا إذا فنينا اللّهم إنك تعلم أنّى قد نظرت لقومى و لأهل دينى فلم آل و ما توفيقى إلا باللّه عليه توكلت و اليه انيب و الرأى يخطى و يصيب و إذا قضى اللّه امرا أمضاه ما احبّ العباد أو كرهوا أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم.

قال قال صعصعه فانطلقت عيون معاويه اليه بخطبه الاشعث فقال أصاب و ربّ الكعبه لئن نحن التقينا غدا لنمكن الروم على ذرارينا و نسائنا و لنمكن أهل الفارس على نساء أهل العراق و ذراريهم و انما يبصر هذا ذوو الاحلام و النهى اربطوا المصاحف على رءوس الرماح و قلّدوها الخيل و النّاس على الرأيات قد اشتهوا ما دعوا اليه و رفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشره رجال على رءوس الرماح و نادوا يا أهل العراق بيننا و بينكم.

و أقبل أبو الاعور السلمى على برذون أبيض و قد وضع المصحف على رأسه ينادى يا أهل العراق كتاب اللّه بيننا و بينكم.

و أقبل عدى بن حاتم فقال يا أمير المؤمنين إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فانه لم يصب عصبه منا إلا و قد اصيب مثلها منهم و كل مقروح و لكنّا أمثل بقيه منهم و قد جزع القوم و ليس بعد الجزع إلّا ما تحبّ فناجز القوم.

ص:۳۳۰

فقـام الأشتر النخعی فقال یا أمیر المؤمنین إن معاویه لا خلف له من رجاله و لک بحمـد اللّه الخلف و لو کان له مثل رجالک لم یکن له مثل صبرک و لا بصرک فاقرع الحدید بالحدید و استعن باللّه الحمید.

ثمّ قـام عمرو بن الحمق فقال یا أمیر المؤمنین إنا و اللّه ما اخترناک و لا نصـرناک عصبیه علی الباطل و لا أجبنا إلا اللّه عزّ و جل و لاـ طلبنـا إلاـ الحق و لو دعانـا غیرک إلی مـا دعوت الیه لکـان فیه اللجاج و طالت فیه النجوی و قـد بلغ الحق مقطعه و لیس لنا معک رأی.

فقـام الاشـعث بن قیس مغضـبا فقـال یـا أمیر المؤمنین انا لک الیوم علی ما کنا علیه أمس و لیس آخر أمرنا کأوّله و ما من القوم أحـد أحنی علی أهل العراق و لا أوتر لأهل الشام منّی فأجب القوم إلی کتاب اللّه فانک أحق به منهم و قـد أحب النّاس البقاء و کرهوا القتال فقال علی علیه السّلام إن هذا امر ینظر فیه.

«جزع أهل الشام من أهل العراق و کلام عبد اللّه بن عمرو»

قال نصـر: و ذکروا أن أهل الشام جزعوا فقالوا یا معاویه ما نری أهل العراق أجابوا إلی ما دعوناهم الیه فاعـدها جـذعه فانک قد غمرت بدعائک القوم و أطمعتهم فیک فدعا معاویه عبد اللّه بن عمرو بن العاص و أمره ان یکلم أهل العراق فاقبل حتّی إذا کان بین الصـفین نادی یا أهل العراق أنا عبـد اللّه بن عمرو بن العاص إنّها قـد کانت بیننا و بینکم امور للدین و الدنیا فان تکن للدین فقـد و اللّه اعـذرنا و اعـذرتم و إن تکن للـدنیا فقد و اللّه اسرفنا و اسـرفتم و قد دعوناکم إلی أمر لو دعوتمونا الیه لأجبناک فان یجمعنا و إیاکم الرضا فذلک من اللّه فاغتنموا هذه الفرجه لعلّه أن یعیش فیها المحترف و ینسی فیها القتیل فان بقاء المهلک بعد الهالک قلیل.

«جواب سعید بن قیس عبد اللّه بن عمرو بامر أمیر المؤمنین علیه السّلام»

فخرج سـعید بن قیس الهمـدانی فأتی علیّا علیه السّـلام فاخبره بقول عبد اللّه بن عمرو فقال علی علیه السّـلام أجب الرجل. فتقدم سعیـد بن قیس فقـال یـا أهـل الشام انه قـد کان بیننا و بینکم امور حامینا فیها علی الـدین و الـدنیا سـمیتموها غـدرا و سـرفا و قد دعوتمونا

اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالامس و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و لا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل اللّه فالامر فى أيدينا دونكم و إلا فنحن نحن و أنتم أنتم.

و قام الناس إلى علىّ عليه السّلام فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك اليه فانا قد فنينا و نادى انسان من أهل الشام فى سواد الليل بشعر سمعه النّاس و هو:

رءوس العراق أجيبوا الدعاء فقد بلغت غايه الشدّه

و قد أودت الحرب بالعالمين و أهل الحفائظ و النجده

فلسنا و لستم من المشركين و لا المجمعين على الردّه

و لكن اناس لقوا مثلهم لنا عدّه و لهم عدّه

فقاتل كلّ على وجهه تقحّمه الجدّ و الجدّه

فان تقبلوها ففيها البقاء و أمن الفريقين و البلده

و ان تدفعوها ففيها الفناء و كلّ بلاء إلى مدّه

و حتّى متى مخض هذا السقاء و لا بدّ أن يخرج الزبده

ثلاثه رهط هم أهلها و إن يسكتوا تخمد الوقده

سعيد بن قيس و كبش العراق و ذاك المسوّد من كنده

فحمد هؤلاء النفر المسمون فى الصلح قال فاما المسوّد من كنده و هو الاشعث فانّه لم يرض بالسكوت بل كان من أعظم الناس قولا فى اطفاء الحرب و الركون إلى الموادعه. و أمّا كبش العراق و هو الاشتر فلم يكن يرى إلا الحرب و لكنه سكت على مضض و أمّا سعيد بن قيس فتاره هكذا و تاره هكذا.

قال نصر: ذكروا ان النّاس قالوا اكلنا الحرب و قتلت الرجال و قال قوم نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس و لم يقل هذا إلاّ قليل من النّاس ثمّ رجعوا عن قولهم مع الجماعه و ثارت الجماعه بالموادعه فقام على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

انه لم يزل أمرى معكم على ما احب إلى ان أخذت منكم الحرب و قد و اللّه اخذت منكم و تركت و اخذت من عدوّكم و انّها فيهم أنكى و أنهك ألا إنى كنت أمس

أمير المؤمنين فاصبحت اليوم مأمورا و كنت ناهيا فاصبحت منهيّا و قد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون ثمّ قعد.

أقول كلامه عليه السّلام المذكور آنفا.

«كلام رؤساء القبائل»

قال نصر: ثمّ تكلم رؤساء القبائل فاما من ربيعه و هى الجبهه العظيم فقام كردوس بن هانى البكرى فقال: أيّها النّاس إنا و اللّه ما تولينا معاويه منذ تبرئنا منه و لا تبرئنا من عليّ منذ توليناه و إن قتلانا لشهداء و ان أحياءنا لأبرار و إن عليّا لعلى بينه من ربّه و ما أحدث إلا الانصاف و كلّ محق منصف فمن سلم له نجا و من خالفه هلك.

ثمّ قام شقيق بن الثور البكرى فقال: أيّها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب اللّه فردّوه علينا فقاتلناهم عليه و انهم دعونا إلى كتاب اللّه و إن رددناه عليهم حلّ لهم مناما حلّ لنا منهم و لسنا نخاف أن يحيف اللّه علينا و لا رسوله و ان عليّا ليس بالراجع الناكص و لا الشاك الواقف و هو اليوم على ما كان عليه أمس و قد أكلتنا هذه الحرب و لا نرى البقاء إلا فى الموادعه.

ثمّ قام حريث بن جابر البكرى فقال أيّها النّاس إن عليّا لو كان خلفا من هذا الأمر لكان المفزع عليه فكيف و هو قائده و سائقه و أنه و اللّه ما قبل من القوم اليوم إلا ما دعاهم اليه أمس و لو ردّه عليهم كنتم له اعنت و لا يلحد فى هذا الامر إلا راجع على عقبيه او مستدرج بغرور فما بيننا و بين من طغى علينا إلاّ السيف.

ثمّ قام خالد بن المعمر فقال يا أمير المؤمنين إنا و اللّه ما اخترنا هذا المقام ان يكون أحد هو أولى به منّا غير أنا جعلناه ذخرا و قلنا أحبّ الامور الينا ما كفينا مؤنته فأمّا إذ سبقنا فى المقام فانا لا نرى البقاء إلاّ فيما دعاك اليه القوم إن رأيت ذلك فان لم تره فرأيك أفضل.

ثمّ ان الحصين الربعى و هو من اصغر القوم سنا قام فقال: أيها النّاس إنّما بنى هذا الدين على التسليم فلا توفروه بالقياس و لا تهدموه بالشفقه فانا و اللّه لو لا انا لا نقبل

إلاّ ما نعرف لاصبح الحقّ فی أیـدینا قلیلا و لو ترکنا و ما نهوی لکان الباطل فی أیدینا کثیرا و ان لنا داعیا و هو المصدق علی ما قـال المأمون علی ما فعل فان قال لا قلنا لا و ان قال نعم قلنا نعم. فبلغ ذلک معاویه فبعث إلی مصـقله بن هبیره فقال یا مصـقله ما لقیت من احد ما لقیت من ربیعه قال ما هم منک بأبعد من غیرهم و انا باعث الیهم فیما صنعوا فبعث المصقله إلی الرّبعیین فقال:

لن یهلک القوم أن تبدی نصیحتهم إلاّ شقیق أخو ذهل و کردوس

و ابن المعمر لا تنفکّ خطبته فیها البیان و أمر القوم ملبوس

أمّا حریث فان اللّه ضلّله إذ قام معترضا و المرء کردوس

طأطأ حصین هنا فی فتنه جمحت إن ابن و عله فیها کان محسوس

منّوا علیّا و منّاهم و قال لهم قولا یهیج له البزل القناعیس

کلّ القبائل قد أدّی نصیحته إلاّ ربیعه رغم القوم محبوس

و قال النجاشی:

ان الاراقم لا یغشاهم بؤس ما دافع اللّه من حوباء کردوس

نمّته من ثعلب العلیا فوارسها تلک الرءوس و أبناء المرائیس

ما بال کلّ أمیر یستراب به دین صحیح و رأی غیر ملبوس

و الی علیّا بغدر بذّ منه إذا ما صرّح العذر عن ردّ الضغاییس

نعم النصیر لأهل الحقّ قد علمت علیا معد علی أبصار إبلیس

قل للذین تزفّوا فی تعنّته إن البکاره لیست کالقناعیس

لن تدرکوا الدهر کردوسا و اسرته بنیّ ثعلبه الحادی و ذو العیس

«کلام علی (علیه السلام) لما رفع المصاحف»

قـال نصـر: و فی حـدیث عمر بن سـعد قـال لمّـا رفع أهـل الشام المصاحف علی الرماح یـدعون إلی حکم القرآن قال علیّ علیه السّـلام: عبـاد اللّه انـا أحقّ من اجاب إلی کتاب اللّه و لکن معاویه و عمرو بن العاص و ابن أبی معیط و حبیب بن مسـلمه و ابن أبی سرح لیسوا بأصحاب دین و لا قرآن انّی أعرف بهم منکم صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا

فكـانوا شـرّ أطفال و شـرّ رجال إنّها كلمه حقّ يراد بها باطل انهم و اللّه ما رفعوها إنّهم يعرفونها و لا يعلمون بها و ما رفعوها لكم إلاّ خديعه و مكيده اعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده فقد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلاّ أن يقطع دابر الّذين ظلموا.

فجاءه عليه السّـلام زهاء عشـرين ألفا مقنعين فى الحديد شاكى السـلاح سـيوفهم على عواتقهم و قد سوّدت جباههم من السجود يقدمهم مسعر بن فدكى و زيد بن حصين و عصابه من القراء الّذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بامره المؤمنين يا على أجب القوم إلى كتاب اللّه إذ دعيت اليه و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فو اللّه لنفعلنها إن لم تجبهم.

فقال عليه السّلام لهم: و يحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب اللّه و أوّل من أجاب اليه و ليس يحل لى و لا يسعنى فى دينى ان ادعا إلى كتاب اللّه فلا اقبله انى انّما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا اللّه فيما أمرهم و نقضوا عهده و نبذوا كتابه و لكنى قد اعلمتكم أنهم قد كادوكم و انهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون.

قالوا فابعث إلى الأشتر لياتينك و قد كان الاشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله.

أقول: كلامه عليه السّلام المذكور آنفا: عباد اللّه أنا أحقّ من أجاب اه و كذا قوله عليه السّلام:

و يحكم انا أوّل من دعا اه ليسافى النهج.

قال نصـر: فحدثنى فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال رأيت إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير فسأله عن الحال كيف كانت فقال كنت عند علىّ عليه السّـلام حين بعث إلى الاشتر أن يأتيه و قد أشـرف على عسكر معاويه ليدخله فأرسل علىّ يزيـد ابن هانى أن ايتنى فاتاه فبلغه فقال الاشتر ايته فقال له ليس هذه الساعه ينبغى لك ان تزيلنى فيها عن موقفى انّى قد رجوت أن يفتـح اللّه لى فلا تعجلنى فرجع يزيد ابن هانى إلى علىّ عليه السّـلام فأخبره فما هو إلا ان انتهى الينا حتّى ارتفع الرهج و علت الاصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلائل الفتـح و النصر لأهل العراق و دلائل الخـذلان و الادبار على أهل الشام فقال له القوم: و اللّه ما نراك إلا امرته بقتال القوم قال: رأيتمونى

ساررت رسولی أليس انما كلمته علی رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون قالوا فابعث اليه فلياتک و إلا فو اللّه اعتزلناک قال و يحک يا يزيد قل له اقبل إلیّ فان الفتنه قد وقعت فأتاه فأخبره فقال له الأشتر الرفع هذه المصاحف؟ قال نعم قال أما و اللّه لقد ظننت انها حين رفعت ستوقع اختلافا و فرقه انها مشوره ابن النابغه يعنی عمرو بن العاص.

قال ثمّ قال ليزيد ألا تری إلی الفتح ألا تری إلی ما يلقون ألا تری إلی الّذی يصنع اللّه لنا أ ينبغی ان ندع هذا و ننصرف عنه؟ فقال له يزيد أتحبّ أنک ظفرت ههنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الّذی هو به يفرج عنه و يسلم إلی عدوّه؟ قال سبحان اللّه و اللّه ما احبّ ذلک. قال فانهم قالوا لترسلن إلی الأشتر فليأتک او لنقتلنک كما قتلنا عثمان او لنسلمنک إلی عدوّک.

«خطاب الاشتر الی اهل الشام و جوابهم عنه»

قال فأقبل الأشتر حتّی انتهی إليهم فصاح فقال يا أهل الذل و الوهن احين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون و رفعوا المصاحف يدعونكم إلی ما فيها و قد و اللّه تركوا ما أمر اللّه فيها و سنه من انزلت عليه فلا تجيبوهم أمهلونی فواقا فانی قد احسب بالفتح قالوا لا قال فامهلونی عدو الفرس فانی قد طمعت فی النصر قالوا إذا ندخل معک فی خطيئتک قال فحدّثونی عنكم و قد قتل أماثلكم و بقی اراذلكم متی كنتم محقين حيث كنتم تقتلون أهل الشام فانتم الان حين أمسكتم عن القتال مبطلون أم الان محقون فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم و كانوا خيرا فيكم فی النار.

قالوا دعنا منک يا أشتر قاتلناهم فی اللّه و ندع قتالهم فی اللّه انا لسنا نطيعک فاجتنبنا قال خدعتم و اللّه فانخدعتم و دعيتم إلی وضع الحرب فاجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن ان صلاتكم زهاده إلی الدنيا و شوق إلی لقاء اللّه فلا اری قراركم إلا إلی الدنيا من الموت ألا فقبحتا يا اشباه النيب الجلاله ما أنتم برائين بعدها عزا ابدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمين فسبّوه و سبّهم و ضربوا بسياطهم وجه دابته و ضرب بسوطه وجوه دوابّهم فصاح بهم علیّ عليه السّلام فكفوا.

ص:۳۳۶

و قال الأشتر يا أمير المؤمنين أحمل الصف على الصف يصرع القوم فقالوا له ان عليّا أمير المؤمنين قد قبل الحكومه و رضى بحكم القرآن و لم يسعه إلاّ ذلک.

قال الأشتر ان كان أمير المؤمنين قد قبل و رضى بحكم القرآن فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين. فأقبل النّاس يقولون قد رضى أمير المؤمنين قد قبل أمير المؤمنين و هو ساكت لا يفيض بكلمه مطرق إلى الأرض.

أقول: قول القوم يا على اجب القوم إلى كتاب اللّه إذ دعيت اليه و إلا قتلناک كما قتلنا ابن عفان اه اعتراف منهم بانّهم قد قتلوا عثمان بن عفان و لم يكن له عليه السّلام يد فى قتل عثمان بل تمسک به ابن آكله الاكباد و اتباعه من الثعالب الرواغه لتهييج الفتنه و تفريق الكلمه و هدم اساس الدين و تشتيت شمل المسلمين كما مرّ قول أبى اليقظان عمار بن ياسر رضوان اللّه عليه فى ذلک.

نصر باسناده عن إبراهيم بن الأشتر قال: قال الناس قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا و بينهم حكما و بعث معاويه أبا الاعور السلمى على برذون أبيض فسار بين الصفين صف أهل العراق وصف أهل الشام و يقول: كتاب اللّه بيننا و بينكم.

«كتاب معاويه الى أمير المؤمنين على (عليه السلام)»

فارسل معاويه إلى علىّ عليه السّلام أن هذا الأمر قد طال بيننا و بينک و كل واحد منّا يرى أنّه على الحق فيما يطلب من صاحبه و لن يعطى واحد منا الطاعه للاخر و قد قتل فيما بيننا بشر كثير و أنا أتخوف أن يكون ما بقى أشدّ مما مضى و أنا نسأل عن ذلک الموطن و لا يحاسب به غيرى و غيرک فهل لک فى أمر لنا و لک فيه حياه و عذر و براءه و صلاح للامه و حقن للدّماء و الفه للدين و ذهاب للضغائن و الفتن ان يحكم بيننا فانه خير لى و لک و أقطع لهذه الفتن فاتق اللّه فيما دعيت له و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله و السّلام.

«جواب أمير المؤمنين على (عليه السلام) اياه»

فكتب اليه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام: من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان أمّا بعد فإنّ أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما

حسن به فعله و يستوجب فضله و يسلم من عيبه و ان البغى و الزور يزريان بالمرء فى دينه و دنياه و يبديان من خلله عند من يعنيه ما استرعاه اللّه ما لا يغنى عنه تدبيره فاحذر الدنيا فانه لا فرح فى شىء وصلت اليه منها و لقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته و قد رام قوم أمرا بغير الحق فتأولوا على اللّه تعالى فاكذبهم و متّعهم قليلا ثمّ اضطرّهم إلى عذاب غليظ، فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبه عمله و يندم من امكن الشيطان من قياده و لم يحادّه فغرّته الدنيا و اطمأن اليها، ثمّ إنّك قد دعوتنى إلى حكم القرآن و لقد علمت أنّك لست من أهل القرآن إلى حكمه و لسنا إياك أجبنا و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالا بعيدا.

أقول: كتابه عليه السّلام هذا مذكور فى النهج فى باب كتبه و رسائله الكتاب الثمانى و الأربعين إلّا أن ما فى النهج بعض ما ذكرنا ههنا عن نصر.

«الكلام فى الحكمين أبى موسى الاشعرى و عمرو بن العاص»

قال نصر: جاءت عصابه من القراء قد سلوا سيوفهم و اضعيها على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما تنتظر بهؤلاء القوم أن نمشى إليهم بسيوفنا حتى يحكم اللّه بيننا و بينهم بالحق فقال لهم علىّ عليه السّلام قد جعلنا حكم القرآن بيننا و بينهم و لا يحلّ قتالهم حتى ننظر بما يحكم القرآن.

«كتاب معاويه الى أمير المؤمنين على عليه السلام»

قال: و كتب معاويه إلى علىّ أما بعد عافانا اللّه و إيّاك فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا و الفه بيننا و قد فعلت الذى فعلت و أنا اعرف حقى و لكن اشتريت بالعفو صلاح الامه و لا أكثر فرحا بشىء جاء و لا ذهب و انما دخلنى فى هذا الامر القيام بالحق فيما بين الباغى و المبغى عليه و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فدعوت إلى كتاب اللّه فيما بيننا و بينك فانه لا يجمعنا و إياك إلّا هو نحيى ما أحيى القرآن و نميت ما أمات القرآن و السلام.

«كتاب أمير المؤمنين على عليه السّلام الى عمرو بن العاص»

كتب عليّ عليه السّلام إلى عمرو بن العاص: أما بعد فان الدنيا مشغله عن غيرها و لم يصب صاحبها منها شيئا إلّا فتحت له حرصا يزيـده فيها رغبه و لن يستغنى صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه و من وراء ذلك فراق ما جمع و السعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أبا عبد اللّه اجرك و لا تجار معاويه فى باطله.

«جواب عمرو بن العاص عليا عليه السّلام»

فأجابه عمرو بن العاص: اما بعد فان ما فيه صلاحنا و الفتنا الانابه إلى الحقّ و قد جعلنا القرآن حكما بيننا فأجبنا إليه و صبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن و عذره الناس بعد المحاجزه.

«جواب أمير المؤمنين عليه السّلام عمرو بن العاص»

فكتب إليه أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام: أما بعد فانّ الذى اعجبك من الدنيا ممّا نازعتك إليه نفسك و وثقت به منها لمنقلب عنك و مفارق لك فلا تطمئن إلى الدنيا فانها غرّاره و لو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقى و انتفعت بما وعظت به و السلام.

«جواب عمرو بن العاص عليا عليه السّلام ثانيا»

فاجابه عمرو: أما بعـد فقد أنصف من جعل القرآن اماما و دعا الناس إلى أحكامه فاصبر أبا حسن و انا غير منيليك إلّا ما انا لك القرآن.

أقول: كتاب أمير المؤمنين عليّ عليه السّـلام إلى عمرو بن العاص: امّا بعـد فإنّ الدنيا مشـغله عن غيرها آه يأتى فى باب الكتب و الرسائل الكتاب التاسع و الاربعين و امّا جوابه عليه السّلام عمرا: اما بعد فانّ الذى اعجبك آه غير مذكور فى النهج.

ثمّ جاء الاشعث بن قيس إلى عليّ عليه السّلام فقال ما أرى النّاس إلا و قد رضوا و سرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاويه

ص:۳۳۹

فسألته ما یرید و نظرت ما الّذی یسأل؟ قال علیه السّلام ایته إن شئت، فأتاه فسأله فقال:

یـا معـاویه لأیّ شـیء رفعتم هـذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن و أنتم إلی ما أمر اللّه به فی کتابه فابعثوا منکم رجلا ترضون به و نبعث منا رجلا ثمّ نأخذ علیهما أن یعملا بما فی کتاب اللّه لا یعدوانه ثم تتبع ما اتفقا علیه.

«الاتفاق علی الصلح و اختلاف أهل العراق فی الحکمین»

فقـال الاشـعث: هـذا هو الحق فانصـرف إلی علیّ علیه السّـلام فـاخبره بالـذی قال و قال النّاس قـد رضـینا و قبلنا، فبعث علیّ علیه السّـلام قراء من أهـل العراق و بعث معاویه قراء من أهل الشام فاجتمعوا بین الصـفین و معهم المصـحف فنظروا فیه و تـدارسوه و أجمعوا علی أن یحیوا ما احیی القرآن و أن یمیتوا ما أمات القرآن.

ثمّ رجع کلّ فریق إلی أصحابه و قال النّاس قد رضینا بحکم القرآن، فقال أهل الشام فانا قد رضینا و اخترنا عمرو بن العاص.

و قال الاشعث و القراء الّذین صاروا خوارج فیما بعد فانا قد رضینا و اخترنا أبا موسی الأشعری، فقال لهم علیّ علیه السّلام إنی لا أرضـی بابی موسـی و لا أری أن اولیّه فقال الأشـعث و یزید بن حصین و مسعر بن فدکی فی عصابه من القراء انا لا نرضی إلّا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فیه، قال علیّ علیه السّلام فانه لیس لی برضا و قد فارقنی و خذل الناس عنی ثمّ هرب حتی أمنته بعد اشهر و لکن هـذا ابن عباس اولیّه ذلک قالوا و اللّه ما نبالی أنت کنت أو ابن عباس لا نریـد إلّا رجلا هو منک و من معاویه سواء لیس إلی واحد منکما بأدنی من الاخر قال علیّ علیه السّـلام فانی اجعل الاشتر، قال الأشـعث و هل سـعّر الارض علینا غیر الاشتر و هل نحن إلاـ فی حکم الاـشتر، قـال له علیّ علیه السّـلام و مـا حکمه؟ قال: حکمه أن یضـرب بعضـنا بعضا بالسـیوف حتّی یکونن ما اردت و ما اراد.

نصـر عن عمرو بن شـمر عن جابر عن أبی جعفر محمّد بن علیّ علیهما السّـلام قال: لما أراد الناس علیّا أن یضع حکمین قال لهم علیّ إن معاویه لم یکن لیضع لهذا الامر

أحدا هو أوثق برأيه و نظره من عمرو بن العاص و انه لا يصلح للقرشی إلا مثله فعليكم بعبد اللّه بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقده إلّا حلها عبد اللّه و لا يحلّ عقده الا عقدها و لا يبرم أمرا إلّا نقضه و لا ينقض أمرا إلّا أبرمه، فقال الأشعث لا و اللّه لا نحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعه و لكن اجعله رجلا من أهل اليمن إذا جعلوا رجلا من مضر، فقال علیّ عليه السّلام: إنّی أخاف أن يخدع يمنيكم فان عمرا ليس من اللّه فی شیء حتى إذا كان له فی أمر هواه، فقال الاشعث و اللّه لأن يحكما ببعض ما نكره و احدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحبّ فی حكمهما و هما مضريان.

قال: قال علیّ عليه السّلام قد أبيتم الا أبا موسى؟ قالوا: نعم قال: فاصنعوا ما أردتم فبعثوا إلى أبی موسى و قد اعتزل بأرض من أرض الشام يقال لها عرض و اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال إن النّاس قد اصطلحوا، قال: الحمد للّه رب العالمين، قال: و قد جعلوك حكما، قال إنّا للّه و إنّا إليه راجعون.

فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر علیّ و جاء الاشتر حتى أتى عليّا فقال له يا أمير المؤمنين ألزّنی بعمرو بن العاص فو اللّه الذی لا إله إلّا غيره لئن ملأت عينی منه لأقتلنه، و جاء الاحنف بن قيس التميمی فقال يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض و من حارب اللّه و رسوله أنف الاسلام و انی قد عجمت هذا الرّجل يعنی أبا موسى و حلبت اشطره فوجدته كليل الشفره قريب القعر و انه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يكون فی اكفهم و يتباعد منهم حتى يكون بمنزله النجم منهم فان شئت أن تجعلنی حكما فاجعلنی فان شئت ان تجعلنی ثانيا أو ثالثا فانه لا يعقد عقده إلا حللتها و لن يحلّ عقده إلا عقدتها و عقدت لك اخرى اشد منها فعرض علیّ عليه السّلام ذلك على الناس فأبوه و قالوا: لا يكون إلّا أبا موسى.

«صوره صحيفه الصلح و اختلاف الناس فی كتابتها»

قال نصر: فلما رضی أهل الشام بعمرو بن العاص و رضی أهل العراق بأبی موسى

أخذوا فی کتاب الموادعه و رضوا بالحکم حکم القرآن.

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه و نصر بن مزاحم فی کتاب الصفین: فکتبوا:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما تقاضی علیه علیّ أمیر المؤمنین فقال معاویه بئس الرجل أنا ان اقررت انه أمیر المؤمنین ثم قاتلته، و قال عمروا کتب اسمه و اسم أبیه انما هو أمیرکم و أما أمیرنا فلا، فلما اعید إلیه الکتاب أمر بمحوه فقال الاحنف لا تمح اسم امره المؤمنین عنک فانی أتخوف ان محوتها لا ترجع إلیک ابدا لا تمحها و ان قتل الناس بعضهم بعضا فابی ملیا من النهار أن یمحوها.

ثمّ ان الاشعث بن قیس جاء فقال امح هذا الاسم فقال علیّ علیه السّلام لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر سنه بسنه انا و اللّه لعلی یدی رادّ هذا الامر یوم الحدیبیّه حین کتبت الکتاب عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: هذا ما تصالح علیه محمّد رسول اللّه و سهیل بن عمر و فقال سهیل لا اجیبک إلی کتاب تسمّی رسول اللّه و لو علم انک رسول اللّه لم اقاتلک إنی إذا ظلمتک ان منعتک أن تطوف ببیت اللّه و أنت رسول اللّه و لکن اکتب محمّد بن عبد اللّه اجیبک، فقال محمّد صلّی اللّه علیه یا علیّ إنّ لرسول اللّه و انی لمحمّد بن عبد اللّه و لن یمحو عن الرساله کتابی إلیهم من محمّد بن عبد اللّه فاکتب محمّد بن عبد اللّه فراجعنی المشرکون فی عهد إلی مدّه فالیوم اکتبها إلی أبنائهم کما کتبها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی آبائهم سنه و مثلا.

فقال عمرو بن العاص: سبحان اللّه و مثل هذا أ تشبهنا بالکفّار و نحن مؤمنون فقال له علیّ یا ابن النابغه و متی لم تکن للکافرین ولیّا و للمسلمین عدوّا و هل تشبه إلا امّک التی وضعت بک؟ فقام عمرو فقال و اللّه لا یجمع بینی و بینک مجلس أبدا بعد هذا الیوم، فقال علیّ علیه السّلام و اللّه انّی لأرجو أن یظهر اللّه علیک و علی أصحابک(۱) ثمّ جاءت عصابه قد وضعوا سیوفهم علی عواتقهم فقالوا یا أمیر المؤمنین مرنا بما شئت فقال لهم ابن حنیف أیّها الناس اتّهموا رأیکم فو اللّه لقد کنا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الحدیبیه و لو نری قتالا لقاتلنا و ذلک فی الصلح الذی صالح علیه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله

۱- (۱) - و فی تاریخ الطبری: لارجو أن یطهر اللّه عز و جل مجلسی منک و من أشباهک.

نصر بإسناده عن علقمه بن قيس النخعی قال: لما کتب علیّ علیه السّلام الصلح یوم صالح معاویه فدعا الاشتر لیکتب فقال قائل اکتب بینک و بین معاویه فقال إنی و اللّه لأنا کتبت الکتاب بیدی یوم الحدیبیه و کتبت بسم اللّه الرّحمن الرحیم فقال سهیل لا أرضی اکتب باسمک اللهم فکتبت هذا ما صالح علیه محمّد رسول اللّه سهیل ابن عمرو، فقال لو شهدت انک لرسول اللّه لم اقاتلک، قال علیّ علیه السّلام فغضبت فقلت بلی و اللّه انّه لرسول اللّه و ان رغم أنفک فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اکتب ما یأمرک إن لک مثلها ستعطیها و أنت مضطهد.

و فی الامامه و السیاسه لابن قتیبه الدینوری قال فی الاختلاف فی کتابه صحیفه الصلح: و کتب بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما تقاضی علیه علیّ بن أبی طالب و معاویه بن أبی سفیان. فقال أبو الاعور: أو معاویه و علیّ، فقال الاشعث لا لعمر اللّه و لکن نبدأ بأوّلهما ایمانا و هجره و أدناهما من الغلبه فقال معاویه قدّموا أو أخّروا.

قال أبو جعفر الطبری فی تاریخه: فکتب کتاب القضیّه بین علیّ و معاویه فیما قیل یوم الأربعاء لثلاث عشره خلت من صفر سنه ۳۷ من الهجره و قال نصر یوم الاربعاء لثلاث عشره لیله بقیت من صفر سنه سبع و ثلاثین، أمّا صوره تلک الصحیفه فقال نصر بن مزاحم المنقری فی کتاب الصفین فکتبوا:

هذا ما تقاضی علیه علیّ بن أبی طالب و معاویه بن أبی سفیان و شیعتهما فیما تراضیا به من الحکم بکتاب اللّه و سنّه نبیّه صلّی اللّه علیه قضیه علی علی أهل العراق و من کان من شیعته من شاهد او غائب انّا رضینا أن ننزل عند حکم القرآن فیما حکم و أن نقف عند أمره فیما أمر و أنّه لا یجمع بیننا الا ذلک و انا جعلنا کتاب اللّه فیما بیننا حکما فیما اختلفنا فیه من فاتحته إلی خاتمته نحیی ما أحیی و نمیت ما أمات علی ذلک تقاضیا و به تراضیا و انّ علیّا و شیعته رضوا أن یبعثوا عبد اللّه بن قیس ناظرا و محاکما علی أنّهم أخذوا علیهما عهد اللّه و میثاقه و اعظم ما أخذ اللّه علی أحد من خلقه لیتخذا الکتاب إماما فیما بعث له لا یعدوانه إلی غیره فی الحکم بما وجداه فیه مسطورا و ما لم یجداه مسمّی فی الکتاب ردّاه إلی سنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

ص:۳۴۳

الجامعه لا يتعمّدان لها خلافا و لا يتّبعان فى ذلك لهما هوى و لا يدخلان فى شبهه و أخذ عبد اللّه بن قيس و عمرو بن العاص على علىّ عليه السّلام و معاويه عهد اللّه و ميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب اللّه و سنه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و ليس لهما أن ينقضا ذلك و لا يخالفاه إلى غيره و انهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما و أموالهما و أهلهما ما لم يعدوا الحق رضى بذلك راض أو أنكره منكر و أن الأئمه أنصار لهما على ما قضيا به من العدل فان توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومه فأمير شيعته و أصحابه يختارون مكانه رجلا لا يألون عن أهل المعدله و الاقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد و الميثاق و الحكم بكتاب اللّه و سنه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و له مثل شرط صاحبه و ان مات احد الأميرين قبل القضاء فلشيعته أن يولّوا مكانه رجلا يرضون عدله و قد وقعت القضيّه و معها الامن و التفاوض و وضع السلاح و السلام و الموادعه و على الحكمين عهد اللّه و ميثاقه أن لا يألوا اجتهادا و لا يتعمّدا جوابا و لا يدخلا فى شبهه و لا يعدوا حكم الكتاب و سنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فان لم يفعلا برئت الامه من حكمهما و لا عهد لهما و لا ذمّه و قد وجبت القضيه على ما قد سمّى فى هذا الكتاب مع مواقع الشروط على الاميرين و الحكمين و الفريقين و اللّه اقرب شهيدا و أدنى حفيظا و الناس آمنون على انفسهم و أهليهم و أموالهم إلى انقضاء مده الاجل و السلاح موضوع و السبل مخلّاه و الغائب و الشاهد من الفريقين سواء فى الامن و للحكمين ان ينزلا منزلا عدلا بين أهل العراق و أهل الشام و لا يحضرهما فيه إلّا من أحبّا عن ملا منهما و تراض و ان المسلمين قد أجّلوا القاضيين إلى انسلاخ رمضان فان رأى الحكمان تعجيل الحكومه فيما و جهاله عجلاها و ان أرادا تأخيره بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فان ذلك اليهما فان هما لم يحكما بكتاب اللّه و سنه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الاوّل فى الحرب و لا شرط بين واحد من الفريقين و على الامّه عهد اللّه و ميثاقه على التمام و الوفاء بما فى هذا الكتاب و هم يد على من أراد فيه الحادا و ظلما أو حاول له نقضا.

فكتب أهل العراق كتابا لأهل الشام و كتب أهل الشام كتابا بهذا لأهل

العراق و شهد شهود أهل الشام على أهل العراق و شهد شهود أهل العراق على أهل الشام.

و قال ابن قتيبه الدينورى فى الامامه و السياسه ان الكتاب كان بخط عمرو بن عباده كاتب معاويه.

نصر عن عمر بن سعد قال حدثنى أبو إسحاق الشيبانى قال قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبى برده فى صحيفه صفراء عليها خاتمان خاتم من اسفلها و خاتم من اعلاها، فى خاتم علىّ عليه السّلام محمّد رسول اللّه و فى خاتم معاويه محمّد رسول اللّه فقيل لعلىّ عليه السّلام حين أراد ان يكتب الكتاب بينه و بين معاويه و أهل الشام أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال علىّ عليه السّلام ما اقرّ لمعاويه و لا لأصحابه انهم مؤمنون و لا مسلمون و لكن يكتب معاويه ما شاء و يقرّ بما شاء لنفسه و أصحابه و يسمّى نفسه و أصحابه ما شاء.

«كلام على عليه السّلام حين اقر الناس بالصلح»

نصر عن عمر بن سعد عن إسحاق بن يزيد عن الشعبى ان عليّا عليه السّلام قال يوم صفّين حين أقرّ الناس بالصلح: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا (لينيبوا - خ ل) إلى الحق و لا ليجيبوا إلى كلمه السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر و حتى يرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب و حتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس حتى تدعق الخيول فى نواحى ارضهم و باحناء مساربهم و مسارحهم و حتّى تشنّ عليهم الغارات من كل فجّ و حتى تلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم فى سبيل اللّه إلّا جدّا فى طاعه اللّه و حرصا على لقاء اللّه و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نقتل (فقتل - خ ل) آبائنا و ابنائنا و اخواننا و اعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا ايمانا و تسليما و مضيّا على أمضّ الألم و جدّا على جهاد العدوّ و الاستقلال بمبارزه الاقران و لقد كان الرّجل منّا و الاخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما ايّهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرّه لنا من عدوّنا و مرّه لعدوّنا منّا فلمّا رآنا اللّه صبرا صدقا انزل اللّه بعدوّنا الكبت و انزل علينا النصر

و لعمری لو کنّا نأتی مثل الذی أتیتم ما قام الدّین و لا عزّ الاسلام و ایم اللّه لتحلبنّها دما فاحفظوا ما أقول لکم یعنی الخوارج.

أقول: بعض کلامه علیه السّلام هذا مذکور فی النهج فی باب الخطب الخطبه الاثنتین و العشرین و المأه و اتی بفصل من کلامه علیه السّلام حین رجع أصحابه عن القتال بصفین لما اغترّهم معاویه برفع المصاحف فانصرفوا عن الحرب الشیخ المفید قدس سرّه فی الارشاد و هو:

لقد فعلتم فعله ضعضعت من الاسلام قواه و اسقطت منته و اورثت و هنا و ذله لمّا کنتم الاعلین و خاف عدوکم الاجتیاح و استخر بهم القتل و وجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف و دعوکم إلی ما فیها لیفیؤوکم عنهم و یقطعوا الحرب فیما بینکم و بینهم و یتربصوا بکم ریب المنون خدیعه و مکیده فما أنتم ان جامعتموهم علی ما احبّوا و اعطیتموهم الذین سألوا الا المغرورین و ایم اللّه ما أظنکم بعد موافقی رشد و لا مصیبی حزم.

«کلام الاشتر لما دعی للصحیفه»

قال نصر بإسناده عن عمّار بن ربیعه الجرمی: لما کتبت الصحیفه دعی لها الاشتر فقال لاصحبتنی یمینی و لا نفعتنی بعدها الشمال ان کتب لی فی هذه الصحیفه اسم علی صلح و لا موادعه او لست علی بینه من ربّی و یقین من ضلاله عدوّی أو لستم قد رأیتم الظفر ان لم تجمعوا علی الخور؟ فقال له رجل من النّاس إنّک و اللّه ما رأیت ظفرا و لا خورا هلمّ فاشهد علی نفسک و اقرر بما کتب فی هذه الصحیفه فانه لا رغبه بک عن الناس فقال بلی و اللّه ان بی لرغبه عنک فی الدنیا للدنیا و فی الاخره للاخره و لقد سفک اللّه بسیفی هذا دماء رجال ما أنت بخیر منهم عندی و لا احرم دما فقال عمار بن ربیعه فنظرت إلی ذلک الرجل و کانما قصع علی أنفه الحمم و هو الاشعث ابن قیس، ثمّ قال و لکن قد رضیت بما صنع علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و دخلت فیما دخل فیه و خرجت ممّا خرج منه، فانه لا یدخل الا فی هدی و صواب.

ص:۳۴۶

«كلام أمير المؤمنين على عليه السّلام فى الاشتر رضوان اللّه عليه»

نصر عن عمر عن فضيل بن خديج قال قيل لعلىّ عليه السّلام لما كتبت الصحيفه إن الأشتر لم يرض بما فى هذه الصحيفه و لا يرى الاقتال القوم، فقال علىّ عليه السّلام بلى إن الاشتر ليرضى إذا رضيت و قد رضيت و رضيتم و لا يصلح الرجوع بعد الرضا و لا التبديل بعد الاقرار إلّا ان يعصى اللّه و يتعدى ما فى كتابه و امّا الّذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من اولئك و ليس أتخوّفه على ذلك و ليت مثله اثنان بل ليت فيكم مثله واحد يرى فى عدوّه مثل رأيه إذا لخفّت على مؤنتكم و رجوت أن يستقيم لى بعض اودكم و قد نهيتكم عما أتيتم فعصيتمونى و كنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن:

و هل أنا إلّا من غزيّه إن غوت غويت و إن ترشد غزيه أرشد

فقالت طائفه ممن معه و نحن ما فعلنا يا أمير المؤمنين إلّا ما فعلت قال نعم فلم كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنا، و أما القضيّه فقد استوثقنا لكم فيها و قد طمعت ألا تضلّوا إن شاء اللّه ربّ العالمين.

ثمّ قالا و كان الكتاب فى صفر و الأجل فى شهر رمضان لثمانيه أشهر يلتقى الحكمان ثم ان الناس اقبلوا على قتلاهم يدفنونهم.

أقول: اتى بكلامه عليه السّلام هذا، الشيخ المفيد رضوان اللّه عليه فى الارشاد مع اختلاف يسير فى بعض العبائر.

قال المسعودى: و لمّا وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرء الاخ من أخيه و الابن من أبيه و أمر علىّ عليه السّلام بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمه و تفاوت الرأى و عدم النظام لامورهم و ما لحقه من الخلاف منهم و كثره التحكيم فى جيش أهل العراق و تضارب القوم بالمقارع و نعال السيوف و تسابوا و لام كلّ فريق منهم الاخر فى رأيه و سار علىّ يؤم الكوفه و لحق معاويه بدمشق من أرض الشام و فرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده.

و بالجمله لما اختار أهل العراق أبا موسى الاشعرى و اختار أهل الشام عمرو بن

العاص تفرق أهل صفين حين حكم الحكمان و اشترطا ان يرفعا ما رفع القرآن و يخفضا ما خفض القرآن و أن يختارا لامّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و انهما يجتمعان بدومه الجندل و هى على عشره اميال من دمشق فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل باذرح.

«اجتماع الفريقين و الحكمين بدومه الجندل»

قال نصر ان عليّا عليه السّلام بعث أربعمائه رجل و بعث عليهم شريح بن هانى الحارثى و بعث عبد اللّه بن عبّاس يصلى بهم و يلى امورهم و أبو موسى الاشعرى معهم، و بعث معاويه عمرو بن العاص فى أربعمائه رجل - إلى أن قال -: ثمّ إنّهم خلوا بين الحكمين فكان رأى عبد اللّه بن قيس أبى موسى فى عبد اللّه بن عمر بن الخطاب و كان يقول و اللّه إن استطعت لأحيينّ سنه عمر.

«ما وصى به شريح بن هانى أبا موسى»

قال نصر: و فى حديث محمّد بن عبيد اللّه عن الجرجانى قال: لما اراد أبو موسى المسير قام شريح بن هانى فأخذ بيد أبى موسى فقال: يا أبا موسى انك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه و لا يستقال فتقه(۱) و مهما تقل شيئا لك او عليك ثبت حقّه و يزول باطله و انّه لا بقاء لأهل العراق ان ملكها معاويه و لا بأس على أهل الشام ان ملكها علىّ و قد كان منك تثبيطه أيام قدمت الكوفه فان تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا و الرجاء منك يأسا. ثمّ قال شريح فى ذلك شعرا:

أبا موسى رميت بشرّ خصم فلا تضع العراق فدتك نفسى

و اعط الحق شامهم و خذه فإن اليوم فى مهل كأمس

و إنّ غدا يجىء بما عليه يدور الأمر من سعد و نحس

و لا يخدعك عمرو انّ عمرا عدوّ اللّه مطلع كلّ شمس

ص:۳۴۸

۱- (۱) فى الامامه و السياسه لابن قتيبه: و لا تستقال فلتته. و فى شرح الشارح المعتزلى:و لا تستقال فتنته.

له خدع يحار العقل فيها مموّهه مزخرفه بلبس

فلا تجعل معاويه بن حرب كشيخ فى الحوادث غير نكس

هداه اللّه للاسلام فردا سوى بنت النبىّ و اىّ عرس

قال نصر: فى غير كتاب ابن عقبه: سوى عرس النّبىّ و أىّ عرس.

«ما قال أبو موسى فى جوابه»

فقال أبو موسى: ما ينبغى لقوم اتّهمونى أن يرسلونى لأدفع عنهم باطلا أو أجرّ اليهم حقّا.

«ما وصى به الاحنف بن قيس أبا موسى»

قال نصر: و كان آخر من ودع أبا موسى الاحنف بن قيس أخذ بيده ثمّ قال له: يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر و اعلم ان له ما بعده و انّك ان ضيّعت العراق فلا عراق فاتق اللّه فانها تجمع لك دنياك و آخرتك و إذا لقيت عمرا غدا فلا تبدءه بالسلام فانّها و إن كانت سنه إلّا انّه ليس من أهلها و لا تعطه بيدك فانّها أمانه و إياك ان يقعدك على صدر الفراش فانّها خدعه و تلقه وحده و احذره ان يكلمك فى بيت فيه مخدع تخبا فيه الرجال و الشهود ثمّ اراد ان يبور ما فى نفسه لعلىّ فقال له: فان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلىّ فخيره ان يختار أهل العراق من قريش الشام من شاءوا فانّهم يولّونا الخيار فنختار من نريد و إن أبوا فليخيّر أهل الشام من قريش العراق من شاءوا فان فعلوا كان الأمر فينا.

قال أبو موسى: قد سمعت ما قلت و لم يتحاش لقول الاحنف. فرجع الاحنف فأتى عليّا عليه السّلام فقال يا أمير المؤمنين أخرج و اللّه أبو موسى زبده سقائه فى أوّل مخضه لا ارانا إلّا بعثنا رجلا لا ينكر خلعك. فقال علىّ عليه السّلام يا احنف إن اللّه غالب على أمره.

«بعث الصلتان اشعارا من الكوفه الى دومه الجندل»

قال نصر: و فشا أمر الاحنف و أبى موسى فى النّاس - إلى أن قال -: و بعث الصلتان العبدى و هو بالكوفه بابيات إلى دومه الجندل.

لعمرك لا القى مدى الدهر خالعا عليّا بقول الأشعرى و لا عمرو

فان يحكما بالحق نقبله منهما و الا اثرناها كراغيه البكر

و لسنا نقول الدهر ذاك اليهما و فى ذاك لو قلناه قاصمه الظهر

و لكن نقول الأمر بالحق كلّه اليه و فى كفّيه عاقبه الأمر

و ما اليوم إلّا مثل أمس و اننا لفى رهق الضحضاح او لجه الأمر

فلما سمع النّاس قول الصلتان شحذهم ذلك على أبى موسى و استبطأه القوم و ظنوا به الظنون و اطبق الرجلان بدومه الجندل لا يقولان شيئا.

«قصه سعد بن أبى وقاص و ابنه عمر»

اشاره

قال نصر: و كان سعد بن أبى وقاص قد اعتزل عليّا عليه السّلام و معاويه فنزل على ماء لبنى سليم بأرض الباديه يتشوف الأخبار و كان رجلا- له بأس و رأى فى قريش و لم يكن له فى علىّ و لا- معاويه هوى فأقبل راكب يوضع من بعيد فاذا هو بابنه عمر ابن سعد فقال يا أبى التقى النّاس بصفين فكان بينهم ما قد بلغك حتّى تفانوا ثمّ حكموا الحكمين عبد اللّه بن قيس و عمرو بن العاص و قد حضر ناس من قريش عندهما و أنت من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من أهل الشورى و من قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اتقوا دعواته و لم تدخل فى شىء مما تكن هذه الامّه فاحضر دومه الجندل فانك صاحبها غدا، فقال مهلا يا عمر إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول يكون من بعدى فتنه خير النّاس فيها الخفى التقى، و هذا الأمر لم أشهد أوّله و لن أشهد آخره و لو كنت غامسا يدى فى هذا الأمر غمستها مع علىّ. قد رأيت القوم حملونى على حدّ السيف فاخترته على النّار فأقم عند أبيك ليلتك هذه، فراجعه عمر حتّى طمع فى الشيخ فلمّا جنّه الليل رفع صوته ليسمع أبوه فقال:

دعوت أباك اليوم و اللّه للّذى دعانى اليه القوم و الأمر مقبل

فقلت لهم للموت أهون جرعه من النّار فاستبقوا اخاكم او اقتلوا

فكفّوا و قالوا ان سعد بن مالك مزخرف جهل و المجهّل أجهل

فلما رأيت الأمر قد جدّ جدّه و كاشفنا يوم أغرّ مخجّل

هربت بدينى و الحوادث جمه و فى الأرض أمن واسع و معوّل

فقلت معاذ اللّه من شرّ فتنه لها آخر لا يستقال و أوّل

و لو كنت يوما لا محاله وافدا تبعت عليّا و الهوى حيث يجعل

و لكنني زاولت نفسا شحيحه على دينها تأبى عليّ و تبخل

فاما ابن هند فالتراب بوجهه و ان هواى عن هواه لأميل

فيا عمر ارجع بالنصيحه انّنى سأصبر هذا العام و الصبر أجمل

فارتحل عمر و قد استبان له أمر أبيه.

أقول: عمر بن سعد هذا هو الّذى اطاع أهل الشقاق و النفاق و حمله الاوزار المستوجبين النّار و توازر على الحسين بن عليّ عليهما السّلام فى كربلاء و قد أخبر بذلک أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام كما ورد فى غير واحد من الاخبار.

ففى الارشاد للمفيد و الاحتجاج للطبرسى رضوان اللّه عليهما عن زكريا بن يحيى القطان عن فضل بن زبير عن أبى الحكم قال سمعت مشيختنا و علماءنا يقولون خطب عليّ ابن أبى طالب عليه السّلام فقال فى خطبه: سلونى قبل أن تفقدونى فو اللّه لا تسألونى عن فئه تضل مأئه و تهدى مأئه إلا نبّأتكم بناعقها و سايقها إلى يوم القيامه فقام اليه رجل فقال أخبرنى كم فى رأسى و لحيتى من طاقه شعر فقال أمير المؤمنين عليه السّلام و اللّه لقد حدّثنى خليلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما سئلت عنه و أن على كلّ طاقه شعر من رأسک ملكا يلعنک و على كل طاقه شعر من لحيتک شيطانا يستفزّک و أن فى بيتک لسخلا يقتل ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و آيه ذلک مصداق ما أخبرتک به و لولا أن الّذى سئلت عنه يعسر برهانه لاخبرتک به، و لكن آيه ذلک ما نبّأت به من لعنتک و سخلک الملعون.

ثمّ قالا- و كان ابنه فى ذلک الوقت صبيّا صغيرا يحبو فلمّا كان من أمر الحسين عليه السّلام ما كان تولّى قتله و كان الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام.

ذلک الرجل السائل هو سعد بن أبى وقاص و ذلک السخل هو ابنه عمر كما صرّح بهما فى كثير من الأخبار.

«ارسال معاويه المغيره بن شعبه الى دومه الجندل»

اشاره

قال نصر: و قد كانت الاخبار أبطأت على معاويه فبعث إلى رجال من قريش

ص:۳۵۱

من الـذين كرهوا ان يعينوه فى حربه ان الحرب قـد وضـعت اوزارها و التقى هذان الرّجلان بدومه الجندل فاقدموا علىّ فأتاه عبد اللّه بـن الزبير و عبـد اللّه بن عمر و أبـو الجهم بن حـذيفه و عبـد الرحمن بن الاـسود بن يغـوث الزهرى و عبـد اللّه بن صـفوان الجمحى و رجال من قريش و أتاه المغيره بن شعبه و كان مقيما بالطائف لم يشـهد صـفين فقال: يا مغيره ما ترى؟ قال: يا معاويه لو وسـعنى أن أنصرك لنصرتک و لكن علىّ أن آتيک بأمر الرجلين فركب حتّى اتى دومه الجندل فدخل على أبى موسى كانه زائر له. فقـال يـا بـا موسـى مـا تقول فيمن اعتزل هـذا الأـمر و كره الـدماء؟ قـال اولئک خيار النّاس خفّت ظهورهم من دمائهم و خمصت بطونهم من أموالهم.

ثمّ أتى عمرا فقـال: يـا بـا عبـد اللّه ما تقول فيمن اعتزل هـذا الأمر و كره هـذه الـدماء؟ قال اولئک شـرّ النّاس لم يعرفوا حقّا و لم ينكروا باطلاـ فرجع المغيره إلى معاويه فقال له: قـد ذقت الرجلين أما عبـد اللّه بن قيس فخالع صاحبه و جاعلها الرجل لم يشـهد هـذا الأمر و هواه فى عبـد اللّه بن عمر، و أمّا عمرو فهو صاحبک الّذى تعرف و قد ظن النّاس انه يرومها لنفسه و انّه لا يرى انّک احق بهذا منه.

«ابتداء المكالمه و المشاجره بين ابى موسى و عمرو بن العاص»

قال نصـر: أقبل أبو موسـى إلى عمرو فقال يا عمرو هل لک فى أمر هو للامه صـلاح و لصـلحاء النّاس رضا، نولى هـذا الامر عبد اللّه بن عمر بن الخطاب الّـذى لم يـدخل فى شـيء من هـذه الفتنه و لا هذه الفرقه؟ و عبد اللّه بن عمرو بن العاص و عبد اللّه بن الزبير قريبـان يسـمعان هـذا الكلاـم، فقال عمرو: فأين أنت عن معاويه؟ فأبى عليه أبو موسـى و شـهدهم عبـد اللّه بن هشام و عبد الرحمن بن يغوث و أبو الجهم بن حـذيفه العدوى و المغيره بن شـعبه. فقال عمرو: أ لست تعلم أن عثمان قتل مظلوما؟ قال: بلى. قال:

اشـهدوا فمـا يمنعک يا موسـى من معاويه ولىّ عثمان و بيته فى قريش ما قـد علمت فان خشـيت أن يقول النّاس ولّى معاويه و ليست له سابقه فان لک بذلک حجه تقول انّى وجدته ولىّ عثمان الخليفه المظلوم الطالب بدمه الحسن السياسه الحسن التدبير

و هو أخو ام حبيبه امّ المؤمنين زوج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و قد صحبه و هو أحد الصحابه ثمّ عرض له بالسلطان فقال ان هو ولى الأمر أكرمک كرامه لم يكرمک أحد قط.

فقال أبو موسى: اتق اللّه يا عمرو أمّا ذكرك شرف معاويه فان هذا الأمر ليس على الشرف يولاه أهله و لو كان على الشرف كان أحق النّاس بهذا الأمر أبرهه بن الصباح، إنّما هو لأهل الدين و الفضل، مع انّى لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفا اعطيته علىّ بن أبى طالب، و أمّا قولك ان معاويه ولىّ عثمان فولّه هذا الأمر فانى لم أكن اولّيه معاويه و ادع المهاجرين الأوّلين، و أمّا تعريضك بالسلطان فو اللّه لو خرج لى من سلطانه ما ولّيته و لا كنت لأرتشى فى اللّه و لكنّك إن شئت أحيينا سنه عمر بن الخطاب و فى روايه اخرى: انه قال: و اللّه إن استطعت لأحيين اسم عمر ابن الخطاب.

فقال عمرو بن العاص: إن كنت تريد أن تبايع ابن عمر فما يمنعك من ابنى و أنت تعرف فضله و صلاحه؟ قال: ان ابنک رجل صدق و لكنّك قد غمسته فى هذه الفتنه.

قال أبو موسى لعمرو: ان شئت ولينا هذا الأمر الطيب بن الطيب عبد اللّه بن عمر، فقال عمرو: إن هذا الامر لا يصلح له إلا رجل ضرس يأكل و يطعم و ان عبد اللّه ليس هناك و كان فى أبى موسى غفله. فقال ابن الزبير لابن عمر: اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه. فقال عبد اللّه بن عمر: لا و اللّه ما ارشو عليها ابدا ما عشت و لكنّه قال له ويلك يا ابن العاص ان العرب قد اسندت اليك أمرها بعد «ما ظ» تقارعت بالسيوف و تشاجرت بالرماح فلا تردهم فى فتنه و اتق اللّه.

«ما أوصى به أمير المؤمنين على (عليه السلام) الى عمرو بن العاص»

نصر قال عمر عن أبى زهير العبسى عن النضر بن صالح قال كنت مع شريح ابن هانى فى غزوه سجستان فحدّثنى ان عليّا عليه السّلام اوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص قال له قل لعمرو إن أنت لقيته إن عليّا يقول لک:

إن أفضل الخلق عند اللّه من كان العمل بالحق أحبّ اليه و ان نقصه، و إن أبعد

الخلق من اللّه من كـان العمـل بالباطـل أحبّ اليه و ان زاده، و اللّه يـا عمرو إنّـك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل أبأن اوتيت طمعا يسـيرا؟ فكنت للّه و لاوليائه عدوّا فكان و اللّه ما اوتيت قد زال عنك فلا تكن للخائنين خصـيما و لا للظالمين ظهيرا أما انّى أعلم ان يومک الّذى أنت فيه نادم هو يوم وفاتک و سوف تتمنّى أنّك لم تظهر لمسلم عداوه و لم تأخذ على حكم رشوه.

قال شـريح: فابلغته ذلک فتعمر وجه عمرو و قال و متى كنت أقبل مشوره علىّ او انيب إلى أمره او اعتدّ برأيه فقلت و ما يمنعک يا ابن النابغه ان تقبل من مولاک و سـيد المسـلمين بعد نبيّهم صـلّى اللّه عليه و آله مشورته لقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشـير انه و يعملانـ برأيه، فقال إنّ مثلى لا يكلم إلا مثلک فقلت بأى أبويک ترغب عن كلامى بأبيک الوسـيط أم بامّک النّابغه؟ فقام من مكانه و قمت.

«روغان عمرو بن العاص و مكره فى خلع أمير المؤمنين على (عليه السلام)

و نصب معاويه و اغترار أبى موسى»

قال نصـر: قال عمر بن سـعد قال حـدثنى أبو خباب الكلبى إن عمرا و أبا موسـى حيث التقيا بـدومه الجندل أخذ عمرو يقدم عبد اللّه بن قيس فى الكلاـم و يقول انک قـد صـحبت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قبلى و أنت أكبر منّى فتكلّم ثمّ أتكلّم و كان عمرو قد أعدّ أبا موسى يقدّمه فى كلّ شىء و انما اغترّه بذلک ليقدّمه فيبد أ بخلع علىّ عليه السّلام فنظرا فى أمرهما و ما اجتمعا عليه فـاراده عمرو على معاويه فأبى و اراده على ابنه فابى، و اراده أبو موسـى على عبـد اللّه بن عمر فأبى عليه عمرو، قال فاخبرنى مـا رأيـك يـا بـا موسـى؟ قـال رأيى أن اخلع هـذين الرجلين عليّـا و معـاويه ثمّ نجعـل هـذا الامر شورى بين المسـلمين يختارونه لانفسـهم من شاءوا و من أحبّوا، فقال له عمرو: الرأى ما رأيت، و قال عمرو يا با موسـى انه ليس أهل العراق باوثق بک من أهل الشام لغضـبک لعثمان و بغضک للفرقه و قد عرفت حال معاويه فى قريش و شـرفه فى عبد مناف و هو ابن هند و ابن أبى سفيان فما ترى؟ قال أرى خيرا أمّا ثقه أهل الشام بى فكيف يكون ذلک

و قد سرت اليهم مع عليّ و أمّا غضبى لعثمان فلو شهدته لنصرته و أمّا بغضى للفتن فقبّح اللّه الفتن و أما معاويه فليس باشرف من عليّ و باعده أبو موسى فرجع عمرو مغموما فخرج عمرو و معه ابن عم له غلام شاب و هو يقول:

يا عمرو انک للامور مجرّب فارفق و لا تقذف برأيك أجمع

و استبق منه ما استطعت فانه لا خير فى رأى إذا لم ينفع

و اخلع معاويه بن حرب خدعه يخلع عليّا ساعه و تصنع

و اجعله قبلک ثمّ قل من بعده اذهب فمالک فى ابن هند مطمع

تلک الخديعه ان اردت خداعه و الراقصات إلى منى خذ أودع

فافترصها عمرو و قال يا با موسى ما رأيک؟ قال رايى أن أخلع هذين الرّجلين ثمّ يختار الناس لأنفسهم من أحبّوا فأقبلا إلى النّاس و هم مجتمعون، فتكلم أبو موسى فحمد اللّه و اثنى عليه فقال: إن رأيى و رأى عمرو قد اتفق على امر نرجو ان يصلح اللّه به أمر هذه الامّه قال عمرو صدق، ثمّ قال يابا موسى فتكلم فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال ويحک و اللّه انى لاظنّه قد خدعک ان كنتما قد اتفقتما على امر فقدّمه قبلک فيتكلم بذلک الامر قبلک ثم تكلم أنت بعده فان عمرا رجل غدّار و لا آمن أن يكون قد أعطاک الرضا فيما بينک و بينه فاذا قمت به فى النّاس خالفک و كان أبو موسى رجلا مغفلا فقال: إنا قد اتفقنا فتقدم أبو موسى فحمد اللّه و اثنى عليه ثمّ قال:

يا أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الامه فلم نر شيئا هو اصلح لأمر هؤلاء و ألمّ لشعثها ان لا امورها «كذا» و قد اجمع رأيى و رأى صاحبى عمرو على خلع عليّ و معاويه و نستقبل هذا الامر فيكون شورى بين المسلمين فيولون امورهم من أحبّوا و انّى قد خلعت عليّا و معاويه فاستقبلوا أمركم و ولوا من رأيتم لها أهلا ثمّ تنحى فقعد.

و قام عمرو بن العاص مقامه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال إن هذا قال قد سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و اثبت صاحبى معاويه فانه ولىّ عثمان

و الطالب بدمه و أحق النّاس بمقامه فقال له أبو موسى مالك لا وفقك اللّه قد غدرت و فجرت و إنما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث إلى آخر الايه فقال له عمرو انما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا إلى آخر الايه، و حمل شريح بن هانى على عمرو فقنعه بالسوط و حمل على شريح ابن لعمرو فقرّبه بالسوط و قام النّاس فحجزوا بينهم فكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شىء ندامتى ان لا ضربته بالسيف بدل السوط اتى الدهر بما أتى به، و التمس أصحاب علىّ أبا موسى فركب ناقته فلحق بمكه فكان ابن عباس يقول: قبح اللّه أبا موسى حذرته و أمرته بالرأى فما عقل و كان أبو موسى يقول قد حذرنى ابن عباس غدره الفاسق و لكن اطمأننت إليه و ظننت انه لن يؤثر شيئا على نصيحه الامّه، ثم انصرف عمرو و أهل الشام إلى معاويه فسلموا عليه بالخلافه و رجع ابن عبّاس و شريح بن هانى إلى علىّ عليه السّلام، و قال أصحاب علىّ عليه السّلام و انّا اليوم لعلىّ عليه السّلام ما كنّا عليه أمس.

و فى الامامه و السياسه للدينورى بعد نقل طائفه مما قال عمرو لأبى موسى قال عمرو له: فهل لك ان تخلعهما جميعا و تجعل الامر لعبد اللّه بن عمر، فقد صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم يبسط فى هذه الحرب يدا و لا لسانا و قد علمت من هو مع فضله و زهده و ورعه و علمه؟ فقال أبو موسى: جزاك اللّه بنصيحتك خيرا و كان أبو موسى لا يعدل بعبد اللّه بن عمر أحدا لمكانه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مكانه من أبيه لفضل عبد اللّه فى نفسه و افترقا على هذا و اجتمع رأيهما على ذلك.

ثمّ إن عمرا غدا على أبى موسى بالغد و جماعه الشهود فقال يا أبا موسى ناشدتك اللّه تعالى من أحقّ بهذا الامر من أوفى أو من غدر؟ قال أبو موسى: من أوفى قال عمرو: يا أبا موسى نشدتك اللّه تعالى ما تقول فى عثمان؟ قال أبو موسى: قتل مظلوما، قال عمرو: فما الحكم فيمن قتل؟ قال أبو موسى: يقتل بكتاب اللّه تعالى قال فمن يقتله؟ قال: أولياء عثمان، قال فان اللّه يقول فى كتابه العزيز «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً » قال فهل تعلم أن معاويه من أولياء عثمان؟ قال:

نعم قال عمرو للقوم: اشهدوا قال أبو موسى للقوم: اشهدوا على ما يقول عمرو.

ثمّ قال أبو موسى لعمرو: ثم يا عمرو فقل و صرّح بما اجتمع عليه رأيى و رأيك و ما اتفقنا عليه فقال عمرو: سبحان اللّه أقوم قبلك و قد قدّمك اللّه قبلى فى الايمان و الهجره و أنت وافد أهل اليمن إلى رسول اللّه و وافد رسول اللّه إليهم و بك هداهم اللّه و عرّفهم شرائع دينه و سنّه نبيّه و صاحب مغانم أبى بكر و عمر و لكن قم أنت فقل ثم أقول فأقول فقام أبو موسى فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال ايها الناس انّ خير الناس للناس خيرهم لنفسه و انى لا أهلك دينى بصلاح غيرى و ان هذه الفتنه قد أكلت العرب و انى رأيت و عمرا أن نخلع عليا و معاويه و نجعلهما لعبد اللّه بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يدا و لا لسانا.

ثمّ قام عمرو فقال أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين و حكم أهل العراق و من لا يبيع الدين بالدنيا و قد خلع عليا و اثبت معاويه فقال أبو موسى مالك؟ عليك لعنه اللّه ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث، فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل اسفارا، و اختلط الناس فقالوا و اللّه لو اجتمعنا على هذا ما حوّلتمانا عما نحن عليه و ما صلحكما بلازمنا و إنا اليوم على ما كنا عليه أمس و لقد كنا ننظر إلى هذا قبل أن يقع و ما أمات قولكما حقا و لا احيى باطلا.

ثمّ تشاتم أبو موسى و عمرو ثمّ انصرف عمرو إلى معاويه و لحق أبو موسى بمكه و انصرف القوم إلى علىّ فقال عدىّ: اما و اللّه يا أمير المؤمنين لقد قدّمت القرآن و أخرت الرجال و جعلت الحكم للّه فقال علىّ أما انى قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس و جهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فأبيتم علىّ و لا سبيل إلى حرب القوم حتّى تنقضى المده.

ثمّ إن قضيّه أبى موسى و عمرو فى ذلک نقلت بوجوه اخرى أيضا منها ما فى مروج الذهب للمسعودى - إلى أن قال: - فقام أبو موسى فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم ثمّ قال أيها النّاس انا قد نظرنا فى أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن و الصلاح و لمّ الشعث و حقن الدماء و جمع الالفه خلعنا عليّا

و معاويه و قد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه و أهوى إلى عمامته فخلعها و استخلفا رجلا قد صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بنفسه و صحب أبوه النبى فبرز فى سابقته و هو عبد اللّه بن عمر، و اطراه و رغب الناس فيه و نزل، فقام عمرو فحمد اللّه و اثنى عليه و صلّى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال: أيها الناس ان أبا موسى عبد اللّه بن قيس خلع عليّا و اخرجه من هذا الامر الذى يطلب و هو أعلم به ألا و إنى خلعت عليا معه و اثبت معاويه علىّ و عليكم و أن أبا موسى قد كتب فى الصحيفه ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا و ان لوليه أن يطلب بدمه حيث كان و قد صحب معاويه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنفسه و صحب أبوه النبى صلّى اللّه عليه و آله و اطراه و رغب الناس فيه و قال هو الخليفه علينا و له طاعتنا و بيعتنا على الطلب بدم عثمان، فقال أبو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاويه و لكنا خلعنا معاويه و عليّا معا فقال عمرو: بل كذب عبد اللّه بن قيس قد خلع عليا و لم يخلع معاويه.

و منها ما أتى به الميبدى فى شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام عند قوله:

لقد عجزت عجز من لا يقتدر سوف اكيس بعدها و أستمر

أرفع من ذيلى ما كان يجر قد يجمع الامر الشتيت المنتشر

فقام أبو موسى و قال و قد خلعت عليا كما خلعت خاتمى هذا من يدى ثمّ قام عمرو و قد خلع خاتمه من يده قبل فقال أيها الناس انى اثبت معاويه علىّ و عليكم كما وضعت خاتمى هذا فى يدى ثمّ تشاتم أبو موسى و عمرو و لحقّ أبو موسى بمكه و لم يعد إلى الكوفه و قد كانت خطته و أهله و ولده بها و آلى أن لا ينظر إلى وجه علىّ عليه السّلام ما بقى.

قال نصر: فتشاتم عمرو و أبو موسى من ليلته فاذا ابن عم لابى موسى يقول:

أبا موسى بليت فكنت شيخا قريب القعر مدهوش الجنان

رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس بأمر لا تنوء به اليدان

و قد كنا نحمجم عن ظنون فصرّحت الظنون عن العيان

فعض الكفّ من ندم و ما ذا يرد عليك عضّك بالبنان

و شمت أهل الشام بأهل العراق و قال أبو موسى انما كان غدرا من عمرو.

قال نصر: و كان علىّ عليه السّلام إذا صلّى الغداه و المغرب و فرغ من الصلاه يقول اللهم العن معاويه و عمرا و أبا موسى و حبيب بن مسلمه و الضحاك بن قيس و الوليد ابن عقبه و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فبلغ ذلك معاويه فكان إذا قنت لعن عليّا و ابن عباس و قيس بن سعد و الحسن و الحسين، و فى نقل آخر لما اقنت علىّ عليه السّلام على خمسه و لعنهم و هم معاويه و عمرو بن العاص و ابو الاعور السلمى و حبيب بن مسلمه و بسر بن ارطاه، اقنت معاويه على خمسه و هم علىّ و الحسن و الحسين و عبد اللّه بن العبّاس و الاشتر و لعنهم.

أقول: بسر بن ارطاه هو الذى بعثه معاويه إلى اليمن فى جيش كثيف و أمره أن يقتل كلّ من كان فى طاعه علىّ عليه السّلام فقتل خلقا كثيرا و قتل فيمن قتل ابنى عبد اللّه بن العبّاس بن عبد المطلب و كانا غلامين صغيرين، و فعل بسر فى الحجاز و اليمن بأمر معاويه ما فعل، و بسر هذا تفوّه به أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى الخطبه الخامسه و العشرين حيث قال عليه السّلام: انبئت بسرا قد اطلع اليمن، إلى آخرها.

و دعا أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام على بسر هذا فقال عليه السّلام: اللهم ان بسرا باع دينه بالدنيا و انتهك محارمک و كانت طاعه مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك فلا تمته حتى تسلبه عقله و لا توجب له رحمتك و لا ساعه من نهار اللهم العن بسرا و عمرا و معاويه و ليحلّ عليهم غضبك و لتنزل بهم نقمتك و ليصبهم بأسك و زجرك الّذى لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيرا حتى وسوس و ذهب عقله فكان يهدى بالسيف و يقول اعطونى سيفا أقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب و كانوا يدنون منه المرفقه فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات، رواه أبو الحسن المدائنى كما فى الجزء الثانى من شرح الشارح المعتزلى.

و قريب من ذلك رواه أبو جعفر الطبرى فى تاريخه و غيره من نقله الأخبار و الاثار عن حسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام من انه بعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج

على خمسمائه فارس فنزلوا على الشريعه و حالوا بين حسين و أصحابه و بين الماء أن يسقوا منه قطره و ذلك قبل قتل الحسين بثلاث قال و نازله عبد اللّه بن أبى حصين الأزدى و عداده فى بجيله فقال يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء و اللّه لا تذوق منه قطره حتّى تموت عطشا فقال حسين عليه السّلام اللّهم اقتله عطشا و لا تغفر له أبدا، قال قال حميد بن مسلم و اللّه لعدته بعد ذلك فى مرضه فو اللّه الّذى لا إله إلاّ هو لقد رأيته يشرب حتّى بغر ثمّ يقىء ثمّ يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتّى لفظ غصّته يعنى نفسه.

و روى أيضا فى تاريخه: أن رجلا من بنى تميم يقال له عبد اللّه بن حوزه جاء حتى وقف أمام الحسين عليه السّلام فقال يا حسين يا حسين فقال حسين عليه السّلام ما تشاء؟ قال ابشر بالنار قال كلاّ إنى أقدم على ربّ رحيم و شفيع و مطاع من هذا؟ قال له أصحابه هذا ابن حوزه قال ربّ حزه إلى النار قال فاضطرب به فرسه فى جدول فوقع فيه و تعلقت رجله بالركاب و وقع رأسه فى الأرض و نفر الفرس فأخذه يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر و كلّ شجره حتى مات.

و روى أيضا فى تاريخه: و مكث الحسين طويلا من النهار كلما انتهى إليه رجلا من كنده يقال له مالك بن النسير من بنى بدّاء أتاه فضربه على رأسه بالسيف و عليه برنس له فقطع البرنس و اصاب السيف رأسه فادمى رأسه فامتلأ البرنس دما فقال له الحسين عليه السّلام لا أكلت بها و لا شربت و حشرك اللّه مع الظالمين – إلى أن قال – فذكر أصحاب الكندى انه لم يزل فقيرا بشر حتى مات.

و نظائر هذه مما صدر من حجج اللّه و رسله سيّما من خاتم النبيّين و آله الطاهرين من خوارق العادت كثيره جدا نقلت فى كتب الفريقين بعضها بلغ إلى حد التواتر و بعضها إلى حدّ الشهره.

و ليعلم أن أهل اللّه لو تفوهوا بالدعاء لقوم أو عليهم لأثر ذلك عاجلا لأنهم بلغوا فى اتصافهم بالصفات الملكوتيه و تخلقهم بالاخلاق الالهيّه و تقربهم إلى المبادى العاليه سيّما إلى مبدء المبادى و عله العلل اللّه عزّ و جلّ إلى مرتبه منيعه و درجه رفيعه حيث لا فرق بينهم و بين حبيبهم فى صدور كثير من الافعال عنهم كما

ورد فی الحدیث القدسی: عبدی أطعنی حتّی أجعلك مثلی، و فی الحدیث النّبویّ العبودیّه جوهره كنهها الربوبیّه، و تأثیر القوی النفسانیّه یصیر إلی حد معجب لمن كان بمعزل عن العلم بأسرار النفس و نعم ما قال العارف السعدی:

حکایت کنند از بزرگان دین حقیقت شناسان عین الیقین

که صاحبدلی بر پلنگی نشست همی راند هموار و ماری بدست

یکی گفتش ای مرد راه خدای بدین ره که رفتی مرا ره نمای

چه کردی که درّنده رام تو شد نگین سعادت بنام تو شد

بگفت ار پلنگم زبونست و مار و گر پیل و کرکس شگفتی مدار

تو هم گردن از حکم داور مپیچ که گردن نپیچد ز حکم تو هیچ

چو حاکم بفرمان داور بود خدایش نگهبان و یاور بود

محالست چون دوست دارد ترا که در دست دشمن گذارد ترا

یکی دیدم از عرصهٔ رود بار که پیش آمدم بر پلنگی سوار

چنان هول از این حال بر من نشست که ترسیدنم پای رفتن ببست

تبسّم کنان دست بر لب گرفت که سعدی مدار آنچه دیدی شگفت

ره اینست رو از حقیقت متاب بنه گام و کامی که داری بیاب

ثمّ انّ ظهور الاثار الغریبه اثر تكوینی لهذه الجوهره النفیسه القدسیّه فیعمّ الكل و كلما كانت اقوی كان فعلها أشد سیّما إذا كان حجه اللّه علی عباده من نبیّ أو وصیّ فانهم بسبب شده انسلاخهم عن النواسیت الانسانیه تدوم علیهم الاشراقات العلویّه بسبب الاستضاءه بضوء القدس و الالف بسناء المجد فتطیعهم مادّه الكائنات القابله للصور المفارقه باذن اللّه تعالی فیتأثر الموادّ عن أنفسهم كما یتأثر أبدانهم عنها فلهذا یكون دعاؤهم مسموعا فی العالم الاعلی و القضاء السابق و یتمكن فی انفسهم نور خلاق به یقدرون علی الأشیاء التی یعجز عنها غیرهم قال عزّ من قائل فی الكتاب الّذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه خطابا لعیسی بن مریم علیهما السّلام «و إذ تخلق من الطین كهیئه الطیر باذنی فتنفخ فیها فتكون طیرا باذنی و تبریء الاكمه

و الأبرص باذنى و إذ تخرج الموتى باذنى».

و قال الشيخ الرئيس فى النمط العاشر من الاشارات: إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا أو حركه تخرج عن وسع مثله فلا تتلقه بكلّ ذلك الاستنكار فقد تجد إلى سببه سبيلا فى اعتبارك مذاهب الطبيعه.

و قال المحقق الطوسى فى شرحه: ثمّ لما كان فرح العارف ببهجه الحق اعظم من فرح غيره بغيرها و كانت الحاله التى يعرض له و تحركه اغترارا بالحق أو حميه الهيّه أشد مما يكون لغيره كان اقتداره على حركه لا يقدر غيره عليها أمرا ممكنا و من ذلك تبيّن معنى الكلام المنسوب إلى علىّ عليه الصلاه و السلام: و اللّه ما قلعت باب خيبر بقوه جسدانيه و لكن قلعته بقوّه ربّانيه.

و قال القوشجى فى شرح التجريد: و عجز عن اعادته سبعون رجلا من الأقوياء.

و ايضا قال الفاضل القوشجى فى شرح التجريد لمصنفه نصير الدين الطوسى فى المقصد الخامس من كتابه فى الامامه عند قوله فى عدّ فضائل أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و رفع الصخره العظيمه عن القليب: روى انه لما توجّه إلى صفين مع أصحابه اصابهم عطش عظيم فأمرهم أن يحفروا بقرب دير فوجدوا صخره عظيمه عجزوا عن نقلها فنزل علىّ عليه السّلام فأقلعها و رمى بها مسافه بعيده فظهر قليب فيه ماء فشربوا عنها ثمّ اعادها و لما رأى ذلك صاحب الدير أسلم.

و قال العلامه الحلّى فى شرحه المسمّى بكشف المراد بعد قوله فنزل صاحب الدير و اسلم: فسئل عنه ذلك فقال بنى هذا الدير على قالع هذه الصخره و مضى من قبلى و لم يدركوه.

و قال الشيخ المقتول فى التلويحات: قد يحركون أجساما يعجز عن تحريكها النوع و نعلم اننا إذا كنا على طرب و هزه نعمل ما نتقاصر عن عشره حتى زالت عنا فما ظنك بنفس طربت باهتزاز علوى و استضاءت بنور ربّها فحركت ما عجز عنه النوع و قد اتّصلت على الافق المبين بذى قوه عند ذى العرش مكين مطاع ثمّ امين.

ص:۳۶۲

ثمّ إن سفراء اللّه و حججه على خلقه لصفاء جوهر نفوسهم القدسيّه و شده صقالتها و نورانيتها الموصل لها إلى المبادى العاليه و شده الالتصاق بها من غير كسب و تعلم قدروا على الاطلاع على الامور الغائبه من غير كسب و فكر.

قال الشيخ الرّئيس فى النمط العاشر من الاشارات: إذا بلغك أن عارفا حدّث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير فصدّق و لا يتعسّرن عليك الايمان به فان لذلك فى مذاهب الطبيعه اسبابا معلومه.

و ما يناسب المقام من الحديث عن غيب عن أمير المؤمنين و رئيس الموحدين و قدوه العارفين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ما أتى به نصر بن المزاحم المنقرى فى كتاب صفين قال: حدثنى مصعب بن سلم قال أبو حيان التميمى عن أبى عبيده عن هرثمه بن سليم قال: غزونا مع علىّ بن أبى طالب غزوه صفّين فلما نزلنا بكربلا صلّى بنا صلاه فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال و اهالك أيتها الرتبه ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّه بغير حساب فلمّا رجع هرثمه من غزوته إلى امرأته و هى جرداء بنت سمير و كانت شيعه لعلىّ فقال لها زوجها هرثمه الا اعجبك من صديقك أبى الحسن لما نزلنا بكربلا رفع إليه من تربتها فشمّها و قال و اهالك يا تربه ليحشرن منك قوم يدخلون الجنّه بغير حساب و ما علمه بالغيب فقالت له دعنا منك أيّها الرّجل فانّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يقل الاحقا، فلما بعث عبيد اللّه بن زياد البعث الذى بعثه إلى الحسين بن علىّ و أصحابه قال كنت فيهم فى الخيل التى بعث إليهم فلما انتهيت إلى القوم و حسين و أصحابه عرفت المنزل الّذى نزل بنا علىّ عليه السّلام فيه و البقعه الّتى رفع إليه من ترابها و القول الذى قاله فكرهت مسيرى فأقبلت على فرسى حتى وقفت على الحسين فسلمت عليه و حدثته بالذى سمعت من أبيه فى هذا المنزل فقال الحسين عليه السّلام معنا أنت أو علينا؟ فقلت يا ابن رسول اللّه لا معك و لا عليك تركت أهلى و ولدى أخاف عليهم من ابن زياد فقال الحسين عليه السّلام فولّ هربا حتى لا ترى لنا مقتلا و الّذى نفس حسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل و لا يغيثنا إلا أدخله اللّه النار قال: فأقبلت فى الارض هاربا حتى خفى علىّ مقتله.

ص:۳۶۳

نصر عن مصعب بن سلام قال حدثنا الاجلح بن عبد اللّه الكندى عن أبى جحيفه قال جاء عروه البارقى إلى سعيد بن وهب فسأله و أنا اسمع فقال حديث حدّثنيه عن علىّ بن أبى طالب قال نعم بعثنى مخنف بن سليم إلى علىّ فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده و يقول ههنا فقال له رجل و ما ذلك يا أمير المؤمنين قال ثقل لان محمّد ينزل ههنا (كذا) فويل لهم منكم و ويل لكم منهم فقال له الرجل ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال ويل لهم منكم تقتلونهم و ويل لكم منهم يدخلكم اللّه بقتلهم إلى النّار.

ثمّ قال و قد روى هذا الكلام على وجه آخر انه عليه السّلام قال فويل لكم عليهم قال الرّجل أما ويل لنا منهم فقد عرفت و ويل لنا عليهم ما هو؟ قال ترونهم يقتلون و لا تستطيعون نصرهم.

نصر عن سعيد بن حكيم العبسى عن الحسن بن كثير عن أبيه أن عليّا أتى كربلا فوقف بها فقيل يا أمير المؤمنين هذه كربلا قال ذات كرب و بلاء ثمّ أومأ بيده إلى مكان فقال:

ههنا موضع رحالهم و مناخ ركابهم، و أوما بيده إلى موضع آخر فقال ههنا مهراق دمائهم.

و كذا ذكره المفيد فى الارشاد و قال: و من اخباره عليه السّلام عن الغيب ما رواه عثمان ابن عيسى العامرى عن جابر بن الحرّ عن جويريه بن مسهر الفهدى قال لما توجّهنا مع أمير المؤمنين عليه السّلام إلى صفين فبلغنا طفوف كربلاء وقف ناحيه من المعسكر ثم نظر يمينا و شمالا و استعبر ثمّ قال: هذا و اللّه مباح ركابهم و موضع منيتهم فقيل له يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ فقال هذا كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنّه بغير حساب ثمّ سار و كان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من امر الحسين بن علىّ عليهما السّلام و أصحابه بالطف ما كان فعرف حينئذ من سمع كلامه مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

و الأحاديث فى اخبارهم عن الغيب مستفيضه بل بلغ كثير منها إلى حدّ التواتر و من ذلك اخبار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن قتل عمّار رضوان اللّه عليه و نظائره كثيره جدّا و ان وفقنا اللّه تعالى لنورد البحث عن ذلك مفصّلا فى المقام المناسب له، فلنعد

ص:۳۶۴

الان إلی ما کنّا فیه.

و فی شرح الشارح المعتزلی: ذکر أبو أحمد العسکری فی کتاب الامالی ان سعد بن أبی وقاص دخل علی معاویه عام الجماعه فلم یسلم علیه بامره المؤمنین فقال له معاویه لو شئت أن تقول فی سلامک غیر هذا لقلت، فقال سعد نحن المؤمنون و لم نؤمّرک کانک قد بهجت بما أنت فیه یا معاویه و اللّه ما یسرّنی ما أنت فیه و انی هرقت محجمه دم، قال لکنّی و ابن عمّک علیّا یا ابا إسحاق قد هرقنا أکثر من محجمه و محجمتین هلم فاجلس معی علی السریر فجلس معه فذکر له معاویه اعتزاله الحرب یعاتبه فقال سعد انما کان مثلی و مثل الناس کقوم اصابتهم ظلمه فقال واحد منهم لبعیره اخ فاناخ حتّی أضاء له الطریق فقال معاویه و اللّه یا أبا إسحاق ما فی کتاب اللّه اخ و انما فیه «و ان طائفتان من المؤمنین اقتتلوا فاصلحوا بینهما فان بغت إحداهما علی الاخری فقاتلوا التی تبغی حتی یفیء إلی أمر اللّه» فو اللّه ما قاتلت الباغیه و لا المبغی علیها فافحمه. قال: و زاد ابن دیزیل فی هذا الخبر زیاده ذکرها فی کتاب صفین قال فقال سعد أ تأمرنی أن اقاتل رجلا قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنت منی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبی بعدی؟ فقال معاویه من سمع هذا معک؟ قال فلان و فلان و امّ سلمه فقال معاویه لو کنت سمعت هذا لما قاتلته.

«ذکر المقتولین فی صفین»

قال المسعودی فی مروج الذهب: قتل بصفین سبعون ألفا من أهل الشام و من أهل العراق خمسه و عشرون ألفا و کان المقام بصفین مأئه یوم و عشره أیام و قتل بها من الصحابه ممن کان مع علیّ خمسه و عشرون رجلا منهم عمّار بن یاسر ابو الیقظان المعروف بابن سمیّه.

و قال فی موضع آخر من کتابه: و قد تنوزع فی مقدار من قتل من أهل الشام و العراق بصفین فذکر أحمد بن الدورقی عن یحیی بن معین ان عده من قتل بها من الفریقین فی مأئه یوم و عشره أیام، مأئه ألف و عشره آلاف من الناس من أهل

الشام تسعون الفا و من أهل العراق عشرون الفا.

ثمّ قال: و نحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر ممّا قيل فى هذا الباب هو خمسون و مأئه ألف مقاتل سوى الخدم و الأتباع و على هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعا من مقاتل منهم و من لم يقاتل من الخدم و غيرهم ثلاثمأه ألف بل أكثر من ذلك لأن أقل من فيهم معه واحد يخدمه و فيهم من معه الخمسه و العشره من الخدم و الأتباع و أكثر من ذلك. و أهل العراق كانوا فى عشرين و مأئه ألف مقاتل دون الاتباع و الخدم.

و اما الهيثم بن عدى الطائى و غيره مثل الشرقى ابن القطامى و أبى مخنف لوط ابن يحيى فذكروا ما قدمنا و هو أن جمله من قتل من الفريقين جميعا سبعون ألفا من أهل الشام خمسه و أربعون ألفا و من أهل العراق خمسه و عشرون ألفا فيهم خمسه و عشرون بدريا و ان العدد كان يقع بالقضيب و الاحصاء للقتلى فى كل وقعه و تحصيل هذا يتفاوت لأن فى قتلى الفريقين من يعرف و من لا يعرف و فيهم من غرق و فيهم من قتل فى البرّ فأكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء و غير ذلك مما يعسر ما وصفنا. انتهى ما اردنا ذكره من مروج الذهب.

و قال نصر: فى كتاب صفين: و اصيب من أهل شام خمسه و أربعون ألفا، و اصيب بها من أهل العراق خمسه و عشرون ألفا.

أقول: لا خلاف فى أن تلك الوقعه فى صفين كانت وقعه عظمى و قد أكلت الحرب الفريقين و لا يخفى أن ضبط عدد المقتولين و احصائهم فى مثل تلك الواقعه صعب جدّا فيتطرق فيه اختلاف لا محاله كما ترى تنازع النّاس فى مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل و مكثر. ففى كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى عن عمر قال حدّثنى عبد اللّه بن عاصم الفايشى قال لما رجع علىّ عليه السّلام من صفين إلى الكوفه مرّ بالثورين يعنى ثور همدان سمع البكاء فقال ما هذه الاصوات؟ قيل هذا البكاء على من قتل بصفين قال أما انى شهيد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهاده، ثمّ مرّ بالفايشين فسمع الاصوات فقال مثل ذلك، ثم مرّ بالشباميين فسمع رنّه شديده و صوتا مرتفعا عاليا

فخرج اليه حارب بن الشرحبيل الشامى فقال علىّ عليه السّلام أ يغلبكم نساؤكم ألا تنهونهن عن هذا الصياح و الرنين؟ قال: يا أمير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك و لكن من هذا الحىّ ثمانون و مأئه قتيل فليس من دار إلّا و فيها بكاء أمّا نحن معاشر الرجال فانا لا نبكى و لكن نفرح لهم بالشهاده فقال علىّ عليه السّلام رحم اللّه قتلاكم و موتاكم.

«بحث كلامى»

الحق أن محاربى علىّ عليه السّلام و منهم أصحاب صفين و الجمل بغاه كفره

و إليه ذهب جلّ أصحابنا الاماميّه رضوان اللّه عليهم و خالفهم فى ذلك المعتزله و سائر فرق العامّه.

لنا قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المروى من فرق المسلمين عنه صلّى اللّه عليه و آله: حربك حربى يا علىّ و لا شك أن محارب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كافر.

قال المفيد رضوان اللّه عليه فى كتابه الموسوم بالافصاح: و يدلّ أيضا على ذلك ما تواترت به الأخبار من قول النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله حربك يا علىّ حربى و سلمك سلمى و قد ثبت انّه لم يرد بذلك الخبر عن كون حرب أمير المؤمنين عليه السّلام حربه على الحقيقه و انما اراد التشبيه فى الحكم دون ما عداه و الا لكان الكلام لغوا ظاهر الفساد و إذا كان حكم حربه عليه السّلام كحكم حرب الرسول صلّى اللّه عليه و آله وجب اكفار محاربيه كما يجب بالاجماع اكفار محاربى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و روى ابن مسعود: علىّ عليه السّلام خير البشر من أبى فقد كفر، و عن أبى الزبير المكى كما فى منتهى المقال فى علم الرجال لمحمّد بن إسماعيل المدعو بأبى علىّ و غيره قال: رأيت جابرا يتوكأ على عصاه و هو يدور على سكك المدينه و مجالسهم و يقول علىّ خير البشر من ابى فقد كفر معاشر الانصار أدّبوا أولادكم على حبّ علىّ فمن أبى فلينظر فى شأن امّه.

و فى مناقب ابن المغازلى عن أبى ذر الغفارى رضوان اللّه عليه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

من ناصب عليّا على الخلافه بعدى فهو كافر و قد حارب اللّه و رسوله و من شكّ فى علىّ فهو كافر.

و فى خصائص وحى المبين فى مناقب أمير المؤمنين لمصنفه يحيى بن الحسن ابن البطريق نقلا من كتب العامّه باسناده عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عبايه الربعى قال: بينا عبد اللّه بن عبّاس رضى اللّه عنه جالس على شفير زمزم يقول قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ أقبل رجل معتمّ بعمامه فجعل ابن عباس رضى اللّه عنه لا يقول قال رسول اللّه إلّا و قال الرجل قال رسول اللّه فقال له ابن عبّاس سألتك باللّه من أنت قال فكشف العمامه عن وجهه و قال يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فانا جندب بن جناده البدرى أبو ذر الغفارى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بهاتين و الا فصمتا و رأيته بهاتين و إلا فعميتا يقول: علىّ قائد البرره و قاتل الكفره، الحديث.

و أيضا ان مودّته عليه السّلام موده اللّه تعالى و رسوله و نطق بذلك قوله عزّ من قائل «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى » ففى الخصائص نقلا من مسند ابن حنبل باسناده عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال لما نزل «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى » قالوا يا رسول اللّه من قرابتك الذين وجب علينا مودّتهم؟ قال علىّ و فاطمه و ابناهما، و كذا فى غير واحد من الأخبار بهذا المعنى بالاسانيد الكثيره، و لا شك أن حب اللّه و رسوله من ضروريات الدين، و كذا بغضه عليه السّلام و عداوته عداوه اللّه تعالى و رسوله فبغضه و حربه كفر كبغض اللّه و رسوله و حربهما سواء كان باجتهاد أم لا فان تحريم ذلك ضرورى و منصوص فلا يجوز الاجتهاد فيه.

و بذلك دريت و هن ما ذهب إليه شمس الدين محمود بن أبى القاسم أحمد الاصفهانى و الفاضل القوشجى فى شرحهما على تجريد المحقق الطوسى: من أنّ الحق محارب على عليه السّلام يكون مخطئا ظاهرا فيكون من الفئه الباغيه ان كانت محاربته عن شبهه، و الأخبار الوارده المتواتره فيما ذهبنا إليه حتّى من العامه كثيره غايه الكثره و لولا خوف

الاطاله لذكرناها و فى هذا القدر كفايه لمن لا يكون عميان القلب.

قال شيخ الطائفه أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علىّ الطوسى قدس سره فى كتاب الباغى من الخلاف: الباغى من خرج على إمام عادل و قاتله و منع تسليم الحقّ إليه و هو اسم ذم و فى أصحابنا من يقول انه كافر و وافقنا على انه اسم ذم جماعه من علماء المعتزله بأسرهم و يسمّونهم فسّاقا و كذلك جماعه من أصحاب أبى حنيفه و الشافعى و قال أبو حنيفه: هم فسّاق على وجه التدين و قال أصحاب الشافعى: ليس باسم ذم عند الشافعى بل هو اسم من اجتهد فأخطأ بمنزله من خالف من الفقهاء فى بعض مسائل الاجتهاد.

ثمّ قال الشيخ رضوان اللّه عليه: دليلنا اجماع الفرقه و اخبارهم، و ايضا قوله صلّى اللّه عليه و آله اللهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله صريح بذلك لأن المعاداه من اللّه لا تكون الا للكفّار دون المؤمنين، و أيضا قوله صلّى اللّه عليه و آله حربك يا علىّ حربى و سلمك سلمى و حرب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كفر فيجب أن يكون حرب علىّ عليه السّلام مثل ذلك.

ثمّ قال: من سبّ الامام العادل وجب قتله و قال الشافعى يجب تعزيره و به قال جميع الفقهاء، دليلنا اجماع الفرقه و اخبارهم و أيضا قول النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من سبّ عليّا فقد سبّنى و من سبّنى فقد سبّ اللّه و من سبّ اللّه و سبّ نبيّه فقد كفر و يجب قتله، انتهى.

و قد مضت عده الاخبار فى ذلك من نصر بن مزاحم و غيره ان معاويه إذا قنت لعن عليّا و الحسن و الحسين و ابن عبّاس و مالكا و قيس بن سعد، و هذه المسأله مع انها من المسائل الكلاميه تتعلّق باصول الدّين اتى بها الشيخ فى الخلاف و العلّامه فى كتاب الجهاد من المختلف لتفرّع كثير من المسائل الفقهيّه من ذلك الباب عليها على أن فيها تبكيتا للخصم و تحقيقا للحق.

فان قلت: يمكن أن يكون أصحاب الجمل و صفين جاهلين بمنزله علىّ عليه السّلام و من و لم تبلغ إليهم تلك الأخبار و الّا لما حاربوه فلم يكونوا كافرين بل هما طائفتا

ص:۳۶۹

المؤمنين اقتتلوا و قال اللّه عزّ من قائل «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ ».

قلت: من جانب التعصب و اللجاج و اللداد لا يشك ان هذا الايراد بمراحل من الانصاف كيف لا و الاخبار المتواتره فى الباب و الاثار المنقوله من الأصحاب فى علىّ عليه السّلام لا ينكرها الا ألدّ الخصام و العنود الطغام و لو سلّمنا ان بعضهم المستضعفين كانوا غافلين غير عالمين بذلك فلا ريب أن معاويه و شيطانه عمرو بن العاص و أشياعهما فممن لا شبهه فى عرفانهم بحقّ علىّ عليه السّلام فلا ريب فى كفرهم و من تأمل و نظر بعين العلم و الانصاف لا يرتاب انّ معاويه كان فى الختل و الروغان اروغ من الثعلب و لعب بالدين بالنكراء و الشيطنه و بلغ إلى الالحاد و الكفر و العناد إلى مبلغ لم يكن بينه و بين فرعون الا درجه و فى الحقيقه ما اسلم و لكن استسلم و أسرّ الكفر حتّى يجد اعوانا لأغراضه النفسانيه.

و لنذكر فيه ما أورده أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى فى كتاب الصفين و ذلك الكتاب معروف بين الفرق و نصر فى نفسه ثقه ثبت صحيح النقل و كان من معاصرى الامام محمّد الباقر بن علىّ بن الحسين عليهما السّلام و أثنى عليه الفريقان و قال فيه الشارح المعتزلى فهو ثقه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا ادغال و هو من رجال اصحاب الحديث.

قال نصر: اخبرنى عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت قال لما كان قتال صفين قال رجل لعمار يا أبا اليقظان ألم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قاتلوا الناس حتى يسلموا فاذا اسلموا عصموا منى دمائهم و أموالهم؟ قال: بلى و لكن و اللّه ما اسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه اعوانا. و روى عن قطر بن خليفه عن منذر الثورى عن عمار بن ياسر مثله.

و روى عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل عن الحسن و الحكم عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن عبد اللّه بن مسعود قالا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا رأيتم معاويه ابن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه قال الحسن فما فعلوا و لا افلحوا.

و روى عن عمرو بن ثابت عن إسماعيل عن الحسن قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا رأيتم معاويه يخطب على منبرى فاقتلوه، قال فحدثنى بعضهم قال: قال أبو سعيد الخدرى فلم نفعل و لم نفلح.

و روى عن يحيى بن يعلى عن الأعمش عن خثيمه قال: قال عبد اللّه بن عمرو ان معاويه فى تابوت فى الدرك الاسفل من النار و لولا كلمه فرعون أنا ربكم الاعلى ما كان أحد اسفل من معاويه.

و روى عن يحيى بن سلمه بن كهيل عن أبيه عن سالم بن أبى الجعد عن أبى حرب بن أبى الاسود عن رجل من أهل الشام عن أبيه قال: إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: شرّ خلق اللّه خمسه: إبليس، و ابن آدم الّذى قتل أخاه، و فرعون ذو الاوتاد و رجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم، و رجل من هذه الامه يبايع على كفره عند باب لدّ قال الرجل انّى لما رأيت معاويه بايع عند باب لدّ ذكرت قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلحقت بعلىّ عليه السّلام فكنت معه.

و روى عن جعفر الاحمر عن ليث عن مجاهد عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يموت معاويه على غير الاسلام.

و روى عن جعفر الاحمر عن ليث عن محارب بن زياد عن جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يموت معاويه على غير ملّتى.

و روى عن عبد الغفار بن القاسم عن عدى بن ثابت عن البراء بن عاذب قال:

اقبل أبو سفيان و معه معاويه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اللهم العن التابع و المتبوع اللّهم عليك بالاقيعس فقال ابن البراء لابيه من الاقيعس؟ قال معاويه.

بيان الاقيعس مصغر أقعس و هو نعت من القعس بالتحريك بمعنى خروج الصدر و دخول الظهر و هو ضدّ الحدب و كان معاويه اقعس و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قاله اقيعس تخفيفا و تحقيرا له.

و قال نصر: حدثنى يحيى بن يعلى بن عبد الجبار بن عبّاس عن عمّار الدهنى

عن أبی المثنی عن عبد اللّه بن عمر قال ما بین تابوت معاویه و تابوت فرعون الا درجه و ما انخفضت تلک الدرجه الا انه قال انا ربکم الأعلی.

نصر أبو عبد الرحمن المسعودی حدثنی یونس بن الأرقم بن عوف عن شیخ من بکر بن وائل قال: کنّا مع علیّ علیه السّلام بصفین فرفع عمرو بن العاص شقه خمیصه سوداء فی رأس رمح فقال علیّ علیه السّلام هل تدرون ما امر هذا اللواء ان عدو اللّه عمرو ابن العاص اخرج له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذه الشقه فقال من یأخذها بما فیها؟ عمرو و ما فیها یا رسول اللّه؟ قال: فیها ان لا تقاتل به مسلما و لا تقربه من کافر فاخذها فقد و اللّه قرّبه من المشرکین و قاتل به الیوم المسلمین و الّذی فلق الحبّه و برأ النسمه ما أسلموا و لکن استسلموا و اسرّوا الکفر فلمّا وجدوا أعوانا رجعوا إلی عداوتهم منّا إلاّ أنّهم لم یدعوا الصلاه.

نصر عن أبی عبد الرحمن قال حدثنی العلاء بن یزید القرشی عن جعفر بن محمّد قال دخل زید بن ارقم علی معاویه فاذا عمرو بن العاص جالس معه علی السریر فلما رأی ذلک زید جاء حتّی رمی بنفسه بینهما فقال له عمرو بن العاص اما وجدت لک مجلسا الا ان تقطع بینی و بین أمیر المؤمنین؟ فقال زید ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله غزا غزوه و أنتما معه فرآکما مجتمعین فنظر الیکما نظرا شدیدا ثمّ رآکما الیوم الثانی و الیوم الثالث کلّ ذلک یدیم النظر الیکما فقال فی الیوم الثالث إذا رأیتم معاویه و عمرو بن العاص مجتمعین ففرقوا بینهما فانهما لن یجتمعا علی خیر.

نصر عن محمّد بن فضیل عن یزید بن أبی زیاد عن سلیمان بن عمرو بن الاحرص الازدی قال اخبرنی أبو هلال انه سمع أبا برزه الاسلمی انهم کانوا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسمعوا غناء فتشرّ فواله فقام رجل فاستمع له و ذاک قبل أن یحرم الخمر فأتاهم ثم رجع فقال هذا معاویه و عمرو بن العاص یجیب احدهما الاخر و هو یقول:

یزال حواریّ تلوح عظامه زوی الحرب عنه ان یحسّ فیقبرا

فرفع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یدیه فقال اللهم ارکسهم فی الفتنه رکسا اللهمّ دعّهم إلی النار دعّا.

ص:۳۷۲

بیان قوله یزال حواری أصله لا- یزال حواری حذف عنه لا- کما حذف فی قوله تعالی «تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ » ای لا تفتؤ و الحواریّ القریب و الحمیم و یقال لأنصار الأنبیاء الحواریون قال اللّه تعالی «مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللّهِ قالَ الْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ » و زوی الحرب عنه ای ستره موجبات الحرب و منعه عن ان یحس و یقبر فکان عظامه بمرأی من الناس تلوح.

نصر عن محمّد بن فضیل عن أبی حمزه الثمالی عن سالم بن أبی الجعد عن عبد اللّه ابن عمر قال ان تابوت معاویه فی النار فوق تابوت فرعون و ذلک بان فرعون قال انا ربکم الأعلی.

نصر شریک عن لیث عن طاوس عن عبد اللّه بن عمر قال أتیت النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فسمعته یقول یطلع علیکم من هذا الفج رجل یموت حین یموت و هو علی غیر سنتی فشق علیّ ذلک و ترکت أبی یلبس ثیابه و یجیء فطلع معاویه.

نصر عن بلید بن سلیمان حدثنی الاعمش عن علیّ بن الاقمر قال وفدنا علی معاویه و قضینا حوائجنا ثمّ قلنا لو مررنا برجل قد شهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عاینه فأتینا عبد اللّه بن عمر فقلنا یا صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حدّثنا ما شهدت و رأیت قال ان هذا ارسل إلیّ یعنی معاویه فقال لئن بلغنی انک تحدث لأضربن عنقک فجثوت علی رکبتی بین یدیه ثمّ قلت وددت أن احدّ سیف فی جسدک علی عنقی فقال و اللّه ما کنت لاقاتلک و لا اقتلک و ایم اللّه ما یمنعنی ان احدثکم ما سمعت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال فیه رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ارسل إلیه یدعوه و کان یکتب بین یدیه فجاء الرسول فقال هو یأکل فاعاد علیه الرسول الثانیه فقال هو یأکل فاعاد علیه الرسول الثالثه فقال هو یأکل فقال: لا اشبع اللّه بطنه فهل ترونه یشبع؟ قال و خرج من فج فنظر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أبی سفیان و هو راکب و معاویه و أخوه احدهما قائد و الاخر سائق فلما نظر إلیهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال اللهم العن القائد و السائق و الراکب قلنا أنت سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قال نعم و الا فصمّتا اذ نای کما عمیتا عینای.

نصر عن عبد العزیز بن الخطاب عن صالح بن أبی الاسود عن اسماعیل

عن الحسن قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا رأيتم معاويه على منبرى يخطب فاقتلوه.

ثمّ قال الشيخ المفيد قدس سره فى كتابه الموسوم بالافصاح فى إمامه علىّ ابن أبى طالب عليه السّلام: و ممّا يدلّ على كفر محاربى أمير المؤمنين عليه السّلام علمنا باظهارهم التدين بحربه و الاستحلال لدمه و دماء المؤمنين من ولده و عترته و أصحابه و قد ثبت أن استحلال دماء المؤمنين اعظم عند اللّه من استحلال جرعه خمر لتعاظم المستحق عليه من العقاب بالاتفاق و إذا كانت الامه مجمعه على اكفار مستحل الخمر و ان شهد الشهادتين و أقام الصلاه و آتى الزكاه فوجب القطع على كفر مستحلّى دماء المؤمنين لانه أكبر من ذلك و اعظم فى العصيان بما ذكرناه و إذا ثبت ذلك صح الحكم با كفار محاربى أمير المؤمنين عليه السّلام على ما وصفناه.

«دليل آخر»

ثمّ قال رضوان اللّه عليه: و يدلّ أيضا على ذلك ما اجتمع عليه نقله الاثار من قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله من آذى عليّا فقد آذانى و من آذانى فقد آذى اللّه تعالى و لا خلاف بين أهل الاسلام ان المؤذى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالحرب و السب و القصد له بالاذى و التعمد لذلك كافر خارج عن ملّه الاسلام فاذا ثبت ذلك وجب الحكم با كفار محاربى أمير المؤمنين عليه السّلام بما أوجبه النّبى صلّى اللّه عليه و آله من ذلك بما بيّناه.

«دليل آخر»

و قال رحمه اللّه: و يدلّ أيضا على ذلك ما انتشرت به الأخبار و تلقاه العلماء بالقبول عن رواه الاثار من قول النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السّلام اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و قد ثبت أن من عادى اللّه تعالى و عصاه على وجه المعاداه فهو كافر خارج عن الايمان فاذا ثبت أن اللّه تعالى لا يعادى اولياءه و انما يعادى اعداءه و صحّ أنه معاد لمحاربى أمير المؤمنين عليه السّلام لعداوتهم له بما ذكرناه من حصول العلم بتديّنهم بحربه بما ثبت به عداوه محاربى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يزول معه الارتياب وجب

ص:۳۷۴

اکفارهم علی ما قدمناه انتهی ما أردنا نقله منه رحمه اللّه.

«اشکال و حل»

فان قلت: إذا کان محاربوا علیّ علیه السّلام کفره فلم لم یجر علیهم أحکام الکفر لمّا غلب علیهم من نهب أموالهم و سبی نسائهم و غیر ذلک؟ قلت: کما ان للایمان مراتب و درجات کذلک للکفر، و النهب و السبی و أمثالهما من الاحکام یختص بمحاربی المشرکین دون غیرهم من الکفار کما نری من غزوات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المشرکین.

قال الشیخ الطوسی (ره) فی کتاب الباغی من الخلاف: إذا وقع اسیر من أهل البغی فی المقاتله کان للامام حبسه و لم یکن قتله و به قال الشافعی و قال أبو حنیفه: له قتله.

ثمّ قال: دلیلنا اجماع الفرقه و أیضا روی عبد اللّه بن مسعود قال: قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یا ابن امّ عبد ما حکم من بغی من امتی؟ قال قلت: اللّه و رسوله أعلم فقال صلّی اللّه علیه و آله لا یتبع و لا یحاز (و لا یجهز - خ ل) علی جریحهم و لا یقتل اسیرهم و لا یقسم فیئهم و هذا نص و روی ان رجلا اسیرا جیء به إلی علیّ علیه الصلاه و السلام یوم صفین فقال لا اقتلک صبرا إنی أخاف اللّه ربّ العالمین.

و قال العلامه قدس سرّه فی کتاب الجهاد من المختلف: المشهور بین علمائنا تحریم سبی نساء البغاه و قال اختلف علماؤنا فی قسمه ما حواه العسکر من أموال البغاه فذهب السید المرتضی فی المسائل الناصریه إلی أنها لا تقسم و لا تغنم قال و مرجع النّاس فی ذلک کلّه إلی ما قضی به أمیر المؤمنین علیه السّلام فی محاربی أهل البصره فانه منع من غنیمه أموالهم و قسمتها کما تقسم أموال الحرب و لا أعلم خلافا من الفقهاء فی ذلک و لما رجع أمیر المؤمنین علیه السّلام فی ذلک قال أیکم تأخذ عائشه فی سهمه و لا امتناع فی مخالفه حکم قتال أهل البغی لقتال أهل الحرب کما خالفه فی أنه لا یتبع مولیهم و ان کان اتباع المولی من باقی المحاربین جائز و انما اختلف

ص:۳۷۵

الفقهاء فى الانتفاع بدوابّ أهل البغى و سلاحهم فى دار الحرب - إلى أن قال: - و روى أنّ عليّا عليه السّلام لما هزم النّاس يوم الجمل قالوا له يا أمير المؤمنين ألا تأخذ أموالهم؟ قال: لا لانهم تحرموا بحرمه الاسلام فلا يحل أموالهم فى دار الهجره.

و بالجمله للبغاه الخارجين على الامام العادل أحكام تخص بهم و ان كانوا كافرين و للمشركين المحاربين أحكام تخص بهم و عنون الشيخ المفيد قدس سرّه فى ذلك فصلا فى كتابه الموسوم بالافصاح، و كذا الشيخ الطوسى فى تلخيص الشافى و لا بأس بنقل كلام المفيد لانه رحمه اللّه أوجز و افاد قال:

فان قالوا: فاذا كان محاربوا أمير المؤمنين عليه السّلام كفارا عندكم بحربه مرتكبى العناد فى خلافه فما باله عليه السّلام لم يسر فيهم بسيره الكفار فيجهز على جرحهم و يتبع مدبرهم و يغنم جميع أموالهم و يسبى نسائهم و ذراريهم و ما انكرتم ان يكون عدوله عن ذلك يمنع من صحه القول عليهم بالاكفار؟ قيل لهم: ان الذى وصفتموه فى حكم الكفار انما هو شىء يختص بمحاربى المشركين لم يوجد فى حكم الاجماع و السنه فيمن سواهم فى سائر الكفار فلا يجب ان يتعدى منهم إلى غيرهم بالقياس الا ترون ان أحكام الكافرين تختلف فمنهم من يجب قتله على كلّ حال، و منهم من يجب قتله بعد الامهال، و منهم من تؤخذ منه الجزيه و يحقن دمه بها و لا يستباح، و منهم من لا يحلّ دمه و لا يؤخذ منه الجزيه على حال، و منهم من يحل نكاحه، و منهم من يحرم بالاجماع فكيف يجب اتفاق الاحكام من الكافرين على ما اوجبتموه فيمن سميناه إذا كانوا كفارا و هى على ما بيناه فى دين الاسلام من الاختلاف. ثمّ قال رحمه اللّه:

ثمّ يقال لهم: خبرونا هل تجدون فى السنّه أو الكتاب او الاجماع فى طائفه من الفساق بقتل المقلين منهم و ترك المدبرين و حظر الاجهاز على جرحى المقاتلين و غنيمه ما حوى عسكرهم دون ما سواه من امتعتهم و أموالهم أجمعين، فان ادعوا معرفه ذلك و وجوده طولبوا بتعيينه فيمن عدا البغاه من محاربى أمير المؤمنين عليه السّلام فانهم يعجزون عن ذلك و لا يستطيعون إلى اثباته سبيلا، و ان قالوا ان ذلك و ان كان غير

موجود فی طائفه من الفاسقین فحکم أمیر المؤمنین علیه السّلام به فی البغاه دلیل علی أنه فی السنه أو الکتاب و ان لم یعرف وجه التعیین قیل لهم ما انکرتم أن یکون حکم أمیر المؤمنین علیه السّلام فی البغاه ممن سمیتموه دلیلا بعد دلیل انّه حکم اللّه فی طائفه من الکافرین موجود فی السنه و الکتاب و ان لم یعرف الجمهور الوجه فی ذلک علی التعیین فلا یجب ان یخرج القوم من الکفر لتخصیصهم من الحکم بخلاف ما حکم اللّه تعالی فیمن سواهم من الفاسقین و هذا ما لا فصل فیه. انتهی.

«اعتراض ورد»

اتی بهذا الاعتراض و ردّه الشیخ المفید فی الافصاح أیضا فقال:

فان قالوا کیف یصح لکم اکفار أهل البصره و الشام و قد سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام عنهم فقال: اخواننا بغوا علینا، لم ینف عنهم الایمان و لا حکم علیهم بالشرک و الاکفار؟.

قیل لهم هذا خبر شاذ لم یأت به التواتر من الاخبار و لا اجمع علی صحته رواه الاثار و قد قابله ما هو أشهر منه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام و أکثر نقله و أوضح طریقا من الاسناد و هو أن رجلا سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام بالبصره و النّاس مصطفّون للحرب فقال له: علی م نقاتل هؤلاء القوم یا أمیر المؤمنین و نستحل دمائهم و هم یشهدون شهادتنا و یصلون إلی قبلتنا؟ فتلی علیه السّلام هذه الایه رافعا بها صوته «وَ إِنْ نَکَثُوا أَیْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِی دِینِکُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّهَ الْکُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَیْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ یَنْتَهُونَ ».

فقال الرّجل حین سمع ذلک: کفار و ربّ الکعبه و کسر جفن سیفه و لم یزل یقاتل حتّی قتل، و تظاهر الخبر عنه علیه السّلام انه قال یوم البصره: و اللّه ما قوتل أهل هذه الایه حتی الیوم «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ » و جاء مثل ذلک عن عمّار و حذیفه رحمه اللّه علیهما - إلی أن قال: -

على أنا لو سلمنا لهم الحديث فى وصفهم بالاخوّه له عليه السّلام لما منع من كفرهم كما لم يمنع من بغيهم و لم يضادّ ضلالهم باتفاق مخالفينا و لا فسقهم عن الدّين و استحقاقهم اللعنه و الاستخفاف و الاهانه و سلب اسم الايمان عنهم و الاسلام و القطع عليهم بالخلود فى الجحيم قال اللّه تعالى «وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً » فأضافه إليهم بالاخوه و هو نبى اللّه و هم كفار باللّه عزّ و جلّ و قال اللّه تعالى «وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً » و قال «وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً » و لم يناف ذلك كفرهم و لا يضاد ضلالهم و شركهم فأحرى أن لا يضاد تسميه أمير المؤمنين عليه السّلام محاربيه بالاخوه مع كفرهم بحربه و ضلالهم عن الدين بخلافه و هذا بين لا اشكال فيه، انتهى.

«اعتراض آخر ورده»

ان قلت: قد مضى قوله عليه السّلام فى الخطبه الثالثه و الثلاثين عند خروجه لقتال أهل البصره: مالى و لقريش و اللّه لقد قاتلتهم كافرين و لا قاتلنّهم مفتونين و انى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم.

حيث إن قوله عليه السّلام لاقاتلنّهم مفتونين يدلّ على عدم كفرهم فى تلك الحال كما استفاد منه الشارح المعتزلى و قال: لان الباغى على الامام مفتون فاسق ثمّ قال و هذا الكلام يؤكّد قول أصحابنا أن أصحاب صفين و الجمل ليسوا بكفّار خلافا للاماميّه فانهم يزعمون انهم كفار.

قلت: ردّ هذا الاعتراض فى بهجه الحدائق بان المفتون من أصابته الفتنه و هى تطلق على الامتحان و الضلال و الكفر و الاثم و الفضيحه و العذاب و غير ذلك و المراد بالمفتون ما يقابل الكافر الاصلى الذى لم يدخل فى الاسلام اصلا و لم يظهره اذ لا شك فى أن من حاربه عليه السّلام كافر لقوله صلّى اللّه عليه و آله حربك حربى و غير ذلك من الاخبار و الادله.

ان قلت: لو انهم كانوا كافرين فكيف خالطهم الأئمه عليهم السّلام و المؤمنون و لم يجتنبوا من ذبائحهم و اسارهم و يعاملون معهم معامله المسلم فى سائر الامور على

انه لزم الحكم بعدم قبول توبتهم و بقسمه أموالهم و باعتداد زوجاتهم عده الوفاه و غير ذلک من الاحکام؟ قلت بعد ما دريت ان فرق الکفّار مختلفه فاحکم بذلک ان أحکام الکفر أيضا مختلفه فحکم أهل الکتاب خلاف حکم من لا کتاب له من عبده الاصنام و ان کان الفريقان کافرين مثلا ان أهل الکتاب يؤخذ منهم الجزيه و يقرّون على أديانهم و لا يفعل ذلک بعبده الأصنام و کذا حکم الحربى خلاف حکم الذمّى و کذا حکم المرتد خلاف حکم الجميع مع اتفاقهم فى الکفر و لذا افتى الشيخ فى الخلاف ان الباغى إذا قتل غسل و صلّى عليه.

و ذهب غير واحد من علمائنا بان البغاه محکوم بکفرهم باطنا إلا انه يعامل معهم فى هذا الزمان المسمّى بزمان الهدنه معامله المسلم الحقيقى حتّى يظهر الدوله الحقه عجّل اللّه تعالى ظهورها فيجرى عليهم حينئذ حکم الکفار الحربيين.

و يشهد بما ذکر عده روايات منها کما فى الوسائل باسناده عن أبى بکر الحضرمى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول لسيره علىّ فى أهل البصره کانت خيرا لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس إنّه علم ان للقوم دوله فلو سباهم لسبيت شيعته قلت فاخبرنى عن القائم يسير بسيرته؟ قال: لا إن عليّا عليه السّلام سار فيهم بالمن لما علم من دولتهم و إن القائم يسير فيهم بخلاف تلک السيره لأنّه لا دوله لهم.

و المروى عن الدعائم عن علىّ عليه السّلام انّه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبله أ کافرون هم؟ قال عليه السّلام کفروا بالاحکام و کفروا بالنعم ليس کفر المشرکين الّذين دفعوا النبوّه و لم يقرّوا بالاسلام و لو کانوا کذلک ما حلت لنا مناکحهم و لا ذبائحهم و لا مواريثهم و غيرهما من الأخبار الوارده فى الباب مما يطول ذکرها.

«ترجمه الحکمين و بعض آخر»

قد حضر فى صفين رجال مجاهدون فى اللّه حق جهاده منهم أبو اليقظان عمّار بن ياسر رضوان اللّه عليه قتله الفئه الباغيه، و قد مضى نبذه من الکلام فى ترجمته(۱) بما يليق و يسع المقام.

۱- (۱) - ص ۲۷۳-۲۹۹.

و منهم عضد اسد اللّه مالک الأشتر رضـی اللّه عنه و قد مضـی بعض الاقوال فی جلاله شأنه و نباله قدره حسب ما یقتضی المقام و سیأتی ترجمته تفصیلا فی باب المختار من کتبه و رسائله علیه السّلام ان شاء اللّه تعالی، و منهم هاشم بن عتبه بن أبی وقاص المرقال و ابنه رضوان اللّه علیهما و قد علم جلاله شأنهما و ثبات أمرهما و عزمهما فی نصره الدین و الحمایه عن الحق المبین بما ذکرنا من الاثار و الأخبار فی شهادتهما رضی اللّه عنهما(۱) و کذا غیرهم من حماه الحق و اعوان الدین الذین قالوا ربنا اللّه ثمّ استقاموا و لزموا الصراط المستقیم و النهج القویم علی حقیقه البصیره، و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل اللّه أمواتا بل أحیاء عند ربهم یرزقون، فرحین بما آتیهم اللّه من فضله و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف علیهم و لا هم یحزنون، یستبشرون بنعمه من اللّه و فضل و ان اللّه لا یضیع أجر المؤمنین.

و أبو وقاص جدّ هاشم المرقال اسمه مالک بن اهیب بن عبد مناف بن زهره ابن کلاب، و عمّ هاشم سعد بن أبی وقاص احد العشره و أبوه عتبه بن أبی وقاص هو الذی کسر رباعیّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم احد و کلم شفتیه و شج وجهه فجعل یمسح الدم عن وجهه و یقول کیف یفلح قوم خضبوا وجه نبیّهم بالدّم و هو یدعوهم إلی ربهم فانزل اللّه عزّ و جلّ «لَیْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْ ءٌ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ أَوْ یُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ » و قال حسان بن ثابت فی ذلک الیوم:

إذا اللّه حیّا معشرا بفعالهم و نصرهم الرّحمن رب المشارق

فهدّک ربی یا عتیب بن مالک و لقاک قبل الموت احدی الصواعق

بسطت یمینا للنّبیّ محمّد فدمیت فاه قطعت بالبوارق

فهلاّ ذکرت اللّه و المنزل الذی تصیر إلیه عند احدی الصفائق

فمن عاذری من عبد عذره بعد ما هوی فی دجوجی شدید المضائق

و اورث عارا فی الحیاه لأهله و فی النار یوم البعث ام البوائق

و انما قال عبد عذره لأنّ عتبه بن أبی وقاص و اخوته و اقاربه فی نسبهم کلام ذکر ص

۱- (۱) - ۳۰۵-۲۹۹.

قوم من أهل النسب انهم من عذره و انهم ادعياء فی قریش و لهم خبر معروف و قصه مذکوره فی کتب النسب، و تنازع عبد اللّه بن مسعود و سعد بن أبی وقاص فی أیّام عثمان فی أمر فاختصما فقال سعد لعبد اللّه: اسکت یا عبد هذیل فقال له عبد اللّه: اسکت یا عبد عذره، هذا ما نقلنا من الفاضل الشارح المعتزلی.

و فی الاستیعاب أن هاشم المرقال کان من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نزل الکوفه و کان من الفضلاء الخیار و کان من الأبطال و فقئت عینه یوم الیرموک و کان خیرا فاضلا شهد مع علیّ علیه السّلام الجمل و شهد صفین و أبلا بلاء حسنا و بیده کانت رایه علیّ علیه السّلام علی الرجاله یوم صفین و یومئذ قتل.

و کفی فی فضل هاشم رضوان اللّه علیه ما قال فیه یعسوب الدین أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه السادسه و الستین: و قد اردت تولیه مصر هاشم بن عتبه و لو ولیّته إیاها لما خلّی لهم العرصه و لا انهزهم الفرصه.

و ممن شهد بصفین من حواریّ أمیر المؤمنین علیه السّلام و استشهد بها و قتله الفئه الباغیه اویس القرنی رضوان اللّه علیه.

و المروی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه کان یقول تفوح روائح الجنّه من قبل قرن و ا شوقاه الیک یا اویس القرنی ألا و من لقیه فلیقرأه منّی السّلام فقیل یا رسول اللّه و من اویس القرنی؟ قال: ان غاب عنکم لم تفتقدوه، و ان ظهر لکم لم تکترثوا به یدخل الجنه فی شفاعته مثل ربیعه و مضر یؤمن بی و لا یرانی و یقتل بین یدی خلیفتی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب فی صفین، و الروایات من الخاصه و العامه فی مدحه أکثر من أن یذکر.

و من استشهد بصفین من أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام: عبد اللّه بن بدیل بن ورقاء و خزیمه بن ثابت و جندب بن زهیر و ابن التیهان و غیر ذلک رضوان اللّه علیهم أجمعین و قال المسعودی فی مروج الذهب: و قتل بصفین من الصحابه ممّن کان مع علیّ علیه السّلام خمسه و عشرون رجلا.

و ممّن شهد مع علیّ صفین شبث بن ربعی کما مرّ قبل و هذا الرّجل کان مضطرب الحال مشوش البال غیر ثابت علی طریق منافقا متلونا سفّاکا متجرّیا تابع کلّ ناعق و مثیر کلّ فتنه عاش طویلا حتّی بلغ إلی أرذل العمر و حضر کربلاء مع عمر بن سعد فقاتل الحسین بن علیّ علیهما السّلام نستعیذ باللّه من سوء الخاتمه، و مسجد شبث احد المساجد الأربعه التی جدّدت فرحا لقتل الحسین علیه السّلام و تخلف هو و عمرو ابن حریث و الاشعث و جریر بن عبد اللّه عن أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فی مسیره إلی النهروان و اخبر علیه السّلام بانهم یریدون تثبیط النّاس عنه و بیعتهم للضب و قال علیه السّلام:

أما و اللّه یا شبث و یا ابن حریث لتقاتلان ابنی الحسین علیه السّلام کما فی البحار للمجلسی رحمه اللّه تعالی.

قال أبو زهیر العبسی فانا سمعت شبث فی أماره مصعب یقول لا یعطی اللّه أهل هذا المصر خیرا أبدا و لا یسدّدهم لرشد ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و مع ابنه من بعده آل أبی سفیان خمس سنین ثمّ عدونا علی ابنه و هو خیر أهل الأرض نقاتله مع آل معاویه و ابن سمیّه الزانیه ضلال یا لک من ضلال.

و قال ابن حجر فی التقریب: شبث بفتح أوّله و الموحّده ثمّ مثلثه ابن ربعی التمیمی الیربوعی أبو عبد القدوس الکوفی مخضرم کان مؤذن سجاح ثمّ اسلم ثمّ کان ممن اعان علی عثمان ثمّ صحب علیا ثمّ صار من الخوارج علیه ثمّ تاب فحضر قتل الحسین علیه السّلام ثمّ کان ممن طلب بدم الحسین علیه السّلام مع المختار ثمّ ولی شرطه الکوفه ثمّ حضر قتل المختار و مات بالکوفه فی حدود الثمانین انتهی.

بیان مخضرم بضم المیم و فتح الراء من ادرک الجاهلیه و الاسلام و سجاح بفتح أوّلها کسحاب اسم امرأه ادعت النبوّه و تبّی المسیلمه الکذاب أیضا فی زمانها.

قال أبو جعفر الطبری فی ذکر احداث السنه الحادیه عشره من الهجره من تاریخه: و کانت سجاح بنت الحارث بن سوید بن عقفان هی و بنو أبیها عقفان فی بنی تغلب فتنبّت بعد موت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالجزیره فی بنی تغلب فاستجاب لها الهذیل - إلی أن قال -: ان مسیلمه الکذاب لمّا نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها فقالت لها

ص:۳۸۲

سجاح انزل قال: فنحّی عنک أصحابک ففعلت فقال مسیلمه: اضربوا لها قبّه و جمّروها لعلّها تذکر الباه ففعلوا فلما دخلت القبه نزل مسیلمه فقال لیقف ههنا عشره و ههنا عشره ثمّ دارسها فقال ما أوحی إلیک؟ و قالت هل تکون النّساء یبتدئن و لکن أنت ما أوحی إلیک؟ قال: ألم تر إلی ربک کیف فعل بالحبلی اخرج منها نسمه تسعی من بین صفاق وحشی.

قالت: و ما ذا أیضا؟ قال أوحی إلیّ أن اللّه خلق النساء أفراجا و جعل الرجال لهن أزواجا فنولج فیهن قعسا ایلاجا ثم نخرجها إذا نشاء إخراجا فینتجن لنا سخالا انتاجا، قالت: أشهد انک نبی، قال: هل لک أن أتزوجک فاکل بقومی و قومک العرب؟ قالت: نعم. قال:

ألا قومی إلی النّیک فقد هیّی لک المضجع

و إن شئت ففی البیت و إن شئت ففی المخدع

و إن شئت سلقناک و إن شئت علی أربع

و إن شئت بثلثیه و إن شئت به أجمع

قالت: بل به أجمع، قال: بذلک أوحی إلیّ، فاقامت عنده ثلاثا ثمّ انصرفت إلی قومها فقالوا ما عندک؟ قالت کان علی الحق فاتبعته فتزوجته، قالوا فهل أصدقک شیئا؟ قالت لا، قالوا ارجعی إلیه فقبیح بمثلک أن ترجع بغیر صداق (أن تزوج بغیر صداق - ظ) فرجعت فلما رآها مسیلمه أغلق الحصن و قال مالک؟ قالت أصدقنی صداقا، قال من مؤذنک؟ قالت شبث بن ربعی الرّیاحی، قال علیّ به فجاء فقال ناد فی أصحابک أن مسیلمه بن حبیب رسول اللّه قد وضع عنکم صلاتین ممّا أتاکم محمّد صلاه العشاء الاخره و صلاه الفجر، فانصرفت و معها أصحابها فیهم الزبرقان و عطاره بن حاجب و عمرو بن الأهتم و غیلان بن خرشه و شبث بن ربعی فقال عطارد بن حاجب:

أمست نبیّتنا انثی نطیف بها و أصبحت انبیاء النّاس ذکرانا

ص:۳۸۳

ثمّ إن ولد شبث عبد القدوس المعروف بأبى الهندى الشاعر كان زنديقا سكّيرا و كذا سبطاه صالح بن عبد القدوس و غالب بن عبد القدوس فالصالح كان زنديقا طالحا قتله المهدى على الزندقه و صلبه على جسر بغداد، و غالب كان غالب أمره فى شرب الخمر و ادمانه و عاقبه أمره انه سقط عن السطح فى حال سكره فوجد ميّتا و حكى انّه كان مكتوبا على قبره.

اجعلوا ان مت يوما كفنى ورق الكرم و قبرى معصره

اننى ارجو من اللّه غدا بعد شرب الراح حسن المغفره

كان الفتيان يجيئون إلى قبره فيشربون و يصبّون القدح على قبره.

و نظير البيتين المذكورين ما قاله أبو محجن فى أيام جاهليته كما فى الجزء الثالث من تاريخ أبى جعفر الطبرى من وقايع السنه الرابعه عشره:

إذا مت فادفنّى إلى أصل كرمه تروّى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفنّنى بالفلاه فانّنى اخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها

و تروى بخمر الحصّ لحدى فاننى أسير لها من بعد ما قد أسوقها

ثمّ انّ أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام كان يرسله إلى امور خطيره لجرأته كما نقلنا من قبل ان عليّا عليه السّلام بعثه مع بشر بن عمرو و سعيد بن قيس إلى معاويه ليدعوه إلى الطاعه و الجماعه و اتباع أمر اللّه فلما وردوا على معاويه و ذهب سعيد بن قيس ليتكلم بدره شبث بن ربعى و قال لمعاويه انه لا يخفى علينا ما تطلب انك لا تجد شيئا تستغوى به الناس و تستميل به أهواءهم إلاـ أن قتل لهم قتل إمامكم مظلوما فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب لك سفله طغام رذال و قد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر و اجبت له القتل لهذه المنزله التى تطلب.

و أما ترجمه أبى موسى الأشعرى فنحن نذكر نقلا عن الشارح المعتزلى من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر المحدّث و غيره ثمّ نتبع ذلك بما نقلناه من غيره.

قال ابن عبد البر: هو عبد اللّه بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن

عمر بن بكر بن عامر بن عذر بن وابل بن ناجيه بن الجاهر بن الأشعر، و اختلف فى انه هل هو من مهاجره الحبشه ام لا- و الصحيح انّه ليس منهم و لكنه اسلم ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتّى قدم هو و ناس من الأشعريين على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر بن أبى طالب و أصحابه من أرض حبشه فوافوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بخيبر فظن قوم أن أبا موسى قدم من الحبشه مع جعفر و قيل انّه لم يهاجر إلى الحبشه و انما أقبل فى سفينه مع قوم من الأشعريين فرمت الريح سفينتهم إلى ارض الحبشه و خرجوا منها مع جعفر و اصحابه فكان قدومهم معا فظن قوم انه كان من مهاجره الحبشه.

قال: و ولّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من محاليف اليمن زبيد و ولّاه عمر البصره لما عزل المغيره عنها فلم يزل عليها إلى صدر من خلافه عثمان فعزله عثمان عنها و ولّاها عبد اللّه بن عمار بن كريز فنزل ابا موسى الكوفه حينئذ و سكنها فلما كره سعيد بن العاص و دفعوه عنها و لوا ابا موسى و كتبوا إلى عثمان يسألونه ان يوليه فأقره على الكوفه فلما قتل عثمان عزله علىّ عليه السّلام عنها فلم يزل واجدا لذلك على علىّ عليه السّلام حتّى جاء منه ما قال حذيفه فيه.

قال الشّارح المعتزلى: و الكلام الذى قال فيه و قد ذكر عنده بالدين اما أنتم فتقولون ذلك و اما انا فاشهد انه عدوّ للّه و لرسوله و حرب لهما فى الحياه الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللّعنه و لهم سوء الدار و كان حذيفه عارفا بالمنافقين اسرّ إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله امرهم و أعلمهم أسماءهم.

و روى ان عمارا سئل عن ابى موسى فقال لقد سمعت فيه من حذيفه قولا عظيما سمعته يقول: صاحب البرنس الاسود ثمّ كلح كلوحا علمت منه انّه كان ليله العقبه بين ذلك الرّهط.

و روى عن سويد بن غفله قال: كنت مع ابى موسى على شاطى الفرات فى خلافه عثمان فروى لى خبرا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال سمعته يقول: إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضلّا و أضلّا من اتّبعهما

و لا ينفكّ أمر امّتى حتّى يبعثوا حكمين يضلّان و يضلّان من تبعهما، فقلت له:

احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما قال: فخلع قميصه و قال: أبرء إلى اللّه من ذلك كما أبرء من قميصى هذا.

و كان علىّ عليه السّلام يقنت عليه و على غيره فيقول اللهم العن معاويه اوّلا- و عمرا ثانيا و أبا الاعور السلمى ثالثا و ابا موسى الأشعرى رابعا.

و قال نصر فى كتاب صفين: قال علىّ عليه السّلام ان عبد اللّه بن قيس رجل قد حلبت أشطره فوجدته قريب القعر كليل المديه. و نقل أيضا أبياتا عن بعض بعضها.

لو كان للقوم رأى يعظمون به بعد الخطار رموكم بابن عبّاس

للّه درّ أبيه أيما رجل ما مثله لفصال الخطب فى النّاس

لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس

ان يخل عمرو به يقذفه فى لجج يهوى به النجم تيسا بين أتياس

و فى السياسه و الامامه للدينورى: ذكروا أن معاويه كتب إلى أبى موسى بعد الحكومه و هو بمكّه. أمّا بعد فاكره من أهل العراق ما كرهوا منك و أقبل إلى الشام فانى خير لك من علىّ و السلام.

فكتب إليه أبو موسى: أما بعد فانه لم يكن منى فى علىّ إلّا ما كان من عمرو فيك غير أنى أردت بما صنعت وجه اللّه و أراد عمرو بما صنع ما عندك و قد كان بينى و بينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت، و أمّا قولك: إن الحكمين إذا حكما على أمر فليس للمحكوم عليه أن يكون بالخيار إنّما ذاك فى الشّاه و البعير، و أمّا فى امر هذه الامّه فليست تساق إلى ما تكره و لن تذهب بين عجز عاجز و لا كيد كائد و لا خديعه فاجر، و أمّا دعاؤك إياى إلى الشام فليس لى بدل و لا إيثار عن قبر ابن إبراهيم ابى الأنبياء.

ثمّ ان الفاضل الشارح المعتزلى بعد ذكره ما تعتقده المعتزله فى ابى موسى نقلا- من كتاب الكفايه لابن متويه انه قال أمّا ابا موسى فانه عظم جرمه بما فعله و ادّى ذلك إلى الضرر الذى لم يخف حاله و كان علىّ عليه السّلام يقنت عليه و على غيره - كما

دریت - و روی عنه علیه السّلام انه کان یقول فی ابی موسی: صبغ بالعلم صبغا و سلخ منه سلخا و کذا بعد ما ذکر روایه الحکمین الضالّین المضلّین فی بنی إسرائیل و فی هذه الامه من أبی موسی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و کذا بعد ما ذکر انه لم یثبت فی توبته ما ثبت فی توبه غیره، قال: و ذکرته لک لتعلم أنه عند المعتزله من أرباب الکبائر و حکمه حکم أمثاله ممّن واقع کبیره و مات علیها. انتهی.

أقول: و ذکرنا طائفه من البراهین و الأدلّه فی کفر الخارجین علی الامام العادل علیه السّلام فلیرجع.

قال ابن عبد البرّ و اختلف فی تاریخ موته فقیل سنه اثنتین و أربعین، و قیل سنه اثنتین و خمسین، و قیل سنه أربع و أربعین، و اختلف فی قبره فقیل مات بمکه و دفن بها و قیل مات بالکوفه و دفن بها.

و أمّا عمرو بن العاص فلا یخفی علی أحد انه کان فاجرا غادرا ختّالا و فی الروغان و الخدیعه و المکر یضرب به المثل و قد مضی شرذمه منها من قبل و سیأتی فی باب المختار من الکتب و الرسائل کتاب أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام إلیه و هو الکتاب التاسع و الثلاثون قوله علیه السّلام: من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی الأبتر بن الأبتر عمرو بن العاص بن وائل شانئ محمّد و آل محمّد فی الجاهلیه و الاسلام - إلی آخر ما قال - و نحن نذکر فی شرح ذلک الکتاب بعون الملک الوهّاب ما قیل فی عمرو بن العاص، فلنعد إلی بیان جمل الخطبهتمّ المجلد الخامس عشر من هذه الطبعه الجدیده النفیسه فی الیوم الثالث من ذی القعده الحرام سنه - ۱۳۸۳ - و ذلک بتصحیح و ترتیب من العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه، و الحمد لله رب العالمین و یلیه انشاء الله المجلد السادس عشر.

ص:۳۸۷

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹